جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب والنقد



قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر

من ١٧٩٨ - ١٩٤٥

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد

إعداد
عادل محمد محمود أبو عمشة

إشراف
الأستاذ الدكتور السعيد السيد عبادة



١٤٠١هـ - ١٩٨١م

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

الروم : آية «٢١»

شكر وتقدير

الحمد لك اللهم والشكر فقد أعنت ووفقت ، فأوزعني أن أشكر نعمتك التي انعمت ، وتقبل مني عملي خالصا لوجهك الكريم .

وبعد : أرى أنه من الواجب علي أن أقدم خالص شكري وعظيم امتناني وتقديري ومحبتي لفضيلة استاذي المشرف على هذه الرسالة الدكتور السيد السيد عباده الذي منحني من وقته وجهده وتفكيره ونصحه الشيء الكثير ، وقد كان لموقفه هذا الأثر العميق في نفسي ، مما دفعني أن أبذل جهودا مضاعفة حتى تخرج الرسالة محققة لآماله ، فله مني كل محبة وتقدير ، وأدعو الله أن يسبغ عليه مزيدا من الصحة وطول العمر والتوفيق في دنياه وآخرته .

ولا أنسى أن أقدم شكري لسعادة الدكتور محمد بن سعد الرشيد عميد الكلية السابق وسعادة الدكتور عليان الحازمي عميد الكلية الحالي وسعادة الدكتور علي الحكمي وكيل الكلية وسعادة الدكتور حسن باجودة رئيس قسم الدراسات العليا العربية على ماقدموه لي من رعاية أثناء اعداد هذا البحث.

ولا يفوتني أن أتقدم بالثناء والتقدير للقائمين على شئون المكتبة المركزية بمكة المكرمة والمكتبة المركزية في جامعة الرياض والمكتبة المركزية في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ومكتبة الحرم المكي الشريف ومكتبة دار الكتب المصرية ومكتبة بلدية نابلس ومكتبة كلية الدعوة وأصول الدين في القدس الشريف ، حيث أتاحوا لي جميعا فرصة الاستفادة مما لديهم من كتب .

* * *

المقدمـــــة

....

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسوله الذى أنزل عليه القرآن بلسان عربي مبين وبعد ، فان الحقبة الزمنية الممتدة من الحملة الفرنسية على مصر الى الحرب العالمية الثانية ، تعد من أخطر الحقب في التاريـــــخ الاسلامي والعربي ، وأكثرها تعقيدا وتشابكا وغموضا بالنسبة للباحثين ،على الرغم من قرب العهد بها ، وكثرة ماكتب عنها ، ذلك أن تيارات سياســـية واجتماعية وفكرية متعددة الاتجاهات والميول فاجأت العالم العربي ، وهـــو يغط في سبات عميق ، فلما أفاق وشاهد ماحوله من أضواء الحضارة الغربية الباهرة ذهل عن نفسه ، وأخذ يقتبس منها كل ماوقفت عليه عيناه ، دون أن يتمكن من التفكير فيما يصلح له فيأخذه ومالا يصلح له فيرفضه ،وفي ظــلّ هذا الانبهار بدأت تغزو المجتمع العربي المسلم أفكار جديدة ، كان لهـا أثر كبير في تغيير حياته ونظرته للأمور ، مما جعل أمر السيطرة عليه وتوجيهه من قبل أصحاب هذه الأفكار الطارئة أمرا ممكنا وميسورا ، وهكذا بدأ يعيـــش غزوا حضاريا شمل كثيرا من جوانب حياته .

وفي بداية هذه الحقبة كان الشعر العربي قد وصل الى درجة من الجمود اضطرته أن ينسحب من الميدان موقتا ، ولكن التطورات المتعاقبة والأحداث الجسيمة التي مرّت بها الأمة فيما بعد ، هزّت وجدان الشعراء ، وأيقظـــت احساسهم ، وأعادت الى بعضهم شيئا من وعيهم وادراكهم ، فكان عليهـم أن يتجاوبوا مع هذا الواقع ويعايشوه ، فيؤثروا فيه ويتأثروا به مع مافيه مـــن متناقضات .

ومن ثمّ بدأوا في نهاية القرن التاسع عشر يعبّرون في انتاجهم عـــن الأحداث والاتجاهات المختلفة التي أوجدها الغزو الحضارى في الحيـــاة العربية ، فاتخذ بعضهم من حياة الأمة الوطنية والقومية والدينية والسياسية والاجتماعية والوجدانية مادة لشعرهم وميدانا ، مدافعين عن القديـــم تارة ومؤيدين للجديد أخرى ، وعلى ضوء هذا الانتاج الشعرى الذى صوّر العصر من جميع جوانبه بدأ الباحثون في الشعر الحديث ينظرون اليه نظـــرة

تختلف عن نظرتهم الى الشعر العربي في عصوره السالفة ، فلم يعد هذا الشعر عندهم فنا جميلا فقط ، بل رأوا فيه الى ذلك مادة خصبة تعينهم على دراسة هذه الحقبة من جوانبها المختلفة ، فدرس الدكتور محمد محمد حسين الزاوية الوطنية في كتابه : " الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر "، ودرس الدكتور عمر الدقاق الزاوية القومية في كتابه : " الاتجاه القومي في الشعر العربي المعاصر " ، ودرس الدكتور عبد القادر القط الزاوية الوجدانية لدى الشعراء المحدثين في كتابه : " الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر " ، وخصّ باحثون آخرون بعض المشهورين من الشعراء المحدثين بأبحاث ودراسات مستفيضة ، تناولوا فيها اتجاها أو أكثر من هذه الاتجاهات عند من درسوهم ،كما فعل الدكتور ماهر حسن فهمي في كتابه " شوقي شعره الاسلامي " .

وعلى الرغم من كثرة تناول الشعراء المحدثين للحياة الاجتماعية ، لم أجد من أفرد للاتجاه الاجتماعي في الشعر العربي الحديث دراسة مستقلة ،ولمّا كان هذا الاتجاه لم يقابل حتى الآن بما يليق به من اهتمام ، رأيت من المناسب أن أختاره ميدانا لدراستي ، لكنني لاحظت أثناء اطلاعي على كثير من دواوين الشعراء المحدثين والمجلات والصحف التي صدرت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الثانية ، أن هذا اللون من الشعر لم يكن نظمه حكرا على المشهورين من الشعراء ، بل ان كثيرا ممن لم يعرفوا بنظم الشعر ، ولم يكن لهم باع فيه قد أسهموا أيضا في التعبير عما كان يدور في عصرهم من تناقضات في الحياة الاجتماعية ،دفعتهم الى القول دفعا ، وعندما ثبت لديّ أن استقصاء الشعر الذى تناول الحياة الاجتماعية أمر صعب ، لكثرته وتوزعه بين الدوريات والدواوين ، فكّرت أن أختار جانبا من جوانب الشعر الاجتماعي ، فوجدت أن المسائل المتعلقة بالمرأة والأسرة هي التي نالت القسط الكبير من اهتمامهم ، وذلك أنه اتضح للشعراء المحدثين المحافظين منهم ودعاة الحياة الجديدة ، أن الغلبة في الصراع القائم بين أنصار القديم والحديث ستكون في صالح من يستطيعون أن يكسبوا المرأة الى جانبهم ، فكان هذا سببا آخر رجّح لدى أن أتخذ من الشعر الاجتماعي الذى تناول المرأة

والأسرة في العصر الحديث ميدانا لدراستي .

وعندما حاولت تحديد المكان والزمان اللذين سأجعلهما ميدانا لهذه الدراسة ، تساءلت : هل أجعل من العالم العربي وحدة متكاملة ، فأتناول المرأة والأسرة في كافة أقطاره ، خصوصا وأن القضايا التي أثيرت في قطر من الأقطار قريبة من القضايا التي أثيرت في الأقطار الأخرى ؟ وهنا توقفت قليلا وسألت : هل يمكن لباحث واحد أن يقوم بمسح شامل لكل الشعراء العرب المحدثين الذين يمكن الرجوع الى دواوينهم ؟ فكان الجواب بالنفي ، لأنهم يعدون بالمئات ، ولو تمكنت من الرجوع الى مئات الدواوين ؟ هل يغني ذلك عن الوقوف على الشعر الذى نشرته الدوريات ؟ وكثيرا ماكانت تنشر ، بل انّ مانشر فيها ربما يكون أكثر فائدة للباحث ، لأنه يصور ردّ فعل الشاعر نحو الأحداث التي دارت حوله وانفعل بها ، على أنّ منه ما أسقطه أصحابه من دواوينهم عند طبعها لرجوعهم عما فيه ، واذا يكون الرجوع الى عشرات الدوريات التي صدرت طيلة مايقرب من قرن ، وفي عدة أقطار وفي عشرات المكتبات مهمة تحتاج الى فريق من الباحثين .

هذا الى أن الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها العالم العربي لم تكن واحدة في كلّ أقطاره ، فقد ابتلى بعضه بالاستعمار الانجليزى وابتلى بعضه الآخر بالاستعمار الفرنسي ، وسلمت أقطار أخرى من هذا الغزو ، هذا يعني أن قضايا المرأة التي أثيرت في العالم العربي لم تظهر كلها في وقت واحد ، ففي مصر مثلا أثيرت أول ما أثيرت أثناء حملة نابليون ، وفي العراق أثيرت بعد الحرب العالمية الأولى أو قبلها بقليل ، على حين لم تطرح للبحث في أقطار أخرى الا بعد الحرب العالمية الثانية ، وهذا يدل على أن كل قطر من هذه الأقطار بحاجة الى دراسة مستقلة ، وأن جمعها في دراسة واحدة أمر يصعب تحقيقه ، لذلك اخترت مصر ميدانا لهذه الدراسة في مدة تمتد من الحملة الفرنسية عليها الى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وانما اخترت مصر دون غيرها لأسباب منها :

أولا : ان مصر أقدم الأقطار العربية اتصالا بالغرب ، وقد تمثّل أول اتصال لها بالحملة الفرنسية ، واستمر هذا الاتصال بعد رحيلها في عهد محمد علي باشا وخلفائه .

ثانيا : ان مصر أكبر الأقطار العربية ، وأقدرها على التأثير فيمن حولها ، بحكم حجمها السكاني من ناحية ، ومكانتها من نفوس العرب من ناحية ثانية ، فكل مايحدث في مصر يجد له صدى في العالم العربي ، وهذا أوضح مايكون في الشعر .

ثالثا : ان الشعراء المحدثين في مصر هم الذين وجهوا تيار الشعر في العصر الحديث ، وأن كثرة عددهم وتنوع اتجاهاتهم وميولهم تتيح للباحث فرصة اختيار مايراه مناسبا من النماذج الشعرية التي تغطي كل القضايا ، وتعطي مجالا رحبا للمقارنة والاستنباط .

رابعا : كانت الصحف والمجلات المصرية أقدم ظهورا وأكثر انتشارا وتنوعا ، وأن كثيرا من الشعراء العرب كانوا يلجأون اليها لنشر أشعارهم ، ويتأثرون بما تنشره ، هذا الى سهولة الرجوع اليها وتوافرها ، مما يثرى البحث ويرفده بمصادر للمعلومات ، ربما لا تتاح في أى مكان آخر .

خامسا : ان كثيرا ممن أرخوا للحركة النسائية في مصر سواء أكانوا من الرجال أو النساء ، تناولوها بحماس منقطع النظير ، وكالوا لها المديح كيلا ، مما أضاع على الباحثين فرصة التعرّف على الحقائق ، لأن هؤلاء الدارسين أرادوا لدراساتهم هذه أن تخدم اتجاها يريدون له الاستمرار والبقاء ، وهذا أدى بهم الى اخفاء العيوب والمغالاة في الاطراء .

كل هذه الأمور رجّحت عندى اختيار مصر موضوعا لهذه الدراسة ، فكان عنوان البحث :

قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر

من ١٧٩٨م - ١٩٤٥م

وفي ظلّ ما اجتمع لدى من مادة علمية رأيت أن أقسّم الموضوع الى تمهيد وأبواب ثلاثة وخاتمة .

أما التمهيد : فعرضت فيه لوضع المرأة العربية في الجاهلية والاسلام .

وأما الباب الأول : فكان موضوعه " أثر التطور الحديث في مصر على المرأة والشعر ، وقد جعلته في فصلين :

الفصل الأول : " المرأة المصرية في مواجهة التطور " .

الفصل الثاني : " تطور الشعر العربي الحديث " .

وأما الباب الثاني : فكان موضوعه " مواقف الشعراء المحدثين في مصر من قضايا المرأة " ، وفيه تناولت القضايا التي أثارها الشعراء للمرأة ، ووزعت هذه القضايا على خمسة فصول .

الفصل الأول : " قضية الحجاب والسفور " .

الفصل الثاني : " قضية تعليم المرأة " .

الفصل الثالث : " قضية عمل المرأة " .

الفصل الرابع : " قضية العلاقات الزوجية " .

الفصل الخامس : " القيمة الانسانية للمرأة عند الشعراء المحدثين في مصر " .

وأما الباب الثالث والأخير ، فكان موضوعه " الخصائص الفنية لشعر قضايا المرأة " وقد جعلته فصولا ثلاثة :

الفصل الأول : " خصائص النماذج الغنائية " .

الفصل الثاني : " خصائص النماذج القصصية " .

الفصل الثالث : " خصائص النماذج التمثيلية " .

وأما الخاتمة : فقد تعرضت فيها لأهم النتائج التي توصلت اليها في هذا البحث .

أما منهجي في هذه الدراسة ، فكان أولا بتتبع نواحي التطور الذي تعرّضت له المرأة والشعر في مصر ، وثانيا في جمع كافة النصوص الشعرية التي تناولت هذه القضايا من الدواوين والدوريات بنقلها حينا وبتصويرها في أكثر الأحيان .

ولم أكتف بالرجوع الى الدواوين والدوريات ، بل رجعت الى كثير من كتب التاريخ والأدب والفكر ، التي تناولت الحقبة التي أدرسها ، وكثيرا ما استفدت منها .

على أنني آثرت في كثير من الأحيان عدم التأثر بما قرأت من آراء حول مواقف الشعراء من قضايا المرأة ، وفضّلت أن اعتمد في استجلاء مواقفهم على قصائدهم نفسها ، حتى استطيع من خلالها أن أحدد آراء الشعراء بدقة ، وكنت أحرص دائما على عدم تحميل النص ما لا يحتمل .

هذا وقد اتضح لي أثناء الكتابة أنه ليس من المعقول أن أدرس كل نص من النصوص التي جمعتها عند بحث قضية من القضايا ، لكثرة النصوص حينا ، ولتشابهها في الدلالة أحيانا أخرى ، فكنت أختار أكثر هذه النصوص دقة في التعبير عن وجهة نظر قائليها ، ثم أشير الى باقي النصوص في الهامش ، حتى لا أحرم القارئ فرصة الاستفادة من النصوص التي لم أقف عندها فيما لو أحب الرجوع اليها .

ولم أكن أنظر أثناء دراسة مواقف الشعراء المصريين المحدثين من قضايا المرأة المصرية نظرة اقليمية ضيقة ، باقامة حدود فاصلة بين مواقفهم ومواقف الشعراء في الأقطار العربية الأخرى ، وانما حاولت أن أربط بين هذه المواقف جميعا ولو باشارات عابرة حتى تكتمل الصورة .

ومن المنطلق نفسه كثيرا ما استشهدت بنصوص شعرية أو أشرت اليها مع معرفتي أن قائليها ليسوا مصريين ، ولكنني كنت أنظر الى القصائد التي نشرت في الصحف المصرية أو التي عاش قائلوها في مصر على أنها جزء من الشعر المصرى بحكم تأثرها به أو تأثيرها فيه .

وعلى ضوء هذه الملاحظات حاولت أن أدرس مواقف الشعراء المصريين من قضايا المرأة لا على أنها تمثّل وجهات نظر فردية فقط ، بل حاولت أن أسلك الشعراء الذين تأثروا في مواقفهم بفكر معين وبيئة معينة واتفقت وجهات نظرهم حول قضية من القضايا في اتجاه واحد ودون تعسف، واستعنت على هذا الأمر بالدراسات المختلفة التي تناولت بعض هؤلاء الشعراء ، وبينت ثقافاتهم وميولهم السياسية والفكرية ، وسيظهر ذلك جليا في الباب الثاني عند ما يلاحظ القارئ أنني صنّفت مواقف الشعراء من الحجاب والسفور وتعليم المرأة وعملها والعلاقات الزوجية الى اتجاهات حاولت أن أربطها بالحياة السياسية والاجتماعية التي كانت قائمة .

على أنني حاولت في بعض الأحيان أن أتتبع المراحل المختلفة التي مرّ فيها تفكير الشاعر نحو قضية من القضايا ، وما لحق آراءه من تغيير أو تبديل عبّر عنه في شعره .

ولم يفتني عند تناول اتجاهات الشعراء أن أبين قربها أو بعدها من قيم المجتمع الأصيلة وتقاليده العريقة ومثله السامية .

ولم تكن دراستي للنص الشعري تقف عند مجرد التعرف على موقف قائله من المرأة فقط ، ولكنني كنت أنظر الى الجوانب الفنية فيه أيضا ، وبمعنى أدق كنت أنظر الى النص نظرة شاملة .

وبعد فأرجو الله أن أكون قد وفقت في اتباع المنهج العلمي الصحيح ، ونجحت في القاء الضوء على كافة جوانب الموضوع ، وأضفت جديدا يلقي الضوء على مسيرة المرأة المصرية ، ويوضح ما اكتنفها من أخطاء وأخطار ، ويبين الدور الذى قام به الشعراء المصريون حيال قضاياها ، وينبه المرأة العربية الى ما أحاط بمسيرتها من مزالق وماعلق بأذيالها من أوحال ، لعلها تستطيع أن تتخلص منها في مستقبل أيامها بالعودة الى الله .

تمهيـــــــد

وضع المرأة بين الجاهلية والاســـــلام

موضوع المرأة من الموضوعات التي احتلت حيزا كبيرا في فكر الأمــــم قديمها وحديثها ، ولاغرابة في ذلك ، فالمرأة هي الدعامة الثانيــة التي تقوم عليها حياة البشر ، ويبدو أنها تعرضت للاضطهاد منذ فجـر التاريخ ، ولم يُعترف لها بكثير من حقوقها ، على الرغم من الدور الكبير الذى تقوم به زوجة وأما ، وعلى الرغم من مشاركتها الرجل متاعبه داخـل البيت وخارجه ، كما يبدو أن العرب في جاهليتهم كانوا من أكثر الأمــم اجحافا بحقوق المرأة ، لأن الأمر عندهم لم يقف عند مجرد ظلمها وسلبهـا حقوقها ، بل تجاوزه الى حد حرمانها من حقها في الحياة نفسها ، وقد ذاع كره العرب لبناتهم ،حتى اشتهروا به وعبّروا عنه في أشعارهم ،فكان الزوج يهجر خيمته وزوجته اذا أنجبت بنتا ، كأنها تتعمد ذلك وتتحكم فيه ، وكان العربي اذا زوّج ابنته الى رجل من قومه قال لها : ((أيسرتِ وأذكرتِ ولا آنثتِ ... واذا تزوجت في غربة قال لها : لا أيســرتِ ولا أذكرتِ ، فانك تدنين البعداء ، وتلدين الأعداء)) [١] ، وقـد ندد القرآن بنظرتهم الى البنات في قوله تعالى : ((ويجعلون للــه البنات سبحانه ، ولهم مايشتهون ، واذا بشر أحدهم بالأنثى ظــل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشرّ به ،أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء مايحكمون)) [٢] ، وقال في ســورة

---

١) البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م ، ١٨٦/١ ، ٤٧/٤ .

٢) سورة النحل ، الآيتان (٥٨ - ٥٩) .

أخـرى : ((وإذا الموؤدة سئلت بأيّ ذنب قتلت)) "١" ، وبالطبـع لم يكن من حقّ الأم أن تعترض على قتل ابنتها ، وحتى في حالة الفقـر كان القتل من نصيب الأنثى دون الذكر في الأعم "٢" .

وكان العرب يحرمون الأنثى من الارث ، فالقاعدة العامة عندهـم أن يكون الارث خاصا بالذكور دون الاناث ، لأنهم يركبون الخيل ويحملـون السيوف ، ولم يكتفوا بذلك ، بل كانوا يجعلون المرأة جزءا من تركـة المتوفي يتصرفون فيها كما يتصرفون في المتاع .

ومع ذلك عرفوا أنواعا كثيرة من الأنكحة ، منها نكاح المقـت ، فاذا مات الرجل وترك امرأته ، كانت حقا من حقوق ابنه الأكبر اذا لم تكن أمه ، فله أن ينكحها ان شاء أو يزوجها من غيره اذا لم تكن له حاجة بها ، علـى أن يأخذ المال الذى يعطى لها . "٣"

ومنها نكاح المتعة الى أجل محدد ، فاذا انقضى وقعت الفرقـة ، وفي هذه الحالة كان الأولاد ينسبون الى أمهاتهم ، ومنها كذلك نكـاح البدل ، وهو أن يقول الرجل للرجل : ((انزل لي عن امرأتك وأنـزل لك عن امرأتي)) "٤" ، ومارسوا نكاح الاستبضاع ، وهو أن يقول الرجـل لامرأته اذا طهرت : ارسلي الى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها

---

١) سورة التكوير ، الآيتان (٨ - ٩) .

٢) جامع البيان للطبرى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعـة الثالثة ، ١٣٨٨ - ١٩٦٨ ، ١٥/٧٨ .
وربما كان العرب يقومون بوأد بناتهم خشية وقوعهن في الأسر وخـوف العار والفضيحة ، فكان قيس بن عاصم أول من استنّ هذه السنة فـي تميم ، لأن العرب كانوا يحرصون على سبي النساء أكثر من حرصهم علـى الغنائم ، خصوصا في حالات الثأر ، لأن في ذلك اذلالا للعـدو وقهرا ، وكانوا يتزوجون السبايا ويستولدونهن دون مهر ، وربمـا يعرضونهن للبيع أو الاسترقاق . راجع الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد ، نشر مكتبة المعارف - بيروت ١/٢٨٩ ، وانظر مجمـع الأمثال ، للميداني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعـة السنة المحمدية ، ١٣٧٤ - ١٩٥٥ ، ٢/٤٢٥ .

٣) روح المعاني ، للألوسي البغدادى ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ٤/٢٤٥ .

٤) بلوغ الأرب ، لمحمود شكرى الألوسي ، ضبط محمد بهجت الأثرى ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، الناشر دار الكتب الحديثة ١٤٤٣ ، ٢/٥ .

ولا يلمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل"[١]" ، ومارسوا نكاح الشغار ، فكان الواحد منهم يزوج أخته للآخر على أن يزوجه الثاني أخته دون مهر ، وعرفوا زواج الرهط ، أى صاحبات الرايات ، وكان أقرب الى البغاء منه الى الزواج ."[٢]"

كذلك أباح الجاهليون لأنفسهم الزواج من عدة نساء دون حصر أو تقييد ، فكان بعض رجال قريش يتزوجون عشرا من النساء ، وللرجل أن يفضّل منهن من شاء دون أن يُطالب بالعدل بينهن"[٣]" ، وكانوا يجمعون بين الأخوات وربما تزوج بعضهم ابنته .

وجعلوا الطلاق حقا للرجل دون المرأة ، ولم يكتفوا بذلك بل كثيرا ما مارس الزوج سلطته على المرأة حتى بعد طلاقها ، فلا يسمح أن تتزوج من آخر الا بموافقته ، وكان الرجل في الجاهلية يطلق عشر مرات ثم يعود الى زوجته .

هذه صورة موجزة عن حالة المرأة العربية في الجاهلية ، وقد تبين لنا أن بعض العرب كان يعطي لنفسه حق منح الحياة للمولودة أو وأدها ، واذا حدث وأعفاها من الوأد ، فانه كان ينظر اليها نظرة احتقار واستخفاف ، فسادت الجزيرة ظروف قاسية كادت تقضي على كثير من القبائل ووصلت فوضى الحياة الاجتماعية الى درجة لم تعد تحتمل ، ومن هنا لم يكن بدّ من الاسلام ليعيد الناس الى رشدهم ، بعد أن بغى القوي على الضعيف ، واشتد ظلم الرجل للمرأة بنتا وزوجة وأما .

فجاء الاسلام ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ويمدّ الى المرأة يد المساعدة ، فيعيد اليها حقها في الحياة والعيش، لا فرق في ذلك بينها وبين الرجل، فساوى بينهما في الانسانية ، قال تعالى :

---

١) صحيح البخارى ، دار الفكر ٦/١٣٢ ، باب من قال لا نكاح الا بولي .
٢) انظر : المرأة في الشعر الجاهلي ، لمحمد أحمد الحوفي ، مطبعة المدني بالقاهرة ، الناشر دار الفكر العربي ص ٢٤٥ - ٢٥٠ .
٣) جامع البيان ، للطبرى ٤/٢٣٢

((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة)) "١" ، وجعل عليه الصلاة والسلام المرأة شريكة للرجل وشقيقة ، ((انما النساء شقائق الرجال)) "٢" ، ومنح الاسلام المرأة حقوقها في العبادة والتدين ، فلها الجنة ان أحسنت والنار ان أساءت كالرجل سواء بسواء ، ((فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض)) "٣" ، فليس للرجل أى امتياز على المرأة ، والعمل هو الذى يقرّب أحدهما أو يبعده عن خالقه .

ومع تسفيه القرآن لأخلاق العرب بسبب وأدهم البنات ونعيه عليهم التشاؤم من ولادة الأنثى ، أمر باكرام المرأة بنتا وزوجة ووالدة ، فقد جعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - تعليم الصغيرة وتهذيبها واعدادها الاعداد الصحيح ، كي تكون زوجة وأما ، وسيلة من الوسائل التي يؤجر عليها الانسان أجرا مضاعفا حيث قال : ((أيما رجل كانت عنده وليدة فعلّمها وأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها كان له أجران)) "٤" .

ولم تعد الزوجة مجرد متاع للرجل، بل أصبحت ركنا مهما من أركان الأسرة ، فليس للرجل سعادة ولا طمأنينة الا اذا كان لزوجته مثل ذلك ، فقد جعلها القرآن شريكة للرجل في صنع الحياة الزوجية ، ((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة)) "٥" ، وأما الرسول - عليه السلام - فقد جعل الزوجة الصالحة خير ما في هذه الحياة بقوله : ((الدنيا متاع وخير متاع الدنيا الزوجة الصالحة)) "٦" .

---

١) سورة النساء ، آية (١)
٢) سنن أبي داود ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، نشر دار احياء السنة النبوية ١/٦١ .
٣) سورة آل عمران ، آية (١٩٥)
٤) صحيح البخارى ، ج ١٢٠/٦ ، باب النكاح .
٥) سورة الروم ، آية (٢١)
٦) صحيح مسلم ، مكتبة الجمهورية العربية ، القاهرة ج ١٧٨/٤ ، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة .

ولم ينس القرآن الأم وانما وضعها في المكان الذى يليق بها ويناسب ضخامة مسئولياتها ، قال تعالى : ((ووصينا الانسان بوالديه احسانا ، حملته أمه كرها ووضعته كرها)) "١" ، وبسبب ماتحتمل الأم من مكاره الحمل والولادة والرضاعة ، شدد الرسول - عليه السلام - في التوصية ، فجعل الأم أحق الناس بحسن الصحبة ، عندما سأله أحد أصحابه : من أحق الناس بحسن صحبتي ؟ ((قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ثم أبوك)) "٢" .

ولم يقف الاسلام عند هذا الحد بل أعاد للمرأة حقها في الارث سواء كانت أما أو زوجة أو ابنة كبيرة كانت أو صغيرة أو حملا في بطن أمها ، وذلك خلافا لما كان عليه عرب الجاهلية وبعض الشعوب في ذلك الوقت ، وقد فرض الاسلام للمرأة أن تأخذ نصف مايأخذه الذكر ، قال تعالى : ((يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)) "٣" ، وحاول أعداء الاسلام أن يثيروا الشبهات حول اعطاء المرأة نصف ما للرجل في الارث ، ونسوا أن تكاليف الحياة وأعباءها مطلوبة من الرجل وحده ، وأن المرأة غير ملزمة بشيء من ذلك ، فهو الذى يدفع المهر وينفق على بيت الزوجية ، والاسلام الذى فرض لها نصف ما للرجل مع المهر ، أعفاها من النفقة على نفسها وعلى أولادها ولو كانت غنية ، وهذا يعني أن النظام الاسلامي وضع في الحسبان مصلحة الأسرة والمجتمع أمام ناظريه فلم يكلف المرأة بالعمل ، لتنفق على نفسها أو على غيرها حتى يمكنها من القيام

---

١) سورة الأحقاف ، آية (١٥)
٢) صحيح مسلم ج ٨/٢ ، باب بر الوالدين .
٣) سورة النساء ، آية (١١)

بوظائفها الأساسية كالحمل والولادة والرضاع، وتتفرغ لتربية أبنائها وتدبير أمور بيتها ، بينما في دعوتهم الى المساواة بين المرأة والرجل في الميراث دعوة الى مساواتها به في الواجبات والأعباء ، وهذا يعني أنهم سيحملونها من المشقات مالا تطيق ومايتنافى مع فطرتها وطبيعتها .[1]

أما بالنسبة لزواج المرأة فان الاسلام وضع قواعد وأنظمة تكفل للمسلمين الاستقرار في حياتهم الأسرية ، وتكفل السعادة للزوجة كذلك ، فجعل لها الرأى الأول والأخير في اختيار الزوج ، قال عليه الصلاة والسلام : ((لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن ، قالوا : يارسول الله وكيف اذنها ؟ قال : أن تسكت))[2]

وقد جعل الاسلام موافقة المرأة ورضاها شرطا أساسيا لصحة الزواج ، فالزواج الناشيء عن التراضي والرغبة والحرية التامة في الاختيار سيكون أساسا متينا لانشاء بيت مستقر وهادىء ، وللمرأة أن ترى خطيبها وله أن يراها عند الشروع في الخطبة ، ولكن الشريعة قيّدت ذلك بالتحفظ وعدم التبرج ، وحرّمت الخلوة بين الخطيبين مادام لم يبرما عقد النكاح ، وكان الرسول - عليه السلام - يطلب من أصحابه أن ينظر الواحد منهم الى من يخطبها ، حتى يكون على بينة من أمره ، فقد أمر أحد أصحابه عندما أخبره بخطبته لامرأة انصارية أن ينظر اليها حتى لا يفاجأ بعيب في مظهرها ، فقال : ((أنظرت اليها ؟ قال : لا ، قال : فاذهب فانظر اليها ، فان في أعين الأنصار شيئا))[3] ، وقد روى المغيرة

---

1) انظر المرأة بين الفقه والقانون ، لمصطفى السباعي ، المكتب الاسلامي بيروت ، الطبعة الرابعة ١٣٩٥ - ١٩٧٥م ص ٣٣ - ٣٧ ، وانظر المرأة في القرآن ، لعباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م ص ٩٩

2) صحيح البخاري ج ١٣٥/٦ ، كتاب النكاح (باب لا ينكح الأب البكر والثيب الا برضاها) .

3) صحيح مسلم ١٤٢/٤ ، كتاب النكاح (باب ندب النظر الى وجه المرأة وكفيها) .

أنه خطب امرأة فقال له النبي - عليه السلام - : ((انظر اليها فانه أحرى أن يوءدم بينكما)) "١" ، وحينما أتت جارية الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة خيرّها "٢" .

وبذلك أتاح الاسلام للمرأة أن تعبّر عن رأيها وأن تحترم كلمتها . أما مايفعله بعض الناس الآن من اجبار بناتهم على الزواج ممن يريدون أو عدم السماح للخاطب بروءية خطيبته في حدود مايسمح به الشرع ، فانه ليس من الاسلام في شيء .

وأما المهر فهو حق للمرأة في عنق الرجل يجب أن يوءديه ، ((وآتوا النساء صدقاتهن نحلة)) "٣" ، أما مغالاة الناس في المهور هذه الأيام ، فهي خروج عن حدّ الاعتدال واعنات للشباب الذين يعفون أن يحصنوا أنفسهم ، ومع أن الاسلام طالب بدفع المهر للمرأة لم يحدد نصابا معينا ، لكنه دعا الى اليسر ، فانظر الى رسول الله - عليه السلام - كيف عالج مشكلة المهر ، عندما أراد أحد أصحابه الزواج ولم يكن معه شيء من المال : ((... فقال : فهل عندك من شيء ؟ فقال : لا والله يارسول الله ، فقال : اذهب الى أهلك فانظر هل تجد شيئا ، فذهب ثم رجع ، فقال : لا والله ماوجدت شيئا ، فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم : انظر ولو خاتما من حديد ، فذهب ثم رجع ، فقال : لا والله يارسول الله ولا خاتما من حديد ..... اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن)) "٤" .

---

١) رواه الترمذي والنسائي .
٢) سنن أبي داود ٢/٢٣٢ ، كتاب النكاح (باب في البكر يزوجها أبوها ولا يستأذنها) .
٣) سورة النساء ، آية (٤)
٤) صحيح مسلم ٤/١٤٣ ، كتاب النكاح (باب الصداق) .

ومن هنا فان فكرة الغاء المهور مرفوضة ، لأن الغاءها تفريط فيما شرع الله من تكريم المرأة واعزازها ، كما أن المغالاة في المهور من قبل الآباء واعتبار بعضهم بناتهم سلعة تجارية يبيعونها لمن يدفع ثمنا أعلى أمر مرفوض أيضا ، اذ تؤدى هذه المغالاة الى وقوع الأسر الجديدة تحت طائلة الدين والى عزوف الشباب عن الزواج ، فان من يمن المرأة وحسن طالعها أن تيسر خطبتها وصداقها ، فقد وضع الاسلام القواعد ومكن لها ، ولكن انحراف الناس عنها أدى الى هذه الفوضى في المهور والزواج ، فأصبح أكثر شبابنا وفتياتنا دون زواج .[١]

وقد جعل القرآن لهذه الأسرة الجديدة مسئولا ورئيسا يسيّر دفة الأمور ، فجعل المسئولية للرجل ، ولكن هذه المسئولية ليست تشريفا له ، بل هي تكليف وعبء ثقيل ، فلا يمكن أن تكون الحياة الزوجية مودة ورحمة وسكنا ، الا اذا وجدت الموجه ، قال تعالى : ((ولهنّ مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة))[٢] ، وهذه الدرجة لا تبيح للرجل أن يظلم ويتعسف ، فللنساء حقوق وعليهن واجبات وكذلك الرجال ، وحتى تنجح الحياة الزوجية لابدّ لها من رئيس يتحمل أعباءها ويتخذ القرارات المناسبة ، أليس هو المسئول عن تدبير شئون الأسرة ومطالبها ، وهو المكلف شرعا بتوفير كل مايلزم ، ((الرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم))[٣] ، وقد يعترض معترض على هذا الأمر ويعده حرمانا للمرأة من حقوقها ، ولكننا نذكرهم أن هذه الرئاسة من شروطها أن يكون الرئيس عادلا وألا يكون متسلطا ومن الواجب عليه أن يأخذ رأى أفراد الأسرة فيما يتعلق بهم ،

---

١) راجع فيما يتعلق بالمهور فصلا بعنوان "هدية التكريم للمرأة" في كتاب ماذا عن المرأة ، تأليف نور الدين عتر ، دار الفكر دمشق ، ط ٣ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ص ٥٩ - ٦٥ .
٢) سورة البقرة ، آية (٢٢٨) .
٣) سورة النساء ، آية (٣٤) .

وبدون وجود رئيس للأسرة تفسد أحوالها ، وبوجود رئيسين يزداد الأمر فسادا .

وعلى الرغم من اختصاص الرجل بالرئاسة لا يجوز له أن يفضل نفسه على زوجته ، فقد أوصى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالنساء ، فقال : ((أطعموهن مما تأكلون واكسوهن مما تكتسون ولا تضربوهن ولا تقبحوهن))[1] ولم تترك السنة مناسبة الا ودعت فيها المسلم أن ينصف المرأة ويهتم بها وأن يتجاوز عن أخطائها ، فقال عليه السلام : ((استوصوا بالنساء خيرا))[2] ، والرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أن الانسان رجلا أو امرأة لا يمكن أن يكون كاملا ، فالمرأة تحسن وتسيء ، ولذا يجب أن لا تكون اساءتها سببا لانكار حسناتها ، يقول عليه السلام : ((لا يفرك مؤمن مؤمنة ، ان كره منها خلقا رضي منها آخر))[3] .

وهكذا وضع الاسلام الاطار السليم للتعاون بين الزوجين ، ودعاهما الى احترام هذه الرابطة والبعد بها عما يسيء اليها ، ومع ذلك راعى طبيعة كل من الرجل والمرأة ، فحدد تعدد الزوجات الذى كان مباحا في الجاهلية ، وجعل الحد الأعلى أربع زوجات للرجل ، وعندما شرع الاسلام التعدد لم يفرضه على أى رجل ، ولم تجبر المرأة أن تقبل الزواج برجل ذى زوجة ، وعندما أباح القرآن التعدد للرجل اشترط عليه أن يكون قادرا على الانفاق على زوجاته ، وأن يعدل بينهن في جميع الأمور المادية التي يستطاع العدل فيها كالمأكل والمشرب والملبس والمبيت ، فاذا خشي عدم القدرة على ذلك اقتصر على واحدة ، قال تعالى : ((فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة))[4] ، ولم يشترط العدل القلبي

---

١) سنن أبي داود ج ٢٤٥/٢ ، كتاب النكاح ، حديث رقم ٢١٤٤ .

٢) صحيح مسلم ١٧٨/٤ ، كتاب النكاح (باب الوصية بالنساء)

٣) المصدر نفسه ١٧٨/٤ .

٤) سورة النساء ، آية (٣) .

لأن هذا الأمر فوق طاقة الانسان ، وليس في امكانه التحكم فيه ، لقولـه تعالى : ((ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فـلا تميلوا كل الميل ، فتذروها كالمعلقة)) "١" ، وكان رسول الله صلى اللـه عليه وسلم يقسم بين زوجاته فيعدل ، الا أنه كان يقول : اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك "٢" ، وهذا يعني أن الانسـان لا يستطيع التحكم في ميل قلبه مهما بذل من جهد .

ولم يقف الاسلام بالمرأة عند هذا الحد ، بل دعا القرآن الـى الاستزادة من العلم وحض عليه في مناسبات كثيرة : ((قل هل يستـوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) "٣" ، وجعل الرسول الكريم العلم فريضة على كل مسلم ، ولم يقف عند مجرد الحض على العلم ، بل انه شجّع نسـاءه على تعلم القراءة والكتابة ، فقد تعلمت حفصة القراءة والكتابة قبـل زواجها ، وعندما تزوجها عليه السلام ، طلب من الشفاء العدوية وكانـت كاتبة في الجاهلية أن تكمل تعليم حفصة ، فقال : ((ألا تعلمين هـذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة)) "٤" ، وليس هناك مسلم عاقل الا ويـرى أن من حق الفتاة أن تتعلم مايفيدها في مستقبل حياتها ، فما تحتاجه الفتاة يختلف عما يحتاجه الشاب ، فهي مهيئة بفطرتها وخلقتها أن تكون زوجـا وأما ، ولهذا يجب أن تتعلم مايتعلق بأمور المنزل ورعاية الطفل ، علـى أنه يجب الفصل بين الفتى والفتاة حتى لا يكون اختلاطهما في معاهـد التعليم سببا لوقوع كليهما في الفتنة .

واذا كان من حق المرأة أن تتعلم فان من حقها أن تعمل ، ولكـن

---

١) سورة النساء ، آية (١٢٩)

٢) سنن أبي داود ج ٢ / ٢٤٢ ، حديث رقم ٢١٣٤ ، وعـن التعدد راجع كتاب حقوق النساء في الاسلام ، لمحمد رشيد رضا ، المكتب الاسلامي ، بيروت دمشق ص ٦٠ - ٨١ ، وانظر كتاب قولي في المرأة ، لمصطفى صبرى ، المكتبة العربية بحلـب ، ص ٢٢ - ٢٦ . وانظر كتاب المرأة في الاسلام ، لعلي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر ، ط ٢ ص ١٢٤ - ١٤٩ .

٣) سورة الزمر ، آية (٩) .

٤) سنن أبي داود ٤ / ١١ ، كتاب الطب حديث رقم ٣٨٨٧ ، رقيـة النملة : تحسين الخط وتزيينه .

علينا أن ننبه الى أنه لا يجوز تسخير المرأة في العمل ارضاء لأصحاب الشهوات ، فان المرأة أنيطت بها أعظم وظيفة وهي القيام بتربية أبنائها والعناية ببيتها ، وأن ما تخسره المرأة نتيجة خروجها من بيتها يزيد كثيرا عما تكسبه ، وعلى الرغم من ذلك سمح الاسلام للمرأة أن تعمل وفقا لشروط يجب مراعاتها ، على أنه يمكنها أن تعمل في مهن تختص بالمرأة ، كتعليم البنات وتمريض النساء وتطبيبهن ، أما أن تشتغل فهي كنس الشوارع ومسح الأحذية ، فهذه أمور تخالف فطرتها وتنقص من كرامتها ؛ واذا توفرت للمرأة أسباب العمل الشريف غير المخالف للشرع ، فلا بد لها من اذن وليها أبا أو زوجا ، وأن يكون العمل بعيدا عن جو الاختلاط .

على أننا بعد أن عرضنا في هذا التمهيد للوضع الذى كانت عليه المرأة في الجاهلية ثم الوضع الذى عاشته في ظل الاسلام ، سنحاول في الباب الأول أن نتعرف على مواقف المفكرين المصريين المحدثين من المرأة حتى نتمكن من دراسة الشعر المصرى الحديث الذى تناول قضاياها .

البـــاب الأول

أثـــر التطور الحديـــث
في مصـــر
على المرأة والشعـــر

* * * *

الفصل الأول

المرأة المصرية في مواجهة التطور

عند ما فكر نابليون في غزو مصر كانت ولاية عثمانية يديرها المماليك لحساب السلطان العثماني ، لكن الدولة العثمانية كانت قد بدأت مرحلة النهاية منذ حين بتسلط الانكشارية "١" على السلطان ودخولها في حروب مع بعض جاراتها ، الأمر الذى أطمع المماليك في الحكم ، فحاول علي بك الكبير أحد زعماء المماليك الاستقلال بمصر ، لكنه قتل دون ذلك ، واشتد الصراع بعده على السلطة بين ابراهيم بك ومراد بك اللذين سيطرا على مصر واقتسما ايراد البلاد بينهما ، مما اضطر السلطان عبد الحميد الأول أن يرسل عام ١١٩٩ هـ - ١٧٨٦ م جيشا الى مصر لايقاعهما عند حد معين ، لكنهما عادا الى اختلاس الأموال من الأهالي ، وضربا على التجار الأجانب في القاهرة والاسكندرية ورشيد ضرائب كثيرة ، وسيطر المماليك على نظام ملكية الأرض ، فكان الملتزم يتصرف في القرى تصرف المالك ، مما أرهق الفلاحين ، وكثيرا ماكان المماليك يصادرون أموال التجار خصوصا الأغنياء منهم ، وكسدت سوق الصناعة بما فرضه الحكام على القائمين بها من اتاوات ، ولم يكن أحد من أهل البلاد يعرف شيئا عن الصناعات الآلية ، يقول فولني : ((ان الفنون الآلية مايزال أبسطها

(١) الانكشارية : فرقة من فرق الجيش العثماني ، كان لها مركز ممتاز في الجيش ، كان جنودها يؤخذون من الشبان النصارى الذين كانوا يتسابقون على الدخول فيها نظرا للمستوى الرفيع الذى كانت تتمتع به ، وكان هؤلاء ينشأون منذ حداثتهم على الولاء للسلطان ، وكانت للانكشارية سلطة كبيرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، حتى أنها كانت تنصب السلطان وتخلعه متى تشاء ولكن السلطان محمود الثاني قضى على هذه الفرقة عام ١٨٢٦ ، لأن أفرادها رفضوا ادخال أى تجديد على نظام الجيش . راجع الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ط ٢ / ١٩٧٢ م ، ص ٢٤٩ .

في دور نشأته وأشغال التجارة والحدادة والاسلحة بعيدة عن الأحكام والاتقان ، وانك لتجهد نفسك لتحصل على من يصلح ساعتك في القاهرة ، واذا عثرت عليه فهو أجنبي)) "١" .

ويبدو أن التخلف كان عاما في المجتمعات الاسلامية وأن العالم الاسلامي كان مصابا بالجدب العلمي والشلل الفكرى ، لأننا نجد أن كتب المتقدمين رحلت عن حلقات العلم، وحلت محلها كتب المتأخرين التي غصت بالمتون والشروح والحواشي والتقريرات ، ولم يكن تخلف المسلمين في العلوم النظرية والحكمية والمدنية فحسب ، بل تخلفوا في صناعة الحرب أيضا فسبقتهم أوروبا باختراعاتها وقوة ابداعها وحسن تنظيمها "٢" ، مما سيظهر أثره جليا عند مواجهة المماليك لحملة نابليون ، ومما يدل على تخلفهم في ميدان العلوم والصناعات الى حدّ يصعب تصوره مايذكر " نيبور " أنه أثناء وجوده في الاسكندرية كان يحاول اعداد خريطة لها، وكانت معه آلة " الاسطرلاب " ، فاستبد الفضول بأحد التجار وصمم على النظر خلال المنظار فلما فعل ((ساوره القلق لرؤية أحد الأبراج مقلوبا ، وسرعان ما انتشرت شائعة تقول أن " نيبور " أتى الى المدينة ليقلبها رأسا على عقب)) "٣" .

وفي هذا الجو من الضعف الذى كانت تعاني منه الدولة العثمانية استطاعت روسيا والنمسا انتزاع أجزاء من ممتلكاتها بعد أن انتهى الجيش العثماني الى حالة من التفسخ والفساد ، وبدأت الدول الأوروبية تتطلع الى مصر ، وبدأ التجار الانجليز والفرنسيون يقيمون بيوتا تجارية فيها

---

(١) حسن العطار ، تأليف محمد عبد الغني حسن ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨م ص ١١ - ١٢ .

(٢) انظر كتاب " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " ، لأبي الحسن الندوى ، مطابع علي بن علي الدوحة ، الطبعة العاشرة ، ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م ، ص ١١ - ١٢ .

(٣) انظر كتاب " رحلة الى مصر " ، لكارستن نيبور ، ترجمة مصطفى ماهر ، المطبعة العالمية ١٩٧٧م ص ١١٦ - ١١٧ .

بالأمر ((اعتمادا على قوتهم وزعمهم أنه اذا جاءت جميع الافرنج لا يقفون في مقابلتهم ، وأنهم يدوسونهم بخيولهم)) "١" .

- ١ -

وبدأ المماليك استعدادتهم عندما شعروا بأمر نزول الفرنسيين الى الاسكندرية فكان العلماء يجتمعون في الأزهر كل يوم ويقرأون البخاري ويدعون ، وكذلك كان مشايخ الطرق الصوفية وأطفال المكاتب يذكرون اسم اللطيف وغيره من الأسماء . "٢"

ودخل نابليون الاسكندرية ، ووزع منشورا بيّن فيه الأسباب التي دعته الى دخول مصر ، وحاول فيه أن يتقرب الى المصريين ووعدهم بازالة الظلم الواقع عليهم من المماليك واحترام شعائرهم ومعتقداتهم ، وأنه سيطبق مبدأ المساواة بين الناس جميعا وسيسلم للمصريين زمام الأمور على حد قوله في هذا المنشور ، يقول : ((.... ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعدا لا ييأس أحد من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية ، فالفضلاء والعقلاء بينهم سيدبرون الأمور وبذلك يصلح حال الأمة كلها ... أيها المشايخ والقضاة والأئمة وأعيان البلد ، قولوا لأمتكم أن الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون .... والفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني وأعداء أعدائه أدام الله ملكه ... طوبى ثم طوبى لأهالي مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلو مراتبهم ، لكن الويل كل الويل للذين يعتمدون على المماليك في محاربتنا ، فلا يجدون بعد ذلك طريقا للخلاص ولا يبقى منهم أثر ...)) "٣" .

---

١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، لعبد الرحمن الجبرتي ، دار الفارس بيروت ٢/١٨٠ .

٢) المصدر نفسه ٢/١٨٥ .

٣) تاريخ عجائب الآثار ٢/١٨٢ - ١٨٤ .

عرف نابليون من البداية كيف يتقرب الى المصريين واستطاع أن يضع يده على المشاكل التي يعانون منها ، فهو يطمئنهم أنه ما جاء الا ليصلح ما أفسده المماليك ويخلصهم من ظلمهم واحتكارهم للثروات مع التأكيد على احترامه الشديد للقرآن وللنبي -عليه السلام- واخلاصه للسلطان العثماني ورغبته في تسليم المناصب السامية لهم وتوعده كل من يتعاون مع المماليك بالعقاب الصارم .

لكن هذا الوعيد لم يمنع المماليك أن ينادوا بالنفير العام ، فخرجت الناس الى المتاريس وأغلقت الدكاكين والأسواق ، وخرج الجميع الى برّ بولاق وبذل جميع الناس مافي وسعهم ، يقول الجبرتي : ((وخرجت الفقراء وأرباب الأشاير بالطبول والزمور ، وهم يضجون ويصيحون ويذكرون بأذكار مختلفة ، وصعد عمر أفندى نقيب الأشراف الى القلعة فأنزل منها بيرقا كبيراً فنشره بين يديه وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنبابيت والعصي يهللون ويكثرون من الصياح ...)) "١"

ويبدو أن المماليك الذين تعوّدوا على حياة الترف قد نسوا فنون الحرب ، فلم يفكر أحد من أمراء العساكر أن يبعث من يستطلع أحوال العدو أو طليعة تناوشه القتال قبل الاقتراب من القاهرة ، وليس هناك قلاع أو حصون يمكن الاعتماد عليها ، ويعلق الجبرتي على هذا الوضع قائلا : ((وهذا من سوء التدبير واهمال أمر العدو)) "٢" .

وواجه المماليك الجيش الفرنسي بأسلحة القرون الوسطى ، ((فكرّوا عليهم بخيولهم فضربهم الفرنسيس ببنادقهم المتتابعة الرمي)) "٣" ، وهكذا فشل سلاح القرون الوسطى أمام العقلية الأوروبية الجديدة ، وكانت النتيجة أن هرب المماليك بنسائهم وجواريهم ، وفرّ عامة الناس من القاهرة ،

---

١) المصدر نفسه ٢/١٨٥ - ١٨٧ .
٢) المصدر نفسه ٢/١٨٧ - ١٨٨ .
٣) المصدر نفسه ٢/١٨٨ .

وخرجت أغلب النساء حاسرات ماشيات،وأطفالهن على أكتافهن يبكين في ظلمة الليل ، وزاد الأمر سوءا ، فتلقى الأعراب الهاربين فأمعنوا في سرقتهم وهتكوا أعراض النساء ، فكان لابد لعلماء الأزهر أن يفعلوا شيئا ، فاتفق رأيهم أن يرسلوا الى نابليون كتابا يطلبون فيه الأمان ، فأعطاهم ما أرادوا ، وطلب منهم أن يأتوا اليه كي يرتب لهم ديوانا ، واعترافا بهذه المنّة قام وفد من العلماء بزيارة نابليون فتلقاهم ولاطفهم وعفا عن الفارين منهم ، واتخذ نابليون بيتا من بيوت أحد الأمراء المماليك الفارين مسكنا له "١" ، وكان قد أوصى جنوده قبل نزولهم الى الشاطئ ألا يتعرضوا بسوء لعقيدة المسلمين ونهاهم عن السلب والنهب وحذرهم من الاعتداء على النساء "٢" ، وبذلك سهل على نابليون أن يفرض سياسته واستجاب العلماء لطلبه وانتخبوا من بينهم عشرة أشخاص ، وجعلوا الشيخ عبد الله الشرقاوى رئيسا عليهم "٣" .

وهكذا استقر الأمر بيد الفرنسيين وبدأت الحياة تعود الى ماكانت عليه شيئا فشيئا ، وأقبل الكثيرون على معاملة الفرنسيين الذين كانوا يجوبون الأسواق ، ((وصاروا يضاحكون الناس ويشترون مايحتاجون اليه بأغلى ثمن فيأخذ أحدهم الدجاجة ويعطي صاحبها في ثمنها ريال فرانسه ويأخذ البيضة بنصف فضة قياسا على أسعار بلادهم ، فلما رأى العامة منهم ذلك أنسوا بهم واطمأنوا لهم وخرجوا اليهم بالكعك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وأنواع المأكولات ... وصاروا يبيعون عليهم بما أحبوا من الأسعار ، وفتح غالب السوق الحوانيت والقهاوي ..)) "٤" .

---

١) المصدر نفسه ٢/١٩٢ - ١٩٣ .
٢) الحملة الفرنسية ، لمحمد شكرى ، انظر ص ٩٣ .
٣) تاريخ عجائب الآثار ٢/١٩٤ ، ذكر الجبرتي أن أعضاء الديوان عشرة ، ولكنه لم يسم منهم غير ثمانية فقط ، وراجع تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان ، مطبعة الهلال ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٢٥ ، ٢/٩٨ .
٤) تاريخ عجائب الآثار ٢/١٩٣ .

ولم يقتصر تعامل الفرنسيين على أعضاء الديوان ، وانما تجاوزهم الى العامة الذين رأوا في معاملة هولاء الجنود بابا جديدا للكسب بدل معاملة المماليك الذين كانوا يحصلون على أكثر حاجاتهم دون ثمن في أغلب الأحيان ، ولم يقف الأمر عند حد البيع والشراء ، بل ان بيئة القاهرة أخذت تستجيب لمطالب الجنود اليومية ، ((وفتح نصارى الأروام عدة دكاكين لبيع أنواع الأشربة وخمامير وقهاوي ، وفتح بعض الافرنج البلديين بيوتا يصنع فيها أنواع الأطعمة والأشربة على طرائقهم في بلادهم ... ويعمل على بابه علامة لذلك يعرفونها بينهم ، فاذا مرت طائفة بذلك المكان تريد الأكل ، دخلوا الى ذلك المكان وهو يشتمل على عدة مجالس ، دون وأعلى ، وعلى كل مجلس علامته ومقدار الدراهم التي يدفعها الداخل فيه ، وفي وسطه دكة من الخشب وهي الخوان التي يوضع عليها الطعام ، وحولها كراسي فيجلسون عليها ويأتيهم الفراشون بالطعام على قوانينهم ...)) "١" .

وما أن استقر الأمر لنابليون حتى بدأ في تنفيذ خطته ، فطلب من أعضاء الديوان أن يجمعوا سلفة له من التجار ، وأعطى نساء أمراء المماليك الفارين الأمان على أن يصالحن على أنفسهن "٢" ، وأراد نابليون أن يخفف من وقع الضرائب على المصريين فدعاهم الى الاحتفال بيوم وفاء النيل ، فأرسل بطاقات الدعوة الى القاضي وأعضاء الديوان ليشاركوا في الاحتفالات ، وحرص على أن يكون الحفل فخما ، لكن ذلك كله لم يكن مشجعا للناس على الخروج من بيوتهم ، ((فلم يخرج منها أحد تلك الليلة للتنزه في المراكب على العادة سوى النصارى الشوام والقبط والأروام والافرنج البلديين ونسائهم ، وقليل من الناس البطالين حضروا في صبحها)) "٣" .

هكذا شجع نابليون الناس على الاشتراك في الاحتفال بيوم وفاء النيل الذى كان يعد عند جميع الطبقات عيدا عاما يشترك فيه الجميع ، الا أنهم

---

١) المصدر نفسه ٢/١٩٥ - ١٩٦ .
٢) المصدر نفسه ٢/١٩٦ .
٣) المصدر نفسه ٢/٢٠٠ - ٢٠١ .

لم يفعلوا حتى البطالين منهم كما يقول الجبرتي لم يشتركوا الا في نطاق ضيق ، واقتصر الاشتراك في الاحتفال على النصارى بمختلف فئاتهم ، وهم الذين استجابوا قبل ذلك لرغبات الفرنسيين ، ففتحوا الخمارات وهي مظهر جديد لم يكن مألوفا ، ولم يكتف نابليون أن يشارك في الاحتفالات بل أدخل بعض العادات الفرنسية التي لم تكن معروفة لدى المصريين ، فأراد أن يلبس مشايخ الديوان طيلسانات ملونة وشارة "الجوكار" "١" ونادى في الناس أن يعلقوا تلك الشارات فأنف غالب الناس من وضعها ، لكنه ألزم من يريد الدخول عليه بوضعها فأفتى بعض المشايخ أن ذلك لا يخل بالدين ما دام الأمر اكراها "٢" ، وأشرك نابليون المصريين معه مرة ثانية في الاحتفالات التي أقامها بمناسبة ذكرى قيام النظام الجمهوري في فرنسا ، فدعا المشايخ وأعيان المسلمين والقبط "والشوام" وأقام لهم مأدبة كبيرة .

وبدأ الفرنسيون مرحلة جديدة تتعلق بالقضاء فأنشأوا ديوانا سمّوه "محكمة القضايا" وجعلوا أمور التجارة العامة والمواريث والدعاوى من اختصاصه بعد أن كانت هذه الأمور من اختصاص القضاة المسلمين ، فكونوا هذا الديوان من ستة أنفار من النصارى القبط وستة أنفار من التجار المسلمين وجعلوا قاضيه قبطيا ، وأصدر الفرنسيون أمرا يقضي بقبول شهادة النصراني واليهودي وأمر أن تقام الشكاوى ضدهما عند "صارى عسكر الفرنسيين" دون غيره "٣" .

ولكن كثرة الضرائب التي فرضها الفرنسيون عن طريق هذا الديوان أرهقت الناس ، فقامت في القاهرة ثورة شارك فيها العلماء ودخل الفرنسيون الأزهر بخيولهم فربطوها بقبلته ومزقوا المصاحف ، وشارك نصارى الشام والأروام الفرنسيين تنكيلهم بالمسلمين "٤" ، وأصبح الفرنسيون بعد ذلك

---

١) الجوكار : علامة أو شعار فرنسي يقال له الوردة ، وهي شارة الطاعة والمحبة عند الفرنسيين .
٢) عجائب الآثار ٢/٢٠٠ - ٢٠١
٣) المصدر نفسه ٢/٢١١
٤) المصدر نفسه ٢/٢١١

يتصرفون في مصر تصرّف المقيم ، فبنوا في الأزبكية أبنية على هيئة مخصوصة لاقامة مسرح ومتنزه ، وهي أبنية كما يقول الجبرتي : ((يجتمع بها النساء والرجال للتهو والخلاعة في أوقات مخصوصة ، وجعلوا على كل من يدخل اليه قدرا مخصوصا يدفعه ، أو يكون مأذونا وبيده ورقة)) "١" ، وعلى هذا يكون الفرنسيون أول من أسس في مصر مكانا يجتمع فيه الرجال والنساء معا ، وجعلوه مفتوحا أمام جميع الطبقات .

ثم لم يكتفوا بذلك بل أقاموا داخل الأحياء السكنية ، ومنها الأزبكية حيث أخذوا يتسلقون البيوت بحثا عن النساء لارضاء شهواتهم "٢" ، وقام بعض الضباط الفرنسيين بتشجيع يهودى على فتح مقهى وجمع الناس للسهر فيها ، ((فاستأنسوا بالاجتماعات والتسلي والخلاعات ، ومن ذلك جهات تلك الخطة ووافق ذلك هوى العامة ، لأن أكثرهم مطبوع على المجون والخلاعة وتلك هي طبيعة الفرنساوية ، فصاروا يجتمعون عنده للسمر والحديث واللعب والمازحة ، ويحضر معهم ذلك الضابط ومعه زوجته وهي من أولاد البلد المخلوعين ...)) "٣" .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ادعى عبد الله جاك مينو الاسلام عندما كان حاكما على رشيد وتزوج امرأة مسلمة وعاملها معاملة النساء الفرنسيات فحرضت نساء رشيد أن يحررن عرضا لنابليون يطلبن فيه أن يأمر أزواجهن ويحملهم على معاملتهن بنفس الطريقة التي يعامل بها " مينو " زوجته الرشيدية "٤" .

وهكذا بدأت التقاليد الفرنسية تغزو المرأة المصرية عن طريق الزواج حينا ، وعن طريق النساء الفرنسيات اللواتي جئن الى مصر بصحبة أزواجهن ، ((وهنّ حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل

---

١) المصدر نفسه ٢/٢٢٠ - ٢٢١ .
٢) المصدر نفسه ٢/٢٤١ .
٣) المصدر نفسه ٢/٢٤٤
٤) لمحة عامة الى مصر ، تأليف كلوت بك ، تعريب محمد مسعود ، مطبعة أبي الهول ، القاهرة ١/٦٢٤ - ٦٢٥ .

الحرير الملونة ... ، ويركبن الخيول والحمير ويسوقونها مع الضحك والقهقهه ومداعبة المكاريه معهم وحرافيش العامة ، فمالت اليهم نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش ، فتداخلن معهم لخضوعهم للنساء وبذل الأموال لهن ، وكان ذلك التداخل أولا مع بعض احتشام وخشية عار ومبالغة في اخفائه ، فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر (يقصد ثورة القاهرة الأولى) وحاربت الفرنسيس بولاق وفتكوا في أهلها وغنموا أموالها ، وأخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات صرن مأسورات عندهم فزيوهن بزيّ نسائهم ، وأجروهن على طريقتهن في كامل الأحوال ، فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر ، ولما حلّ بأهل البلد من الذلّ والهوان وسلب الأموال واجتماع الأموال في حوز الفرنسيس ومن والاهم وشدة رغبتهم في النساء وخضوعهن لهم وموافقة مرادهن وعدم مخالفة هواهن ولو شتمته أو ضربته بتاسومتها "(١)" ، فطرحن الحشمة والوقار والمبالاة وعدم الاعتبار ، واستملن نظراءهن واختلسن عقولهن لميل النفوس الى الشهوات وخصوصا عقول القاصرات ، وخطب الكثير منهم بنات الأعيان وتزوجوهن رغبة في سلطانهم ونوالهم ، فيظهر حالة العقد الاسلام ... وصار مع حكام الأخطاط منهم النساء المسلمات متزييات بزيهم ، ومشوا معهم في الأخطاط للنظر في أمور الرعية والأحكام العاديةوالأمر والنهي والمناداة ، وتمشي المرأة بنفسها أو معها بعض أترابها أو أضيافها على مثل شكلها ، وأمامها القواسة والخدم وبأيديهم العصي يفرجون لهن الناس مثلما يمرّ الحاكم ويأمرن وينهين في الأحكام)) "(٢)" .

والواقع أن هذا النص الذى أورده الجبرتي يعتبر من أخطر النصوص، وقد تعمدنا نقل أكثره لأنه يساعدنا فيي دراسة ظاهرة اختلاط بعض نساء مصر بالفرنسيين من جميع جوانبها ، فالجبرتي يعترف أن النساء في مصر

---

١) التاسومه : الحذاء ، وهي كلمة عامية .
٢) عجائب الآثار ٢/ ٤٣٦ - ٤٣٧

كن في البداية ملتزمات طريق الحشمة والتصون ، وان وقع شيء من الاختلاط بين الفرنسيين وبعض النساء الساقطات ، لكن هذا الأمر لم يصبح ظاهرة عامة ، وانما ازداد الأمر سوءا عندما وقعت بعض من نساء بولاق أسيرات لدى الفرنسيين أثناء ثورة القاهرة ، فقد أباح الفرنسيون لأنفسهم ما استحسنوا من النساء الأسيرات ، وفرضوا عليهن أن يعشن حسب نظام الحياة الذى عرفوه ، فتأثرت بسلوكهم وطباعهم وأثرن على غيرهن من النساء ، فكأن هؤلاء الأسيرات كن واسطة لنقل التقاليد الفرنسية الى عدد كبير من النساء ، ولم يقف الأمر عند حدّ تأثر الأسيرات وتأثيرهن بل اتسع نطاق التداخل بين أعيان المصريين وجنود الحملة ، فتزوجوا من بناتهم وأصبحت النساء المسلمات يخرجن مع أزواجهن من الفرنسيين يشاركنهم في الأمور العامة ، ولهذا نستطيع القول أن التزاوج بين الفرنسيين وبنات الأعيان أصبح تحت قسوة الظروف الجديدة ظاهرة معروفة ، وصار خروج النساء المسلمات مع الفرنسيين أمرا غير مستغرب ، حدث ذلك كله في السنة الثانية من دخول الحملة الى مصر ، ومعنى هذا أن التفاعل بين المحتلين وبين بعض طبقات المصريين أصبح يسير بخطى حثيثة تدعو الى الدهشة والعجب .

واتخذ الفرنسيون من الأعياد ذريعة لهم مرة أخرى كي يشاركوا الناس احتفالاتهم ويفرضوا من خلالها عاداتهم وتقاليدهم ، فجروا فيها حسب أهوائهم وانطلقوا أثناءها مع متعهم وغرائزهم ، فاحتفلوا في السنة الثانية بعيد وفاء النيل ، يقول الجبرتي : ((لما أوفى النيل أذرعه وجرت فيه بعض السفن وقع عند ذلك من تبرج النساء واختلاطهن بالفرنسيس ومصاحبتهم لهن في المراكب والرقص والغناء والشرب في النهار والليل ... وعليهن الملابس الفاخرة والحلي والجواهر المرصعة ، وصحبتهم آلات الطرب وملاحو السفن يكثرون من الهزل والمجون ويتجاوبون برفع الصوت في تحريك المقاديف بسخيف موضوعاتهم ... فيصرخون ويطبلون ويرقصون ويزمرون ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنساوية في غنائهم وتقليد كلامهم شيء كثير ، وأما الجوارى السود ، فانهن لما علمن رغبة القوم في مطلق الأنثى ذهبن اليهم أفواجا فرادى وأزواجا ، فنططن الحيطان وتسلقن اليهم

من الطيقان ، ودلوهم على مخبآت أسيادهن وخبايا أموالهم ...)"[١].

وهكذا حاول الفرنسيون بشتى الحيل وكل ما أوتوا من وسائل أن يوجدوا في مصر جوا أشبه مايكون بجو باريس ، فلم يتركوا عادة من عاداتهم الا وأظهروها في احتفالاتهم التي كانوا يقيمونها بمناسبة أعيادهم وفي مواقعهم ، وقصدوا بذلك افساد أخلاق أهل البلاد وتشجيع العامة على اتيان المخازى ومشاركتهم في ارتكاب الآثام جهرا ، وازداد عدد المواخير في نواحي المدينة ، وراقصت نساء الفرنسيين الرجال في الشوارع أثناء الاحتفالات فدفعن القاهريين الى الغواية ، لكن كثرة عدد الفرنسيين المصابين بأمراض معدية اضطرهم الى فرض رقابة صارمة لمنع اختلاط جنودهم بالنساء الساقطات وأصدروا أوامرهم بعزل هؤلاء النسوة فقبض "أغا الانكشارية" على حوالي أربعمائة منهن ، وضعهن في أكياس وقذف بهن في النيل "[٢] ، وكان أعضاء الديوان قد احتجوا قبل ذلك لدى عبد الله جاك مينو ، وطالبوه أن يصدر تعليمات يمنع بموجبها المومسات من الاستمرار في العبث ، فوافقهم على ذلك لا حرصا منه على احترام الدين الذى يمنع مثل هذه المعاصي ، بل حفاظا على صحة جنوده الذين توفي الكثير منهم .

على أن ماذكرنا من مظاهر الفساد لا يعني أن القاهرة بأكملها قد تحولت الى حياة اللهو ، اذ يبدو أن حرص الجبرتي على سلامة المجتمع هو الذى دفعه الى ذكر هذه المظاهر والى الدقة في وصفها ، واذا تمعنا فيما ذكره الجبرتي وجدنا أن فئات معينة كان لها دور كبير في نشر المفاسد ، وهذه الفئات هي : النصارى الشوام ، والافرنج المقيمون ، والأروام ، والأقباط ، وسفلة الناس وأراذلهم الذين اندفعوا الى معاملة الفرنسيين حرصا على الكسب السريع ، وكان النصارى أول من فتح الخمارات ، وكان لكبار الأعيان دور كبير في اتساع رقعة الفساد ، وذلك عندما قبل بعضهم أن يزوجوا بناتهم من الفرنسيين ، ولكن وقوع كثير من نساء بولاق أسيرات

---

١) المصدر نفسه ٤٣٧/٢

٢) الحملة الفرنسية ، لمحمد شكرى ص ٥٨ .

في أيدي الفرنسيين بعد ثورة القاهرة وزواجهن بهم وتخلقهن بأخلاقهم واختلاطهن بغيرهن من النساء، دفع عجلة الفساد الى الأمام، ولولا عودة الأتراك الى مصر بعد ثلاث سنوات من مجيء الحملة، لحدث تحول خطير في الحياة الاجتماعية، لأن الضعيف مغرم بتقليد القوى، وهكذا عرفت مصر القيم المادية التي سادت الحضارة الغربية، ونقل الفرنسيون معهم الى مصر في هذه السنوات القليلة كثيرا من مظاهر حياتهم وطرحت الحملة على مصر مفهوما جديدا للمرأة ومخالفا لما عرفوه وبعيدا كل البعد عن المضمون الاسلامي فظهرت المرأة سافرة، تجالس الرجال في المقاهي وتمشي معهم في الطرقات دون رادع من دين أو خوف من ضمير، واذا كانت الحملة قد فشلت عسكريا فانها قد نجحت في زرع بذور القيم الغربية، وقدمت الحضارة الغربية للشرق المسلم بوجه سافر، ومن تلك اللحظة بدأت عملية الموازنة بين القديم الموروث والجديد الطارئ بكل أشكاله ومغرياته، ودخل الشرق ممثلا في مصر صراعا حضاريا ضاريا لم يتوقف حتى الآن "(١).

---

(١) والدليل على صحة ماذهبنا اليه أن بعض الباحثين المتأثرين بوجهة النظر الغربية ونعني به لويس عوض قد رأى أن من ايجابيات الحملة، أنها بلورت فئات اجتماعية على مستويات مختلفة كانت لا ترى بأسا من مخالطة الأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة، ولا ترى بأسا من تفهم وجهة نظرهم عن المرأة في موضوع السفور والحجاب، ونسي أن يذكر أن هذه الفئات هي النصارى الشوام والأروام والافرنج المقيمون والاقباط وأسافل الناس. وذكر أن زواج بنات الأعيان بالفرنسيين وخروجهن معهم للنظر في أمور الرعية يدل على أنهن بلغن من الشوط مداه، وأن هناك فئات عديدة قبلت دعوة الفرنسيين الى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل نظريا وعمليا، وتناسى لويس عوض أن النساء اللواتي خرجن معهم الى الشوارع كن من النساء اللواتي سبوهن أثناء ثورة القاهرة، وأن قسما كبيرا من النساء اللواتي اختلطن بهم كن من الجوارى اللواتي كانوا يتخذونهن للتجسس على أسيادهن.
انظر تاريخ الفكر المصرى الحديث، لويس عوض، دار الهلال ١٩٦٩م ٢/٣٩-٤١. وانظر كتاب: ودخلت الخيل الأزهر لمحمد جلال كشك، الدار العلمية - بيروت، الطبعة الاولى ١٩٧٢م ص ٣٩٥. حيث وصف جلال كشك ماسماه لويس عوض تحريرا للمرأة بأنه فجور للنساء مع الفرنسيين، وذلك في فصل طويل بعنوان: "تحرير المرأة من تحت الزنار".

لكن اذا كان الاحتلال الفرنسي لمصر قد أحدث خللا في أخلاق بعض نساء الطبقتين السفلى والعليا ، فان أخلاق أكثر نساء الطبقة الوسطى ظلت كما كانت قبل الاحتلال ، ذلك ما لاحظه علماء الحملة وسجلوه ، كما لاحظوا أن كثيرا من الظواهر التي سادت المجتمع المصرى خصوصا ما يتعلق بالزواج وغيره كانت مرتبطة بالمبادىء الدينية وأنه ليس هناك شيء يسمى قوانين مدنية "١" ، وسنحاول أن نرسم صورة للمرأة المحافظة من خلال ماكتبه هؤلاء العلماء وبعض الفرنسيين الذين عملوا في مصر بعد رحيل الحملة حتى لا يتبادر الى الأذهان أن المرأة المصرية قد أصبحت أثناء الحملة أقرب الى نساء فرنسا منها الى نساء الشرق ، وحتى يعيننا ذلك على فهم التغيرات التي ستطرأ على حياة المرأة المصرية فيما بعد ، ومما لاحظوا وسجلوا أن المرأة كانت تتزوج في سن الثانية عشرة ومن النادر أن تبقى واحدة دون زواج حتى سن السابعة عشرة ، ولا يتم الزواج الا بعد أن تعلن النسوة أن الزوجة الشابة قد بلغت مرحلة النضوج ، وكانت المرأة تعطي موافقتها بنفسها أو من خلال وكيل لها ، وتحتم الشريعة على الزوج أن يقدم مهرا لزوجته ، وهذا المهر عماد أساسي للزواج وهو حق مطلق للمرأة ، وهذا الزواج لايحتاج الى تصديق ديني أو قانوني ، اذ يتمثل فقط في الارادة التي يعبر عنها الطرفان المتعاقدان بحضور شاهدين ، ويحدث ألا يكون الزوج الشاب قد رأى من قبل المرأة التي تزوجها ، ولكن اذا ألح الرجل على رؤية تلك التي يعرضون عليه الزواج منها ، فان الشريعة تبيح أن تكشف الفتاة عن وجهها ويديها أمامه ويتم هذا الأمر بحضور أهلها ، وعند تحديد وقت الزفاف تدعى النساء الى منزل والد الزوجة وتقضي الزوجة يوما في الحمام بصحبة قريباتها وصديقاتها . "٢" .

---

١) وصف مصر ، تأليف علماء الحملة الفرنسية ، الجزء الأول ، تأليف: (ج دى شابرول) ، الناشر مكتبة الخانجي بمصر ، مطبعة الجبلاوى ، الطبعة الثانية ١٩٧٩ ، ١/ ٦٧ .

٢) المرجع نفسه ١/ ٥٦ - ٥٧ ، ٨٠ - ٨٤ .

ويقام حفل بهيج لانتقال العروس من بيت أبيها الى بيت زوجها ، وعند ما تصل بيت الزوجية يحتفل بقدومها بحمل وجبة باذخة في مسكن النساء ، بينما يتوجه العريس الى المسجد في المساء يصحبه أقاربه وأصدقاؤه وتتلقى الزوجة مهرها عند دخولها الى بيت الزوجية ، ويكون هذا المبلغ ملكا خاصا بها تستطيع أن تتصرف فيه على النحو الذى يعجبها ، ولا يمكن للزوج أن يحاسبها عليه مطلقا ، بل ليس لديه مجرد الحق في سؤالها عنه .

ويتكفل أهل الزوجة قبل انتقالها الى بيت زوجها بتعليمها واجباتها وحقوقها الزوجية ، ويعلق علماء الحملة على هذا الوضع بقولهم : ((ويحسن بنا أن نلاحظ بأننا سوف نكون قد أخطأنا على نحو كبير اذا ما اعتقدنا أن المسلمات - برغم خضوعهن الى نفوذ أزواجهن - يعاملن باستبداد وطغيان من قبل أزواجهن ، فان وضعهن على العكس من ذلك طيب الى حد كبير ، كما أنهن في نفس الوقت الذى تقضي فيه التقاليد والقوانين عليهن بنوع من الانسحاب والتقوقع الدائم يتوصلن لامتلاك نفوذ لا شك فيه على عقول أزواجهن ، ورغم الولاية التي تعطيها الشريعة للرجال على زوجاتهم ، فان النساء سعيدات بقدرهن ولا يمكن لهن أن يتصورن مجرد تصور ، كيف يمكن أن تكون نساء الغرب في حالة أكثر امتيازا مما هن عليه)) "(١)" .

وتعنى المرأة باظهار التواضع والاخلاص لزوجها ، وليس لها هم الا اتخاذ الوسائل لنيل رضاه والقيام بتوفير أسباب السعادة والهناء له ، وكما يحترم الأبناء آباءهم فانهم يوقرون الأمهات ويتحينون الفرص لاظهار عواطف الرفق بهن ومخاطبتهن بالقول الكريم . "(٢)"

---

١) المرجع نفسه ١/٨٥ .

٢) لمحة عامة الى مصر ، كلوت بك ١/٥٢٢ - ٥٢٣ .

وكلوت بك : طبيب فرنسي ولد في غرينوبل بفرنسا عام ١٧٩٣م ، وجاء الى مصر عام ١٨٢٣ ، حيث عمل طبيبا في جيش محمد علي باشا ، طبع كتابه " لمحة عامة الى مصر " بالفرنسية عام ١٨٤٠م ووصف فيه أحوال مصر في مجلدين ، أسس أول مدرسة طبية في مصر . نقلا ==

أما نظام تعدد الزوجات الذى أصبح من الموضوعات التي شغلت كثيرا من الباحثين ، فان علماء الحملة لم يهملوه ، فقد لاحظوا أنه يمكن للمسلم أن يتزوج من أربع زوجات شرعيات بشرط أن يوفر لهن جميعا حياة طيبة وحقوقا متساوية ، ولفت أنظار علماء الحملة أن المسلمين من كافة الطبقات يحرصون على ألا يفيدوا من هذه الرخصة التي أباحتها الشريعة الا باعتدال بالغ ، وليس لكبار الشخصيات في العادة الا زوجة شرعية واحدة ، وقد تدفع أحدهم الرغبة في انجاب الأطفال أو في الحصول على مصاهرة ممتازة الى الحصول على زوجة ثانية ، وعلى الشخص المتزوج من أكثر من زوجة أن ينام في مسكن كل واحدة من زوجاته بالتبادل ، أما اذا تصرّف بطريقة مخالفة فسوف يلام على سلوكه علنا ، وعندما لا تكون الزوجات في حالة وفاق فان الزوج ملزم بتخصيص منزل لأى واحدة تطلب منه ذلك ، ومن المسلم به أن متوسط عدد الزواج الذى تتعدد فيه الزوجات في القطر المصرى لا يتجاوز خمسة في المائة من مجموعه "١" .

لكن " كلوت بك " على الرغم من اعترافه بهذه النسبة جعل تعدد الزوجات سببا في شلّ حركة شعوب الشرق وايقافها عن التقدم الى الأمام بما لابسها من الطبائع البهيمية وغيرها من العلامات المنذرة بهرم الأمم والشعوب ، فتعدد الزوجات هو الذى جرّ عليها بغي أوروبا "٢" ، وهكذا يتخذ هذا المستشرق من نظام تعدد الزوجات سببا لتأخر الشرق وتعلة لاستعمار أوروبا له ، مع أن نظام تعدد الزوجات أصون للمرأة وأحفظ للرجل . فالأفضل للمرأة أن تكون زوجة ثانية لها كل حقوق الزوجة الأولى من أن تكون خليلة .

== عن كتاب تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر لجرجي زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ٢/٩ - ١٥ .

والذى يدعونا الى الأخذ من كتاب كلوت بك على الرغم أنه متأخر عن الحملة ، أن كثيرا مما كتبه يوافق ماذكره علماء الحملة ، مما يدعونا الى الظن أنه اطلع على ماكتبوه وأخذ عنه اضافة الى مشاهداته .

١) لمحة عامة الى مصر ١/٦٣٨ ، وصف مصر ١/٨١

٢) لمحة عامة الى مصر ١/٦٤٢ ، ٦٤٩ .

ويمكننا القول أن الأوروبيين اتخذوا من الطعن في عادات الشرق وتقاليده وسيلة لهم يهدمون بها أخلاقه التي لم يبق لديه شيء غيرها ، ليحلوا تقاليدهم محلها ، والغريب في الأمر أن " كلوت بك " الذى هاجم نظام تعدد الزوجات وعدّه سببا في انحطاط الشرق ، قد وصف العدل الذى تعامل به الزوجات من قبل الزوج ، حتى وان كنّ من الجوارى ، حيث يقول : ((وكثيرا ما يشاهد في البيت الواحد الجوارى السود والجوارى البيض ويتزوج مولاهن بجارية جركسية منهن وأخرى حبشية وثالثة سودانية ، ويرى في هذه الحالة صارفا كل همته الى العناية بهن وبأبنائهن على وتيرة واحدة ونمط لا يتغير ومحافظا على العدل بينهن))[١]

واذا كان من حق الرجل أن يطلق زوجته اذا تعذرت سبل الحياة بينهما ، فان للمرأة أيضا أن تطلب من القاضي هذا الحق ، واذا اقتنع القاضي بالأسباب التي قدمتها ، فان المرأة لا تفقد أى حق من حقوقها وتحتفظ بكل مهرها وامتيازاتها ، ويعلق علماء الحملة على شيوع الطلاق بقولهم : ((ومع ذلك لا بدّ أن نقر بأن ليس ثمة ما يشين امرأة مطلقة ، فهي تستطيع العثور على زوج آخر بسهولة ، لكن حياة الناس تتأثر على الدوام من مثل هذه الحرية المعيبه ، وان كان التقدم الحضارى قد جعل مثل هذا الفعل المعيب أقل انتشارا بين الطبقات العليا في المجتمع .))[٢]

ولاحظ علماء الحملة أن مسكن الحريم مكان له حرمته ، والأزواج وحدهم هم الذين يستطيعون التردد عليه بحرية ، ولا تفتح أبوابه لرجل آخر غير الطبيب والكاتب ، وتراعي هذه التقاليد عند الأسر المتميزة والتي تتباهى بنسبها العالي .

وينبغي القول ان كل العائلات ليست على هذه الدرجة من التزمت ، ولسيدات الطبقة الراقية اماء من جنسهن يعهد اليهن بالعناية بأمورهن ، ونادرا ما تخرج المصريات خارج بيوتهن ، واذا حدث ذلك فانهن يفضلن

---

١) المرجع نفسه ١/ ٥٣٣ .
٢) وصف مصر ١/ ٨٨

ساعة قدوم الليل لقضاء مشاويرهن الصغيرة "١" ، ومن الاداب المتبعة أن يستأذن الزوج في الدخول الى حجرة زوجته ، ولكنه لا يظهر مطلقا اذا كان في قسم الحريم غرباء ، ويذكر علماء الحملة أن زوجات "البكوات" يذهبن الى حدّ تقديم الاماء الجميلات كهدايا لأزواجهن ، ولم يكن من النادر كذلك أن تتزوج أرملة أحد " البكوات " بواحد من مماليك زوجها "٢".

ومن العادات التي سادت مجتمع المرأة وسجلتها أقلام علماء الحملة تجمع النساء في الحمامات ، ويذكر " كلوت بك " أن الموجود منها في القاهرة سبعون حماما ، بعضها للرجال وبعضها للنساء ، ويضيف قائلا : ((ان انتشار الحمامات في الشرق سبب من أهم أسباب نقص الأمراض الجلدية ، واني أتمنى على الله المنى أن يشيع استعمالها في أوروبا)) "٣" .

ولفت انتباه علماء الحملة محافظة المرأة على الخمار ، ذلك أن النساء في كل الظروف لا يخرجن مطلقا سافرات الوجوه ، بل يغطين وجوههن بالبرقع "٤" ، وتميل نساء مصر على اختلاف الطبقات الى حب التأنق والتزين بالحلي ، وتبالغ بعض النساء فيلبسن الخواتم المرصعة بالأحجار الكريمة في أرجلهن ، وليس من النادر أن تتزين زوجة حرفي بسيط بمجوهرات ثمينة ، لأن المرأة تعتبر ذلك جزءا من كرامتها . "٥"

كما لاحظوا أن المرأة المصرية فخورة بأمومتها وتضع كل اهتمامها في طفلها وتركز حوله عواطفها ، ومن الصعب أن تسلم طفلها لعناية سيدة أخرى غريبة عنه والمرأة المصرية ترضع ابنها من لبنها ، لذلك لا تعرف في مصر هذه الأمراض التي تثير أحزان الأمهات الشابات اللائي يمتنعن عن ارضاع أطفالهن ، واذا شاءت الظروف أن لا تشبع طفلها من لبنها ، فانها تطلب معونة سيدة أخرى مرضعة ، ويعلق علماء الحملة على ذلك بقولهم :

---

١) وصف مصر ١/١٠٧ - ١٠٩ .
٢) المرجع نفسه ١/١١١ - ١١٢ .
٣) لمحة عامة الى مصر ١/٥٨٩ .
٤) وصف مصر ١/٥٦ ، ١٠٩ .
٥) وصف مصر ١/٥٤ ، ١٠١ .

((وهكذا يبدو أن العناية الالهية تقيم نوعا من التعويض بين المزايا التي توزعها على الشعوب ، فهذا هو المصري الذى ليس له نفس ملذاتنا وما هجنا يعرف أكثر منا العواطف الطبيعية ، فأطفاله هم كل شيء في حياته وهم مصدر كل سروره وآماله ، وهو يدين بذلك الى براءة عاداته وبساطة تقاليده)) "١" .

أما بالنسبة للتعليم فقد ذكر علماء الحملة أن الفتيات في مصر لا يتعلمن حتى مجرد القراءة ، ويندر أن يتعلمها بعضهن ، ولكنهن يحفظن بعض الآيات من القرآن ، ويعالجن بعض أعمال التطريز والنسيج والوشي ، بالاضافة الى قيامهن بالأمور البيتية جميعها "٢" .

واذا كان الغربيون قد أخذوا على المسلمين نظام الحريم واعتبروه سجنا للنساء ووكرا للشهوات ، فان " كلوت بك " الذى عاش أكثر حياته في مصر يدحض هذه التهمة فيقول : ((في منازل الأتراك قسم مستقل للنساء عن القسم الذى يسكنه الرجال ، وهو خاص بسكنى النساء ، والفكرة الشائعة في أوروبا عن الحرم لا أثر لها من الصحة ، فان هذه الكلمة مستعملة في المعنى الذى يؤخذ من لفظ السراي أو القصر ، وليس في القسم الداخلي للحرم مايعدّ خارجا عن القواعد المألوفة ... والفكرة السائدة في أوروبا عن الحرم أنه معهد للفسق والفجور وبؤرة للمهارة اتخذتها أمة فاسقة لتمتعاتها الشهوية العديدة والمضي في تيار الفساد الذاهب بالعقل وهذا هو الوهم الباطل بعينه ، فان الحرم مكان يسود فيه نظام أساسه الصيانة الدقيقة)) "٣" .

ويرى " كلوت بك " أن النساء لا يرين في بقائهن داخل الحرم شقاء وعذابا لاعتبارهن هذا الوضع مما قضى به الزمن والعادة ، ذلك أن الرجل المسلم يخصص كل مايملكه من حسن ونفيس لنسائه ، ولا تستقبل النساء في

---

١) وصف مصر ١/٥٩ .
٢) المرجع نفسه ١/٦٤ ، لمحة عامة الى مصر ١/٦٢١
٣) لمحة عامة الى مصر ١/٦١٥ .

الحرم أحدا من الرجال غير الزوج ، وفيما عدا ذلك فان الحرم مفتوح على مصراعيه لجميع السيدات على اختلاف طوائفهن ، ونساء الحرم لسن ممنوعات من الخروج فلهن الحرية في زيارة الأهل والأقارب والصديقات ، والواقع أن نساء الحريم - كما أطلق عليهن الأوروبيون - كن يعرفن أوضاعهن جيدا ويعلمن رأى السيدات الأوروبيات ، وقد عبّر كلوت بك عن هذا الموقف على ألسنة نساء الحريم بقوله : ((ماسمعت النساء المسلمات الأوروبيات يرثين لحالهن ، ... لما هنّ فيه من الاحتجاب وعدم البروز للجمهور ، الا وقد اعتراهن الدهش وقابلن عواطف الرحمة والحنان التي لم يكلفن أحدا بالاعراب عنها بالملاحظات المرّة القارصة ، واذا ماسئلن عن فائدة التزين والتجمل اذا كنّ مرغمات على سترها عن الأنظار ، أجبن : انا اذا تزينا وتجملنا فانما لأجل الزوج ، أما أنتنّ فلغير أزواجكنّ من الرجال والنساء تتزينّ وتتجملن)) "١"

ويبدو أن هذا الردّ كان موفقا حيث كشف عن طبيعة المرأة المسلمة التي تعرف حدودها وعن مظاهر الحضارة الغربية التي جعلت من المرأة دمية متنقلة ، أضف الى ذلك أن " كلوت بك " كشف عن المكانة التي احتلتها نساء الحريم خاصة وقت الحرب ، عندما ذكر حماية المرأة للمقاتل المغلوب على أمره ، اذا لجأ الى الحرم واحتمى بحماه "٢" .

وقد وصفت " لوسي دوف جوردون " قسم الحريم فقالت : ((أما الحريم فقد دخلته يوما وشعرت كأنما كنت في حفل أقيم في قصر ملكي من قصور انجلترا ، نساء جميلات يرفلن في الدمقس والديباج وفتيات منعمات .. ليس هناك من شيء ألطف من الحريم التركي ، فهو من هذه الوجهة أرقى مايمكن أن يتصوره الانسان ...)) "٣" .

واذا كنا قد استرسلنا في الكلام عن الحريم ووصف حياة النساء فيه ، فليس معنى ذلك أن كل النساء في مصر كنّ يعشن هذه الحياة ، لأن الحياة الناعمة لم تكن ميسرة الا لطبقة قليلة من نساء أعيان المصريين والأتراك .

---

١) المرجع نفسه (١ / ٦٢٣ .

٢) المرجع نفسه (١ / ٦٢٠ - ٦٢١ .

٣) رسائل من مصر ، بقلم أحمد خاكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م ص ٦٨ - ٦٩ .

ويشير " كلوت بك " الى أن عدم اختلاط النساء بالرجال أدى الى عدم تفرغهن للتدابير والحيل الغرامية ، وبذلك كان شرف الأزواج في الشرق آمن منه في الغرب ، وليس بالامكان العثور في مصر على امرأة متزوجة تعيش عيش الخليلة مع رجل غير زوجها "١" .

ولو أعدنا النظر ثانية فيما كتبه علماء الحملة والآخرون غيرهم ، لوجدنا أن المرأة في مصر قبل مجيئهم كانت مصونة من عبث المماليك على الرغم من فساد اداراتهم وسوء تصرفهم ، فمن الصعب أن نجد كاتبا أو مؤرخا ممن أرخوا للمماليك يشير الى سوء معاملتهم للمرأة ، فكأنهم كانوا يرون أن كل شيء مباح لهم الا امتهان المرأة والعبث بها ، بل لقد بلغت مكانة المرأة عندهم من التقدير والاحترام حدا يصعب تصديقه ، ذكر " كلوت بك " أنه ((بلغ الأمر في عهد المماليك أن المجرم الذى يساق الى الاعدام كانت تعصب عيناه ، حتى اذا التقى في طريقه بموكب لحرم أحد الأمراء واغتنم هذه الفرصة ليلمس طرف ثوب احدى النساء الساترات فيه ، فان هذه الحركة التي يقصد بها الاستغاثة كانت تؤدى حتما الى العفو عنه واخلاء سبيله)) "٢" .

وعلى الرغم من اعترافهم بالاحترام الذى كانت تلاقيه المرأة والحماية والرعاية اللتين كانت تتمتع بهما رأوا في ثبات أخلاق الشرقيين واعتمادها على الدين مشكلة تواجههم وتعيق محاولاتهم التي يبذلونها من أجل السيطرة على الشرق ، فأرادوا أن يحلوا " الموضة " محل النظام الاجتماعي الذى كان يراعي الروح الدينية في كثير من العادات والتقاليد ، وفعلا بدأ الفرنسيون تطبيق هذا المبدأ عند دخولهم الى مصر كما مرّ معنا ، وقد شكا علماء الحملة من تمسك الشرقيين بعقيدتهم وحاولوا أن يوهموهم ، بأنهم لن يتقدموا مالم يتخلصوا من سيطرة الدين ويخلعوا ربقته من أعناقهم اذ يقول أحدهم : ((ولسوف تظل عقيدته - أى محمد صلى الله عليه وسلم - هذه في أوج فعاليتها في الشرق ، طالما ظلت شعوب هذا الشرق بعيدة

---

١) لمحة عامة الى مصر (١/ ٦٢٥ - ٦٢٦ .
٢) المرجع نفسه (١/ ٦٢٠ - ٦٢١

عن مدارج التقدم والحضارة الحديثة ... اذن فليس المجتمع هو الـذى ينظم التقاليد في مصر ، كما أن " الموضه " لا تغير من هذا المجتمع حسب أهوائها وتقلباتها ، فكل شيء فيه يستند الى النظام الروحي والديني والى أن يحين ذلك الوقت الذى تتفجر فيه ثورة يبدو أنها ماتزال شديدة البعد ، فلسوف تظل عادات الشرقيين الأسرية هي هي ....)) "١" .

وهذا الموقف يفسر لنا اصرار الفرنسيين على نقل كل ماله يهم من قيم مادية الى مصر وغزوها بالمسارح والملاهي وتبرج النساء واختلاطهن بالرجال ... ولكن عودة الأتراك الى مصر وضعت حدا لهذا الغـزو الحضارى ولو الى حين .

- ٢ -

عاد الأتراك الى مصر بعد غياب استمر ثلاث سنوات ، وكان خبر عودتهم اليها مفاجأة أذهلت الفئات التي انغمست في التعامل مع الفرنسيين ، فها هو علي الرشيدى عضو الديوان وشقيق زوجة عبد الله جاك مينو يهرب من رشيد الى القاهرة مع أخته بمجرد سماعه بمقدم الأتراك ، فيلتجأ معها الى القلعة التي كان يسيطر عليها الفرنسيون "٢" ، وهاهي " هوى " التي كانت امرأة لأحد الأمراء المماليك ثم تزوجت بنصراني يدعى " نقولا " في عهد الفرنسيين تهرب من القلعه وتحاول الاختفاء من وجه العثمانيين ، ولكن زوجها الذى عاد مع الأتراك يمسك بها ويستأذن الوزير في قتلها مع غيرها من النساء اللواتي خرجن عن التقاليد "٣" ، وكانت ابنة الشيخ خليل البكرى أحد أعضاء الديوان ممن طلبهن الأتـراك لتبرجها مع الفرنسيين و أحضروها مع والدها ولما سئلت عما كانت تفعلـه قالت : ((تبت من ذلك ، فقالوا لوالدها : ماتقول أنت ؟ فقال :

---

١) وصف مصر ١/١٠٥-١٠٦ .
٢) تاريخ عجائب الآثار ٢/٤٦٠ .
٣) المصدر نفسه ٢/٤٦٢ ، ٤٨٦ .

اني بريء منها ، فكسروا رقبتها ...)) "١" .

وسرعان ماعادت النساء اللواتي جرفهن تيار الخلاعة في عهد الفرنسيين الى وضع الحجاب بعد أن كنّ قد ألقينه جانبا ، فتزوج بهن كثير من عساكر العثمانيين مما دفع القائمين على الجيش أن يأمروا الأهالي بعدم مصاهرة العثمانيين وتزويجهم النساء "٢" .

وأصدر الباشا العثماني أمرا جديدا يقضي باغلاق جميع المقاهي التي استحدثت في عهد الحملة ، وأمر بعدم بيع المسكرات أو شرائها الا من قبل الكفرة سرا "٣" .

وطوت مصر ماضيها الذى عاشته زمن الحملة لتبدأ عهدا جديدا في ظل حكم محمد علي باشا الذى تسلّم زمام الأمور في مصر بعد سلسلة طويلة من المؤامرات والدسائس بينه وبين منافسيه من المماليك والأتراك ، حيث تمكن من الوصول الى الحكم عن طريق العلماء والمشايخ الذين طلبوا من الباب العالي اسناد أمور مصر اليه "٤" ، وكان لسفير فرنسا في الاستانة رغبة شديدة في بقاء محمد علي حاكما على مصر ، وسعى لدى الباب العالي في تثبيته والتخلص من منافسه " محمد بك الألفي " الذى كان على علاقة بانجلترا "٥" ، ويبدو أن محمد علي كان على علاقة بالفرنسيين قبل قدومه الى مصر ، وكان أول شبابه يتردد على تاجر فرنسي يدعى " ليون " فيقدم له المساعدة ، وكان سعي السفير سببا آخر لوثوقه بالفرنسيين واستخدامه أفرادا منهم في ادارة شئون البلاد "٦" ، وأظهر محمد علي حزما في كل

---

١) المصدر نفسه ٤٨٦/٢ .
٢) المصدر نفسه ٤٩٠/٢ .
٣) المصدر نفسه ٥١٢/٢
٤) عصر محمد علي ، تأليف عبد الرحمن الرافعي ، الطبعة الثالثة ١٣٧٠ - ١٩٥١م ، مطبعة الفكرة ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ص ١٦-١٩ ، انظر تاريخ مصر الحديث ، لجرجي زيدان ١٥٤/٢ .
٥) تاريخ مصر الحديث ، لجرجي زيدان ، ١٥٥/٢
٦) تراجم مشاهير الشرق ، لجرجي زيدان ٢١/١

الأمور ، وبدأ بتطهير البلاد مما علق بها من الفساد الذى أباحه الفرنسيون ، فبادر الى قطع دابر المتهتكات نفيا وقتلا ، واذا علم بارتكاب أحد رجالـــه منكرا أمر بالقائه مع شريكته في النيل "[١]" .

وما ان استقرت به الحال في مصر حتى اتجه الى اصلاح الجيـــش وتجديده ليكون قادرا على تحقيق طموحه ، ولم يقصر اهتمامه على الجيش ، بل وجه عنايته الى التعليم فاهتم بتعليم بنات أسرته وجواريه ، فاستعـــان بالسيدة " ليدز " زوجة أحد مبشرى الانجليز التي أنشأت عام ١٨٣٥ م أول مدرسة افرنجية للبنات في مصر بتشجيع من تلميذتها " الخانم " بنـت محمد علي الكبرى "[٢]" ، فكانت بناته أول بنات درسن على أيدى مدرســات أجنبيات مما سيكون له أثر بالغ ، حيث أصبح تعليم البنات في أيــدى الارساليات التبشيرية التي كان لها أهداف خاصة تسعى الى تحقيقهـا ، ولن نستغرب من الآن فصاعدا التغير الكبير الذى سيطرأ على سلوك بنسات الطبقة العليا .

وأمر محمد علي عام ١٨٣٢ بانشاء مدرسة القابلات بمساعدة "كلوت بك " وكانت كل تلميذاتها أول الأمر عشرا من جوارى قصره السودانيات والحبشيات وكان يشترك في التدريس الى جانب " كلوت بك " طبيبة فرنسية تدعـــى " جوليبيت " علمت تلميذاتها اللغة الفرنسية "[٣]" ، ولم يكتف محمد علـي بما فتحه من مدارس في مصر فأرسل أول بعثة علمية الى ايطاليا عام ١٨٠٩م ، ثم حوّل وجهة البعثات الى فرنسا فأرسل أول بعثة كبيرة اليها عام ١٨٢٦ م ، وعين الشيخ رفاعه رافع الطهطاوى اماما لها .

---

١) الهلال السنة الثالثة ، الجزء الرابع ، اكتوبر تشرين أول ١٨٩٤ ، ص ١٤٣ .

٢) تاريخ مصر في عهد اسماعيل ، تأليف الياس الأيوبي ، مطبعة دار الكتب المصرية في القاهرة ، ١٣٤١ هـ - ١٩٢٣م ص ٢٠٤ .

٣) تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، تأليف جمال الدين الشيال ، مطبعة الاعتماد بمصر ، نشر دار الفكر العربي ١٩٥١ م ، ص ٢٢ - ٢٣ .

لم يقتصر الطهطاوى في فرنسا على مهام امام البعثة ، بل تعلّم الفرنسية واتقن فن الترجمة "١" وتأثر بما شاهده في المجتمع الفرنسي ، ونستطيع أن نلاحظ فيما كتبه عن فرنسا صدى لتفكير أوروبا في أوائل القرن التاسع عشر ، ونقرأ كلاما كثيرا عن المرأة مستوحى من الحياة الاجتماعية الفرنسية ، والغريب في أمر رفاعه أنه بدأ الباب الأول من كتابه " تخليص الابريز في تلخيص باريز " بوصف فرنسا على أنها ديار كفر وعناد "٢" ، ولكنه بعد ذلك سوّغ كثيرا من الأخلاق والعادات الفرنسية ، حتى أن منزلة باريس في نفسه زاحمت منزلة القاهرة ، يقول رفاعه :

لقد ذكروا شموس الحسن طرا   وقالوا ان مطلعها بمصر "٣"
ولكن لو رآها وهي تبدو   بباريس لخصّوها بذكر

ثم تتبع أحوال المجتمع الفرنسي ومايسوده من عادات وتقاليد ، فلاحظ أن الرجال في فرنسا عبيد النساء ، وأنهم لا يشعرون بالغيرة على نسائهم اللواتي لا يحرصن على عفافهن ، وذكر أن الزنا عندهم من العيوب ولكنه لا يصل الى درجة الذنوب خصوصا في حقّ غير المتزوج "٤" ، ولم ير رفاعة عيبا في تبرج الفرنسيات واختلاطهن بالرجال بل اعجب بجمالهن ((ونساء الفرنساوية بارعات الجمال واللطافة حسان المسايرة والملاطفة يتبرجن دائما بالزينة ويختلطن مع الرجال في المنتزهات ، وربما حدث التعارف بينهن وبين بعض الرجال في تلك المحال)) "٥" .

---

١) رفاعة رافع الطهطاوى ، لجمال الدين الشيال ، دار المعارف بمصر ص ٢٣ - ٢٤ .
٢) الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى ، دراسة وتحقيق محمد عمارة (كتاب تخليص الابريز في تلخيص باريز) ٢ /١٥ .
٣) الاعمال الكاملة لرفاعة (تخليص الابريز) ٢ /٦٣
٤) المرجع نفسه ٢ /٧٨ - ٧٩ .
٥) المرجع نفسه ٢ /٨٠

ولا يخفي رفاعة اعجابه بملابس النساء على الرغم من خلاعتها ، ((وملابس نساء الفرنسيس لطيفة بها نوع من الخلاعة خصوصا اذا تزيّن بأغلى ماعليهن)) ، ويبدي اكباره لملابس الرجال فيقول : ((ومن العوائد العظيمة انتشار لبس القمصان والألبسة والصديريات ...)) [١] ، ويبدو أن انبهاره بما شاهده في باريس دفعه الى تبديل اللباس العربي من الجبة والقفطان والعمامة باللباس الافرنجي عندما عاد الى مصر [٢] .

وكان رفاعة يدقق نظره في كل ماتقع عليه عيناه ، حتى أن طريقة تصفيف الفرنسيات لشعورهن لفتت انتباهه واستحسنها بل عدّها خصلة حميدة ((ومن خصائصهن التي لا يمكن للانسان الا أن يستحسنها منهن عدم ارخائهن الشعور كنساء العرب)) [٣] .

وعندما يتكلم رفاعة عن أماكن الرقص " البال " فانه يسهب في الحديث ، يقول : ((والرقص عندهم فن من الفنون ... ويتعلق بالرقص في فرنسا كل الناس ، وكأنه نوع من العياقة والشلبنه لا من الفسق ، فلذلك كان دائما غير خارج عن قوانين الحياء ، بخلاف الرقص في أرض مصر فانه من خصوصيات النساء لأنه لتهييج الشهوات ، وأما في باريس فانه نمط مخصوص لا يشم منه رائحة العهر أبدا ... وقد يقع في الرقص رقصة مخصوصة ، يرقص الانسان ويده في خاصرة من ترقص معه)) [٤] .

والواقع أن موقف رفاعة هذا يدل على مدى اقباله على المجتمع الفرنسي وتقبله لعاداته ، فالرقص عندهم فن وليس عهرا كما هو الحال في مصر ، على الرغم من امساك الرجل للمرأة التي يراقصها من خاصرتها ، وهذا يعني أن رفاعة تقبّل فكرة الحرية الشخصية التي سادت المجتمع الفرنسي بعد الثورة ، ويزداد فكر رفاعة وضوحا في تقبله لسفور المرأة الفرنسية ،

---

١) المرجع نفسه ٢/١١٧ .
٢) الهلال ، السنة الثالثة ، الجزء الثاني عشر ، فبراير شباط ١٨٩٥م ، ص ٤٤٤ .
٣) الأعمال الكاملة ، لرفاعة ٢/١١٨ ، من تخليص الابريز .
٤) المرجع نفسه ٢/١٢٢ - ١٢٣ من تخليص الابريز .

حيث يقول : ((وملخص ذلك أن وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن ، بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة والتعود على محبة واحد دون غيره ، وعدم التشريك في المحبة ...)) "١" ، وهذا يعني أن رفاعة لا يؤمن بأن وجود المرأة في بيئة تتيح الاختلاط بين الجنسين قد يكون له تأثير كبير على التربية الجيدة أو السيئة .

أما بالنسبة لعمل المرأة ، فقد لاحظ رفاعة أول نزوله باريس وجود بائعات في المحال التجارية ، ولم يستغرب الأمر ، بل عدّه هو الأصل اذ يقول : ((والعادة أن البيع والشراء بالأصالة للنساء ، وأما الأشغال فهي للرجال ، وكان أول ماوقع عليه بصرنا قهوة عظيمة ، والقهوجية امرأة جالسة على صفة عظيمة ...)) "٢" .

وهو يدعو الى تعليم المرأة لا لتحسن تربية أبنائها والقيام بواجبها نحو زوجها وأسرتها ولكن حتى ((يصلحن لمشاركة الرجال في الكلام والرأى فيعظمن في قلوبهم ، ويعظم مقامهن لزوال مافيهن من سخافة العقل والطيش مما ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة لمرأة مثلها ، وليمكن للمرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال والأعمال مايتعاطاه الرجل على قدر قوتها وطاقاتها ، فكل مايطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن ... فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة ، واذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال ، فهي مذمة عظيمة في حق النساء ...)) "٣" .

فالتعليم في رأى رفاعة يفسح المجال للمرأة في مجالس الرجل كي تبدى رأيها فتعظم مكانتها في قلب الرجل والتعليم عنده طريق للاختلاط والعمل ، وهذا الرأى هو الذى تبناه قاسم فيما بعد ، فكان الطهطاوى

---

١) المرجع نفسه ٢/٢٥٨

٢) المرجع نفسه ٢/٣٩٣ " المرشد الأمين للبنات والبنين " .

٣) أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوى ، دكتور محمود فهمي حجازى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م ص ٨٣ .

على النقيض من الجبرتي ، فبينما أدان الجبرتي سفور المرأة واختلاطهـا بجنود الحملة جملة وتفصيلا ، نجد رفاعة لا يقف موقف التأييد مـن سفورها واختلاطها وعملها فحسب ، بل يسوغ هذه الأمور ويحسنها كذلك .

ولم يكتف الطهطاوي باثارة ماسبق من قضايا بل أشار الى ضـرورة الاقتصار على زوجة واحدة وعدم التسرى بالاماء "[١]" ، ولم يحاول رفاعة فيما قاله عن المرأة أن يعود الى الاسلام ليحدد موقفه على ضوئه .

ومما سبق نلاحظ أن رفاعة بسفره الى فرنسا عاد بفكر جديد يخالف كل المخالفة مادرسه في الأزهر ، وأبرز في مؤلفاته للمرأة قضايا وأمورا لم تكن معروفة من قبل ، وكان له تأثير على معاصريه لا سيما الشدياق .

وقد أشار الشدياق الى كتاب رفاعة " تخليص الابريز في تلخيص باريز " وذكر سبقه في وصف باريس اذ يقول : ((ولهذا استأذنـه في ذكر ما أضرب عنه بالكلية أو أشار اليه اشارة فقط)) "[٢]" ، فهو يعد عمله تكملة لعمل رفاعة ، ولكن الشدياق كان أكثر وضوحا في رؤيتـه للمجتمعين الانجليزى والفرنسي ، فذكر كثيرا من متاعب النساء فيهمـا وانتقد عادة اصطحاب الكلاب عند الانجليزيات وترك شعورهن منفوشـة ، ورأى أن اشتراك النساء في الأعمال الزراعية بأجرة رخيصة امتهان للمرأة ، وأن قسوة الرجال هي السبب في هذا الابتذال ، ورأى أنه لا شيء أرخص من الجمال في انجلترا ، ولاحظ أن عامة الانجليز رجالا ونساء عندهم مـن التفاؤل والتشاؤم ماعند عامة بلادنا "[٣]" ، وشاهد بعض النساء يتكسبن بالعزف على آلات الطرب "[٤]" ، وهاله مايحدث في بلاد الانجليز من تسميم

---

١) الأعمال الكاملة لرفاعة ٢/ ٤٩٩ - ٥٠٣ ، من كتاب المرشد الأمين للبنات والبنين ، وانظر كتاب الاسلام والحضارة الغربية ، للدكتـور محمد محمد حسين ، المكتب الاسلامي - بيروت ، الطبعة الاولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م ص ٣٧ .

٢) كشف المخبا عن أحوال أوروبا ، تأليف احمد فارس الشدياق ، مطبعة الجوائب في القسطنطينية ، الطبعة الثانية ، ١٢٩٩ هـ ص ٢٢٢

٣) المرجع نفسه ص ١٠٩ .

٤) المرجع نفسه ص ١٢٨ .

الزوجات لأزواجهن وقتل الأولاد من قبل الآباء والأمهات أو العكس ، ويرى الشدياق أن الطمع هو الدافع وراء هذه الحوادث "١" .

ومما أخذه الشدياق على المجتمع الانجليزي حصرهم الارث في الابن الأكبر مع حرمانهم البنت من الارث واللقب حتى لو كانت الكبرى بنات الأسرة أو أبنائها ، ومما استغرب أمره واستهجنه لجوء العامة في انجلترا الى بيع زوجاتهم لعدم امكان الطلاق ، ولاحظ كذلك أن التقاليد تبيح للأب الانجليزي أن يجبر ابنته على الزواج بمن شاء قبل بلوغها سن الرشد "٢" .

ومن الأمور التي لفتت انتباه الشدياق أن كبراء الناس في انجلترا لا يتزوجون عن حب بل عن طمع في زيادة المال ، ولذلك كثيرا ما يتزوج الشاب الجميل بامرأة شوهاء ، وعلل سبب تأخر سن الزواج عندهم بانتشار السفاح "٣" ، ووصف مايؤدي اليه الزواج المتأخر من نتائج وخيمة ، فقد شاهد ألوف البنات المشردات في أسواق لندن وغيرها ، ولاحظ أن أكثرهن لا تزيد أعمارهن عن خمسة عشر عاما وأنهن ممتهنات ، ويعلق على هذه الظاهرة بقوله : ((يعيبون علينا هذه العادة - يعني الزواج المبكر - وهي مستعملة عندنا على وجه الحلال وعندهم بالحرام ، فلو كنّ مكفيات المؤونة لما فعلن ذلك ...)) "٤"

فهو يرى أن المجتمع الشرقي مصيب في اتجاهه الى تزويج البنت في سن مبكرة صونا لها ومنعا من انحرافها ، على عكس الفرنج الذين يعيبون على المسلمين هذه العادة ، فتبقى البنت عندهم في وضع مؤلم حيث لا تجد لها مكانا الا في محلات البغاء التي لاحظ الشدياق وجودها في

---

١) المرجع نفسه ١٣٥ - ١٣٦ .
٢) المرجع نفسه ص ١٧٠ - ١٧٢ .
٣) الساق على الساق فيما هو الفارياق ، دار مكتبة الحياة - بيروت ص ٥٩٤ .
٤) المرجع نفسه ٥٩٣ .

أمكنة خاصة ، وهذه الظاهرة نقلها الانجليز معهم الى مصر عندما احتلوها "١".

وكما سجل الشدياق آراءه في نساء الانجليز صوّر أيضا انطباعه عن نساء باريس ، فكانت أولى ملاحظاته أن أهل باريس يعيشون مع النساء عيشة المتعة ويرزقون بالبنين والبنات وهم على هذه الحالة ، ويعلق على ذلك بقوله : ((وكيف يحب الرجل امرأة ولا يتزوجها ، لا سيما وقد ولدت له أولادا ؟)) "٢" ، وهو يرى أن عشق الفرنسيين للنساء وارضاءهم لهن وتفانيهم في خدمتهن لا يمنعهم من تبديلهن ، فتبديلهن عندهم أهون من تبديل اللباس ، ولاحظ أن تهافت الفرنسيين على المرأة ليس لاحترامها بل للتمتع بها ، وأن تهافت المرأة على المراقص جعلها تظن أن في كل مكان تذهب اليه مرقصا ، يقول : ((ومن ذلك أنه من طول ترددهن على مواضع الرقص يحسبن كل مكان يطأنه مرقصا فترى المرأة منهن تمشي في الأسواق والشوارع ، وهي تميد وتميل وتتخلع ، ومن ذلك تحكمهن على الرجال وتعززهن عليهم في كل حال وبال ، فترى الرجل يماشي المرأة وقلبه بين رجليها ، واذا خلا معها في البيت ، فهي الآمرة الناهية المستعلية)) "٣".

ولاحظ الشدياق غرام الفرنسيات بالأزياء وتكليفهن الأزواج ما لا يطيقون ، ذلك أن المرأة المتزوجة في باريس ينفق زوجها على كسوتها فقط ماينفقه الانجليزى على أسرة بأكملها ، فدأب المتزوج في باريس وهمه ارضاء زوجته ، ولكثرة مطالب الزوجة وما تفرضه على الزوج من نفقات ، قلت نسبة المتزوجين في باريس ، وهذا ما يفسر كون ((ثلاثة أرباع سكان باريس مسافحين)) وكونهم كما لاحظ لا يفرقون بين الحرة والبغي "٤" ، وعنده

---

١) كشف المخبا عن أحوال أوروبا ص ٢٤٥ .
٢) المرجع نفسه ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .
٣) الساق على الساق ص ٦٢٤
٤) المرجع نفسه ص ٦٣٠ - ٦٣١ .

أن من أسباب ذلك أيضا بعدهم عن الدين "[١] ، فقد أقاموا في سنة ١٧٩٣م ، أثناء الثورة ((امرأة عريانة على مذبح احدى الكنائس وسجدوا لها "[٢] ، فهو لا يرى في الثورة الفرنسية ما رآه فيها رفاعة ، اذ هي عنده فتنة وخروج على الدين ، ومع أن الشدياق قد عدّ الثورة مسئولة عن هدم سلطة الدين وعدم الاهتمام بالقيم الخلقية رأى أن هناك أسبابا أخرى أدت الى الفساد في هذه الديار ، ومنها اشتغال النساء ((وذلك أنه لما كانت جميع الأشغال في باريس تديرها النساء ، وكان منهن غسالات وخدامات وخياطات وفرّاشات وبيّاعات للمأكول والمشروب والملبوس أمكن للرجل أن يصاحب واحدة فتأتيه ... بل ربما صاحب امرأة من نفس الدار التي يسكنها ، ولهذا فان المتزوجين في هذه الديار لا يأمنون على نسائهم وبناتهم ... ولهذا كان أهل باريس أقل غيرة على نسائهم من جميع الناس ...)) "[٣]

فعمل المرأة واختلاطها بالرجال أدى الى فساد حياة كثير من الناس وعدم اطمئنانهم على زوجاتهم وبناتهم لسهولة الاختلاط ، مع عدم وجود أي دافع ديني أو خلقي يمنع الانسان من اشباع شهواته بطرق غير شرعية ، ورأى الشدياق أن اشتغال النساء بمحلات البيع سهّل اتصال الرجال بالنساء ، وزاد في انتشار الفساد ، ((فأما أمر النساء فان أصحاب البيع والشراء لما كانوا قد اتخذوا لادارة أشغالهم نساء حسانا ، فاذا خرجن في الليل بعد انقضاء أشغالهن ترصدتهن الرجال ودعتهن الى مواضع الأكل والقهوة واللعب ، فتذهب كل واحدة مع من تحب فمتى رافقته الى أحد هذه المواضع ، علم أن حقه عليها صار لازما ...)) "[٤]

---

١) كشف المخبا ص ٢٥٦ .
٢) الساق على الساق ص ٦٣١ .
٣) المرجع نفسه ٦٢٩ .
٤) الساق على الساق ص ٦٢٩ .

وقد خرج الشدياق بنتيجة تدل على وعي وبصيرة ودقة نظر ، وهي أن حبّ النساء من قبل الفرنسيين وتوددهم اليهن ليس له دافع سوى اشباع رغباتهم ، فهم لا يعنون براحتهن ((ويدعونهن يحملن الأعمال الشاقة ليكسبن بعض شيء ... وتراهن يتعاطين من الأعمال الخسيسة ماتأنف منه أخس نساء الأنجليز كتكنيس الطرق وحمل الأحمال وتنظيف الأحذية وصيد السمك والمناظرة على المراحيض ...)) "١" .

ولا ريب أن ماشاهده الشدياق من امتهان لكرامة المرأة في فرنسا وانجلترا هو الذى دعاه الى رفض كثير من القيم الغربية ، فكان من القلائل الذين تنبهوا الى الامتهان الذى تعرضت له المرأة في فرنسا ،خصوصا بعد الثورة الفرنسية ،فالمرأة عندما شاركت في أحداث الثورة وفي المظاهرات التي أسقطت النظام الملكي لم تكن تطالب بالخروج الى ميدان العمل ، وانما طالبت بالعودة الى بيتها ، فقد احتجت نساء باريس لدى الملك لويس السادس عشر على اغتصاب الرجال لحرفهن ، اذ قلن في العريضة التي رفعنها اليه : ((لو ترك الرجال لنا الابرة والمغزل استطعنا أن نترك لهم الفأرة والمخراز ....)) "٢" .

فالشدياق عندما يذكر عمل المرأة في حمل أثقال المسافرين على ظهورهن ورؤوسهن يستغرب الأمير ويرى أن امتهان المرأة دليل على عدم التمدن ، ((فكيف يزعم الفرنسيون أنهم متمدنون ؟ ... الى مصر بلاد الحظ والأدب ، الى الشام مغاني الفضل والأدب)) "٣" ، فهو يرى أن المرأة في مصر والشام أوفر حظا وأكثر احتراما من المرأة في باريس ولندن ، وهكذا كشف الشدياق عما تعانيه المرأة في انجلترا وفرنسا ، وأن المساواة التي أعلنوها بين المرأة والرجل ليست في حقيقتها الا استغلالا للمرأة في أبشع صورة .

---

١) كشف المخبا ص ٢٥٤ ، ٢٥٦ .
٢) العصور ، العدد الرابع ، ديسمبر كانون أول ١٩٢٧ م ص ٣٤٨ .
٣) الساق على الساق ص ٦٤٥ .

على أن ذلك لا يعني أن الشدياق لم يتأثر بما شاهده في رحلاته، بل نراه يعجب بلباس النساء الافرنجيات اللائي رآهن في مالطة، وقد رأى أن هذا اللباس أدعى الى الوقار والحشمة "١".

ويبدو أن ماشا هده من الظلم الواقع على المرأة في أوربا جمله يدافع عن جهل النساء في الشرق، فالنساء في مصر والشام لا يعبن بشيء الا بالجهل، فأما الجاهلات من الافرنج فانهن يضفن الى الجهل مكرا وخبثا، ولهذا دعا الى تعليم النساء القراءة والكتابة بشرط استعماله على شروطه، ويعني بذلك مطالعة الكتب التي تهذب الأخلاق، فان المرأة اذا اشتغلت بالعلم كان لها به شاغل عن استنباط المكائد واختراع الحيل، يقول: ((والأولى عندى أن تشغل البنت بأحد الفنون أو العلوم النافعة، سواء كان ذلك عقليا أو يدويا .... فان النساء اذا علمن من أنفسهن أنهن أكفاء للرجال في الدراية والمعارف تترسن دونهم بمعارفهن، وتحصّن بها عند تطاول الرجال عليهن، بل الرجال أنفسهم يشعرون بفضلهن ...)) "٢"، وباختصار كان تعليم البنت عند الشدياق ضرورة من ضرورات العصر.

وعلى الرغم من تطواف الشدياق في أوربا ظل يرى أن الحجاب ضرورة تجنب الناس الفتنة ويرى في المتبرقعات سحرا لا تملكه السافرات، فالقلوب بروءية المتبرقعات أولع منها بروءية السافرات "٣".

---

١) الواسطة في أحوال مالطة تأليف أحمد فارس الشدياق، مطبعة الجوائب بالقسطنطينية، الطبعة الثانية، ١٢٩٩ هـ ص ٣٣، وهو مطبوع مع كتاب كشف المخبا في مجلد واحد.

٢) الساق على الساق ص ٤٢٥ - ٤٢٦، ١١٥ - ١١٦.
وراجع أيضا كتاب أحمد فارس الشدياق، تأليف محمد عبد الغني حسن، الدار المصرية للتأليف والنشر، مكتبة مصر ص ١٦٤ - ١٦٥. وانظر مجلة المرأة في الاسلام، السنة الأولى العدد الثاني عشر، ١٥ سبتمبر ايلول ١٩٠١م ص ١٧٧ - ١٨٧، وهي مقالة طويلة عن تعليم المرأة للشدياق منقولة عن صحيفة الجوائب.

٣) الساق على الساق ص ٢١٥ - ٢١٦، ٢٣٤.

ومن القضايا التي أثارها الشدياق وكثر تناولها بعده ، قضية زواج الفتاة بالكهل ، فالكهل الذى يتزوج بفتاة في عمر أقل من نصف عمره يضطر الى مداهنتها والنفاق لها ، مع علمه أن فارق السن من الأسباب الباعثة على بغضه وفركه "[1] .

ومن خلال استعراضنا لآراء الشدياق في مختلف القضايا المتعلقة بالمرأة نستطيع القول أنه كان موفقا في دعوته الى تعليم المرأة ماينفعها ، ومع ذلك لم يخدعه سراب الحضارة الغربية فنبه الى المأساة التي تعيشها المرأة الغربية في ظل المدنية الحديثة التي اتخذت من المساواة بين الجنسين شعارا لها .

وهكذا اتجه بعض المفكرين بأبصارهم نحو أوروبا ليتعرفوا على الجديد الذى لديها وكان الشدياق أحدهم ، وكذلك اتجه بعض الذين أرسلهم محمد علي الى أوروبا أو تخرجوا في المدارس التي أنشأها على النمط الأوروبي وكانت تحت اشراف الأوروبيين وتلاميذهم وجعلت طلابها يتطلعون الى نواح من الثقافة الغربية وكان رفاعة الطهطاوى رائدا لهم ، فاتجهت مدرسة الألسن التي أشرف عليها رفاعة نفسه نحو الاهتمام بالأدب الفرنسي ، وكان لخريجي تلك المدرسة دور في الترجمة عن الفرنسية "[2] .

وبدأت مصر في عهد محمد علي ترحب بالأجانب الذين اهتموا بانشاء المسارح في وقت مبكر من عهده ، فأقام بعض الفرنسيين مسرحا لهم في نوفمبر تشرين ثاني عام ١٨٢٩م ، وعرضوا عليه مسرحية " المحامي باتلان " ومسرحية " النهم المفلس " وذكر جيرارد دى نرفال " أنه أمضى في مسرح القاهرة سهرة لطيفة ، ((حيث كان بعض ضباط الباشا - أى محمد علي - يجلسون عند مقدمة المسرح ، وأما المقاصير فكانت تمج بالنساء ، وكن في غالبيتهن يرتدين ملابس شرقية ، ولم تكن ثمة امرأة سافرة ، كما لم

---

١) المرجع نفسه ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .

٢) دراسات في حضارة الاسلام ، تأليف هاملتون جب ، ترجمة احسان عباس ورفاقه ، دار العلم للملايين - بيروت ص ٣٢١ .

تكن ثمة امرأة مسلمة لم تعن بمشاهدة التمثيل ... وعند خروجنا من المسرح كانت النساء جميعا وقد بدت عليهن سيماء اليسر يرتدين لباسا موحدا ، يتألف من حبرة سوداء وبرقع أبيض يغطي الوجه ، ولما كن مسلمات ينتمين الى الطبقة الراقية صعدن الى ظهور الحمير ...) "١"

وهذا يعني أن المسرح الذى عرفته مصر لأول مرة عن طريق الحملة وانتهى أمره بعودة الأتراك عاد الى الحياة مرة أخرى في عهد محمد علي ، ولفت انتباه نساء المسلمين من الطبقة الراقية اللواتي ترددن عليه ، ولم يقتصر انشاء المسارح على القاهرة وحدها ، فقد ذكر الرحالة " رينو " الذى وصل الى مصر عام ١٨٥٤ م أنه أعجب في مدينة الاسكندرية بمسرح أقيم في الهواء الطلق ، وقد شاهد فيه " دراما ايطالية كانت بطلتها ممثلة مصرية) "٢" .

ويبدو أن تولية عباس السلطة في مصر كانت ايذانا بتغير جذرى في سياسة الدولة ، حيث قام بتعديلات واسعة النطاق شملت جميع نواحي الحياة ، فألغى مدرسة الطب والهندسة والألسن وأعاد البعوث من باريس ونفى رفاعة الى السودان ، وامتاز عصره بكراهية الأجانب كراهية تنسحب على الحضارة الأوروبية بكل مظاهرها "٣" .

---

١) المسرحية في الأدب العربي الحديث ، تأليف محمد يوسف نجم ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٧م ، الطبعة الثانية ص ١٩-٢٢ .

٢) المرجع نفسه ص ٢٣ .

٣) حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر ، تأليف جاك تاجر ، مكتبة المعارف بمصر ١٩٤٥ م ص ٧٠ . وانظر تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ، عبد المحسن طه بدر ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، ص ٢١ .

وخلف سعيد باشا عباسا فسار في اتجاه معاكس لسياسة سلفه حيث أظهر اهتماما بالغا بالمدارس الأجنبية المؤسسة في مصر بمعرفة الارساليات التبشيرية ، ومنح المساعدات لراهبات الراعي الصالح في الاسكندرية والقاهرة، وأمدّ راهبات المحبة بخمسة آلاف فرنك سنويا ليتمكنّ من الاستمرار في أعمالهن، ووهب للارساليات الأمريكية في مصر بناء سنة ١٨٥٥م ، وتبرع لأول مدرسة ايطالية تأسست في القطر المصرى في عهده بمبلغ ألفين وأربعمائة جنيه ، ووهبها ثمانية آلاف ذراع من الأرض في أحسن جهات الاسكندرية "١".

ولكن سعيدا الذى على بالمدارس الأجنبية ألغى ديوان المدارس في السنة التي تولى فيها الحكم - أى سنة ١٨٥٤م - واكتفى بفتح مدرستي الهندسة والطب لا حبا في تعليم المصريين ، ولكن انصافا للمدرسين الأجانب - على حد رأيه - الذين عملوا في هاتين المدرستين في عصر محمد علي ، وفصلهم عباس ، وازدادت حالة التعليم سوءا في عصره ، فبينما كان عدد الطلبة الذين يتعلمون على نفقة الحكومة أيام محمد علي يزيد على عشرين ألفا، اذا بهذا العدد يتناقص ويقل حتى صار في أواخر حكم سعيد بضع مئات ، وتضاءلت ميزانية التعليم حتى أصبحت عام ١٨٦٢م ستة آلاف جنيه فقط .

ويبدو أن رغبة سعيد في حكم مصر حكما صارما دعته الى عدم الاهتمام بالتعليم ، فقد قال لسكرتيره ومربيه السويسرى " كولنج " الذى حضه على فتح المدارس التي أغلقها عباس : ((ولم نعلم الشعب ؟ لكي يصبح الحكم عليه والتصرف فيه أعسر مما هو عليه ؟ دعهم في جهلهم فالأمة الجاهلة أسلس قيادا في أيدى حاكميها)) . "٢"

---

١) تاريخ مصر في عهد اسماعيل ، لالياس الأيوبي ص ٨٤ .
٢) المرجع نفسه ص ١٨٥ - ١٨٦ . وانظر كتاب حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر ، لجاك تاجر ص ٧٥ - ٧٦ .

ولم يقف الأمر بسعيد عند حدّ اهمال التعليم الحكومي وتركيز كل اهتمامه على مدارس الارساليات التبشيرية ، بل كان يدعو فرق التمثيل الفرنسية لتسليته بالتمثيل المتنوع والرقص ، وأقام لهذا الغرض صالة للتمثيل. "١"

على أن ترحيبه بالأجانب جذب أكثرهم الى مصر ، وأغراهم باستغلال رغبته في اقامة المشروعات الاقتصادية ، فعرضوا عليه أفكارهم لكثير منها "٢" ، وعند ما نفذوا بعضها وفشلت في أعطاء الثمرة المرجوة ، طالبوه بتعويضات عنها مما أدى الى تورطه في ديون قدّرت عند موته بخمسة عشر مليونا من الجنيهات .

وتولى بعده اسماعيل الذى أمعن في اعتماده على الدول الغربية ، وحاول جعل مصر قطعة من أوروبا ، وحصر وراثة العرش في أبنائه من بعده .

ويصح القول أن اسماعيل كان راشد مصر في طريق العلمانية ، وقد أهّله لذلك أنه قضى زمنا من طفولته وشبابه في أوروبا ، فأرسله جدّه الى فينا وهو في الرابعة عشرة من عمره ، ليعالج من مرض ألمّ به ويربى تربية أوروبية ثم أمر جدّه محمد علي باشا أن ينتقل الى باريس ، حيث عاش هناك تحت اشراف رجل أرمني يدعى " اصطفان بك " واتقن اللغة الفرنسية "٣".

فلما تولى أمر مصر فتح أبوابها على مصاريعها للأجانب ومهّد لهم السبيل ، وأخذ يناصرهم ويؤيد مشروعاتهم حتى أن ربع سكان القاهرة في عصره كانوا من الأجانب ، وقد بدت رغبته في تقليدهم بادخال الزىّ الأوروبي الى مصر فأجبر جميع مستخدمي الحكومة على ارتدائه "٤" ، وتأسست في

---

١) المسرحية في الأدب العربي الحديث ، لمحمد يوسف نجم ص ٢٤ - ٢٥ .

٢) ومن هذه المشروعات أن سعيدا منح صديقه الشخصي دليسبس امتياز حفر قناة السويس بشروط مجحفة بحق مصر ، راجع تطور الرواية العربية الحديثة ، لعبد المحسن طه بدر ص ٢٣ .

٣) تراجم مشاهير الشرق ، جرجي زيدان ١ / ٦٣ .

٤) مذكرات قليني فهمي باشا ، الطبعة الثانية ١ / ٧ .

عهده المحافل الماسونية وانتظم في سلكها نجله توفيق وجماعة كبيرة من أمراء البلاد ووجهائها "١"، ويبدو أن اسماعيل فعل ذلك كسبا لتأييد أوروبا له في محاولته الاستقلال بمصر عن الدولة العثمانية ، وكثيرا ما كان يردد : ((ان أخلاق المصريين وعوائدهم التي ورثوها ستصبح بمساعيه بعد قليل مماثلة لعوائد أوروبا وأخلاقها)) "٢" .

ولم تكن خطط اسماعيل التي أراد بها أن يفرض الثقافة الأوروبية على مصر ويفصل الدين عن الدولة خافية على رجالات عصره "٣" ، بل أن سعيه لدى السلطان عبد العزيز في تعديل نظام وراثة العرش الخديوى كان المقصود به أن يفوت على الباب العالي أى فرص تتيح له التدخل في شئون مصر ، فانفق أثناء زيارته للأستانة عدة ملايين من الجنيهات وحصل على التعديل المطلوب ، وسمح له السلطان أن يصك النقود باسمه ، وذلك بموجب " الفرمان السلطاني " الذى صدر عام ١٨٦٦م "٤" .

وبعد أن ضمن اسماعيل عدم تدخل السلطان العثماني بدأ يعمل على تحويل مصر الى قطعة من أوروبا ، فشيّد مسرح " الكوميديا " عام ١٨٦٧م في " الأزبكية " وأمر ببناء " دار الأوبرا " عام ١٨٦٨ م ، وكلف اسماعيل الموسيقي الايطالي " فردى " بوضع رواية " عايدة " للاحتفال

---

١) تراجم مشاهير الشرق ١/ ٧٤ .
٢) تربية المرأة والحجاب ، تأليف محمد طلعت حرب ، مطبعة المنار ، القاهرة ١٣٢٣ هـ ص ١١ .
٣) انظر تربية المرأة والحجاب ، ص ١٢ ، ففيه أن أحد أمراء المسلمين أرسل الى الخديوى اسماعيل يلومه وينهاه عن التفكير في الانفصال عن الدولة العثمانية ويحذره من ادخال العادات الأوروبية الى مصر .
٤) علاقات مصر بتركيا في عهد الخديوى اسماعيل ، تأليف الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف بمصر ص ٦٠ .
وانظر عصر اسماعيل ، لعبد الرحمن الرافعي ، مطبعة دار الفكر ، الطبعة الثانية ١/ ٧٣-٧٦ .

بافتتاح دار الأوبرا وبحضور الامبراطوره " أوجيني " التي دعاها اسماعيل لترأس حفلات افتتاح قناة السويس "[١] ، حيث أقام على شرفها مرقصا بذل فيه ((مالا يستطيع قلم وصفه من البذخ وصنوف اللذات ... حتى لم يبق أحد لم يعتبر أنه انتقل الى عالم الخيالات ، فكانت ليلة لم تسر العيون لها مثيلا ولن ترى شبيهها الأجيال المقبلة ، ولا غرابة في ذلك ، فلقد بلغت نفقات هذه الحفلة أربعة ملايين من الجنيهات الذهب)) "[٢] .

ولم يكتف اسماعيل بهذه الاحتفالات ، بل أدخل عادة الليالي الراقصة التي أصبحت موسما سنويا في قصر عابدين ، حيث كان يفتتح اسماعيل الرقص مع عقيلة أقدم القناصل عهدا ، ويفعل أبناؤه مافعله ، وكان يختم الحفل بالشراب "[٣] .

ثم لم يقف اسماعيل عند هذا الحد في تقليد الأوروبيين ، بل ان المدرسة السيوفية التي أشرفت عليها ثالث زوجاته " جشم أفت هانم " والتي كان من المتوقع أن تكون أول مدرسة للاناث في مصر غير تابعة للارساليات التبشيرية "[٤] ، لم تنج من محاولات اسماعيل في جعلها على النمط الأوروبي ، فأمر باخراج تلميذات هذه المدرسة مكشوفات الوجوه ، ((وقد رآهن الناس وهن على ذلك وعلى رؤوسهن البرانيط في عربات كثيرة يتفسحن في أرجاء المدينة)) "[٥] ، مما كان له أكبر الأثر في احجام الآباء عن ارسال بناتهم الى هذه المدرسة ، فاضطرت زوجته أن تأخذ صغار الجواري التي عندها وعند غيرها من الأميرات لاكمال العدد اللازم .

---

١) تاريخ مصر في عهد الخديوى اسماعيل ، لألياس الأيوبي ، ص ٢٩٠ - ٢٩٢ .
٢) مذكرات قليني فهمي باشا ١/ ٦ .
٣) تاريخ مصر في عهد الخديوى اسماعيل ص ٢٩٥ .
٤) المرجع نفسه ص ٢٠٦ ، وانظر كتاب مذكراتي في نصف قرن ، تأليف احمد شفيق ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصر ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤م - ١/ ٤٩ .
٥) تربية المرأة والحجاب ، ص ١٢ .

وسار الخديوى اسماعيل سيرة سلفه سعيد في الاغداق على مدارس الارساليات ، فمنح الارسالية الأمريكية أرضا ، ووهبها سبعة آلاف جنيه لبدء البناء ، وكان يشجع تلك المدارس بارسال أبنائه لحضور حفلات توزيع الجوائز في المدارس الأجنبية ، وبلغ نشاط الارسالية الأمريكية الى أسيوط والصعيد ، ولم يكن فتح المدارس الأمريكية بقصد التعليم فقط وانما لخدمة الأهداف الدينية للارسالية أيضا ، وبلغت مدارس الارسالية الأمريكية وحدها في مصر عام ١٨٩٦م حوالي ثمان وستين ومائة مدرسة ، منها ثلاث وثلاثون ومائة مدرسة للبنات ، "١"

وبلغ حب اسماعيل للأجانب مبلغا عظيما مما جعله يختار للأميرات الصغيرات في قصره مربية سويسرية . "٢"

وجريا على سياسته في جعل مصر قطعة من أوروبا أمر بانشاء مجلس شورى النواب كما أمر بتشكيل المحاكم المختلطة ، فأوفد نوبار باشا الى أوروبا كي يمهد السبيل ، وسمح للأقباط أن يكونوا قضاة في المحاكم الأهلية التي تشكلت بعد المحاكم المختلطة ، وكان المتبع في المجالس التي حلت محلها المحاكم الأهلية أن يكون قضاتها وكتابها وسائر خدمتها من المسلمين "٣" ، وطبق القانون الفرنسي في هذه المحاكم ، وجعل قضاة المحاكم المختلطة من الأجانب "٤" .

---

١) تاريخ التعليم الأجنبي في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، تأليف جرجس سلامة ، نشر المجلس الأعلى للفنون والآداب ، ١٩٦٣م ص ٣٨ ، ٤٨ - ٤٩ . وانظر مقالة عن التعليم في مصر نشرتها مجلة مصر الحديثة المصورة ، السنة الثانية ، العدد الاول ٢٩ أكتوبر/تشرين أول ١٩٢٨ م ص ١٧ - ٢٢ .

٢) المستقبل ، السنة الثانية ، العدد ٥٨ ، ٢٤ يناير/ كانون الثاني ١٩٢٩م ، ص ١٣ .

٣) مذكرات قليني فهمي باشا ١/ ١٠ ، ١٢ .

٤) انظر حديث عيسى بن هشام ، تأليف محمد المويلحي ، الطبعة الرابعة ، مطبعة مصر ص ٤٠ - ٤٣ .

وعندما تولى علي مبارك نظارة المعارف في عهد اسماعيل سار سيرته، فما ان عينه الخديوى وكيلا للمعارف عام ١٨٦٨م حتى بدأ يطلع على برامج التعليم والكتب المقررة في المدارس الفرنسية "١"، وهكذا اتخذ من النظم الفرنسية في التعليم نموذجا .. يحتذى، وكان لعلي مبارك دور كبير في انشاء مدارس للبنات الى جانب زوجة اسماعيل، فأنشأ بمساعدتها المدرسة السيوفية، ثم المدرسة القربيه "٢"، وألف كتابا أسماه " طريق الهجاء والتمرين على اللغة العربية " ، أشار في فصل منه الى أهمية تعليم البنات، وأن من جملة الاحسان اليهن ((أن يجعل لهن حظ في التربية العمومية، ومشاركة فيما يليق بهن من المزايا العلمية فضلا عما يجب تمرينهن عليه من أصول حسن تربية الأطفال وأشغال الخياطة والتدريس وحسن تدبير المنازل والمحال، فان ذلك يزيدهن جمالا وعفة وكمالا، وهو وصف مدح لهن، كما هو حقهن في ضمن النوع البشرى ...)) "٣".

وعلى الرغم من احتياط علي مبارك في دعوته لتعليم المرأة نراه معجبا بشخصية المرأة الأوروبية ومحادثتها للرجال، يقول: ((وكان ممن حضر على المائدة بالقرب من الشيخ شابة طليانية ... كانت بديعة الجمال نادرة المثال ثابتة الجأش فصيحة اللسان .. تأتي بمحاسن الألفاظ اللطيفة والنكات الظريفة وتدفع الرجال في المباحث العلمية والسياسية ...)) "٤"، ويبدو أنه كان لهذا الموقف أثره في نفسه، فعاد يبحث في ذهنه عن مزايا الاختلاط، فرأى أن من فوائده تلذذ النساء بما يرينه ويسمعنه من

---

١) المعرفة، السنة الثانية، العدد ١٣، مايو / أيار ١٩٣٢م ص ٤٢ .
٢) تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الاسلامي، تأليف أنور الجندى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٠م، ص ٣١٤ .
٣) صورة المرأة في الرواية المعاصرة، تأليف طه وادى، مركز كتب الشرق الأوسط ١٩٧٣م، ص ٢٩ .
٤) علم الدين، تأليف علي مبارك، طبع مطابع جريدة المحروسة بالاسكندرية ١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م، ١/١٩٨ .

الحوادث ، ولكنه رأى أن كثرة الاختلاط بين الرجال والنساء قد تفضي الى نتائج غير محمودة "١" .

وأثناء اقامته في باريس اعجب بعمل النساء في المحلات التجارية ، ((وفي كل دكان نساء حسان متجملات بأحسن الملابس وألطف الهيئات مستعدات لعرض مايلزم عرضه وبيع مايلزم بيعه)) "٢" .

ولكن عندما يقف على مايدور في الملاهي والمسارح من اختلاط ، يرى أن ثمرة هذا الاختلاط لا تكون الا فسادا في الأخلاق ، فالمرأة بالنسبة الى الرجال كالنار بالنسبة الى الحطب "٣" .

ولفت انتباه علي مبارك طريقة تربية الفرنسيين لأبنائهم واهتمامهم بألعابهم وخروجهم بهم الى الحدائق ، فلاحظ أن الألعاب تحيط بالأطفال مع نظافتهم وسلامة أبدانهم ، وتذكر أطفال القاهرة مع ماهم فيه من أحوال وخيمة وطباع ذميمة ، فتمنى أن تكون تربية الأطفال في مصر مثلما هي عليه في فرنسا "٤" .

وبحث علي مبارك في تعدد الزوجات عندما لاحظ استهجان الفرنسيين لهذه العادة ، فرأى أن التعدد أصون للمرأة والرجل على العكس من رفاعة الذى دعا الى ترك التعدد "٥" .

ويبدو أن علي مبارك كان يؤمن بأن العادات والأفكار لا تزول بمجرد الدعوة الى التجديد ، فهو يرى أن من الخير للمصلح أن يتربص ثلاثة أجيال حتى ينقرض الجيل الذى يعترض على التجديد لأنه غير مستعد له أو راض عنه "٦" .

---

١) المرجع نفسه ١/١٩٩ - ٢٠٠ .
٢) المرجع نفسه ٣/٨١٨ .
٣) المرجع نفسه ٣/٩١١ - ٩١٢ .
٤) المرجع نفسه ٣/٩٦٣ .
٥) المرجع نفسه ٣/٩٧٣ - ٩٨٢ .
٦) انظر تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الاسلامي ، لأنور الجندى ص ٣٠٣ .

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها علي مبارك في مجال التعليم أخطأ في أواخر حياته خطأ جرّ على اللغة العربية متاعب كثيرة ، ونعني بذلك قبوله تدريس العلوم كلها في المدارس الثانوية وبعضها في المدارس الابتدائية باللغة الانجليزية ، مما دعا بعض الباحثين الى اتهامه بموالاة الانجليز ضد الثورة العرابية "١" .

واذا كنا قد عرضنا لمواقف بعض المفكرين الذين يجوز لنا أن نطلق عليهم لقب الرواد فيما يتعلق بالمرأة ، واستطعنا أن نميز لبعضهم آراء واضحة فيما يخصها من أمور مثل التعليم والاختلاط والسفور والزواج وتعدد الزوجات .... فاننا حاولنا كذلك أن نعرف ميول الحكام والأسباب التي دفعتهم الى السير في طريق النهضة .

على أننا يمكن أن نميز اتجاها واضحا لدى المفكرين والحكام الذين عرضنا لهم ، وهو الرغبة في التخلص من الجهل الذى كانت تعاني منه كافة فئات المجتمع المصرى ، وأنهم أى المفكرين والحكام رأوا أن لهم الحق في سلوك أى طريق يخلصهم من الجهل ، ونسوا في غمرة حماسهم أنهم ينتمون الى حضارة عريقة فيها كل مقومات التقدم الانساني لو أنهم استنطقوها وبحثوا في ثناياها ، ولكن انبهارهم بما رأوا من تقدم مادى عند أوروبا جعلهم يأخذون كل مايلاقون في طريقهم ، وربما كان الجبرتي من بين قلة من المفكرين الذين تنبهوا في وقت مبكر الى خطر القيم المادية التي سادت الحضارة الأوروبية ، ولكنه تقبل الحقائق العلمية التي عرضتها الحملة الفرنسية ودعا الى الأخذ بها على العكس من الخديوى اسماعيل الذى تصوّر أن بامكانه أن يجعل مصر قطعة من أوروبا بنقله لمظاهر الحضارة الأوروبية فقط ، ففشل فيما سعى الى تحقيقه .

---

(١) تيارات أدبية بين الشرق والغرب ، تأليف ابراهيم سلامة ، مطبعة احمد مخيمر ، مكتبة الأنجلو : مصرية ، الطبعة الأولى ١٩٥١م ص ٢١٧ ، وانظر تراجم الأعلام المعاصرين لأنور الجندى ص ٣١٢

وهكذا جرّت سياسة اسماعيل الويلات على مصر وأغرقتها في الديون التي بلغت في نهاية حكم اسماعيل مائة مليون جنيه ، فاستغلت الدول الأوروبية الفرصة وتدخلت في شئون مصر الداخلية ، وعينت في الحكومة المصرية ناظرين ، أحدهما انجليزي للمالية والآخر فرنسي للأشغال، وزاد اسماعيل من الضرائب المفروضة على الفلاحين ، ويبدو أن الظروف الجديدة في عهد اسماعيل أوجدت شيئا من الوعي عند بعض الطبقات خصوصا بعد هجرة كثير من الأجانب الى القاهرة "١" ، ووفود جماعات كبيرة من نصارى سوريا الى مصر على أثر الفتن التي اشتعلت هناك ، فوجد هؤلاء فرص العمل متاحة ، فعملوا في الصحافة والتجارة والترجمة .

ونزل جمال الدين الأفغاني مصر سنة ١٨٧٠ م ، بعد أن دعاه رياض باشا اليها عندما اجتمع به في الأستانة ، فقررت له الحكومة المصرية راتبا شهريا مقداره عشرة جنيهات "٢" ، وقد حاول الأفغاني أن يدرّس في الأزهر فلم يوفق ، فاتخذ له بيتا في حارة اليهود ما لبث أن صار منتدى للعلماء والطلاب ، ثم اتخذ من ملهى قرب الأزبكية مجلسا له يلتقي فيه مع طلابه حتى الفجر ، حيث كانوا يلقون عليه أدقّ المسائل "٣" .

وكان محمد عبده وعبد الكريم سلمان وابراهيم اللقاني وسعد زغلول وابراهيم الهلباوي ممن يلقي عليهم دروسه في بيته ، أما في الملهى فقد كانت تتسع حلقته فتشمل مع هؤلاء محمود سامي البارودي ، عبد السلام المويلحي ، ابراهيم المويلحي ، علي مظهر ، سليم النقاش ، وأديب اسحاق "٤" .

---

١) رسائل من مصر لأحمد خاكي ص ١٣٥ .
٢) زعماء الاصلاح ، تأليف أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٧٦ م ص ٦٩ .
٣) جمال الدين الأفغاني تاريخه ورسالته ومبادئه ، تأليف محمود أبو ريّة ، اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م ، ص ٤٥ .
٤) زعماء الاصلاح ص ٧٠ ، ٧٣ .

وقد حبّب الى رواده الكتابة والخطابة وشجعهم على انشاء الصحف ، فأنشأ أديب اسحاق جريدة " مصر " وبعدها " التجارة " ، وكان جمال الدين يهدف من وراء ذلك الى خلق جماعة تهتم بالسياسة ، واتصل الأفغاني بيعقوب صنّوع فأصدر صحيفة " أبو نضارة زرقا " وكان صنّوع يضمنها محاورات بالعامية ينتقد فيها الأحوال العامة ويندد بالحكومة ، وكان يسمي الخديوي اسماعيل " شيخ الحارة " "١" .

وانضم جمال الدين الأفغاني الى المحفل الماسوني الاسكتلندي في القاهرة ، وكان يضمّ كثيرا من علية القوم "٢" ، فأراد كما يقول رشيد رضا : ((أن يربي فيها - أي في المحافل - رجالا يعرفون كيف يحفظون بلادهم وأنفسهم ، فوجّه همه الى استخدام الماسونية في تعليم تلامذته مالا يمكن التصريح به الا في جمعية سرية ، فدخل في الماسونية ودخل معه تلامذته النابغون ، فجعل بهم قوة للمصريين وصار رئيس محفلهم ، ولكنه كان غاليا في مضادة الانجليز لما كان من زعمهم على بلاده ، ولما كان يعتقد من طمعهم في مصر ... فقاوموه حتى اضطروه الى ترك الماسونية مع كبار حزبه ...)) "٣" .

ويذكر رشيد رضا في مكان آخر أن الأفغاني لم يطرد ، وانما انسحب هو وخواص مريديه ، ويعلل سبب انسحابه من المحفل الاسكتلندي ، ((بأنه عندما جاء الى مصر رئيس الشرق الأعظم الانجليزي وهو يومئذ ولي العهد للدولة الانجليزية ، فاجتمعت المحافل الماسونية حفاوة به وذكر أحد رؤسائها ولي العهد بهذا اللقب ، فاعترض السيد جمال الدين الأفغاني وقال : انه لا يسمح أن يحتفل بأحد على أنه ولي العهد لدولة من الدول ...)) "٤" .

---

١) مذكراتي في نصف قرن ، لأحمد شفيق ١/١١٠-١١١ .
٢) زعماء الاصلاح ص ٧٩ .
٣) المنار ، الجزء الخامس ، مايو / أيار ١٩٠٣ ص ١٩٦ - ١٩٧ .
٤) المنار ، الجزء الحادي عشر ، أغسطس / آب ١٩٠٥ م ص ٤٠٢ - ٤٠٣ .

ولما ترك المحفل الاسكتلندى أنشأ محفلا وطنيا تابعا للشرق الفرنساوى ، دعا اليه مريديه من العلماء والوجهاء ، وبلغ عدد المشتركين فيه نحو ثلاثمائة ، من بينهم توفيق ولي عهد اسماعيل الذى سمى له الأفغاني ومريدوه عند قنصل فرنسا من أجل عزل والده وتوليته مكانه ، وكان توفيق وثيق الصلة بالأفغاني وحسن الظن به ، فكان يقول له : ((انك أنت موضع أملي في مصر أيها السيد)) "١" .

ويبدو أن الماسونية كانت في تصور الأفغاني شيئا مثاليا ، ولكنه لاحظ أن القائمين عليها يستغلونها لأهدافهم الخاصة ، فالماسوني في رأيه يجب أن يتصف بالشجاعة وأن يعمل على هدم القديم وتشييد حرية صحيحة واخاء ومساواة ، يقول الأفغاني عن الماسونية : ((كنت أنتظر أن أسمع وأرى كل عجيبة وغريبة ، ولكن ماكنت لأتخيل أن الجبن يمكنه أن يدخل بين اسطوانتي المحافل الماسونية ، اذا لم تدخل الماسونية في سياسة الكون وفيها كل بناء حر واذا آلات البناء التي فيدها لم تستعمل لهدم القديم ولتشييد معالم حرية صحيحة واخاء ومساواة وتدك صروح الظلم والعتو والجور فلا حملت يد الأحرار مطرقة حجارة ولا قامت لبنايتهما زاوية قائمة ..)) "٢" .

ويعبر الأفغاني عن خيبة أمله في المحافل الماسونية التي كانت قائمة على الرغم من الشعارات البراقة التي كانت ترفعها ، بأن القائمين عليها

---

١) تراجم مشاهير الشرق ، تأليف جرجي زيدان ، ٢/٧٧ ، وانظر مذكراتي في نصف قرن ، لأحمد شفيق ١ / ١٠٩ ، وانظر الهلال ، السنة الخامسة ، الجزء الخامس عشر ، ابريل / نيسان ١٨٩٧م ، ص ٥٦٧ .

٢) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، تحقيق محمد عماره ص ٥٢١ ، (مقالة بعنوان " نقد الماسونية " وهي منقولة عن كتاب خاطرات جمال الدين الأفغاني) .

تسيطر عليهم الأنانية وحب الرئاسة والأهواء ، وأنهم لم يتورعوا عن استعمال التهديد والوعيد مع كل من يحاول نقدهم ، ويذكر الأفغاني أنه على الرغم من كونه ماسونيا لم يستطع أن يحدد مفهوما واضحا للماسونية أو وصفا دقيقا لمن يدخلها : ((أما نحن معشر الماسون فيؤلمني أنني للآن ماعرفت لنفسي بصفتي ماسونيا ولا لمطلق الماسونية تعريفا .. يجعل لها صورة في الذهن ، أو وصفا ينطبق على من ينخرط في تلك العشيرة ، وأول ما شوقني للعمل في بناية الأحرار عنوان كبير خطير (حرية أخاء مساواة) غرض منفعة الانسان ، وسعي وراء دك صروح الظلم وتشييد معالم العدل المطلق ، فحصل لي من كل هذا وصف للماسونية ، وهو همة للعمل وعزة نفس وشمم واحتقار الحياة في سبيل مقاومة من ظلم ، وهذا ما رضيته من الوصف للماسونية وارتضيته لها ، ولكن مع الأسف أرى أن جراثيم الأثرة والأنانية وحب الرياسة والعمل من جماعات بمقتضى أهوائهم ، وخضوعنا لشرق عن بعد سحيق يحتوره تهديد ووعيد وغير ذلك من الأمور التي ماتأسست الماسونية الحرة الا لملاشاتها ...)) "(1) .

وبدلا من هجر الماسونية ومهاجمتها وتحذير الناس من مغبة الوقوع في شركها أصرّ الأفغاني أن يبقى ماسونيا عاملا ، على الرغم من اعترافه بأنها عبارة عن رموز غير مفهومة وأنها من أساطير الأولين التي تخل بعقيدة الداخل فيها ، وأنها لا تزيد عن كونها أوامر من رئيس الى مرؤوس وشخص يأمر وآخر ينفذ وأنها جمع للمال ، يقول : ((دعوني أن أكون عاملا ماسونيا نزيها اذا لم يكن حرصا على شرف شخصيتي فخوفا من أن تعاب الماسونية بي ، فيتخذني غالأغيار سهما للطعن بها وهي براء منه ، وماذنب الماسونية الا أنها قبلتني بين أفرادها دون اختيار صحيح وأبقت عليّ من غير تبصر ؟ لا أرى بعدا عن الحق من هذا القول ، فالماسونية على شكلها هذا وتقاليدها ليست فقط قديمة العهد بل هي لم تزل في المهد ولسوف اذا أصرت وأصرّ أبناؤها على الوقوف عند حد رموز أكثرنا

---

(1) المرجع نفسه ص ٥٢١ .

لا يفقه معناها ولا المراد من وضعها أنها ستخلق في المهد ولا تدرج منه ، ماسونيتكم أيها الاخوان لا تتجاوز " كيس أعمال وقبول أخ " يتلى عليه من أساطير الأولين ما يمل ويخل في عقيدة الداخل ويسقط مكانة الماسونية في عينيه ، أنتم اليوم بين رئيس ومرؤوس ، تابع ومتبوع ، شرق يأمر ومستشرق يرضخ ، مال يجمع ، وجزية للشرف تؤدى ، وليس من عمل يدل على أدنى أثر من الحياة للماسونية في الشرق ...))"[1".

على أن خروج الأفغاني على المحفل الاسكتلندى وتأسيسه محفلا آخر تابعا للشرق الفرنساوى ، لم يرق قنصل انجلترا ، فاستغل القنصل ضعف توفيق وشكه فأوعز اليه بطرد الأفغاني الذى كان أمله في مصر."[2"

واذا كانت حقيقة الماسونية قد خفيت على الأفغاني ، على الرغم مما يتلى في محافلها من أساطير الأولين وعلى الرغم من أغلالها بعقيدة الداخل فيها ، فانه ظل على اتصال بها وداعية من دعاتها حتى بعد خروجه من مصر وعودته ثانية الى ايران ، حيث تمكن من نظم كثير من الأمراء والكبراء في ايران كما يقول الشيخ مصطفى عبد الرزاق في سلكها "[3" .

ولكن رشيد رضا تنبه الى خطرها وعدها مخالفة للاسلام من وجوه متعددة وأن الافرنج استعانوا بها للسيطرة على المسلمين اذ يقول :
((ثم ان الافرنج عندما تغلغلوا في الشرق ورأوا مزاج السيادة الاسلامية لا يقبل له مشاركا في حكمه ، فهو يجيش أنفعال المسلمين لنبذ سلطة كل من يحاول السيادة عليهم ، استعانوا بالماسونية على اضعاف هذا المزاج وتوسلوا الى بعض كبراء المسلمين وأغنيائهم بما توسلوا واستعانوا عليهم بنصارى بلادهم ويهودها)) "[4" .

---

١) المرجع نفسه ص ٥٢٢ .
٢) جمال الدين الأفغاني ، لمحمود أبو ديه ص ٩٥ .
٣) العروة الوثقى ، تأليف جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٠ م ، ص ٢٥ .
٤) المنار ، الجزء الخامس ، مايو / أيار ١٩٠٣م ص ١٩٦-١٩٧ .

وذكر رشيد رضا أن اليهود أسسوا الماسونية لازالة الظلم والاضطهاد الذى كانوا يلاقونه في أوروبا ، وأن غايتها اضعاف الرابطة الدينية واحلال الرابطة الوطنية محلها وازالة السلطة الدينية ، وأشار الى دور الماسونية في الثورة الفرنسية والانقلاب العثماني ، والحروب الأهلية في اسبانيا "١" .

ويظهر أن انغماس الأفغاني في السياسة وأخذه بمبدأ الحرية الذى نادت به الماسونية لم يتح له أن يتشدد مع تلاميذه ويربيهم تربية خلقية متينة فكان كثير من المسلمين منهم غير متدينين "٢" ، وكان توفيق أحد تلاميذ الأفغاني المقربين يقيم الحفلات الراقصة في قصره عندما كان وليا للعهد ، تقول الكاتبة الألمانية " لويز ميلباخ " في وصف حفلة أقامها توفيق ، وقد هالها مافيها ، ((حقا ان بمصر كل شيء ماعدا الأخلاق ، وماشأن الأخلاق في بلد يتصارحون فيه بما نتهامس به في أوروبا ...)) "٣"

واذا كان هذا وضع توفيق عندما كان وليا للعهد ، فلماذا كان الأفغاني يسعى الى توليته عند قناصل الدول ؟ فهل كان للأفغاني أطماع في مصر يريد أن يحققها عن طريق توفيق ؟ أم أنه كان يعد هذه التصرفات أمورا خاصة لادخل له فيها وأنها جزء من حرية توفيق الشخصية ؟! وهذا الموقف يتفق مع مبادئ الماسونية .

وكان الأفغاني أول من نادى بأن مصر للمصريين "٤" ، فجذب اليه هذا الشعار عددا من مريديه النصارى واليهود ، وهذا يعني أن الأفغاني أحلّ رابطة الوطن محلّ رابطة الدين ، والى جانب ذلك كان الأفغاني يؤمن

---

١) المنار ، الجزء الثالث ، مارس/ آذار ١٩١١ ، ص ١٧٩ - ١٨١ ،
وانظر المنار ، الجزء الأول يناير/ كانون ثاني ١٩١١ ، ص ٨٠

٢) الاسلام والتجديد ، تأليف تشارلز آدمز ، ترجمة عباس محمود ، مطبعة الاعتماد ، ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م ، هامش صفحة ١٠ ، ٩٥

٣) المستقبل ، السنة الأولى ، العدد ٤٩ ، ٢ نوفمبر / تشرين ثاني ١٩٢٨ ص ٩ - ١٠ .

٤) جمال الدين الأفغاني ، لمحمود أبو ريه ، ص ١٢٣ .

بوحدة الأديان الثلاثة واتفاقها وعدم تخالفها كما يبدو من قوله : ((وأما ما نراه من اختلاف أهل الأديان ، فهو صنع رؤساء بعض تلك الأديان الذين يتجرون بالدين)) "١" ، وهكذا أخذ بالشعار الثاني للماسونية وهو الاخاء .

أما بالنسبة للمرأة فقد جعلها شريكة للرجل "٢" ورأى أن دورها في تربية الأطفال على حب الوطن والصدق والعمل من أعظم واجباتها "٣" ، لكنه توقف فيما أثير عن حقوقها وحجابها ومساواتها بالرجل وذلك في قوله : ((أما أمر مساواة المرأة بالرجل والحجاب وهتكه وحقوق المرأة ... فقد قرع أذني مرارا وقرأت في هذا الموضوع مقالات ورسائل ولكن لا أكتمكم أنني لم أعثر في كل ذلك على مقال صريح أو تحديد لمطلب المساواة أو على بيان الغاية من هتك الحجاب أو الفائدة التي تترتب عليه ، وعندي أن لا مانع من السفور اذا لم يتخذ مطية للفجور ...)) "٤" .

فالأفغاني لا يبيح السفور طفرة وانما يدعو الى التأني على الرغم من اعترافه بأنه ليس هناك مايدعو اليه .

والحجاب في رأيه ستار اذا رفع طفرة ظهر من تحته شناعات الخلاعة والتبرج ، ويرى أن النساء لو اكتفين بمجرد السفور لما كان في الأمر مايحتاج الى أخذ ورد ، ولكنهن لا يقفن عند هذا الحد فللسفور متممات لا تظهر الا خارج البيت حيث تقلد المرأة الشرقية النساء الأوروبيات في تبرجهن واسرافهن في الخروج على الأخلاق الفاضلة ، ولهذا يرى أن بقاء المرأة في بيتها هو القاعدة . "٥"

---

١) الأعمال الكاملة لجمال الدين ، ص ٢٩٢ ، ومابعدها .
٢) المرجع نفسه ص ٢٩٢ .
٣) المرجع نفسه ص ٢٦٥ .
٤) المرجع نفسه ص ٢٧٩ .
٥) المرجع نفسه ص ٥٢٥- ٥٢٦ .

وأما المساواة بين المرأة والرجل فيرى أنها من حيث التكوين مستحيلة، ولهذا لا مناص أن تبقى المرأة كما هي امرأة والرجل رجلا ، وهذا التباين في تكوينها يؤدى الى وجوب اختلاف عملهما ، وكلا التكوينين من زائد وناقص لا يعد بالنظر الى الفطرة نقصا أو كمالا ، لأن الطبيعة أحكمت صنعها وأجادت في تكوينها . "١"

ويرى الأفغاني أن مشاركة المرأة للرجل في عمله خارج البيت تؤدى الى اهمال تربية الطفل وترك البيت دون تدبير ، وترك المرأة لبيتها وخروجها للعمل مع الرجل جنبا الى جنب امتهان لها وحط من قدرها وينزل بها الى درجات الابتذال ، وأن من يغريها بمزاحمة الرجل في شقائه ليس الا طائشا مغرورا ، لأن الخسارة التي تكون من وراء تركها المنزل وتدبيره والطفل وتربيته أعظم بكثير من تلك المنفعة . "٢"

على أن الأفغاني وان عدّ المرأة شريكة الرجل في الحياة ، وأنها سبب هنائه لم يتزوج في حياته كلها ، وقد عرض عليه السلطان عبد الحميد الزواج بجارية من جواريه ، فرفض واعتذر بأنه غير كفء لها ، وكان موقفه يدعو الى التساؤل والاستغراب ، فقد أجاب من نقل اليه رغبة السلطان في تزويجه بأنه سيقطع آلة التناسل اذا أكرهه السلطان على هذا الأمر ، وكان ذلك منه وهو يهاجم موقف أبي العلاء بقوله : ((اذ كيف يصح لعاقل أن يعتبر التأهل والازدواج جناية)) "٣" ، وقد علل الأفغاني عدم زواجه بقوله : ((... أما أنا فمعرفتي بما تتطلبه الحكمة الزوجية من معاني العدل وعجزي عن القيام بأمره دفعاني أن أتقي عدم العدل ببقائي عزبا)) "٤" .

ويبقى السؤال مطروحا لماذا لم يتزوج الأفغاني ؟

---

١) المرجع نفسه ص ٥٢٤ - ٥٢٥ .
٢) المرجع نفسه ص ٥٢٥ ، ٢٧٩ .
٣) المرجع نفسه ص ٥٣٠ - ٥٣١ ، ٢٦٥ .
٤) المرجع نفسه ص ٥٣١ .

واذا كان الأفغاني قد أجمل القول في قضايا المرأة اجمالا ، فان تلاميذه وتلاميذ تلاميذه توسعوا من بعده في هذا الموضوع .

- ٤ -

تطورت الأمور بعد طرد الأفغاني حيث انقسم تلاميذه الى مدافعين عن الوحدة الاسلامية عن شعور ديني كمحمد عبده وعبد الله النديم ، والى مفضلين للوحدة الوطنية عن الوحدة الدينية كالمهاجرين من نصارى الشام الذين تساهلوا في موقفهم من الأوربيين "١" ، على أن تلاميذ الأفغاني الذين كانوا يأملون خيرا في توفيق قد خاب أملهم ، لأنه لم يحقق رغبتهم في انشاء حكم نيابي "٢" ، وقبل المراقبة الثنائية ولم ينصف ضباط الجيش ، فطلب الجيش عزله ، فتدخلت انجلترا واحتلت البلاد عام ١٨٨٢ ، وحوكم زعماء الثورة ونفي أكثرهم الى سرنديب .

وحين احتل الانجليز مصر لم يضيعوا وقتهم بل عملوا منذ البداية على تثبيت الاحتلال وتوجيه كل مافي مصر لمصلحتهم ، واهتموا بنشر اللغة الانجليزية التي بدأت تنافس اللغتين العربية والفرنسية ، حتى أن كثيرا من المصالح الحكومية لم يكن يتعامل بالعربية "٣" ، واستمالوا الصحف الصادرة في مصر كالمقطم من أجل خدمة مصالحهم "٤" .

---

١) تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ، عبد المحسن طه بدر ، ص ٢٨ - ٢٩ .

٢) تاريخ مصر الحديث ، لجرجي زيدان ٢/٢٤٥ .

٣) حركة الترجمة بمصر ، جاك تاجر ، ص ١٢١ ، وانظر تيارات أدبية ، لابراهيم سلامة ص ٢١٧ .

٤) المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر ، أنور الجندى ، مطبعة الرسالة ، ١٩٦١م ص ٦٢ .

وضاعف الانجليز عدد المدارس الأجنبية مرات عديدة بالنسبة الى ماكانت عليه قبل الاحتلال ، فمثلا وفد الى مصر قبل الاحتلال خمس ارساليات كاثوليكية نسائية ، لكنها زادت بعد الاحتلال حتى بلغت ثماني عشرة ارسالية ، وكان لهيئة الفرير خمس مدارس ، فأصبح لها ثلاثون مدرسة بعد الاحتلال "١" ، وكان لهذه المدارس أثر سيء في توجيه أفكار الطلاب ،لأن مناهجها تمجد الأفكار الاستعمارية وتهتم بتاريخ بلادها ، هذا الى اهمالها اللغة العربية ، حتى أصبح تخرّج طلابا عاجزين عن الكتابة بها فضلا عن القراءة .

أما من الناحية الاجتماعية فان الانجليز شجعوا انتشار الخمارات، ومحلات البغاء ، ليس في المدن فحسب ، بل في القرى أيضا ، ووقف الأوروبيون ضد أى محاولة من جانب الحكومة المصرية لاغلاق الملاهي والمراقص مستغلين قوانين الامتيازات الأجنبية . "٢"

ولاحظ عبد الله النديم ماطرأ على العادات من تغيير ، فطالب المصريين بعدم الافتتان بالأجانب وعدم الاشتغال بتقليد المظاهر الأوروبية ، ورأى أنه لا يليق بهم القعود على المقاهي والخمارات ، وحذرهم من اتخاذ الأجانب لهم وسيلة لتنفيذ مآربهم ودعاهم الى الوحدة الوطنية "٣" ، وهو يرى أن الأمر قد ساء حتى ((صرنا الى زمان فتحت فيه المواخير في الشوارع بلا نكران ، وصارت مجامع الوجهاء والأعيان ، وعمّ

---

١) تاريخ التعليم الأجنبي في مصر ص ١١٢ - ١١٣ .

٢) مذكرات محمد فريد ، القسم الأول ،حققه وقدّم له رؤوف عباس حامد ، مطبعة الجبلاوى ، الناشر : عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ٢١٠ ، وانظر الهلال ، السنة الثانية ،الجزء الثالث والعشرون ، أغسطس / آب ١٨٩٤ م ص ٧٢٩ .

٣) سلافة النديم في منتخبات عبد الله النديم ، جمع شقيقه عبد الفتاح النديم ، مطبعة هندية بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٢٢ - ١٩١٤ م ١/ ٨٠ - ٨٢ .

الأمر حتى شربها النساء والأولاد ، وقد تنقلت من المدن الى الأرياف ، واجتمع عليها مشايخ القرى والعمد والأجلاف)) "١" ، وكلما زاد تهالك الناس في مصر على الخمور واصلت أوروبا ارسالياتها ، ووجدت المومسات في مصر سوقا رائجة فارتحلن من أوروبا اليها .

وحمّل النديم أوروبا مسئولية انتشار الموبقات في مصر ، فقد كانت النساء محافظات ، وكان المسلمون لا يعرفون الخمر ، وحتى اليهود والنصارى في مصر ماكانوا يشربونها الا في الأعياد ، وأن الحكومات الشرقية كانت تعاقب البغايا ، وتحافظ على الآداب الشرعية ، وظلّ الأمر كذلك حتى أدخل الأوروبيون معهم نظام البغاء ، فافسدوا أخلاق النساء والرجال ، وأصبحت لدى النساء الجرأة على الخروج من البيوت ، وشرب الخمرة فزاد التهتك ، ثم ترقى الفجور فصارت النساء تحضر مجالس اللهو وتشرب الخمور في المواخير. "٢"

والواقع أن هذا الداء عمّ وانتشر وظل ينخر في المجتمع المصرى مدة طويلة من الزمن ، وقد تناولت الصحف هذا الموضوع وحذّرت من مخاطره ، وعدته بعض المجلات جناية من أوروبا على نفسها وعلى العالم "٣" ، وطالب الاتحاد النسائي المصري فيما بعد بتطهير البلاد منه "٤" .

وتنبه عبد الله النديم كذلك الى خطورة الدور الذى تلعبه المدارس الأجنبية ، فحث على انشاء مدارس وطنية ، يقول : ((أفلا يحسن في أعينكم أن تفتحوا مدارس لأبنائكم ، تهذبونهم فيها وتعلمونهم وتحولون بينهم

---

١) سلافة النديم ١/٨٤ ، ٦٦ .
٢) الأستاذ ، السنة الأولى ، ١٧ يناير / كانون ثاني ١٨٩٣ م ، ص ٧٧٩ - ٧٨٥ .
٣) المنار ، الجزء السابع ، سبتمبر / ايلول ١٩٠٧ م ص ١٥٣ - ١٥٦ .
٤) المرأة الحديثة وكيف نسوسها ، تأليف عبد الله حسين المحامي ، الطبعة الثانية ، المطبعة العصرية ص ١٥٢ .

وبين الوجهة الأوروبية ، تداركوهم قبل أن تفقدوهم ، عرّفوهم أنكم آباؤهم قبل أن يتكروكم ، لقنوهم ما أنتم عليه من الدين قبل أن يخالفوكم ، حفظوهم تاريخ بلادكم وأجدادكم قبل أن يجهلوكم ، ردّوهم الى الوطنية قبل أن يحملوا سلاح العداوة ليتقربوا بدمائكم الى من ربّوهم)) "١" ، ولم تعجب مواقف النديم هذه " اللورد كرومر " ، فسعى لدى الخديوى عباس الثاني ، لينفيه من مصر. "٢"

وكثرت المدارس الأجنبية في مصر وتعددت اتجاهاتها باختلاف أخلاق أصحابها ومعتقداتهم ، فهناك مدارس للفرير ، وأخرى للجزويت ، وثالثة للأمريكان ، ورابعة للانجليز وغيرهم ، وهؤلاء الأجانب لهم قيمهم وأهدافهم التي يزرعونها في نفوس الطالبات ، ((فهم يعلّمون الفتاة قبل كل شيء أن تحتقر مبادىء قومها وترفض معتقداتهم فتخرج من المدرسة ، وهي الى الدين المسيحي أقرب منها الى الاسلام والى الأخلاق والعادات الانجليزية أو الفرنسية ... أقرب منها الى الأخلاق والعادات العربية الاسلامية ، فاذا رأت أمها تلبس " الحبرة والبرقع " هزأت بها وضحكت منها ، لأنها لم تلبس قبعة ولم تخرج بلا نقاب ....)) "٣" .

هذا مع اهمال المدارس تعليم مايؤهل الفتاة ، كي تكون زوجة وأما ، ومع التركيز على تعليمهن الموسيقى ، لذا كانت هذه المدارس من أعوان الزمان على هدم الأمة وافساد أخلاق بناتها وبنيها ، فدعا بعضهم كما دعا النديم الى أخذ زمام المبادرة من أيدى المدارس الأجنبية بتأسيس المدارس الأهلية وتأليف الكتب المناسبة. "٤"

---

١) سلافة النديم ٢ / ٧٨ .
٢) المحافظة والتجديد ، لأنور الجندى ص ٨٦ .
٣) مجلة المجلات العربية ، السنة السابعة ، العدد الأول ، يناير / كانون ثاني ١٩٠٧ م ص ٣٦ .
٤) المرجع نفسه ص ٣٦ - ٤٠ .

ويبدو أن الأجانب لم يسيطروا على التعليم فحسب ، بل تعدى الأمر الى سيطرة المربيات الأوروبيات على بيوت الأعيان ، وربما كنّ قبل ذلك من الساقطات أو العاملات في الملاهي "١" .

وأدى اهمال اللغة العربية في بعض المدارس الأجنبية ببعض المجلات أن تعلن عن استعدادها لترجمة مايصلها من القارئات لعدم قدرتهن على الكتابة بالعربية ، تقول مجلة " فتاة الشرق " : ((ومن المعلوم أن أكثر سيدات الشرق يتعلمن في مدارس أجنبية ، فيذخرن منها العلوم ، ويبقينهن في صدورهن لجهلهن العربية ، لذلك فان " فتاة الشرق " تعلمهن أنها مستعدة لخدمتهن ، ونشر مايرد منهن من الرسائل بعد تصحيحها أو ترجمتها ، بحيث تستفيد الأمة من مدخرات آدابهن المدفونة)) "٢" ، وقد تنبه كثيرون لخطر انتشار اللغات الأجنبية ، فدعوا الى ضرورة اتقان اللغة العربية قبل تعلّم اللغات الأخرى ، حتى لا تكتفي الفتيات باللغات الأجنبية التي تعد عندهن لغات التمدن "٣" .

ونهجت مدارس أخرى طريقا يفضي بها الى القضاء على المشاعر الدينية ، فكان بعض خريجي هذه المدارس يعد ترك الصلاة تقدما ورقيا ، ويعد المحافظة عليها من الخرافات ، بل قد يترقى به الحال الى أن يعتقد أن الدين حجرعثرة في طريق المدنية والأخلاق الفاضلة . "٤"

وعندما لاحظ القائمون على هذه المدارس صعوبة تنصير أبناء المسلمين اتجهوا نحو التعليم العلماني الذى يلائم حاجات العصر ويخلصهم على حد تعبير مجلة " فتاة الشرق " من التعصب الذميم . "٥"

---

١) انظر كتاب حاضر المصريين أو سر تأخرهم ، تأليف محمد عمر ، مطبعة المقتطف ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ ، ص ٢٠ - ٢٦ .

٢) فتاة الشرق ، السنة الأولى ، الجزء الرابع ، ١٥ يناير / كانون ثاني ١٩٠٧ ص ١١٣ .

٣) المرأة في الاسلام ، السنة الأولى ، العدد الرابع عشر ، نوفمبر / تشرين ثاني ، ١٩٠١ ص ٢٠٩ - ٢١٢ .

٤) مجلة الحقائق ، دمشق ، الجزء التاسع ، ابريل/مايو/ نيسان أيار ١٩١١ ص ٣٣٣ .

٥) فتاة الشرق ، السنة الخامسة ، الجزء الثاني ، ١٥ نوفمبر/ تشرين ثاني ١٩١٠ ص ١٦٥ - ١٦٧ .

ويبدو أن هذا النمط من المدارس وخاصة الأمريكية لقيت تشجيعا كبيرا ، فقد زار " روزفلت " الذى كان رئيسا للولايات المتحدة كلية البنات الأمريكية في القاهرة ، وانتقد عدم جلوس الطالبات في صدر القاعة ، ودعا طالبات المدرسة أن يقتدين بنساء المبشرين ، ونعى على المسلمين تعصبهم - على حد تعبيره - ودعا الفتيات أن يقمن بدور فعال في الهيئة الاجتماعية "١" .

وكان تأثير المدارس الأجنبية كبيرا بين نساء الأغنياء خاصة ممن أتقن في هذه المدارس اللغات الأجنبية والعزف والرقص ، وقلدن الأفرنجيات في الأزياء ولعب القمار . "٢"

والواقع أن الشكوى من المدارس الأجنبية بدأت في وقت مبكر ، خصوصا مايتعلق باهمال المدارس الأجنبية اعداد الفتاة لمستقبل حياتها ، فقد لاحظت مجلة اللطائف أن هذه المدارس تسعى الى هدم القواعد التي تعلمتها الفتاة في بيتها دون أن تقدم لها شيئا يتعلق بتدبير شئون المنزل والاقتصاد وفن الطبخ والقواعد الصحية "٣" ، كما لاحظ المويلحي أنها تخرج أجيالا فقدت صلتها بالدين ، واقتصرت بضاعتها على ماتلقته في المدارس من العلوم الآلية والفنون الصناعية دون أدنى اهتمام بالتربية النفسانية والفضائل الدينية ، ورأى أن هذه المدارس أصابت الآباء في أبنائهم ولم يزدهم تعليمهم في هذه المدارس الا وقاحة وكبرياء . "٤"

وانما أطلنا الحديث عن المدارس الأجنبية ، لأن هذه المدارس بما كانت تزوّد به الطالبات من ثقافة قد أثّرت تأثيرا كبيرا على اتجاه النساء ، وأسرعت في اخراج المرأة من بيتها لتقذف بها في لجّ الحياة ، ثم ان خريجات هذه المدارس ربين فيما بعد أجيالا تقبلت الحضارة الأوروبية

---

١) المحيط ، السنة الثامنة ، الجزء الخامس ، يوليو/ تموز ١٩١٠ ، ص ٢٢٠ - ٢٢٦ .

٢) الجامعة ، السنة الخامسة ، الجزء السابع ، سبتمبر/ أيلول ١٩٠٧ ص ٤٥٣ - ٤٥٥ .

٣) اللطائف ، السنة الثانية ، الجزء العاشر ، فبراير/ شباط ١٨٨٨م ص ٤٣٣ - ٤٣٨ .

٤) انظر حديث عيسى بن هشام ، ص ١٦٤ - ١٦٦ ، ١٨٩ .

بسيئاتها قبل حسناتها ، وحتى نتصور المثل العليا التي كانت تقدمهـــا المدارس لطالباتها ننقل بايجاز الصورة التي رسمتها " المقتطف " للاحتفال الذى أقامته مدرسة البنات الانجيلية الأمريكية بمناسبة منح الشهادات للمنتهيات من تلميذاتها اذ تقول : ((... ومن أبدع ماجرى في هذا الاحتفـــال باللغة الانجليزية ، أن المنتهيات مثلن شهيرات النساء في كل العصور ، فمثلت احداهن الملكة " فكتوريا " والثانية "جان دارك " والثالثة ملكـــة اليابان " أستير " ... والسابعة " كليوبتره " ثم تغنت الطالبات أغنيـــة مطربه وانصرفن)) . "١"

واذا كنا نعد المدارس الأجنبية مسئولة الى حد كبير عما أصاب القيم الاجتماعية من تغيير ، لتصبح قريبة من القيم السائدة في الغرب عند طبقـــة الأغنياء والأعيان ، فان المجلات والصحف كان لها دور كذلك لا يقل عـــن دور تلك المدارس ، حيث أكثرت من تسليط الأضواء على المرأة الغربيـــة ، وجعلتها المثل الأعلى للمرأة المسلمة ولم تشر ولو اشارات طفيفة الى الاحترام الذى تمتعت به المرأة المسلمة في عهودها الأولى ، خذ مثلا مجلـــــة " الجنان " اذ تقول عما وصلت اليه المرأة الغربية من تقدم في ظـــل الحضارة الأوروبية : ((ولما أشرق نور التمدن في ممالك أوروبا ... سلـــك الرجال باعطاء الاكرام الواجب للجنس النسائي ... الى درجة لا يكـــون معها تمييز لهن عن الرجال حتى في الجلوس على التخوت الملوكية ..)) "٢".

واهتمت كثير من المجلات بالمرأة الأمريكية ، وأشادت بفائدة التعليم المختلط الذى طبقته بعض الولايات الأمريكية في مدارسها "٣" ، ودعـت بعضها الى اعطاء المرأة حقها في الانتخابات السياسية والوظائف العامة

---

١) المقتطف ، الجزء الثالث ، مارس / آذار ١٩٠٣م ص ٢٧٣-٢٧٤

٢) الجنان ، الجزء الثالث عشر ، تموز / يوليو ١٨٧٠م ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

٣) المقتطف ، السنة الخامسة ، الجزء الثالث ، أغسطس / آب ١٨٨٠ ص ٧٤ - ٧٥ .

أسوة بالنساء في احدى الولايات المتحدة الأمريكية ، مع أن الرجل في الشرق لم يكن قد حصل على شيء من حقوقه السياسية بعد ، وربما كان أسوأ حظا من المرأة "١" .

واهتمت مجلات أخرى بنشر أخبار المغنيات في أوروبا وأمريكا والثروات الطائلة التي يجمعنها عن طريق هذه المهنة "٢" .

وعنيت مجلة اللطائف بتقديم احصاءات عن أعمال النساء في الولايات المتحدة ، فذكرت أن هناك ((مليونين من النساء تأكل خبزها بعرق جبينها ، منهن : ستمائة ألف يعملن في الزراعة ولا سيما حقول القطن ، وستمائة وأربعون ألفا في المعامل ، وثلاثمائة وخمسون ألف غسالة ..)) "٣" ، وذكرت نفس المجلة خبرا عنوانه " حكومة النساء " ، قالت فيه : ((تولت النساء هذه السنة حكومة مدينة " ستكتون " في ولاية " كنساس " فكانت الحاكمة وكل أعضاء الشورى سيدات لا رجل بينهن)) "٤" .

ان هذا الاعجاب بالمرأة الأمريكية في هذه المجلات ، يعني أن تنظر المرأة في مصر حولها فلا تجد شيئا من ذلك ، والنتيجة ، أن تصبح المرأة الأمريكية مثلها الأعلى ، أليست تأكل خبزها بعرق جبينها ؟ أليست تكسب الثروات الطائلة من وراء الغناء ؟ مما جعل مجلة أنيس الجليسي تطلق على " مرغريت برنت " أول أمريكية طالبت بحقوق النساء لقب " الجدة الكريمة " "٥" .

وهكذا أصبح الاستشهاد بأحوال النساء في أمريكا وأوروبا قاعدة متبعة لدى المجلات اذا عرضت لموضوع حقوق المرأة أو عملها أو تعليمها ، وأشارت

---

١) مجلة العصر الجديد ، السنة الأولى ، العدد الثالث عشر ١٨٨٠ ص ٤ .
٢) الانسان ، السنة الأولى ، العدد العاشر ، ١٥ ذى الحجة ١٣٠١ ص ٢٣٠ .
٣) اللطائف ، السنة الثانية ، الجزء العاشر ، فبراير/ شباط ١٨٨٨ ص ٤٧٦
٤) المرجع نفسه ص ٤٧٦ .
٥) أنيس الجليس ، السنة الأولى ، الجزء الثامن ، ٣١ أغسطس / آب ١٨٩٨م ص ٢٤٢ .

الهلال موضوع حقوق النساء في مقال بعنوان ((هل للنساء أن يطلبن كل حقوق الرجال؟)) ، ويرى الكاتب أن هذا الأمر من حق النساء، ولكن بعد القيام بأعمال الرجال ، فتساوي الأعمال يقتضي تساوي الحقوق ، ثم يضيف : ((ولا حاجة بنا الى البرهان البعيد ، بل يمكننا النظر الى نساء عصرنا الحاضر بأمريكا وأوروبا ، وفيهن الطبيبة والمحامية والمحررة والمخترعة ، ومن تعاطين المصالح العامة وغير ذلك من الأعمال التي نظنها تختص بالرجال فقط)) "١" ، ومن المجلات من استشهدت بأحوال المرأة الفرعونية اذا اقتضى الأمر "٢" .

ثم ان المجلات بقيت فترة طويلة تكتب عن المرأة وحقوقها ومساواتها بالرجل ، دون أن تصرّح بوجوب تقليد الغربيين حتى ظهرت مجلة " أنيس الجليس " التي أصدرتها " الكسندرة أفرينو " فدعت الى الأخذ بالطريقة الأوروبية في معاملة المرأة وتطبيقها في الشرق ، فقالت : ((وهذه السياسة وهي السير بالمرأة مع الحال الحاضرة انما هي السياسة التي نتقاضاها الآن في بلادنا ، ونطلب تدبير المرأة على موجبها ، فنحن قد عرفنا عن أوروبا التي هي قدوة الدنيا وقائدتها أنها كانت مثلنا ، وكان الرجل والمرأة فيها كلاهما بأقصى درجات الجهل والبداوة ، بحيث كانا والبهائم سواء ، ولكن لما أخذ الرجل يرتقي ويتعلم شرع يشارك المرأة في علمه وعمله وتعلمت منه ماعلم ... أما نحن أبناء الشرق فالمرأة عندنا عبء ثقيل ، وهي عالة على الرجل ، اذ لا تشاركه في شئون الحياة بسوى أنها تلد ... فهي بذلك والحيوان سواء)) "٣" .

ولو حاولنا أن نتصفح أكثر المجلات والصحف الداعية الى تقليد المرأة

---

١) الهلال ، السنة الثانية ، الجزء العاشر ، يناير / كانون ثاني ١٨٩٤م ص ٣٠٤ - ٣٠٦ .

٢) المقتطف ، السنة السادسة ، الجزء التاسع ، فبراير / شباط ١٨٨٢م ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

٣) أنيس الجليس ، السنة الأولى ، الجزء الأول ، ٣١ يناير / كانون ثاني ١٨٩٨م ص ٩ .

المسلمة المصرية للافرنجية لما عثرنا على سبب واضح سوى حب التقليد ، فالمرأة الشرقية في منزلة الحيوانات ، لأنها لا تقلد المرأة الأوروبية التي هي قائدة الدنيا وقدوتها ؟ والمرأة التي تقوم بواجباتها نحو أسرتها عالة على الرجل .

— ٥ —

ذكرنا أن هناك عوامل كثيرة كان لها تأثير كبير على التطور الذى أصاب القيم المتعلقة بالمرأة ، ومن هذه العوامل " صالون الأميرة نازلي فاضل " والواقع أن سبب اهتمامنا بنازلي فاضل وصالونها يعود الى العلاقات القوية ، التي ربطتها بجمال الدين الأفغاني وتلاميذه ، فقد كانت خليفة الأفغاني في الجمع بين تلاميذه ، لتكون منهم مدرسة كبيرة ، سيكون لها شأن كبير في التأثير على سير الأحداث في مصر من ناحية ، وعلى قضايا المرأة من ناحية أخرى ، وكانت نازلي فاضل أول امرأة شرقية تجالس الرجال سافرة ، وهي بنت مصطفى فاضل أخي اسماعيل وولي عهده ، غير أن اسماعيل كما قدمنا سعى لدى السلطان حتى جعل وراثة العرش لأكبر أبنائه وبذلك حرم أخاه من هذه الوراثة "١" ، فانضم الى الأحرار العثمانيين نكاية في السلطان ، وانفق عليهم بسخاء حتى سمي أبا الأحرار ، وكان مصطفى فاضل قد اهتم بتربية ابنته نازلي ، فدرست على أيدى جماعة من الأساتذة الأوروبيين ، ولما رافقت والدها الى الأستانة أعجب بها " مراد " ولي عهد السلطنة فمنعه عمه السلطان عبد المجيد من الاقتران بها ، لأن التقاليد كانت تمنع السلاطين وأولياء عهودهم الزواج الا من الجوارى .

---

١) علاقات مصر بتركيا في عهد الخديوى اسماعيل ، لأحمد عبد الرحيم مصطفى ص ٥٨ .

فتزوجت نازلي من خليل باشا وزير خارجية السلطان ، الذى عيّن بعد ذلك سفيرا للدولة العثمانية في بعض العواصم الأوروبية "١" ، وكانت نازلي تتقن الانجليزية والفرنسية والألمانية والتركية الى جانب العربية "٢" ، فأفسحت لها الصالونات الأوروبية في مجالسها والتقت من خلالها بكبار رجال السياسة "٣" ، ولكن موت زوجها وافلاس والدها الذى كان يقيم في باريس ، جعلاها تعود الى مصر في عهد الخديوى توفيق ، وكان الأفغاني ما يزال موجودا ، وبعودتها الى مصر نقلت معها فكرة الصالونات المختلطة ، حيث فتحت صالونها لرجال السياسة والوزراء وكبار القوم ، وأفسحت كذلك المجال للأفغاني وتلاميذه أمثال محمد عبده ، سعد زغلول ، فتحي زغلول ، محمد ابراهيم المويلحي ، أديب اسحاق ، وسعيد البستاني وغيرهم "٤" ، مما دعا مجلة " فتاة الشرق" أن تطلق عليها لقب زعيمة حزب السفور " "٥" .

ومما يؤيد صلتها بالأفغاني أن محمد عبده بعث برسالة الى الأفغاني ، وهو في الأستانه يسأله فيها عما اذا كانت موجودة في الأستانة أم لا ، وكان الأفغاني يسعى لدى السلطان كي يمنحها وساما ، فردّ الأفغاني على محمد عبده بقوله : ((وأما تمثال الكمال والجمال حضرة " البرنسس " التي لها من قلبي المنزل الأسنى والمقام الأبهى ، فلا أعلم من أمرها شيئا)) "٦" .

---

١) المصرية ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، أول ابريل / نيسان ١٩٣٧ ص ٧ .

٢) انظر فتاة الشرق ، السنة الثامنة ، الجزء الرابع ، يناير / كانون ثاني ١٩١٤م ، ص ١٥١

٣) المقتطف ، يونيو / حزيران ١٩٣٧م ص ٢٩ - ٣٠ ، وانظر المصرية ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، أول ابريل / نيسان ١٩٣٧م ص ٧

٤) مذكرات قليني فهمي ١٣١/١ ، وانظر المصرية ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، أول ابريل / نيسان ١٩٣٧م ص ٨ .

٥) فتاة الشرق ، السنة الثامنة ، الجزء الرابع ، يناير / كانون ثاني ١٩١٤م ص ١٥١

٦) تاريخ الأستاذ الامام محمد عبده ، تأليف رشيد رضا ، الطبعة الأولى ، مطبعة المنار ، ١٣٥٠هـ ١٩٣١م ، ٨٩٧/١ .

ويبدو أن نازلي فاضل كانت مولعة بالسياسة ، وهذا وجه الشبه بينها وبين الأفغاني ، كما قال الشيخ محمد عبده في حديث له مع رشيد رضا : ((فاشتغال هذه المرأة بالسياسة كاشتغال السيد جمال الدين بها . .))[١]

ولم يطل الوقت بالأفغاني اذ سرعان ما طرده الخديوي توفيق من مصر ، ولكن تلاميذه ظلوا على صلة بنازلي ، وفي هذه الأثناء قام عرابي يطالب بتصحيح الأوضاع فاشترك محمد عبده في صياغة مبادئ الحزب الوطني بمساعدة المستشرق " بلنت " ، وقد وصف هذا الحزب نفسه بأنه حزب سياسي لاديني[٢] ، وعندما هزم الجيش المصري

---

١) المرجع نفسه ١/٨٩٥ .

٢) الأعمال الكاملة لمحمد عبده جمع وتحقيق محمد عماره ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٢ م ، (١/٣٦٧ - ٣٧٠ . والواقع أن هذا الوصف للحزب الوطني في البيان الذى شارك محمد عبده في صياغته يوافق مبادئ الماسونية التي كان محمد عبده أحد أتباعها ضمن المحفل الذى أسسه الأفغاني ، حتى أن رشيد رضا في مقالة له في المنار لا ينكر أن محمد عبده كان عضوا فيها ، لكنه يذكر أنه تركها بعد عودته من المنفى لا لأنه عرف حقيقتها بل لأنه اعتقد أن عملها في البلاد انتهى ، وهو مقاومة سلطة الملوك والبابوات الذين كانوا يحاربون العلم والحرية ، وهو عمل عظيم كان ركنا من أركان ارتقاء أوروبا ، ويذكر رشيد رضا أن محمد عبده أخبره أن دخولها مع السيد كان لغرض سياسي اجتماعي وأنه لن يعود اليها لأنها ابتذلت ابتذالا لم يكن من قبل .

انظر المنار ، الجزء الحادى عشر ، ٢ أغسطس / آب ١٩٠٥ م ص ٤٠١ - ٤٠٣ . ولمزيد من المعلومات عن الماسونية راجع الماسونية تأليف : محمد علي الزعبي ، وكتاب أسوار الماسونية ، تأليف: جواد رفعت أتلخان ، ترجمة نور الدين رضا الواعظ ، وسليمان محمد أمين القابلي ، وكتاب أحجار على رقعة الشطرنج تأليف : وليم غاى كار ترجمة سعيد جزائرلي .

نفي زعماء الثورة مدى الحياة ، ونفي محمد عبده ثلاث سنوات الـى بيروت "١" ، وفيها كان يعقد دروسا دينية في التفسير يحضرها بعض اليهود والنصارى الى جانب المسلمين ، وكان بعض قسس الكنائس في بيروت يعرضون عليه مواعظهم ، ولقي هناك البهاء عباس زعيم البهائية فكان يحتفي به "٢" ، ومن بيروت ارتحل محمد عبده الى باريس ، حيث أصدر مع أستاذه الأفغاني مجلة " العروة الوثقى " ، ولكنه عاد ثانية الى بيروت ، وظل فيها حتى عام ١٨٨٨م ، وفي هذه الأثناء وطّد اللورد " كرومر " أقدامه في مصر وصار من رواد صالون نازلي فاضل "٣" ، وكان سعد زغلول وكيلا لها "٤" .

وقد ظل سعد على اتصال بمحمد عبده أثناء نفيه ، فذكر أستاذه في مجلس نازلي فاضل التي كانت مقبولة الرجاء عند كرومر ، فضغط على الخديوي توفيق وأرغمه أن يصدر عفوا عن محمد عبده على الرغم من اتهامه للخديوي توفيق بالخيانة أثناء نفيه "٥" .

واشترط الانجليز على الشيخ محمد عبده ألا يشتغل بالسياسة ، لذا عندما عاد من المنفى أصدر تصريحا لعن فيه السياسة "٦" ، ثم عمل على تقريب

---

١) الامام محمد عبده ، تأليف عبد الحليم الجندى ، سلسلة أعلام الاسلام ، دار المعارف بمصر ص ٢٣ - ٢٥ .
٢) المرجع نفسه ص ٤٤ . وأنظر كتاب الاسلام والحضارة الغربية ، تأليف دكتور محمد محمد حسين ص ٩٨ - ١٠٠ .
٣) انظر كتاب سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية ، تأليف عبد الخالق لاشين ، دار المعارف بمصر ١٩٧١م ص ٣٥ ، ينقل المؤلف عن مذكرات محمد فريد أن نازلي فاضل : ((كان لها شغف بالضباط الانجليز ، وكانت تحيى ليالي موسيقية في دارها وتكثر من شرب الخمر)) .
٤) انظر مذكرات محمد فريد ، القسم الأول ص ١٢٨ .
٥) زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، لأحمد أمين ص ٣٣٦ .
٦) المحافظة والتجديد في النثر المعاصر ، لأنور الجندى ص ٤٦ . وانظر تاريخ الأستاذ الامام ١/٨٩٥ .

الشريعة الاسلامية وتطويعها كي تتقبل الحضارة الأوروبية عندما صار في منصب الافتاء .

وقد أشار اللورد كرومر الى الفتوى التي أجاز المفتي بموجبها للمسلمين تثمير أموالهم في صناديق التوفير ، وجعل الدور الذى قام به محمد عبده في مصر شبيها بدور " السير احمد خان " في الهند "١" ، اذ كان يرى عدم استقلال الهند عن الانجليز الا بعد العلم بكل شيء أتت به المدنية الحديثة ، والواقع أن محمد عبده كان مقلدا لأحمد خان وكان ينوى تأسيس مدرسة للقضاء شبيهة بمدرسة العلوم في " عليكرة " تلك المدرسة التي أنشأها أحمد خان ، ولم يكتب لمحمد عبده أن ينفذ رغبته في حياته ، فنفذها تلميذه سعد زغلول الذى أسس مدرسة القضاء الشرعي عام ١٩٠٧ ، على الرغم من اعتراض الخديوى عباس الثاني وكثير من علماء الأزهر .

ونظرا لمواقف الشيخ محمد عبده وتلاميذه غير المتشددة من الانجليز ، وجدوا كل تشجيع من اللورد كرومر الذى كان يرى أنهم حقيقيون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوروبيين . "٢"

ويمكننا القول أن الشيخ محمد عبده وتلاميذه انتهجوا بعد الاحتلال الانجليزى لأنفسهم منهجا لا يتعارض مع السياسة الانجليزية ولا يهدد مصالحها، فوجهوا عنايتهم الى الاهتمام بالقضايا غير السياسية ، وبذلك خالفوا منهج الأفغاني .

ويبدو أن جلوسه في مجالس مختلطة أثر على سمعته ، فنشرت بعض الجرائد صورة وقحة له أثارت دهشة الجمهور ، وكانت سببا في قضية جنائية ، كذلك نشرت له صورة أخرى ، وهو واقف مع امرأة في ثياب الرقص ، وحصل بعض خصومه على صورة شمسية له مع بعض نساء الأفرنج . "٣" ويبدو

---

١) المنار ، الجزء الرابع ، مايو / أيار ١٩٠٦ م ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .
وانظر زعماء الاصلاح في العصر الحديث ص ١٢٩ ، ١٣٣ .
٢) المنار، الجزء الرابع ، مايو/ أيار ١٩٠٦ م ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .
٣) مذكرات أحمد شفيق ٢ / ٤٠ .

أن النساء كانت تحضر مجلس الشيخ أحيانا ، فقد ذكر اللورد كرومر في معرض دفاعه عنه ، ((ان الأستاذ يزورنا هنا وتحضر مجلسه " ليدى كرومر " وغيرها من عقائلنا ، فهل يصح أن نعد هذا اهانة له أو لنا)) "[١]

ولو عدنا نبحث في مؤلفات محمد عبده ومقالاته ، لوجدنا أنه كتب أكثرها بعد تتلمذه على الأفغاني وأثناء عمله في الوقائع المصرية ، وأنه تناول في مقالاته الزواج وتعدد الزوجات والطلاق ، وتناولها بطريقة مخالفة لآراء معاصريه ، وسنجد قاسم أمين يتأثر به ، ويضمن كتابه تحرير المرأة بعض مقالاته بأكملها .

كتب محمد عبده مقالة عن الزواج ، بدأها بالاعتراض على التعريف الذى وضعه الفقهاء للزواج ، ورأى ان هذا التعريف يوحي بأن رابطة الزواج ليست غير التمتع بقضاء الشهوة الجسدية ، لأنه لا يشير الى واجبات الزوجين الأدبية ، فهو تعريف ناقص لا يفي بتوضيح العلاقة التي ينبغي أن تكون بين الزوجين ، وحتى تتصف العلاقة الزوجية بالمودة ، يقترح محمد عبده على الزوجين ألا يقدما على الزواج الا بعد التأكد من ميل كل منهما للآخر . "[٢]

وحتى تستطيع المرأة أن تشارك برأيها في اختيار زوجها عن روية وتفكير واقتناع ، يقترح أن تتعلم المرأة ، لأنها اذا تعلمت وشعرت بقيمة نفسها ، عند ذلك يكون الزواج الواسطة الطبيعية لتحقيق سعادة الرجل والمرأة معا ، وتؤسس الزوجية على انجذاب شخصين يحب أحدهما الآخر ، فتنتخب المرأة من بين الرجال ، من تحبه وتميل اليه . "[٣]

---

١) المرجع نفسه ٢/٣٩ .

٢) الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده ، جمعها وحققها محمد عماره ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٢م ، ٢/٧٢ .
ويرى المحقق أن الفصل الذى كتبه قاسم أمين عن الزواج في كتابه " تحرير المرأة " هو من انشاء محمد عبده .

٣) المرجع نفسه ٢/٧٣ - ٧٦ .

أما بالنسبة لموقف محمد عبده من تعدد الزوجات ، فهو يرى أن الشريعة أباحت للرجل الاقتران بأربع نسوة ، ان علم من نفسه القدرة على العدل بينهن ، والا فلا يجوز الاقتران بغير واحدة ، وعنده أنه لا يجوز الجمع بين الزوجات عند توهم عدم القدرة على العدل ، ((فكيف يسوغ لنا الجمع بين نسوة لا يحملنا على جمعهن الا قضاء شهوة فانية ، واستحصال لذة وقتية غير مبالين بما ينشأ عن ذلك من المفاسد ومخالفة الشرع)) "١" .

ويحدد الشيخ محمد عبده موقفه من التعدد في مكان آخر في معرض رده على سؤال عن موقف الاسلام من التعدد وعن جواز ابطال هذه العادة ، ويمكن تلخيص اجابته فيما يلي : ((فاذا كان العدل غير مستطاع ، والخوف من العدل يوجب الاقتصار على الواحدة ، فما أعظم الحرج في الزيادة عليها ، فالاسلام قد خفف الاكثار من الزوجات ، ووقف عند الأربعة ، ثم انه شدد الأمر على المكثرين الى حد لو عقلوه لما زاد واحد منهم على الواحدة ...)) "٢" .

ويرى محمد عبده أنه يجوز للحاكم أو القائم على الشرع أن يبطل عادة التعدد ، لأن شروط التعدد هو التحقق من العدل ، وهذا الشرط مفقود حتما ، فان وجد في واحد في المليون فلا يصح أن يتخذ قاعدة ، ومتى غلب الفساد على النفوس ، وصار من المرجح أن لا يعدل الرجال في زوجاتهم جاز للحاكم أن يمنع التعدد ، أو للعالم أن يمنع التعدد مطلقا مراعاة للأغلب ... وبالجملة يجوز الحجر على الأزواج عموما أن يتزوجوا غير واحدة الا لضرورة تثبت لدى القاضي ، ولا مانع من ذلك في الدين البتة ، وانما الذي يمنع ذلك هو العادة فقط)) "٣" .

---

١) المرجع نفسه ٢/ ٨٠ ، وانظر مقالة للشيخ محمد عبده بعنوان " حكم الشريعة في تعدد الزوجات " الوقائع المصرية ، العدد ١٠٥٦ ، ٨ مارس / آذار ١٨٨١م .

٢) الأعمال الكاملة ، للشيخ محمد عبده ٢/ ٩٣ ، وانظر المنار ، الجزء الأول ، ٣ مارس / آذار ١٩٢٧م ص ٢٩- ٣٥ .

٣) الأعمال الكاملة لمحمد عبده ، ٢/ ٩٤ - ٩٥ .

ورأي محمد عبده هذا قريب من رأي السيد أمير على الهندى الذي يرى أن الاسلام قيّد عادة تعدد الزوجات بقيود هي عين النهي المطلق، ويعلق رشيد رضا على كلام أمير علي بقوله : ((ان الشريعة ضيّقت من شروط التعدد بحيث يتعذر الا في حالة الضرورة واقامة المصلحة دون قصد التمتع)) "[١]" .

وأما الطلاق ، فقد أوضح رأيه فيه عندما وضع له نظاما فصّل فيه الشروط التي يجب أن يكون عليها ، وأهم مافيه أنه لا يجوز للرجل أن يطلق زوجته الا أمام القاضي ، ورأى أن تخول النساء حق الطلاق حسبما تقتضيه العدالةوالانسانية ، ((لدرء الظلم الواقع عليهن من فئة غير قليلة من الرجال ٠٠٠)) "[٢]" .

وأما الحجاب فيرى أن المعروف في عصره ليس على حسب ماجاءت به الشريعة، لأن الشريعة أباحت للمرأة أن تظهر بعض أعضاء جسمها للأجنبي ، ((وأنها وكلت تعيين هذه الأعضاء للعادة)) "[٣]" .

هذه هي الآراء التي عرض لها محمد عبده فيما يتعلق بالمرأة ، وهي التي عدّها معاصروه خروجا عن المألوف. والواق

والواقع أن كثيرا من هذه الأمور كانت مطروحة للبحث في المجلات والصحف من وجهة نظر اجتماعية ، على أننا نلاحظ أن قاسم أمين تبنى هذه المواقف في كتابه " تحرير المرأة " حتى أن محمد عمارة الذي قام بتحقيق أعمال محمد عبده وقاسم أمين ، قد نسب كل ماكتبه قاسم عن العائلة في كتابه " تحرير المرأة " الى الشيخ محمد عبده .

---

١) المنار ، الجزء الثاني عشر ، نوفمبر / تشرين ثاني ١٩١٣ م
ص ٩٣٨ - ٩٤١ .

٢) الأعمال الكاملة ، لمحمد عبده ٢/١٢٥ - ١٢٧ .

٣) المرجع نفسه ٢/١٠٧ - ١١٥ ، وقد وردت مقالة محمد عبده " حجاب النساء من الجهة الدينية في كتاب " تحرير المرأة " لقاسم أمين ، ويرى محمد عماره أنها من كتابة محمد عبده .

- ٦ -

التقى محمد عبده بقاسم أمين في باريس حوالي سنة ١٨٨٣م ، واتخذه مترجما له وجعله عضوا في جمعية " العروة الوثقى " "١" ، وعمل قاسم أمين بعد عودته الى مصر في سلك القضاء ، وكان تعيينه نائب قاض في الاستئناف مع سعد زغلول وبقرار واحد عام ١٨٩٢م "٢" ، وكان تعيين سعد من الحوادث الغريبة في القضاء "٣" .

ومن هذا التاريخ بدأت صلة قاسم بسعد تزداد وثوقا على حد قول سعد : ((فاختلطنا مع بعض اختلاطا شديدا وتلازمنا تلازما عظيما ، فلم يمرّ يوم لم نأكل فيه معا ، وكلما عرض لأحد أمر أو فعل مهما كان حادث فيه الآخر عند أول اجتماع معه ...)) "٤" .

وعرف قاسم الطريق الى صالون نازلي فاضل الذى كان فيه سعد ركنا مهما ، نظرا لصلته القوية بنازلي ، وفي الصالون التقى بالشيخ محمد عبده ثانية ، وفي هذه الآونة ظهر كتاب بالفرنسية للدوق " داركور " تناول فيه مختلف مظاهر الحياة في مصر بالنقد والتجريح ، فعاب على نساء مصر استعمالهن الحجاب ، ورأى أن نظام تعدد الزوجات والطلاق قد

---

١) قاسم أمين ، تأليف ماهر حسن فهمي ، مطبعة مصر القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة ص ٤٧ .
٢) سعد زغلول ، لعبد الخالق لاشين ، ص ٢٥٢ .
٣) انظر مذكرات محمد فريد ، القسم الأول ص ١٢٧ - ١٢٨ ، يقول عن حادثة تعيين سعد في القضاء :- ((صدرت الأوامر بتعيين قاضيين وثلاثة نواب في محكمة الاستئناف الأهلية : ، ومما أغضب كثيرا من قضاة المحاكم الابتدائية ، أن عيّن سعد زغلول المحامي نائب قاض في الاستئناف مرة واحدة ، مع وجود المستحقين من رجال المحاكم ، والشائع أن السبب في ذلك مساعي البرنسس نازلي فاضل المعين هو وكيلا لها ، ويقال أنه يعيش معها بصفة غير شرعية ...))
٤) سعد زغلول ، لعبد الخالق لاشين ص ٢٥٣ .

أضعف الأسرة "[١]" ، ولما كان قاسم أكثر أعضاء الصالون فهما للفرنسية ، كلّف برد الاتهامات التي ألصقها الدوق "داركور" بمصر والمصريين ، وهال قاسما مارأى في الكتاب من الكذب ، فكال للمؤلف الصاع صاعين ، وردّ هجومه على الحضارة الاسلامية ، والنظام الاجتماعي في مصر."[٢]"

ولكن من يقرأ ماكتبه قاسم في ردّه لا يشعر أن دفاع قاسم عن الحضارة الاسلامية والنظام الاجتماعي في مصر ، كان عن اقتناع بهما ، والدليل على ذلك أنه عندما يدافع عن عدم اختلاط النساء بالرجال ، لا يرى في عدم الاختلاط أمرا ساميا يجب الحفاظ عليه ، بل يرى أن الرجال كذلك ممنوعون من الاختلاط بالنساء ، يقول : ((ولما كان محرما علينا نحن الرجال أن ندخل الى مجتمع النساء ، فيبدو لي من الطبيعي أن يقع نفس التحريم على نسائنا ، وانني أكرر من وجهة النظر هذه ، أن وضع الرجل هنا مشابه لوضع المرأة تماما ، ورغم ذلك فان أحدا من الأوروبيين لم تحركه طيبة قلبه الى أن يرثى لوضعنا نحن الرجال ، ولهذه الحياة التعيسة التي نعيشها)) "[٣]" .

فكيف نتصور أن قاسم أمين دافع في ردّه عن القيم السائدة في مصر ، وهو يعد حياة الرجال في مصر تعيسة لعدم اختلاطهم بالنساء ؟ ، وعندما يقارن قاسم بين المرأة الأوروبية والمرأة المسلمة ، يقول : ((حقا ليست لدينا سيدات بلاط ولا نساء سياسيات ولا متحذلقات ... ولكن هل يعد هذا شيئا سيئا ؟ انني أجيب على استحياء كلا)) "[٤]" . فقاسم مقتنع بالنموذج الأوروبي للمرأة ، وهو يعتذر باستحياء لعدم وجود هذا النوع من النساء ، كأنما كان في ردّه على الدوق داركور يقصد الدفاع عن الذات فقط .

---

١) قاسم أمين ، تأليف ماهر حسن فهمي ، ص ١٠١ - ١٠٥ .

٢) الاعتصام ، السنة ٤٢ ، العدد التاسع، أغسطس / آب ١٩٧٩م ص ١٨ .

٣) الأعمال الكاملة لقاسم أمين ، دراسة وتحقيق محمد عماره ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٦م من كتابه (المصريون رد على الدوق داركور) ١/ ٢٧٩ .

٤) المرجع نفسه ١/ ٢٨٠ - ٢٨١ .

وعلى الرغم من حماسة قاسم في موقفه هذا رأى زملاؤه أن ردّه لم يكن في صف النهضة النسائية التي تتزعمها نازلي فاضل ، ذلك أن قاسما اضطر ازاء هجوم " داركور " على الحجاب أن يرفع من شأنه ويعده دليلا على كمال المرأة ، حتى عدّوا موقفه هذا تنديدا بالداعيات الى السفور "[١] ، وخصوصا نازلي ، وأرادوا أن يكلفوا فارس نمر صاحب المقطم أن يرد على قاسم ، ولكن الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وغيرهما توسطوا في الأمر ، على أن يتقدم قاسم بالاعتذار الى نازلي ، فقبلت اعتذاره ، وعاد يتردد على صالونها "[٢] .

وفي هذه الأثناء تزوّج من فتاة تركية كانت تحت رعاية مربية انجليزية "[٣] ، وكانت النساء التركيات أسبق من غيرهن الى السفور ، فكان لهذا الزواج أثره على تفكير قاسم ، وتوسط قاسم لسعد فزوّجه من ابنة استاذه مصطفى فهمي الذى كان رئيسا للنظار "[٤] ، فأصبحت زوجة سعد وزوجة قاسم صديقتين ، حتى أن زوجة قاسم كانت لا تجد مكانا أقرب اليها من بيت صديقتها صفية زغلول عندما تغضب من زوجها . "[٥]

وعندما تصدى قاسم أمين لموضوع المرأة ثانية ، وجد من الشيخ محمد عبده كل تشجيع ، وربما يكون قد أشرف بنفسه على ماكتبه قاسم ، ووضع بين يديه ماكان كتبه في هذا الموضوع ، فقد اجتمع قاسم أمين بمحمد عبده وسعد زغلول واحمد لطفي السيد ، وتلا عليهم بعض فصول كتابه " تحرير المرأة " في جنيف عام ١٨٩٧ م "[٦] ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل

---

١) المصرية ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، أول ابريل / نيسان ١٩٣٧م ، ص ٨ .
٢) الاعتصام ، السنة ٤٢ ، العدد التاسع ، أغسطس / آب ١٩٧٩ ص ١٩
٣) قاسم أمين ، لماهر حسن فهمي ، ص ٦٩ .
٤) سعد زغلول سيرة وتحية ، تأليف عباس محمود العقاد ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦م ، مطبعة حجازى بالقاهرة ص ٥٢٨ .
٥) قاسم أمين ص ٧١ ، ٨٠ .
٦) المرجع نفسه ص ١٥٨ - ١٥٩ .

بل اتخذ الشيخ محمد عبده من المنار مجلة تؤيد آراءه وآراء تلاميذه ، وكان يعهد الى رشيد رضا بكتابة بعض المقالات تأييداً لآرائه وتفنيداً لحجج معارضيه [١] ، مما دعا " تشارلز آدمز " أن يطلق لقب " حزب المنار " على الذين تأثروا بتعاليم محمد عبده [٢] ، ومما يؤيد ذلك أن المنار تناولت أكثر من مرة كتابي قاسم بالمدح والتقريظ ، وهذا يعني أن الشيخ محمد عبده كانت له اليد الطولى في تأليف كتاب " تحرير المرأة " .

ويبدو أن انشغال نازلي فاضل بأمورها الخاصة لم يتح لها أن تقوم بدور مباشر ، ذلك أنها سافرت عام ١٨٩٩ م الى المغرب واسبانيا [٣] ، واقترنت أثناء رحلتها بشاب تونسي [٤] ، على أن ذلك لا يمنعنا من القول أن كتاب " تحرير المرأة " كان ثمرة من ثمرات صالونها .

وفيما يلي نعرض أهم القضايا التي طرحها قاسم أمين في كتابه " تحرير المرأة " وأثارت نقاشا طويلا ، على أن نتجاوز موقفه من الزواج وتعدد الزوجات والطلاق ، فقد ذكرنا أنه تابع فيها مواقف الشيخ محمد عبده ، بل نقل آراءه نقلا ، ولهذا لن نعود الى عرضها ثانية .

ذكر قاسم في بداية كتابه أنه ليس ممن يطمع في تحقيق آماله في وقت قريب ، لأن تحويل النفوس الى وجهة الكمال في شؤونها مما لا يسهل تحقيقه ، وانما يظهر أثر العاملين فيه ببطء شديد [٥] ، وهو يتوقع أن

---

١) السيد رشيد رضا أو اخاء أربعين عاما ، تأليف شكيب أرسلان ، مطبعة ابن زيدون بدمشق ، الطبعة الاولى ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م ، ص ١٧٧ .

٢) الاسلام والتجديد ، لتشارلز آدمز ص ١٩٦ .

٣) المنار ، السنة الثانية ، العدد ٣١ ، اكتوبر / تشرين أول ١٨٩٩م ص ٤٨٠ .

٤) المنار ، الجزء الخامس ، ٢١ ابريل / نيسان ١٩٠١م ص ١٢٠ ، وانظر مذكرات قليني فهمي ، ص ١٣٢ .

٥) تحرير المرأة ، تأليف قاسم أمين ، مطبعة عين شمس ، الطبعة الثالثة ، ص ١ - ٢ .

يلاقي عنتا وارهاقا نتيجة تصديه لهذا الموضوع ، ولكنه يذكر أن نضوج الفكرة عنده فيما يتعلق بحالة النساء المصريات دفعه أن يعلنها ، وان كان بعض معاصريه سينظر الى رأيه على أنه بدعة "١" ، كذلك دفعه الى الكتابة مارأى من رقي النساء في البلاد التي تقدمت ، حيث بدأن في تلك البلاد بقطع المسافات التي كانت تبعدهن عن الرجال ، وعنده أن المرأة الأمريكية أرقى النساء وبعدها الانجليزية ، ثم الألمانية وتليها الفرنسية. "٢"

وهكذا جعل قاسم المرأة الأمريكية مثلا أعلى دون أن يفكر في الالتفات الى نموذج المرأة المسلمة ، لأن الدين في رأيه لا سلطة له على العادات ، ((ولو كان لدين ما سلطة وتأثير على العوائد ، لكانت المرأة المسلمة اليوم في مقدمة نساء الأرض)) "٣" .

ويرى أن تربية المرأة الغربية لأبنائها تفوق تربية الرجال ، وأن أحسن الناس حظا في الغرب من ساعدهم الدهر في أن تتولى تربيتهم امرأة ، ولهذا نلاحظ أن قاسما عندما رزق بابنتين أتى للأولى بمربية فرنسية وللصغرى بمربية انجليزية. "٤"

وفضّل نساء الافرنج على النساء المصريات العفيفات ، ذلك أن الافرنجيات يمتزن بالوقار والسكينة والجد ويخفضن أبصارهن عن الرجال ، أما العفيفة من المصريات فمتى رأت رجلا نظرت اليه وتأملته ولوت عنقها اليه . "٥"

ولثقته بالقيم الغربية ، يرى أن الصحابية الانصارية أم عطية بمداواتها للجرحى في المعارك التي اشتركت فيها أقرب ماتكون الى امرأة غربية من الممرضات اللائي وهبن حياتهن لخدمة الانسانية "٦" ، كما أنه

---

١) المرجع نفسه ص ٤ ، ٦ ، ٧ .
٢) المرجع نفسه ص ١٠ - ١١ .
٣) المرجع نفسه ص ١١ .
٤) قاسم أمين ، ص ٧٧ .
٥) تحرير المرأة ، ص ٥٩ .
٦) المرجع نفسه ص ١٣٨ .

لهذه الثقة تقبّل الاحتلال الانجليزى ، وأشاد بالحرية التي تمتعت بها مصر في عهده اذ يقول : ((نحن اليوم متمتعون بعدل وحرية لا أظن أن مصر رأت مايماثلها في أى زمن من أزمانها)) "[١]" .

وسلك قاسم بالنسبة للحجاب مسلكا حذرا في الهداية ، اذ رأى أن التغلب على هذا الأمر لا يتم الا بالتدرج فقال : ((ربما يتوهم ناظر أنني أرى الآن رفع الحجاب بالمرة ، لكن الحقيقة غير ذلك ، فانني لا أزال أدافع عن الحجاب ، وأعتبره أصلا من أصول الآداب التي يلزم التمسك بها ، غير أنني أطلب أن يكون منطبقا على ماجاء في الشريعة الاسلامية)) ، ولكن انتهى حذره بعد هذا الكلام ، ورأى أن الحجاب دور من الأدوار التاريخية التي تلاشت طوعا لمقتضيات الاجتماع وجريا على سنة التقدم . "[٢]"

وكما يحول الحجاب بين المرأة وارتقائها وبين الأمة وتقدمها ، يمنع المرأة أن تتمتع بحريتها وأن تملك نفسها وتحقق وجودها "[٣]" ، وحتى يمكن تحقيق رفع الحجاب ، رأى أنه لابد من اعداد نفوس البنات في زمن الصبا ، فيعودّن بالتدريج على الاستقلال ، حتى يعتقدن بأن العفة ملكة في النفس لا ثوب يختفي تحته الجسم ، فتسهل عليهن معاملة الرجال "[٤]" ، وهذا يعني أن دعوة قاسم للتخلص من الحجاب هي دعوة للاختلاط في الوقت نفسه ، لأن عدم اختلاط المرأة بالرجل ينسيها حسب رأيه ماتعلمته في زمن قليل كأنها لم تتعلم شيئا من قبل ، وحتى لا يضيع من الفتاة ما تعلمته ، يرى أن يستمر الاختلاط حتى بعد المرحلة الابتدائية ، لأن السن الذى تحجب فيه الفتاة عن الرجال ، هو السن الذي تظهر فيه حاجة كل من الرجل والمرأة الى اختبار العالم ، وهو السن الذى تظهر فيه الملكات . "[٥]"

---

١) المرجع نفسه ، ص ١١٨ .
٢) المرجع نفسه ص ٦٤ - ٦٧ .
٣) المرجع نفسه ص ٨٥
٤) المرجع نفسه ص ١١٢ - ١١٣
٥) المرجع نفسه ص ٨٦ - ٨٧ .

وعنده أن أغلب نساء نصارى الشرق يعرفن لوازم الحياة ، لكثرة ماسمعن ورأين باختلاطهن بالرجال ، فارتفعن بفضل هذا الاختلاط الى مرتبة أعلى من مرتبة المرأة المسلمة "١" ، لكن المرأة الأمريكية هي مثل أعلى في ذلك كما يبدو من قوله : ((ومن المشاهد الذى لا جدال فيه أن نساء أمريكا هنّ أكثر نساء الأرض تمتعا بالحرية ، وأكثرهن اختلاطا بالرجال ، حتى البنات في صباهن يتعلمن مع الصبيان ... ومع هذا يقول المطلعون على أحوال أمريكا ، ان نساءها أحفظ للأعراض ، وأقوم أخلاقا من غيرهن ، وينسبون صلاحهن الى شدة الاختلاط بين الصنفين من الرجال والنساء في جميع أدوار الحياة)) . "٢"

وبينما عدّ قاسم اختلاط النساء بالرجال في أمريكا مقوما للفضيلة نشرت احدى المجلات العربية نقدا للمرأة الأمريكية يبين أن الحرية التي حصلت عليها كانت سببا في فسادها ، والنقد عبارة عن حديث لكاتبة أمريكية تحدثت فيه عن شيوع الطلاق في جميع الولايات الأمريكية ، حتى أن المرأة الواحدة تزوجت وتطلقت خمس مرات ، وتذكر هذه الكاتبة أن ثمانين في المائة من حوادث الطلاق ، كانت بناء على طلب من النساء ، وتضيف الكاتبة الأمريكية ، أن المرأة هناك تزدرى المعيشة المنزلية والزواج فلا تستعد لهما ، لأنها تسترجل سعيا وراء الحياة وطلبا للرزق ، ووصفت الكاتبة نفسها المرأة الأمريكية بأنها فوضوية تكره النظام ، ولا شريعة لها تسيرها غير شهواتها ، وهي عاطلة من الفضائل الشريفة كالصبر على المكاره ، كما أنها عاطلة من التدين ، تحب لذاتها وتبيع من أجلها ماعزّ وغلا بأبخس الأثمان ... "٣"

---

١) المرجع نفسه ص ٩١ - ٩٢ .

٢) المرجع نفسه ص ٩٣ .

٣) أنيس الجليس ، السنة الأولى ، الجزء التاسع ، ٣١ أغسطس /آب ١٨٩٨م ص ٢٨٠ - ٢٨٥ . وانظر رأى مجلة الريحانة في المرأة الغربية ، فقد عللت المجلة سبب عدم اقبال المرأة على الزواج أنها تتهرب من وظيفتها في الحمل والولادة كي تتفرغ لاشباع شهواتها . الريحانة ، الجزء السادس ، أغسطس / آب ١٩٠٧م ص ١٦٧-١٦٨

هذه هي المرأة الأمريكية كما صورتها واحدة من بنات جنسها ، وهي التي أراد قاسم أن يجعل منها مثلا أعلى تقتدى به نساء مصر .

أما بالنسبة لتعليم المرأة ، فيرى قاسم أن المرأة المتعلمة تخشى عواقب الأمور أكثر مما تخشاها الجاهلة التي تتصف بالخفة والطيش ، وأن اعتقاد معاصريه بأن التعليم يفسد أخلاق الفتاة اعتقاد باطل وسخيف.[1]

وأما عمل المرأة ففي رأيه أن لا شيء يمنع المرأة المصرية أن تشتغل بالعلوم والآداب والفنون الجميلة والتجارة والصناعة مثل المرأة الغربية الا جهلها واهمال تربيتها ، ولو أخذ الرجل بيدها ، لصارت تنتج بقدر ما تستهلك مما يؤدي الى ازدياد الثروة العامة.[2]

ويستهزئ قاسم برأي بعض المسلمين الذين يقولون : أن النساء ربات الخدور يعمرن المنازل وأن وظيفتهن تنتهي عند عتبة البيت ، ويرى أن هذا قول من يعيش في الخيال.[3]

هذه هي أهم الآراء التي عرض لها قاسم في كتابه " تحرير المرأة " فأثارت كثيرا من المفكرين في عصره وشغلت الصحافة ، ويبدو أن السبب يعود الى كون قاسم أول كاتب مسلم تصدى لقضايا المرأة وحاول أن يعالجها من وجهة نظر غربية ، ومن يمعن النظر في كتابه يلاحظ أن همه كان منصبا على التوفيق بين الاسلام والحضارة الغربية ، وبمعنى آخر أراد أن يضفي الصبغة الشرعية على دعوته ، ويتضح ذلك من سخطه على رجال الدين ، وزعمه أنهم يصدرون فيما يحلون وما يحرمون عن التقاليد والأوهام ، التي ورثت عن الأسلاف على أنها دين.[4]

---

1) تحرير المرأة ص ٥٧ - ٥٨ .
2) المرجع نفسه ص ٢٢
3) المرجع نفسه ص ٢٣ - ٢٨ .
4) الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر ، تأليف الدكتور محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، ١/٢٩٣ .

وكان رد الفعل تجاه كتابه متفاوتا ، فبينما أيده بعض المفكرين نند آخرون بما جاء فيه ، وعلى رأسهم الخديوى عباس الثاني لأنه كان متحمسا لفكرة الجامعة الاسلامية التي تبناها مصطفى كامل .

ومن هولاء الشيخ محمد حسنين البولاقي الذى ألّف كتابا في الردّ على قاسم أسماه " الجليس الأنيس في التحذير عما في تحرير المرأة من تلبيس " ، فنقض كثيرا من آراء قاسم في القضايا التي أثارها ، وذكر أن استحسان الناس لدعوة قاسم واعجابهم بها دفعه الى مراجعة كتب الشرع المعتمدة ، ليُعلم الناس " ((فساد منتحله وتقوله على الشرع بما لم يوجد فيه بما يدل عليه أدنى دلالة ، دعاني ذلك الى أن أجمع في هذا الكتاب ماجاء به الشرع الشريف مما يدل على طلب الاحتياط في شأن المرأة وسترها جميع بدنها عن نظر الرجال الأجانب ، وعدم مخالطتها للرجال غير المحارم ، ومنعها من الذهاب الى الأندية ...)) "[١]

وذكر البولاقي أن كتاب قاسم مليء بالخرافات ، وأن كاتبه يزخرف الباطل ، ويصف دعوة قاسم بأنها طلب لتغيير ماجاءت به الشرائع ، ورأى أنه بما دعا اليه انما يريد التشريع برأيه . "[٢]"

ووضع محمد فريد وجدي كتابه " المرأة المسلمة " ردا على دعوة قاسم ، وهو مع ايمانه بأن المرأة ذات شأن كبير في تكميل الأمة وتحسين حالها ، يخالف قاسما في احتذاء أي أمة من الأمم في كل الشئون الحيوية وخصوصا شأن النساء "[٣]" ، لأن التقليد يعني استعداد الأمم الضعيفة لقبول مؤثرات الأمم القوية والاستسلام لها ، ومعنى ذلك أن النصيحة بالتقليد

---

١) الجليس الأنيس في التحذير عما في كتاب تحرير المرأة من التلبيس، تأليف محمد أحمد حسنين البولاقي ، مطبعة المعارف الأهلية ، ١٣١٧ هـ - ١٨٩٩ م ص ٣

٢) المرجع نفسه ص ٦٠ .

٣) المرأة المسلمة ، تأليف محمد فريد وجدى ، الطبعة الأولى ، مطبعة الترقي ١٣١٩ هـ - ١٩٠١م ص ٥ - ٦ .

نصيحة بالاستسلام ، ويرفض محمد فريد وجدى تهذيب المرأة المسلمة باقتفاء أثر المرأة في المدنية المادية ، ولهذا يخالف قاسما فيما يتعلق بالحجاب ، ويعتقد ضرورته ليس لعدم الثقة بالمرأة ، بل لكونه الضمانة الوحيدة لاستقلالها وحريتها . "١"

ويرى أن القدرة الالهية خصصت المرأة بتكثير النوع الانساني ، وأن هذا الاختلاف في الوظيفة والخلق لم يترك لهما مجالا للتسابق ، وأن اشتغال المرأة في أعمال الرجال قتل لمواهبها واذهاب لملكاتها ومفسدة لتركيبها ، وأن عمل المرأة الغربية خارج بيتها هو أثر من آثار أسر الرجال لها . "٢"

ويذكر أنه ألف كتابه تقوية لأنصار الحجاب ، وانتصارا للفطرة السليمة ، وتعضيدا للحق ، وردا لكل الاعتراضات التي وجهت الى المدنية الاسلامية ، "٣"

ومن الكتّاب الذين تعرضوا لآراء قاسم بالنقد ، محمد طلعت حرب الذى أصبح فيما بعد من ألمع رجال الاقتصاد في مصر ، فقد ألّف كتابه " تربية المرأة والحجاب " وذكر أن الناس انقسموا حول كتاب قاسم قسمين ، قسم يرى رأى قاسم ، وهم قلائل ، وقسم آخر وهو أعظم عددا ، وقد أجمع أفراده على استهجان ماورد في الكتاب ، وقالوا بأنه يدعو الى بدعة في الدين والعوائد . "٤"

ويرى طلعت أن كلا الحزبين مسلّم بأن الدين لا يمنع من تعليم المرأة وتهذيبها ، بل يحض على ذلك ويأمر به ، ولكن اختلافهما يدور حول

---

١) المرجع نفسه ص ٨ - ١٣ .
٢) المرجع نفسه ص ١٤ ، ١٩٨ - ٢٠١ .
٣) المرجع نفسه ص ٢٠١ - ٢٠٢ .
٤) تربية المرأة والحجاب ، لمحمد طلعت حرب ص ٩ - ١٠

ماينبغي أن تتعلمه المرأة وطريقة تعليمها وتهذيبها ، ويعتقد حرب أن سبب هياج الرأى العام ضد قاسم ناجم مما هو راسخ في أذهانهم من أن رفع الحجاب والاختلاط أمران تتمناهما أوروبا لغاية يعرفها كل من وقف على مقاصدها نحو العالم الاسلامي ومطامعها فيه "١" ، وهو وان كان يؤيد قاسما فيما ذهب اليه من ضرورة تربية المرأة وتهذيبها يخالفه في غيره . "٢"

ويلاحظ حرب أن قاسما متأثر فيما كتب عن المرأة بأمير علي الهندى وكتاب " الرحلة الأصمعية " "٣" ، واعترض حرب على تسمية قاسم لكتابه " تحرير المرأة " ، وتمنى لو أنه أسماه " تربية المرأة والحجاب " ، لأن المرأة المسلمة حصلت على حقوقها منذ زمن بعيد . "٤"

ويرى حرب أن للرجل القوامة على المرأة ، فله عليها السيادة ، ولها منه حسن المعاملة والاحترام ، وأن وظيفة المرأة في البيت ليست أقل أهمية من عمل الرجل خارجه ، فعملها في البيت يستغرق كل وقتها ، والمرأة بنزولها الى ميدان العمل حلّت محلّ الرقيق ، وأن النساء اللواتي يتعاطين أشغال الرجال ، ويتركن الزواج تصح تسميتهن بالجنس الثالث "٥" ، وأن حصول المرأة الأوروبية على حريتها في العصر الحديث كان في جو من الالحاد والمادية ، فمالت الى الشهوات البهيمية ، وثارت على

---

١) المرجع نفسه ص ١٠ - ١٤ .

٢) المرجع نفسه ص ١٥ .

٣) المرجع نفسه ص ١٦ . وكتاب الرحلة الأصمعية طبع باللغة التركية في مصر عام ١٨٩٣ م ، والكتاب يتحدث عن المرأة من وجهة نظر غربية ، ومما يجدر بالذكر أن قاسما كان يتقن التركية ، وقد ذكر فيه مؤلفه المآخذ التي يأخذها الأوروبيون على المرأة الشرقية ،

٤) تربية المرأة والحجاب ص ١٦ .

٥) تربية المرأة والحجاب ص ١٨ - ٣٥ . وانظر في موضوع الجنس الثالث كتاب حصوننا مهددة من داخلها تأليف الدكتور محمد محمد حسين ، المكتب الاسلامي بيروت ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م ط ٤ ، ص ١١٢ - ١٣٥ .

الزواج ، واعتبرته من آثار الوحشية الأولى . "١"

وحتى لا تقع المرأة فريسة لطرق التربية المادية يقترح أن تقوم تربية البنات والبنين على الطريقة التي يقتضيها الدين ، وأن تقوم المدارس الأهلية بتصحيح ما أفسدته المدارس الأجنبية . "٢"

وأما الحجاب فان حربا يصرّ على ضرورته ، لأنه أعظم قائد للعفة ، فاجتماع الرجال والنساء بلباس الزينة ، يجعل مغالبة الانسان لشهواته من الأمور الصعبة . "٣"

هذه هي أهم الكتب التي عارضت دعوة قاسم الى السفور والاختلاط ، ولكن أصحابها كانوا مع قاسم في دعوته الى تربية المرأة وتعليمها بشرط أن يكون هذا التعليم وهذه التربية متفقين مع أصول الأخلاق الاسلامية .

أما موقف الصحافة ، فكان يتراوح بين التأييد الذى لا حدّ له ، وبين المعارضة لبعض جوانب دعوته ، وكانت صحيفة اللواء من الصحف التي حملت على قاسم ، فكتب مصطفى كامل يعلق على دعوة قاسم ، أنه اطلع على أحوال المرأة في دول أوروبية كثيرة ، فوجد أن الحرية قد أفسدت على المرأة ادابها ، ومحت كثيرا من الأخلاق الفاضلة عندها ، حتى عمت الشكوى هناك ، ونظرا لاختلاف العادات والتقاليد ، فان مايوافق البلاد الأوروبية غير مايوافق البلاد الاسلامية ، ولكنه لم يعترض على وجوب الالتفات الى تعليم النساء وتربيتهن ، ورأى أن الحرية التي نادى قاسم أمين بضرورة اعطائها للمرأة ستكون عاقبتها سيئة ، وقال : ((والرجل منا أهون عليه أن يموت من أن يرى من أهله أو من بيته امرأة فاسدة ولو كانت بهجة العلم وحليته)) "٤" .

---

١) تربية المرأة والحجاب ص ٣٨ - ٤١ .
٢) المرجع نفسه ص ٤٤ - ٤٥ ، ٥٤ - ٥٥ .
٣) المرجع نفسه ص ٦٧ - ٧٧ .
٤) اللواء ، ٣١ يناير كانون ثاني ١٩٠١ م .

وفتحت اللواء صفحاتها لأقلام المعارضين فاتهموه بأنه خدع بزخارف التمدن الأوروبي فرأى المحاسن ولم يبصر المساوىء ، وأنه أخذ بآراء الدوق داركور ، ولم يأخذ بآراء كثير من كتاب الغرب الذين عابوا على المرأة الأوروبية عبثها بحريتها "١" ، وتساءل بعض معارضيه عن موقفه من اليابان التي ارتقت الى مستوى الدول العظمى على الرغم أن نساءها لم ينلن شيئا من حرية المرأة الغربية ، وأن المرأة هناك تربى كي تكون زوجة مطيعة . "٢"

أما صحيفة "المؤيد " فقد نشرت كتاب " تحرير المرأة " ، نظرا للعلاقة الطيبة التي كانت تربط علي يوسف صاحب المؤيد بكل من محمد عبده وسعد زغلول ، الا أنها اضطرت تحت الحاح من الرأى العام أن تفسح للمنتقدين على صدر صفحاتها "٣" ، حيث نشرت مجموعة من المقالات لمحمد فريد وجدى . "٤"

ومن المجلات التي وقفت موقفا غير متشدد من قاسم مجلة " المرأة في الاسلام " حيث دعت القراء أن يتأملوا كتاب قاسم قبل أن يتسرعوا في الحكم عليه ، ولكنها رأت أن قاسما تطرّف عندما حكم على الحضارة الغربية أنها مبرأة من العيوب. "٥"

أما مجلة المنار فكانت على رأس المجلات المؤيدة والمتحمسة ، ورأت أن التنديد بكتاب قاسم ليس انتصارا للدين ، وانما هو انتصار للهوى ، والوجدان ، ودعت الى مساعدته في عمله . "٦"

---

١) اللواء ٢٤ فبراير/ شباط ١٩٠١م .
٢) اللواء ٢٧ فبراير / شباط ١٩٠١م .
٣) تراجم الأعلام المعاصرين ، لأنور الجندى ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .
وانظر سعد زغلول ، لعبد الخالق لاشين ، ص ٤٠ .
٤) المؤيد ، ٣٠ سبتمبر / أيلول ١٨٩٩م .
٥) المرأة في الاسلام ، السنة الأولى ، العدد الثالث ، مايو / أيار ١٩٠١م ص ٣٧ .
٦) المنار ، السنة الثانية ، العدد ١٨ ، ١٥ يوليو/ تموز ١٨٩٩م ص ٢٨٢ - ٢٨٨ . وانظر المنار ، السنة الثانية ، العدد ٢٤ ، ٢٦ أغسطس / آب ١٨٩٩م ص ٣٦٩ - ٣٧٣ .

وعدّت مجلة الموسوعات ماكتبه قاسم عن المرأة دررا ، لأنه على حد تعبيرها أفصح عن احترام الدين للمرأة . "١"

وأما المجلات التي كان يحررها النصارى ، فانها فضلا عن موقف التأييد نهجت نهجا آخر ، فكتبت مجلة " الضياء " التي كان يحررها ابراهيم اليازجي ، أنه لم يكن من الصعب الفصل بين حجج الفريقين ((لولا أن دخلت المسألة أخيرا في دور ديني محض ، وعاد الحكم فيها من خصائص الدين)) "٢" ، فالدين في رأى مجلة الضياء زاد مشكلة الافراج عن المرأة تعقيدا .

ونصح يعقوب صروف صاحب " المقتطف " قاسم أمين أن يعدّ موضوع المرأة بحثا علميا لاعلاقة له بالأدلة الدينية ، وطالبه أن يترك الشواهد الدينية ، حتى لا يترك المجال مفتوحا لمن يريدون مناقشته من زاوية دينية ، لأنهم سيجدون الأدلة متوفرة لديهم لنقض آرائه كما وقع فعلا . "٣"

ودعت " الكسندره أفرينو " في مجلتها " أنيس الجليس " المرأة أن تخرج من بيتها الى حياة المدنية الحقيقية ، بتقليد نساء الافرنج ومسيحيات الشرق ، وذلك في معرض تقريظها لكتاب " تحرير المرأة " ، تقول : ((.... لقد كانت المسيحيات في الشرق الاسلامي من سنوات معدودة يحتجبن ويلزمن بيوتهن كالمسلمات ، فأخذن يقلعن عن هذه العادة بالتدريج حتى صرن - يخرجن حاسرات ويحادثن الرجال ، ثم ماترتب على ذلك شيء ... فقد دخلن في حياة جديدة من المدنية الحقيقية ومعونة الرجل ، فاذا خسرن شيئا موهوما ، فقد كسبن أشياء موجودة

---

١) مجلة الموسوعات ، السنة الأولى ، العدد ١٤ ، ٢٥ مايو/أيار ١٨٩٩م ص ٤٩ .
٢) الضياء ، السنة الرابعة ، ١٩٠١ - ١٩٠٢ ص ١٦٨ .
٣) المقتطف ، الجزء السادس ، ١ يونيو / حزيران ١٩٠٨م ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .

محسوسة ... ولقد يقول البعض أن للافرنج دنيا ولنا دين ... ولكننا نعلم أننا قلدنا الافرنج كثيرا فيما هو ليس من عاداتنا فنجحنا ... حتى لقد قلدناهم في شرب الخمر المحرمة فنجحنا ، فماذا يجرى لو قلدت امرأتنا امرأتهم فتنجح نجاحها ؟ أم نحن نكتفي بمجد الدنيا بأن نسائنا مصونات وراء ستار ...)) "١"

ولم يكتف النصارى بذلك ، بل كانوا يبعثون الى قاسم رسائل التهنئة والتشجيع ، فقد ذكر محمد طلعت حرب أنه أرسلت الى قاسم أمين خمس وسبعون رسالة يهنئه فيها أصحابها ، ولكن ليس بين هؤلاء المهنئين سوى ثلاثة مسلمين والباقي من النصارى الذين يفضلون مساواة المسلمين لهم ((في هذا الأمر مادام الابتذال مقدورا عليه واحتجاب المبتذلات ضرب من المحال)) "٢" .

ويبدو أن المواقف المتباينة التي ووجه بها كتاب تحرير المرأة ، والتي تراوحت بين التجريح والتشجيع زادت صاحبه عنادا ودفعته الى أن يستمر في دعوته ، ولكنه هذه المرة أخذ بنصيحة من نصحوه بالابتعاد عن الخوض في الأدلة الدينية ، فألف كتابه الثاني ((المرأة الجديدة)) .

— ٧ —

أصر قاسم في كتابه المرأة الجديدة على الأخذ بالقيم الغربية ، وذكر أن غرضه من تأليف هذا الكتاب ، هو لفت أنظار النساء في مصر الى وضع المرأة الغربية الجديدة ، التي تعدّ ثمرة من ثمرات التمدن الحديث ، حيث بدأ ظهورها في الغرب على أثر الاكتشافات العلمية ، التي خلصت العقل

---

١) أنيس الجليس ، السنة الثانية ، الجزء الحادى عشر ، ٣٠ نوفمبر/ تشرين ثاني ١٨٩٩م ص ٤٠٩ — ٤١٠ .

٢) تربية المرأة والحجاب ، لمحمد طلعت حرب ص ١١٤ .

الانساني من سلطة الأوهام والظنون وأبطلت سلطة رجال الكنيسة ، ونسخت معظم ماكان الرجال يرونه من مزاياهم التي يفضلون بها النساء .

والمتمعن في كتاب قاسم يستطيع أن يميز أمورا متعددة ، منها عدم رضاه عن موقف العلماء والمشايخ الذين وقفوا في وجه دعوته ، ويرى أن المعترضين عليه والساخطين والساخرين منه ، انما يفعلون ذلك ارضاء لعامة الناس والجهال منهم ، وأن المشايخ الذين نددوا بآرائه هم أجهل الناس بأمور دينهم ، وأقلهم معرفة بكتاب الله ، ورأى ان الجرائد التي تسأل المشايخ عن آرائهم فيما يختص بالمسائل الاجتماعية وتستفتيهم في أمور المرأة مخطئة في ذلك ، لأنهم يقفون في وجه الاصلاح ، ولأن قضايا المرأة ينبغي ألا تبحث من زاوية دينية . "١"

وقد جرته خصومته لرجال الدين الى القسوة في الحكم على الحضارة الاسلامية ، وكان خصومه يرون أن النهضة الحديثة ينبغي أن تستمد من التراث الاسلامي ، دون الاعتماد على حضارة الافرنج "٢" ، ولهذا حاول في كتابه أن يثبت عدم صلاحيتها في أن تكون نموذجا يحتذى ، فالحضارة الاسلامية شيدت في رأيه على أساسين ، الأساس الديني الذى جعل من القبائل أمة واحدة ، والأساس العلمي الذى ارتقت به عقول المسلمين ، ولما كانت أصول العلم في ذلك الوقت ضربا من الظنون سيطر رجال الدين على زمام الأمور ، ووضعوا رجال العلم تحت مراقبتهم ، ورموهم بالزندقة والكفر حتى نفر الكل من دراسة العلم وهجروه . "٢"

فهو يرى أن القائمين على الدين كانوا سببا في اهمال العلم وتعطيل مدارك العلماء ، وأن التمدن الاسلامي بدأ وانتهى قبل أن يكشف الغطاء عن أصول العلم ، وهذا يعني أن قاسما لا يعترف للمسلمين بأى دور علمي ،

---

١) الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر ٣٠٨/١ .
٢) المرأة الجديدة ، ص ١/١ - ١٧٥ .

ويرى أن التمدن الاسلامي لا يمكن أن يكون نموذجا للكمال البشرى ، بل يعتقد أن كل الفضل يعود الى الأمم الأوروبية التي ورثت علم اليونان والرومان ، وأحلت سلطة العلم محل سلطة رجال الدين بعد جهاد طويل . "١"

ويرى قاسم أن كثيرا من مظاهر الحضارة الاسلامية لا يفيد في نظام المعيشة الحالية ، ولا يجد في هذه المظاهر ما يستحق أن يسمى نظاما ، وأن شكل الحكومة الاسلامية عبارة عن خليفة أو سلطان غير مقيد ، وأن سلطة الشعب في ظلّ هذا النظام كانت لفظية فقط. "٢"

أما الناحية العائلية عند المسلمين فهي مجردة من كل نظام ،حيث كان الرجل يكتفي في عقد زواجه بأن يكون أمام شاهدين ويتزوج عدة نساء . . أين هذه الفوضى من النظامات والقوانين التي وضعها الأوروبيون ؟ وأى شيء من هذا يمكن أن يكون صالحا لتحسين حالنا اليوم ، ان المدنية الاسلامية القديمة غير ماهو راسخ في مخيلة الكتّاب الذين وصفوها بما يحبون أن تكون عليه ، ولا يستغرب أن تكون المدنية الاسلامية قد أخطأت في فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها ، فالتمسك بها الى هذا الحد من الأهواء التي يجب أن تحارب ، لأن الميل اليها يجر الى التقهقر . "٣"

والحلّ عند قاسم أن نربي أولادنا على معرفة شئون المدنية الغربية والوقوف على أصولها وفروعها ومجاراة الأمم المتمدنة ،لأن التمدن يعني سوق الانسانية في طريق واحدة ، وهذا يعني أن قاسما يدعو الى الأخذ بالقيم الغربية دون التفات الى الخصائص التي تميز أمة عن أخرى ، والغريب في أمر قاسم أنه يدعونا الى تقليد الأوروبيين تقليدا تاما على الرغم من معرفته

---

١) المرجع نفسه ص ١٧١ - ١٧٣ .
٢) المرجع نفسه ص ١٧٦ - ١٧٧ .
٣) المرجع نفسه ص ١٨٢ - ١٨٣ .

بفساد عامتهم وخاصتهم ، ويعتذر عن هذا الفساد بأن هذه المدنيـة مؤسسة على الحرية الشخصية ، وأن الفساد لاحق طبيعي من لواحق الحرية ونتيجة من نتائجها ." (١)

وعلى الرغم من وضوح موقفه من المرأة الغربية " في تحرير المرأة " زاده وضوحا في " المرأة الجديدة " فدعا المصرية أن تجرى على نسق الأوروبية والأمريكية وتحذو حذوهما ، كما دعا الرجل الى ترك المرأة حرة لارادتها واختيارها في ذهابها وايابها ، ورأى أن أول عمل تخطوه المرأة في سبيل حريتها هو تمزيق الحجاب ومحو آثاره ، ويرى أن من حرية المرأة ألا يفتح الأب الخطابات التي ترد الى ابنته ، ويرى كذلك أن سلطة الزوج لا تبيح له أن يطلع على أسرار زوجته ، لأن هذا العمل يعد تجسسا مهينا على حرية المرأة ، ويبدى قاسم أمين اعجابه بالرجل الغربي الذى بلغ احترامه لحرية المرأة درجة كبيرة ، لأنه لا يعترض عليها أن تسافر وحدها الى أبعد مكان في الأرض ، ولأنه لا يعترض أن يكون لزوجته أصدقاء غير أصدقائه ." (٢)

ويرى قاسم أن عمل المرأة ضرورى لاستقلالها بمعيشتها ، ولا يتم استقلالها الا اذا دخلت فيما دخل فيه الرجال من المهن ، وتعلمت مايمكنها تعلمه ، حتى تتغلب على مزاحمة الرجال ، على الرغم من أنه يرى أن نزول المرأة الى ميدان العمل سيخلق طبقة من النساء عاطلة عن الزواج أسوة بما حدث في فرنسا ." (٣)

وليس من الصواب عنده أن تنقص تربية المرأة عن تربية الرجل ،

---

١) المرجع نفسه ص ١٩٦ - ١٩٧ .
٢) المرأة الجديدة ص ٣٢ ، ٣٨ ، ٦٧ - ٦٨ .
٣) المرجع نفسه ص ٧ ، ٦٧ .

فيجب أن تتعود على الرياضة كما تفعل النساء الغربيات ، وتشارك الرجال في أغلب الرياضات البدنية "١" ، وحتى تحافظ المرأة على ما اكتسبته من علوم ينصحها ألا تقيم في البيت ، بل لابد أن تشارك الرجل حياته ((ومايلزم أن نضع يدنا في يدها ، ونسير معها في الأرض ... وتحضر مجالسنا ... اننا نريد أن تتحسن حال المرأة المصرية ، بحطها على تقليد المرأة الغربية ...)) "٢"

وهذا وبعد أن استعرضنا معظم الآراء التي وردت في كتاب " المرأة الجديدة " ، يمكننا القول أن قاسما كشف فيه عن رأيه في الحضارتين الاسلامية والأوروبية ، وأنه لم يخف اعجابه الشديد بالقيم الأوروبية بينما حاول في " تحرير المرأة " أن يوفق بين الاتجاهين ، ويقرّب المسافة بين الحضارتين .

وسار قاسم في كتابه الثاني على منهج يختلف عن منهجه في الكتاب الأول ، فبينما أكثر في الأول من الأدلة النقلية المستمدة من الآيات والأحاديث والحوادث التاريخية ، حاول في الثاني أن يأخذ بمناهج البحث الحديثة ، فأكثر من ايراد الاحصاءات ، ورفض كثيرا من المسلّمات ، وفي الجملة حاول اتباع أسلوب علماء الاجتماع الغربيين الذى لا يمكن تطبيقه بدقة الا فيما يتصل بالعلوم التجريبية "٣" ، وهذا يعني أنه أخذ بوجهة نظر يعقوب صروف بترك الاستدلال بالنصوص الشرعية "٤" .

---

١) المرجع نفسه ص ١٥٧ ، ١٦١ ، ٢٢٦ - ٢٢٧ .
٢) المرجع نفسه ص ١٦٩ - ١٧٠ .
٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر ، ١/٣٠٢ - ٣٠٣ .
٤) المقتطف ، الجزء السادس ، ١ يونيو / حزيران ١٩٠٨ م ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .

واذا كان كتاب تحرير المرأة قد ووجه بمعارضة شديدة من بعض المفكرين ، فان كتاب " المرأة الجديدة " لم يواجه بنفس التشدد ، ولم يقف في وجهه أحد غير طلعت حرب الذى ألّف كتابه " فصل الخطاب في المرأة والحجاب " وكرر فيه موقفه الأول ، وأصرّ على رأيه في أن الحجاب أصل من أصول الشريعة الاسلامية ، وأنه لا يعيق تعليم المرأة وتربيتها .

وقد تعرّض كتاب حرب هذا الى حملة شديدة من بعض المجلات كالمقتطف ، التي دافعت عن التناقض الذى وقع فيه قاسم عندما دافع عن الحجاب في ردّه على " الدوق داركور " وبين هجومه عليه في كتابيه الأخيرين ، ووجهت اللوم الى طلعت حرب ((الذى ينسب كل تأخر تأخرناه الى اختلاطنا بالأجانب)) "١" .

كما دافعت مجلة أنيس الجليس عن قاسم أمين ، ورأت أنه مسلم عريق في اسلامه ، وطالبت الباحثين في أمر الحجاب أن يجتهدوا في تأويل النصوص الشرعية حتى يمكن الأخذ بآراء قاسم بعد أن ملأت آداب أوروبا اسماعنا وقلدناها على الدوام ، وترى أن نساء المسلمين المحجبات قد صرن يلبسن لباس الباريزيات ((فاذا نضون اللثام بعض الشيء فلا يكون هذا الخطب العظيم بمذكور ، لأن نساء المسلمين يصبحن به مثل الأوروبيات ، وليس في ذلك مايشين ...)) "٢"

أما مجلة " الهلال " التي أصدرها جرجي زيدان ، فأطلقت على قاسم أمين لقب " محرر المرأة المسلمة " ، ووصفت ماقام به ، أنه شجاعة أدبية يندر مثالها ، ولا يتمّ الاصلاح الا بها ، وأن فضل قاسم ليس في معرفة حقوق المرأة فقط ، بل في التصريح بذلك على رؤوس الملأ "٣"

---

١) المقتطف ، الجزء الثامن ، ٢٦ أغسطس آب ١٩٠١ ص ٧٥٥ . وانظر مجلة المرأة في الاسلام ، السنة الأولى ، العدد السادس ١٥ يونيو/ حزيران ١٩٠١ ص ٨١ .

٢) أنيس الجليس ، السنة الرابعة ، الجزء السادس ، ٣ يونيو / حزيران ١٩٠١ م ص ٦٨٠ - ٦٨٢ .

٣) الهلال ، السنة التاسعة ، العدد ١٢ ، مارس / آذار ١٩٠١م ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

ووصفت مجلة " الجامعة " التي كان يصدرها فرح أنطـــون قاسما بأنه " ديكارت جديد " ، لأنه على حد قولها هدم السور الذى أقامته المدنية الاسلامية ، والذى كان يحول بين المرأة والعالم الخارجي ، وأن كتابي قاسم سيحدثان انقلابا في الشرق ينتظره العقلاء منذ زمن بعيد "١"

واعتذرت المنار عن مغالاة قاسم في بيان مضار الحجاب ، وادّعـت أنه لابد من شيء من الباطل لأجل الوصول الى الحق ، كما اعتذرت عـن الشيخ محمد عبده عندما رفض أن يدلي برأيه في كتاب " المرأة الجديدة " ، وعللت ذلك بكثرة مشاغله ، وأن وقته لا يسمح بقراءة الكتاب. "٢"

وكانت المقتطف أكثر حماسا من غيرها فأطلقت على قاسم لقـــب " لوثر الشرق " ودعت أهل الاسلام الى القيام بثورة اسلامية اصلاحيـة ، وجعلت قاسما من زعماء هذه الثورة ، ودعت غير قاسم أن يجرى على طريقته في الدعوة الى اهمال المدنية الاسلامية والاتجاه الى الحضارة الغربية. "٣"

على أنه لم يؤيد من المجلات والصحف فقط بل لقد أيده في دعوته رئيس النظار مصطفى فهمي ، وربما كان هذا من دواعي جرأة قاسم وتماديه "٤"

---

١) الجامعة ، السنة الثانية ، الجزء العاشر ، عدد يناير ونصـف فبراير ١٩٠١ ص ٦٢٦ - ٦٢٨ .

٢) المنار ، الجزء الأول ، ٢٠ فبراير / شباط ١٩٠١ ص ٢٦-٣٤ .

٣) المقتطف ، الجزء الثاني ، ١ فبراير / شباط ١٩٠١م ، ص ١٧١ - ١٧٣ .

٤) المقتطف ، الجزء الثاني ، ١ فبراير / شباط ١٩٠١ م ص ١٧٣ - ١٧٤ . ومصطفى فهمي هذا ، صديق كرومـــر ورئيس نظار مصر أكثر من ثلاثة عشر عاما ، وقد امتدحه كرومـــر في خطبته التي تحامل فيها على المصريين ، وعدّه مع سعد زغلول من عقلاء مصر ، وهو من أصل كردى عمل في أول حياته محاميا ، وكان استاذا لقاسم أمين ، وكان من أوائل المصريين الذين تعاونوا مع الانجليز عند احتلالهم مصر .

ويبدو أن دعوة قاسم لتقليد الغرب لم تكن محصورة في مجال المرأة ، لأنه فيما ذهب اليه عدّ الايمان مسألة شعور صرف ، وأن اختصاص الدين لا يتعدى دائرة المجهول "١" ، كذلك انتقد المبالغة في تقدير اللغة العربية ، ورأى أنه لا ضرورة لاستبدال الكلمات الأجنبية بأخرى عربية ، فمثلا كلمة " أوتوموبيل " تقوم عنده مقام كلمة " سيارة " واقترح تسكين أواخر الكلمات حلا لمشكلة اللحن وتقليدا للغات الأوروبية . "٢"

وعندما عمل قاسم رئيسا للجنة تأسيس الجامعة بالنيابة اتهمته مجلة المجلات العربية باخفاء نشاطات أعمال اللجنة بقولها : ((في الأسابيع الأولى من حياة لجنة المشروع .. كانت محاضر أعمالها ترسل الى الجرائد ، ولكن احتجبت أعمال اللجنة عن الأمة بالمرة ، فهل أصبحت اللجنة الآن من اللجان الماسونية السرية ؟)) "٣" .

ويبدو أنه ظل حريصا على تحقيق مبادئه في الاختلاط حتى آخر لحظة من حياته ، فحضر احتفالا أقيم في نادي " دار العلوم " بمناسبة زيارة وفد من الطالبات الرومانيات لمصر ، وخطب في هذا الاحتفال قائلا : ((قرّب الله ذلك اليوم الذي نرى فيه الطالبات المسلمات المصريات جالسات بجانب طلبتنا كجلوس زائراتنا بجانبهم)) "٤" ، وحتى تتحقق أمنية قاسم اقترح " أخنوخ فانوس القبطي " في حفلة اقامها نادي النيل في أسيوط ، لتأبين قاسم تطبيقا عمليا لمبادئه ، وهو أن يأخذ الكبراء والأدباء والقضاة وغيرهم ((كل بذراع امرأته ويمشي معها في طرق رقي

---

١) المحيط ، السنة السادسة ، العدد الخامس ، أول مايو / أيار ١٩٠٨ ص ١٩٧ .

٢) المحيط ، السنة السادسة ، العدد الخامس ، أول مايو / أيار ، ١٩٠٨ ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

٣) مجلة المجلات العربية ، السنة السابعة ، العدد الثاني ، فبراير / شباط ١٩٠٧ ص ٦٠ .

٤) الجامعة ، السنة السادسة ، الجزء الخامس ، يونيو / حزيران ، ١٩٠٨ ص ١٢٠ . والواقع أن خطبة قاسم أمين أمام ==

الأمة المصرية ...)) "١" .

واذا صحّ ماذكره سعد زغلول في مذكراته تحت عنوان ((موت صديقي قاسم)) أن موت قاسم كان نتيجة الانتحار ، لأنه كان عاشقا لزوجة أحد أصدقائه ، فان قاسما كان أول جان لثمرات الاختلاط الذى دعا اليه . "٢"

وفي ظننا أن الضجة التي أثيرت حول آراء قاسم ماكانت تصل الى هذا الحد ، لو لم يحاول أن يلبس دعوته ثوب الدين ، لأنه بهذا كان أول مسلم يطرح لمشاكل المرأة المسلمة في مصر حلولا ليست مستوحاة من حضارة المسلمين وتقاليدهم .

ومهما يكن فقد وجدت الصحف والمجلات في دعوته زادا لحملتها على التقاليد ، فمثلا ترى مجلة " الضياء " أن على المرأة المسلمة أن تطالب بالغاء الحجاب والسماح لها بالاختلاط ، لأنهما من دواعي تأخر المرأة ، ((وبالاختصار فانها حائزة جميع الحقوق التي تتمتع بها سواها ماخلا الحجاب والمنع من مخالطة الرجال ، وهو مهما قيل في وجوبه لا شك أنه من دواعي تأخر المرأة وانحصار معارفها في حدود ضيقة)) "٣"

== وقد البنات الرومانيات تنفي ماقاله الأستاذ أنور الجندى ، بأن قاسم أمين عدل عن دعوته ، وتبين له أنه أخطأ في الطريق ، وقد نقل الأستاذ الجندى هذا الخبر عن مجلة " الظاهر " التي كان يصدرها محمد ابو شادى ، حيث صرح قاسم بهذا التصريح " للظاهر " في اكتوبر ١٩٠٦م . انظر الاعتصام ، السنة ٤٢ ، العدد ٩ أغسطس / آب ١٩٧٩م ص ١٩ .

(١) المحيط ، السنة السادسة ، العدد السادس ، أول أغسطس/آب ١٩٠٨م ص ٢٧٣ - ٢٨٢ .

(٢) سعد زغلول ، لعبد الخالق لاشين ص ٢٥٤ - ٢٥٥ ، نقلا عن مذكرات سعد زغلول ، كراس ١٢ ص ٦٣٠ - ٦٣٣ .

(٣) الضياء ، السنة الرابعة ، ١٩٠١ - ١٩٠٢ ، ص ٢٥٦-٢٦٦

وعند ما وجدت المجلات أن محاولاتها الدائبة مع المرأة المصرية لتقليد الأوربية لم تؤت ثمارها المرجوة بالسرعة المطلوبة ، اتجهت نحو المرأة التركية ، عسى أن تقتنع المصرية باتخاذها نموذجا يحتذى ، فقالت مجلة الحكمة : ((... وهاكم النساء في الأستانة العلية دار الخلافة الاسلامية ، فانهن يتجولهن في الشوارع ويدخلن المنازل ويشترين ماشئن حاسرات الوجوه مظهرات السواعد ... وأن النشأة هي المعول عليها في صيانة المرأة وليس المعوّل على الحجاب ...)) "١"

حتى اذا أشبعت المجلات مسألة الحجاب بحثا وتفنيدا ، انتقلت الى التركيز على موضوعات أخرى مثل عمل المرأة واختلاطها ، فدعت مجلة أنيس الجليس المرأة العربية الى العمل بعد أن تحرر وتعتق على حد زعمها ، ((لأن الشيء الذى كان يطلب من المرأة صنعه في بيتها وبيدها صنعا خاصا لها ولأسرتها قد صارت تصنعه في غير بيتها بمشاركة سواها ، فيكون لها وللجميع ... وعلى هذا انقطعت الخدمة البيتية وقامت مقامها خدمة الأسواق ، وأصبح تحرير المرأة كأنه تحرير لها من منزلها ، حتى نسيت كل أشغال البيت المطلوبة)) "٢" ، فالمجلة تدعو المرأة المصرية الى التخلص من عبودية البيت كما فعلت المرأة الغربية ، لتجعلها عبدة عند أصحاب المصانع .

ودعت مجلة فتاة الشرق المرأة المصرية الى ترك بيتها أسوة بالأمريكية التي لم تعد تحتمل أن تبقى ضمن جدران البيت ، وأن تبقى معارفها محصورة في ترتيب أثاثه وفي الطبخ والغسل وغير ذلك من الأشغال المملة التي تسبب الضيق النفسي والعقلي ، والتي ماتزال نساء الشرق تتعاطاها ، وحضت النساء أن ينزلن الى ميدان العمل بحجة أن أكثر الأشغال أصبحت آلية لا تحتاج الى جهد عضلي ، وهذا ماتستطيع النساء أن تفعله بسهولة "٣" .

---

١) الحكمة ، السنة الأولى ، العدد التاسع ، أول فبراير شباط ١٩٠٥ ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

٢) أنيس الجليس ، السنة الرابعة ، الجزء التاسع ، ٣٠ سبتمبر/ أيلول ١٩٠١ ص ٧٨٧ - ٧٨٩ .

٣) فتاة الشرق ، السنة السابعة ، الجزء الرابع ، ١٥ يناير/ كانون الثاني ١٩١٣ ص ١٤٢ - ١٤٣ .

ودعا شبلي شميل الى القيام بثورة عنيفة لاقتلاع العادات الراسية في المجتمع كالحجاب وغيره ، ورأى ((أن تحرير المرأة الى الغاية القصوى لا يتم بدون تحرير الجسم الى الغاية القصوى أيضاً ، فطالب تحرير المرأة لا يسعه أن يطلبه من جهة واحدة)) ، ولهذا فهو يعتبر الحجاب كفنا وبقية باقية من ضروب الظلم ، وهو يرى أن المرأة المصرية لو تخلصت من حجابها لتخلصت من أكثر عيوبها . "١"

وهكذا اتخذت بعض الصحف والمجلات من هدم الحجاب وسيلة لفتح باب البيت المسلم على مصراعية للراهبات والمبشرات ، كي ينفذن اليه بعد أن تعذر عليهن ذلك بسبب الحجاب ، فقد اشتكى الفيلسوف الفرنسي " جول سيمون " في كتابه " المرأة في القرن العشرين " ، ((أن أرباب الدين يبعثون المرسلين الى الشرق ، لكن هؤلاء المرسلين لا يدخلون بين الرجال الا بصعوبة ، فضلا عن كونهم لا يستطيعون مخالطة النساء والنفوذ اليهن ، أما الراهبات فانهن ينفذن الى النساء ، ولكنهن لا يخالطن الا النساء المهجورات أو المتألمات ...)) "٢"

ومن الموضوعات التي خاضت فيها الصحف والمجلات موضوع الزواج ، فدعا بعضها الى الزواج المدني أسوة بما يحدث في أمريكا وأوروبا ، فمثلا كتب مرقص فهمي المحامي رواية بعنوان ((المرأة في الشرق)) طالب فيها مع رفع الحجاب والسماح بالاختلاط وحجر التعدد بضرورة ((الترخيص بحل الزواج بين المسلمين والأقباط ، فيجوز لقبطي أن يتزوج مسلمة ، كما أباح الشرع عكسه ، حتى يمتنع التعصب وينتفي التصور المستحكم بين الجهتين ، وتتم الحضارة والمدنية)) "٣" ، فالحضارة لا تدخل مصر الا اذا أسفرت المرأة وتزوجت المسلمة من القبطي على حد زعم الكاتب .

---

١) فتاة الشرق ، السنة الخامسة ، الجزء الأول ، ١٥ اكتوبر / تشرين أول ١٩١٠ ص ١٤ - ١٨ .

٢) الجامعة ، السنة الثانية ، الجزء العاشر ، يناير/ ونصف فبراير ١٩٠١ م ص ٥٩٣ .

٣) المقتطف ، الجزء السادس ، ١ يونيو /حزيران ١٩٢٨م ص ٦٨٥ .

وهكذا أصبح الزواج المدني من الموضوعات التي تطرقها المجلات باستمرار "١" ، وبعد أن كان الكلام عن الزواج المدني مجرد تعريف به ، أصبح له أنصاره ودعاته والمدافعون عنه ، فكتبت مجلة أنيس الجليس مقالا عن الزواج المدني بينت فيه أن أمريكا والدول الأوروبية قد آثرت الزواج المدني المنسوب الى نابليون ، حيث حدد هذا القانون سن الثامنة عشرة للرجال والخامسة عشرة للنساء "٢" ، وهذا ما طالبت به الجمعيات النسائية في مصر فيما بعد .

أما مجلة الاستقلال فنشرت مقالا بعنوان ((هل الزواج الدائم مفضل عن الزواج الموقت)) "٣" ، وكتب بولس مصوبع في مجلة المستقبل داعيا الى الزواج المدني بقوله : ((... أوليس من نكد الدنيا على الحر في شرقنا أن يتقيد بالزواج الديني في حين أن الزواج عقد من صميم العقود المدنية ، وأنه عند الأمم المتقدمة زواج مدني ..)) "٤" .

ولم يقف أمر تقليد نساء أوروبا عند هذا الحد بل دعت بعض المجلات السيدات الى استعمال التبغ أسوة بنساء أوروبا فقالت : ((.. وأصبح الجميع - تعني في أوروبا - يستعملونه حتى النساء والأولاد ، وأصبح ما كان عارا على النساء بالخصوص ، وهو كأنه من مكملات مدنيتهن ومتممات محاسنهن ، ولهذا صار شيئا مألوفا أن تقدم تهفك لكل امرأة تزورك ... وهو وان لم يكن جاريا كل هذا المجرى هنا ، فجار في أوروبا ، وسيجرى عندنا بعد حين

---

١) الضياء ، السنة الرابعة ، ١٩٠١ - ١٩٠٢ ، ص ٢٢٩ .
٢) أنيس الجليس ، السنة السادسة ، الجزء الثامن ، ٣١ أغسطس/ آب ١٩٠٣ م ص ١٤٦٥ .
٣) الاستقلال ، السنة الثانية ، الجزء الخامس ، ٣١ مايو/ أيار ١٩٠٣ ص ١٥٥ - ١٥٨ .
٤) المستقبل ، السنة الأولى ، العدد ١٤ ، ٩ أغسطس /آب ١٩١٤م ص ٣٠٨ .

مدفوعا بنفس السبب ... وهو كون المرأة صارت حرة تشتغل لنفسها ، كما يشتغل هو تماما فكان لابدّ لها مما لابدّ منه ..)) "١"

وبدأت المدنية الغربية تغزو مصر في كثير من نواحي الحياة ، ولم تعد المجلات تجد ضيرا في الكتابة عن الجمعيات المختلطة ومسابقات الجمال بين النساء ، فقد كتبت مجلة فتاة الشرق مقالا بعنوان " معرض الحسان " ذكرت فيه أنه ((أنشئت جمعية مختلطة في الاسكندرية في أوائل هذه السنة للسمر بين الأسر واحياء الحفلات الراقصة ، وقد أعلنت هذه الجمعية أنها ستفتتح حفلات هذا الشتاء بمعرض للحسان تتسابق فيه الغيد لاظهار ما أودع فيهن من أسرار الجمال ...)) "٢"

وهكذا أصبح المجتمع المصرى مضطرا أن يتقبل كل بدعة تصدّر اليه من الغرب ، وأصبح سيل جارف من العادات يدخل مصر ، والمرأة المسلمة تنظر حولها فلا تجد من ينقذها ، بل على العكس من ذلك تجد كل شيء حولها يغرى بالخروج على ما ألفت من العادات والتقاليد .

ويبدو أن الحاح المجلات والصحف على النساء ، كي يخرجن من دائرة البيت الضيقة قد أثمر ، وبدأت بعض نساء أغنياء مصر يحاولن القيام ببعض النشاطات ، فمثلا دعت زوجة محمود رياض عام ١٨٩٨م بعض النساء الى بيتها ، واقترحت عليهن أن تنشيء في منزلها ميدانا للعب كرة الطاولة ، ولكن استجابة النساء اللواتي عرضت عليهن الفكرة لم تكن مشجعة رغم محاولاتها المتكررة "٣" ، ويمكن وصف هذه الدعوة بأنها كانت أول محاولة نسائية في مصر لتكوين تجمع نسائي ويلاحظ أن هذه المحاولة كانت متجهة من البداية نحو النشاطات الرياضية ، وهكذا اخفقت المحاولة الأولى .

---

١) أنيس الجليس ، السنة التاسعة ، الجزء التاسع ، ٣١ أغسطس/ آب ١٩٠٦م ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

٢) فتاة الشرق ، السنة الخامسة ، الجزء الثاني ، ١٥ نوفمبر /تشرين ثاني ١٩١٠م ص ٧٠- ٧١ .

٣) الأسبوع ، السنة الأولى ، العدد الرابع والعشرون ، ٩ مايو / أيار ١٩٣٤م ص ٢٢ .

وحاولت ألكسندره أفرينو "١" صاحبة مجلة أنيس الجليس أن تقوم بدور نسائي نيابة عن نساء مصر ، دون أن يكلفها أحد بذلك ، فأهدت للجمعية الباريسية راية مطرزة بالذهب باسم نساء الأمة المصرية ، وألقت في باريس خطبا عديدة عن المرأة الشرقية ، والذى لا شك فيه أن صاحبة أنيس الجليس قامت بدور واسع في سبيل اقناع المرأة المصرية بالسير على خطوات المرأة الغربية من خلال مجلتها ، حتى ليمكننا القول أن مجلتها قامت بدور مماثل لدور صالون نازلي فاضل ، وحتى كان من آثار ذلك النشاط أن ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وجوه نسائية كان لها رأى فيما يدور حولها .

ومن هؤلاء عائشة التيمورية "٢" التي عبرت عن رأيها في نساء عصرها ورجاله ، فهي ترى أن الله تعالى فضّل الرجال على النساء بما أنفقوا من أموالهم ، ولكن الرجال والنساء انحرفوا عن هذا الطريق ، فأصبح همّ كل رجل من الاقتران بامرأة البحث عن المال والضياع والعقار ، دون

---

١) الكسندرة أفرينو : هي ابنة قسطنطين لحوخوري . ولدت في بيروت ، ثم قدمت الاسكندرية في العاشرة من عمرها ، تزوجت من رجل يوناني يدعى " ملتيادى دى أفرينوه " ، نظمت الشعر وأنشأت مجلة " أنيس الجليس " في الاسكندرية عام ١٨٩٨م ، منحها نابليون الثالث عشر وسام القديس بطرس ، ومنحها بطريرك القدس صليب القبر المقدس ، وزارت البابا " بيوس العاشر " مرتين في روما . انظر مجلة " فتاة الشرق " ، السنة العاشرة ، الجزء الأول ، ١ أكتوبر / تشرين أول ١٩١٥م ، ص ٣ - ١١ .

٢) ولدت في القاهرة عام ١٢٥٦ هـ ، درست علوم العربية والفارسية والتركية ، وكتبت الشعر بهذه اللغات ، لها ديوان حلية الطراز ، وكتاب نتائج الأحوال ، كانت بينها وبين نساء عصرها مراسلات توفيت عام ١٩٠٢م في القاهرة . انظر كتاب المرأة في عالمي العرب والاسلام ، تأليف عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى ٢/٢٩٨ - ٣٠١ .

أن يسأل عن العفاف والنسب والتدين فيمن يقترن بها ، وليس له من هم سوى الاستيلاء على أموال زوجته ، لينفقها خارج البيت على ملذاته ، ليعود في آخر الليل مخمورا ، وواضح من موقف عائشة التيموريه أنها لا ترضى عن هذه التصرفات من قبل الرجل ، وأنها تريد منه أن يعمل خارج بيته ، ليسد حاجات أسرته ، وأن على المرأة أن تدبّر شئون منزلها ، فاذا اختلف الحال واعتمد الرجل في تدبير أمور معاشه على زوجته فان الأمور تختل ، ويؤدي ذلك الى اضطراب معيشة الزوجين وفسادها ، وحتى تدلل على وجهة نظرها ساقت قصة الأسد الذى اعتمد على أنثاه في طعامه وأطاعته الزوجة بعض الوقت ، ثم صارت تعطيه ما تبقى من طعامها ، فلما ثار الأسد على هذه الحالة ، وطالب أن يتناول الطعام قبلها أجابته أنثاه ، ((كان ذلك منذ كنت أنت أنت وأنا أنا ، أما الآن وقد انعكس الحال وصرت أنا أنت وأنت أنا ، فلك عليّ ماكان لي عليك ، ولي عليك ماكان لك عليّ)) . وبهذا عبرّت عن رفضها فكرة عمل المرأة خارج بيتها لأنها تعرّض مقاييس المجتمع للخطر ، كذلك رأت أن سبب فساد أخلاق بعض النساء ناجم عن سوء التربية وعدم التهذيب ، وحتى تستقيم حياة الأسرة وتنتظم أمورها فان على الزوجة أن تنقاد لأوامر الزوج ، وعليه أن يتحمل القيام بكل حقوقها ، أما اذا انقلب الموضوع ، وصار لها الولاء ، فان الزوجة تلقي وشاح الحذر ، وترمي ببرقع الحياء. "١"

ودعت التيمورية الى ضرورة تربية البنات وتعليمهن ، لأن العائلات لا تصلح الا بذلك "٢" ، وعلى الرغم من دعوتها الى تربية البنات وتعليمهن ظلت متمسكة برأيها في ضرورة المحافظة على الحجاب ، ولم توافق على آراء قاسم أمين بضرورة تركه ، فقالت : "٣"

---

١) الحركة النسائية الحديثة (قصة المرأة العربية على أرض مصر) تأليف الدكتورة اجلال خليفة ، المطبعة العربية الحديثة ص ٣١ - ٣٢ .

٢) المرأة في عالمي العرب والاسلام ٢/٢٠٠ .

٣) حلية الطراز ، لعائشة التيمورية ، مطبعة دار الكاتب العربي ١٩٥٢ م ، الطبعة الأولى ص ٢٦٥ .

بيد العفاف أصون عزّ حجابي وبعصمتي أسمو على أترابي

وكانت زينب فواز "١" من النساء اللواتي ساهمن في الحركة النسائية في مصر ، وكانت معاصرة لعائشة التيمورية ، وكان لها تأثير على نساء عصرها ، وعلى الرغم من أن زينب فواز لم تكن ممن يطالبن بالغاء الحجاب ، وجهت اللوم الى الرجل لتشدده ((باغلاظ الحجاب وسد أبواب التعليم في وجه المرأة وعدم الخروج من المنزل وحرمانها من حضور المحافل النسائية العامة الى حدّ أنه كان يخيل اليها أن تلك الأفعال من الموبقات ..)) "٢"

وتهيب زينب بنساء عصرها أن يتعلمن الآداب والعلوم ، ويشمرن عن ساعد الجد ، من أجل سعادتهن التي لا تتم الا بالأخلاق الحميدة المهذبة والعفة والذكاء والرصانة وحسن السلوك "٣" ، وترى أن الحضارة والتمدن اللذين وصل اليهما الانسان بحاجة الى الشريعة ، كمرشد يدعو كلّ واحد الى الوقوف عند حدّه "٤" .

---

١) ولدت زينب فواز عام ١٨٦٠ م في صيدا ، وارتحلت في العاشرة من عمرها الى الاسكندرية ، حيث تعلمت القراءة والكتابة على أحد المشايخ في الاسكندرية وكتبت الشعر ، ألفت كتاب الدّر المنثور ، وترجمت فيه لكثير من شهيدات النساء ، قالت في مقدمة كتابها : ولم أر من أفرد لنصف العالم الانساني بابا باللغة العربية جمع فيه من اشتهرن بالفضائل مع أنه نبغ منهن جملة سيدات لهن المؤلفات ... فلحقتني الحمية والغيرة النوعية على تأليف سفر يسفر عن محيا فضائل ذوات الفضائل .
انظر الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور تأليف زينب فواز ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة - بيروت . وانظر في ترجمة حياة زينب فواز ، كتاب بلاغة النساء في القرن العشرين ، جمع فتحية محمد ، القسم الأول ص ١١٦ .

٢) بلاغة النساء في القرن العشرين ، القسم الأول ص ١٢٤ .

٣) المرجع نفسه ، ص ١٢٥ .

٤) المرجع نفسه ص ١٢٩ .

وتخالف زينب فواز قاسم أمين فيما يتعلق بالاختلاط ، فهي ترى أن لا ضرورة للاختلاط لأن الشرع نهى عنه ؛ ولكن لا حجاب بين المرأة ودرس العلوم واكتساب المعارف ، ولهذا تدعو الى تشييد المدارس لتعليم البنات على مقتضى القواعد الدينية. "١"

ويبدو أن زينب فوّاز بما دعت اليه من آراء كانت متأثرة بمبادئ الحزب الوطني الذى رفض دعوة قاسم الى الاختلاط ، ولكنه دعا الى تربية الفتاة وتعليمها ، ولذلك وقفت تخطب في السيدان في الذكرى الأربعين لوفاة مصطفى كامل. "٢"

على أن محاولات النساء لتأسيس جمعيات نسائية كانت ماتزال تداعب أذهانهن ، على الرغم من فشل المحاولة الأولى التي أشرنا اليها ، ويبدو أن التقليد كان هو الدافع وراء ذلك ، فقد دعت الأميرة "عين الحياة" الى تكوين جمعية من السيدات المصريات على غرار الجمعية التي أنشأتها زوجة " كرومر " ، وقد فشلت هذه الجمعية أيضا ، لكن مؤسستها نجحت في عقد أول اجتماع نسائي في الجامعة الأهلية عام ١٩٠٨ م لسماع محاضرة ألقتها امرأة فرنسية متخصصة في الآداب ، وكان هذا أول اجتماع من نوعه تلقى فيه محاضرة على مسامع السيدات في مصر. "٣"

ثم كانت محاولة أخرى عام ١٩٠٩ م حيث أنشئت جمعية المرأة الجديدة ، التي انضمت اليها هدى شعراوى وأصبحت رئيسة فخرية لها "٤" ، ولكن الجمعية لم تواصل عملها .

---

١) المرجع نفسه ص ١٣٥ .

٢) المرأة المصرية من الفراعنة الى اليوم ، تأليف درية شفيق ، الناشر مطبعة مصر ، ١٩٥٥م ص ١١٣ .

٣) المصرية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ١٥ فبراير/ شباط ١٩٣٧م ص ١٣ .

٤) المرأة المصرية ، لدرية شفيق ، ص ١٤٤ .

— ٨ —

وفي هذه الفترة بدأ حزب الأمة يتغلب شيئا فشيئا على الحزب الوطني بعد موت مصطفى كامل ، وكان اتجاهه غربيا أوروبيا ، وكان يدير ظهره للخلافة ، وينادى بالاصلاح على الطريقة الأوروبية ، وبفصل الدين عن الدولة ، واستبدال الرابطة الوطنية بالرابطة الدينية ، ولما كان أحمد لطفي السيد هو مفكر الحزب والمسئول عن جريدته ، بدأ يوجه الحركة النسائية فوضع قاعة صحيفة " الجريدة " تحت تصرّف النساء أيام الجمع ، كي يستمعن الى محاضرات تلقى عليهن "١" ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل أنشأت الجامعة الأهلية قسما ليليا تلقى فيه المحاضرات على النساء ، وبدأت الجامعة ترسل الدعوات الى النساء بواسطة خطابات باسم كل مدعوة ، وقامت باحثة البادية بالقاء بعض المحاضرات ، فكانت أول خطيبة نسائية في حزب الأمة "٢" ، ولكنها أصرّت على أن الوقت مايزال غير مناسب لترك الحجاب ودعت الى المحافظة عليه ، لأن ازالة الحجاب واختلاط النساء بالرجال سيجرّ على المرأة متاعب لا حصر لها . "٣" ورفضت الدعوة الى تقليد الغرب في اللباس والأزياء ، لأن ماعند الغربيين لا يوافق روح الشرق ، وتقليد الشرق للغرب يفقده مقوماته ، لأن الضعيف اذا قلّد القوى فني فيه ، ولهذا ترى ((أنه لابد من ايجاد مدنية خاصة بالشرق تلائم غرائزه وطبائع بلاده ، ولا تعوقنا عن اجتناء ثمرات التقدم الحديث ...)) "٤"

---

١) المنار ، الجزء الرابع ، مايو / أيار ١٩٠٦ ص ٢٧٦ - ٢٨٢ ، وانظر الاسلام والتجديد لتشارلز آدمز ص ٢١٤ . وانظر تطور الأدب الحديث في مصر ، تأليف أحمد هيكل ص ١٠٢ ومابعدها .

٢) الحركة النسائية الحديثة ، لأجلال خليفة ص ٨٤ . المصرية السنة الأولى ، العدد الأول ، ١٥ فبراير / شباط ١٩٣٧ ، ص ١٣ . وانظر صورة المرأة في الرواية المعاصرة د. طه وادى ص ٣٣ .

٣) النسائيات بقلم باحثة البادية (ملك حفني ناصف) مطبعة التقدم بمصر ص ٩ .

٤) المرجع نفسه ص ٢٩ .

وحملت باحثة البادية على المصريين الذين يتزوجون بالأجنبيات، ورأت أن أكثرهن ((ان لم نقل كلهن من فريق الراقصات والخادمات وأضرابهن ... أليس من العار أن تقدر على أن تجعل ابنك شريفا من أم ذات حسب فتختار أن يكون ابن راقصة أوروبية ...)) "١"

ولم تكتف بذلك بل حملت على خريجات مدارس الراهبات "٢" ، وعلى النساء اللواتي يستعطلن الأصباغ "٣" ، وأنكرت على النساء تعاطي التبغ والخمر ، ((انهن والأسف ملء فؤادي يتعاطين الخمر سرا وجهرا ، أعوذ بالله من شرّ المدنية الحديثة ومن شرّ التقليد الأعمى ، الرجل أبشع مايكون حين يسكر ، والمرأة أبشع ماتكون حين تشرب الخمر ...)) "٤" ؛

على أن باحثة البادية قامت بالموازنة بين المرأة الغربية والمرأة المصرية ، ودعت الى التمييز بين ماهو ضار ومفيد ، ((واذا أردنا أن نكون أمة بالمعنى الصحيح تحتّم علينا أن لا نقتبس من المدنية الأوروبية الا الضروري النافع بعد تمصيره ...)) "٥"

واذا أعدنا النظر في مواقف النساء التي ذكرناها ، وجدنا أنهن كن أكثر حذرا من الرجال في الاندفاع نحو التقليد .

وحرصا على انشاء جمعية خاصة بهنّ ، وهذا مانجحن فيه بعد ذلك ، تألفت " جمعية اتحاد النساء التهذيبي " ، حيث اجتمعت فئة من النساء في دار الجامعة المصرية ، وافتتحت الاجتماع السيدة " بنسج "

---

١) المرجع نفسه ص ٣٠ .
٢) المرجع نفسه ص ٣٢ .
٣) المرجع نفسه ص ٥١ .
٤) المرجع نفسه ص ٩٨ - ٩٩ .
٥) فتاة الشرق ، السنة الرابعة ، الجزء التاسع ، يونيه / حزيران ١٩١٠م ص ٣٢٧ - ٣٤٠ .

قرينة قائد الاحتلال الانجليزى ، فألقت على النساء خطبة بالانجليزية أبانت فيها عن الغاية التي تألفت من أجلها الجمعية (وهي تشجيع الفتيات اللواتي أنهين دروسهن في المدارس على متابعة التعليم ، بترددهن الى الجامعة واستماع المحاضرات . "١"

وهكذا شكلت أول جمعية نسائية في مصر بتشجيع وتوجيه من سلطات الاحتلال الانجليزى ، حتى أن الانجليزية كانت لغة التخاطب في جلسات هذه الجمعية ، كذلك كان أكثر عضوات مجلس الادارة غير عربيات (حيث تألف مجلس الادارة من السيدة " بنج " رئيسة ، والسيدة " دفونشير " سكرتيرة عامة ، وباحثة البادية سكرتيرة اللغة العربية (والسيدة " روبرتسون " سكرتيرة للغة الانجليزية . "٢"

ولو استعرضنا أسماء عضوات الجمعية ، لوجدنا أكثرهن كذلك من الأجنبيات أو من السوريات المسيحيات ، حيث كانت زوجة فارس نمر صاحب المقطم ، ومارى زياده ولبيبه هاشم من السوريات ومن المصريات برز اسم هدى شعراوى وباحثة البادية .

وقد نصّ قانون الجمعية ألا تتعرض لأى نقاش ديني أو سياسي "٣" ، وهذا يعني أن الجمعية أبعدت الدين عن نشاطها ، ويبدو أن هذا المبدأ سيصبح قاعدة تسير عليها الجمعيات النسائية فيما بعد ، ولكن هذه الحركة أيضا من قبل النساء لم يطل بها العمر ، اذ سرعان ماهبت رياح الحرب الأولى سنة ١٩١٤م ، فقضت على المشروع "٤" .

---

١) فتاة الشرق ، السنة الثامنة ، الجزء الخامس ، فبراير/ شباط ١٩١٤م ص ١٨٣-١٨٤ .

٢) فتاة الشرق ، السنة الثامنة ، الجزء الخامس ، فبراير / شباط ١٩١٤م ص ١٨٣ - ١٨٥ .

٣) المرجع نفسه . ص ١٨٨ .

٤) المصرية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ١٥ فبراير/ شباط ١٩٣٧م ص ١٤ .

وظل الأمر كذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، وخشي المصريون أن تتحول الحماية الانجليزية الى ضمّ نهائي ، ومن ثم كان اجتماع احمد لطفي السيد وسعد زغلول ومحمد محمود باشا وعلي شعراوى ، حيث دعا محمد محمود باشا الى ضرورة السعي ((للحصول على حقوق البلاد وتأليف وفد للعمل لهذه الغاية ، فأبى سعد زغلول موافقته على هذه الغاية قائلا : ((ان الوقت غير مناسب الآن ، الانجليز منتصرون ، وعددهم ومعداتهم كثيرة تملأ البلاد ، وهذا وضع لا أمل معه في الحصول على شيء منهم ، ثم استطرد سعد قائلا : أرى الأولى من ذلك أن تؤلف جمعية يساعد أعضاؤها بعضهم بعضا ...)) "١" .

ولكنّ سعدا عاد فغيّر رأيه ، وذهب مع عبد العزيز فهمي وعلي شعراوى لمقابلة " السير وينجت " لاستصدار تصريح منه لسفر الوفد الى أوروبا للمطالبة بحقوق مصر ، لكنّ (وينجت) حدّ مقابلتهم مجرد زيارة ليس لها طابع رسمي ، ولهذا فكر بعض المصريين في تعيين وفد للمطالبة باستقلال مصر ، بشرط أن يحصل هذا الوفد على توكيل من الناس بنيابته عنهم "٢" ، وأدى ذلك الى نفي الزعماء الذين طالبوا برفع الحماية عن مصر ، ومنهم سعد زغلول ومحمد محمود باشا وغيرهما ، وفي هذه الأثناء استغل حزب الأمة غضب الجماهير واشتراكها في المظاهرات تعبيرا عن سخطها على الانجليز، فدفع بالمرأة كي تشترك في المظاهرات ، تحقيقا لمبادئ لطفي السيد الذى كان يرى أن ترقية الفتاة المصرية وتعليمها ((اتيان للاستقلال من بابه ودخول الى التقدم من نهجه الواضح)) "٣" .

وهكذا اشتركت المرأة المصرية في المظاهرات ، فخرجت بعض

---

١) خمسون عاما على ثورة ١٩١٩م ، مؤسسة الأهرام ، مركز الوثائق والبحوث التاريخية ، مطابع الاهرام التجارية ص ١٢٨ .
٢) خمسون عاما على ثورة ١٩١٩ ص ١٣٧ - ١٣٨ .
٣) أنظر مبادئ لطفي السيد كتاب الهلال العدد ١٤٩ ص ١٥٦

السيدات في ١٦ مارس / آذار ١٩١٩ م في مظاهرة طافت شـوارع القاهرة ، وحملت المتظاهرات الأعلام الصغيرة ، وهتفن مطالبات بالحريـة والاستقلال وسقوط الحماية ، ويبدو أن زمام المبادرة انتقل الى أيدى النساء، حيث كان هتافهن يعلو ، وكان الرجال يرددون الهتافات وراءهن ، ووزعت النساء احتجاجهن ضد الانجليز على السفارات ، ثم قصدن " بيت الأمة " أى بيت سعد زغلول ، وعند وصولهن الى هناك طوقتهن قوة من البوليـس مدة ساعتين حتى تدخّل القنصل الأمريكي لدى القيادة البريطانية التـي أصدرت الأوامر بفك الحصار "١" .

وهكذا اتخذ حزب الأمة (الوفد) من ثورة ١٩١٩م فرصـة لاحداث ماينبغي من تغييرات في بناء الأمة الاجتماعي ، فاستغل انشغال الناس بالثورة وتأييدهم له ، فدعا الى اسهام المرأة في السياسة المصريـة ، فتكونت لجنة الوفد المركزية للنساء من زوجات وقريبات أعضاء حزب الوفـد ، وظهر أول تجمع نسائي سياسي في مصر على يد حزب الوفد ، وأصبحت هذه اللجنة فيما بعد نواة للاتحاد النسائي المصرى .

ورأست هدى شعراوى اللجنة المركزية للسيدات الوفديات على أثر اجتماع نسائي عقد في الكنيسة المرقسية حضرته خمسمائة سيدة مسلمة ومسيحية "٢" ، وكان لأستر فهمي ويصا دور كبير في عقد هذا الاجتماع ، فكانت لجنة الوفد المركزية للسيدات وليدة الكنيسة المرقسية "٣" ، وبعد اجتماع الكنيسة توالت اللقاءات

---

(١) ثورة سنة ١٩١٩م تأليف عبد الرحمن الرافعي ، مطبعة دار الشعب القاهرة ١٩٧/١ . وانظر كتاب خمسون عاما على ثورة ١٩١٩م ص ١٩٢ - ١٩٣ . وانظر المرأة المصرية ، لدرية شفيـق ، ص ١٢٧ - ١٢٩ .

(٢) الحركة النسائية الحديثة ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٣) انظر تحرير المرأة في الاسلام ، تأليف مجد الدين حفني ناصف، الطبعة الأولى ، مطبعة أبي الهول ، ١٣٤٢ - ١٩٢٤ م ص ٧٩ .

يذكر المؤلف أن لجنة الوفد المركزية للسيدات انتخبت فـي كنيسة الأقباط الكبرى ، حيث انتخبت هدى شعراوى رئيسة للجنة، ويبدو أن الكنيسة المرقسية هي نفسها كنيسة الأقباط الكبرى .

بين السيدات المصريات مسيحيات ومسلمات ، فزار وفد من السيدات المسلمات دار البطريركية القبطية ، لمشاركة زميلاتهن المسيحيات في العيد وتهنئة البطريرك به ، وألقين الخطب داخل الكنيسة ، وتلاه وفد النساء القبطيات الى المسجد الزينبي للتعبير عن شكرهن لوفد النساء المسلمات وتدعيما لعرى الاتحاد الوطني ، وهكذا أصبحت دعوة حزب الأمة لاستبدال الرابطة الوطنية بالرابطة الدينية مبدأ من مبادىء اللجنة المركزية للسيدات الوفديات ، ولم يقتصر الأمر على نساء القاهرة ، بل اجتمع وفد من النساء المصريات القبطيات والمسلمات في مسجد أبي العباس بالاسكندرية تعبيرا عن غبطتهن بالنهضة النسائية وتضامن المصريين والمصريات. "١"

وهذا يعني أن المرأة المصرية خرجت من عزلتها ، لتضع نفسها تحت تصرف الأحزاب السياسية التي لم تتوان عن استغلال النساء في سبيل تأييد مصالحها الخاصة ، وقد عبّر سعد زغلول عن رأيه في اشتراك النساء في الحياة السياسية ، فأثنى على دورهن وطالب بالاهتمام بهن حيث قال : ((انني أرى أن التربية السياسية للنساء يجب أن تمدها الشعوب كأول دور من أدوار الحضارة)) "٢" ، هذا الى أنه دعا زوجته الى مشاركته الحياة السياسية "٣" ، فلما نفي هو وبعض زملائه عام ١٩٢٢م ، أصدرت بيانا دعت فيه الأمة المصرية الى الالتفاف حول حزب الوفد ، وقد نسبت اليها بطولات ، منها أنها كانت تدخل المعتقلات سرا لتقوية الروح المعنوية للمسجونين . "٤"

وربما كان لسعد زغلول دور في تشجيع المرأة المصرية على السفور ، فقد عاد سعد عام ١٩٢٣م الى مصر وعادت معه على نفس الباخرة هدى

---

١) الهلال ، الجزء العاشر ، يوليو/ تموز ١٩١٩م ص ٨٨٧ . من مقال لعبد الفتاح عبادة .
٢) تحرير المرأة في الاسلام ص ٣٧ .
٣) المقتطف ، يونيو/ حزيران ١٩٣٧م ص ٣٠
٤) أسرار ثورة ١٩١٩م لمصطفى أمين ، دار المعارف بمصر ١٩٧٤م ٣٧٦/١ - ٣٧٧ . وانظر الهلال ، أول أغسطس /آب ١٩٦٨م ص ١٢٥ .

شعراوى : ((... ورفعنا النقاب أنا وسكرتيرتي سيزانبراوى ، وقرأنا الفاتحة ثم خطونا على سلم الباخرة مكشوفتي الوجه لنرى تأثير الوجه الذى يبدو سافرا لأول مرة بين الجموع ، فلم نجد له تأثيرا أبدا ، لأن كل الناس كانوا متوجهين نحو سعد متشوقين نحو طلعته)) .[١]

والظاهر أن سعدا أراد أن يكمل سيرة قاسم ، فتمنى أن تكـــون المرأة الى جانب الرجل في الاجتماعات العامة ، فقال في خطبة من خطبه : ((سادتي .. كنت أود أن أقول سيداتي سادتي ، وكنت أود أن أقول ذلك ، لأن للنساء دخلا كبيرا في نهضة الأقوام عموما ، وفي نهضة مصـــر خصوصا ، وأتعشم أن يأتي يوم أرى فيه خطباءنا يبدأون بتلك البداية ..))[٢] كذلك نجده يحاول استغلال المناسبات كي يلغي الحجاب ، ولذلـــك عندما وقفت فكرية حسن تخطب في احتفال عام بمناسبة عودته من المنفـــى ، رفع الحجاب عن وجهها معلنا بداية عهد السفور .[٣]

ولا ريب أن المرأة التي شاركت في المظاهرات قد تهيأت لهـــذا الاعلان بدليل قول فكرية حسن نفسها عما فعله سعد : ((وكان اليشمك يضايقني ، وسعدت جدا عندما رفع سعد زغلول الحجاب من فوق وجهـــي أثناء خطبة من خطبي ..))[٤] .

وفي سنة ١٩٢٤ م وهو رئيس للوزراء عبر عن رأيه بصراحة فـــي

---

١) المرأة المصرية ، تأليف درية شفيق ، ص ١٣٧ .
٢) المرجع نفسه ص ١٣٣ .
٣) المجلة الجديدة ، السنة الأولى ، العدد الخامس ، أول مارس / آذار ١٩٣٠م من مقال بعنوان : النهضة النسائيـــة في مصر ص ٥٢٠ - ٥٢٢ .
٤) المصور ، العدد ٢٣١٧ ، ١٧/٣/١٩٦٩م ، عدد خاص عن ثورة ١٩١٩م . وانظر كتاب صورة المرأة في الروايـــة العربية ص ٣٩ .

ضرورة تحرير المرأة ، وذكر أنه شارك قاسما أفكاره ، فقد زار سعدا وفد من طلبة مدرسة الحقوق ، وخاطبته طالبة من الطالبات نيابة عن وفد الطلبة من الجنسين ، فرد عليها قائلا : أيتها الآنسات ، اني مبتهج بزيارتكن وأعبر لكن بدوري عن سروري بروئيتكن راغبات في المعاونة في العمل الاجتماعي والفكري المفروض على الجميع ، اني من أنصار تحرير المرأة ومن المقتنعين به ، لأنه بغير هذا التحرير لا نستطيع بلوغ غايتنا ، ويقيني هذا ليس وليد اليوم بل هو قديم العهد ، فقد شاركت منذ أمد بعيد صديقي قاسم أمين في أفكاره التي ضمنها كتابه الذي أهداه الي ...)) "١"

ويبدو أن تصرفات سعد هذه وأمثالها هي التي جعلت رشيد رضا يصفه بالتفرنج في قوله : ((ثم ان سعدا دخل في أطوار التفرنج في معيشته وأفكاره الاجتماعية والقانونية ، وغلبت النزعة الوطنية عنده على فكرة الجامعة الاسلامية ...)) "٢" .

لكن الغريب أن سعدا الذى لقب بلقب الزعيم السفورى الجليل "٣" ، أحجم بعد توليه رئاسة الوزارة عن اعطاء النساء شيئا مما كان يعدهن به ، وكان الخلاف قد دب بين سعد وبين هدى شعراوى على أثر قبول سعد تصريح ٢٨ فبراير / شباط عام ١٩٢٢م والقاضي بترك قضية السودان دون حل ، وحق بريطانيا في حماية الأقليات ، ومنح بريطانيا وحلفائها امتيازات في الأراضي المصرية في حالة الحرب أو التهديد بالحرب ، وبقاء

---

١) آثار الزعيم سعد زغلول ، جمع وترتيب محمد ابراهيم الجزيرى ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٦ - ١٩٢٧ ، ١ / ٦٨ - ٧٣ .

٢) الاسلام والتجديد ، لتشارلز آدمز ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ . وانظر المنار ، المجلد الثامن والعشرون ص ٧١١ .

٣) صورة المرأة في الرواية العربية المعاصرة ص ٤٠ . وانظر مجلة الطليعة ، القاهرة ، نوفمبر / تشرين ثاني ١٩٦٩م ، السنة الخامسة ، العدد الحادي عشر ، ص ٦٦ - ٧٣ . وانظر : مقالة بعنوان : " الجذور التاريخية لنضال المرأة في مصر لوديع أمين " .

جنود الاحتلال في المدن ، فاتصلت هدى شعراوى بسعد وأبلغته بضرر هذه الشروط ، ودعت النساء الى القيام بمظاهرات ضد لجنة ملنر ، وأدى بها الأمر الى المطالبة باستقالته قائلة : ((التمس منك مادمت لم توفق وأنت في الحكم لتحقيق عمل ايجابي ، ألا تكون على الأقل حجر عثرة في سبيل جهاد أمتك للتخلص من الحالة الحرجة التي وصلت اليها ، لا أقول بسبب سياستك بل يكفي أن أقول أثناء حكمك ، وذلك بعمل سلبي هو التخلي عن الحكم .)) "١"

وازدادت شقة الخلاف بين سعد وبين النساء الوفديات ، عندما افتتح البرلمان المصرى لأول مرة في ١٥ مارس / آذار عام ١٩٢٤م ، فقد توقعت النساء الوفديات أن يتضمن خطاب العرش الاشادة بجهود النساء ضد الاحتلال الانجليزي ، لكنه لم يشر الى دور المرأة بشيء ، وبالاضافة الى ذلك أخذ الاتحاد النسائي على الحكومة التي ألفها سعد عدم تبنيها لمطالب الشعب الحقيقية ، فعقدت بعض النساء اجتماعا في بيت هدى شعراوى وأصدرت مذكرة بالمطالب التي ينبغي على الحكومة أن تتبناها "٢" .

- ٩ -

وهكذا انفصلت هدى شعراوى بالاتحاد النسائي عن اللجنة المركزية للسيدات الوفديات ، ومالت به نحو العمل الاجتماعي ونحو المؤتمرات النسائية العالمية ، حيث حضر الاتحاد النسائي المصرى مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي ، وشكت هدى شعراوى في هذا المؤتمر من تأثير الحجاب على

---

١) ثورة في البرج العاجي ، لمنيرة ثابت ، طبعة دار المعارف ص ٢ .
٢) الحركة النسائية الحديثة ص ١٦٢ - ١٦٥ .

((بقاء المرأة في درجة من العلم لا متأخر عنها ولا متقدم)) ، وتعرضت لقضية تعدد الزوجات ، ورأت أن من حق النساء أن يطالبن بالغاء هذه العادة ، التي توجد الشقاق في الأسر ، وختمت هدى شعراوى خطبتها أمام المؤتمر بقولها : ((ولنا الأمل الكبير أن نصل بفضل نصائحكن التي هي لنا نعم الهادى ، والاحتذاء بمثلكن التي نجد فيها خير مشجع الى تحقيق رغباتنا وبلوغ القصد ، وأننا نضع أنفسنا تحت تصرفكن لخدمة مبادئكن ونشر أفكاركن ...)) "١"

وبذلك وضعت المرأة الغربية مثلا أعلى تقتدى به في نشاطاتها النسوية ، وعادت تطالب بتحقيق المساواة السياسية والاجتماعية بين المرأة والرجل أسوة بالأوروبيات ، وطالبت بضرورة اصلاح العادات المتعلقة بالزواج حتى يتيسر للطرفين التعارف قبل التعاقد ، وبمعنى آخر طالبت بالاختلاط ، واعتبرته ضرورة من ضرورات الزواج ، وطالب الاتحاد بسن قانون يجعل سن الزواج عند البنت ستة عشر عاما الخ ... "٢"

على أن جمعية الاتحاد النسائي برئاسة هدى شعراوى تقدمت عام ١٩٢٤م بمطالب سياسية واجتماعية ونسوية ، للمساواة بين الجنسين في التعليم ، واشراك النساء في حق الانتخاب أسوة بالرجال ، وسن قانون بمنع تعدد الزوجات الا للضرورة ، كعقم الزوجة ويتم ذلك بشهادة من الطبيب الشرعي ، والزام الزوج اذا أراد طلاق زوجته ألا يفعل ذلك الا أمام القاضي الشرعي . "٣"

فاذا علمنا أن هدى شعراوى كانت تشكو ظلم زوجها لها بحكم التقاليد لأنه كان يمنعها عزف بعض القطع الموسيقية على " البيانو " أو تدخين

---

١) فتاة الشرق ، السنة السابعة عشرة ، الجزء الثامن ، ١٥ مايو/أيار ١٩٢٣م ص ٢٩٦ - ٣٠٠ .
٢) المرجع نفسه ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .
٣) المرأة الحديثة وكسف نسوسها ، تأليف عبد الله حسين المحامي ، ص ١٤٦ - ١٥٦ .

سيجارة لتهدئة أعصابها - أثناء وجود الرجال عنده في البيت - أدركنا سر حملتها على التقاليد ، وعدها البيت سجنا "١" ،واشتراكها في المظاهرات والنشاطات النسائية ، فهي ترفض أن تقوم المرأة بدور المربية والطاهية فقط ، وترى أنه لابد لها من الاشتراك في الحياة العامة ، وهي تؤمن بالاختلاط ، وترى فيه وسيلة لتوسيع عقل المرأة ، ((فالتجاريب وليدة الاحتكاك والاختلاط ، لأنها بقدر ماتكسب من الرجل يكسب منها ، ولا مندوحة من التعاون بينهما)) "٢" ، وتدعو الى الاختلاط بين الجنسين منذ نعومة الأظفار حتى يألفاه ، وهذه الألفة في نظرها أمان من الفطرة.

ويبدو أن هدى شعراوى أصبحت رمزا للسفور ، لأنها لم تعد تمارسه فحسب ، بل تدعو اليه كذلك ،فاستحقت لقب " المجاهدة " على حد زعم " المجلة الجديدة " التي كان يصدرها سلامه موسى "٣" ، فحققت بذلك ماكان يدعو اليه قاسم ، وكانت مطية لحزب الأمة الذى حقق على أكتافها وأكتاف غيرها ، ماكان يدعو اليه من ترويج للقيم الغربية .

على أن هدى شعراوى لم تكن وحدها في مجال العمل النسائي بل شاركتها كثيرات ، كانت منهن مارى زيادة التي كان لها نشاط في الحقلين الاجتماعي والأدبي ، كانت مي من أوائل النساء اللواتي شاركن في الحياة العامة ، حيث ألقت عام ١٩١٣م خطابا في حفل أدبي أقيم لتكريم خليل مطران "٤" ، ثم التقت عام ١٩١٤م بهدى شعراوى في

---

١) المرأة المصرية ، لدرية شفيق ص ١٣٩ .
٢) مجلتي ، السنة الأولى ، العدد الأول ، أول ديسمبر / كانون أول ١٩٣٤م ص ٥ ، حديث لهدى شعراوى مع المجلة المذكورة .
٣) المجلة الجديدة ، السنة الأولى ، العدد الخامس ، أول مارس/ آذار ١٩٣٠م ص ٥٢١ .
٤) مي زيادة التوهج والأفول ، لروز غريب ، مؤسسة نوفل ،بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٨م ص ٣٢ .

الجامعة المصرية وعرضت عليها أن تشاركها نشاطها ، فأصبحت ميّ عضوة نشيطة في اتحاد النساء التهذيبي الذى لم تكتب له الحياة ."[١]"

كانت مي تعلن تأييدها لآراء قاسم أمين وترى رأيه في أنه لا يجوز للأهل أن يفتحوا رسائل بناتهم وتعتبر ذلك من قبل الأهل أشبه مايكون بقلم مراقبة ، وكانت مي من أوائل من نادوا بحق المرأة في الانتخاب."[٢]"

على أن تأثير مي لم يقف عند حدّ الجمعيات النسائية والكتابة في موضوع المرأة ، بل تعداه الى كثير من أدباء مصر الذين وجدوا في صالونها الأدبي ضالتهم ، ومنهم لطفي السيد ، ولي الدين يكن ، اسماعيل صبرى ، عباس العقاد ، مصطفى صادق الرافعي ، طه حسين ، أحمد زكي باشا ، يعقوب صروف ، خليل مطران ، وغيرهم كثيرون ، حتى أن العقاد في مقالة له بعنوان (رجال حول مي) عدّ ثلاثين من رواد ندوتها"[٣]"، وكان لندوة مي أثر على انتاج بعض أعضائها ، فقد بعث اليها ولي الدين يكن بأبيات غزلية عندما علم بمرضها ، يقول :"[٤]"

أتسقم ميّ وأبقى صحيحا ألا انني الصاحب الخائن
فياربّ هب لي مواجع ميّ بأضعاف مايزن الوازن
وهب من حياتي لها ما وانى لأمثالها ضامن

---

١) مي في حياتها المضطربة ، تأليف جميل جبر ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٣م ص ٧٢ - ٧٣ . وانظر مجلة فتاة الشرق ، الجزء الخامس ، فبراير / شباط ١٩١٤م ص ١٨٣ - ١٨٥ .

٢) ميّ زيادة ، لروز غريب ص ٣٦ - ٤١ .

٣) انظر ميّ زيادة ، لروز غريب ص ٣٦ - ٤١ . وانظر مي لجميل جبر ص ٧٤ .

٤) مي زيادة في حياتها وآثارها ، تأليف وداد السكاكيني ، دار المعارف بمصر ١٩٧١م ص ١٢٦ .

كذلك أحب الرافعي ميّا حبا روحانيا استوحى منه كتاب أوراق الورد ، حتى أن الرافعي استأذن زوجته في حبّه لمي "١" ، ولابد من القول أن تأثير ميّ على روّاد ندوتها كان كبيرا ، لأنهم كانوا يجدون عندها مالا يجدون عند غيرها ، أليست هذه الندوة هي متنفسهم الوحيد الذى يرون فيه وجه شابة جميلة ؟ ومما يؤكد عمق تأثير ميّ عليهم أن أكثر رواد ندوتها كانوا من دعاة الاختلاط ، ولاعجب في ذلك ، فقد استمرت ندوة " الثلاثاء " في الانعقاد عشرين عاما .

واذا كان لمي هذا الدور في التأثير على سرعة انتشار الاختلاط عن طريق ندوتها ومحاضراتها ومقالاتها وصلتها بهدى شعراوى ، فان شخصا آخر ونقصد به سلامه موسى دعا المرأة المصرية أن تلبس اللباس الافرنجي وتخرج سافرة ، وهاجم كل من ناشد المرأة الاعتدال ، يقول :

((تغيب علينا أمة الشيوخ والرجعيين أننا نريد تحرير المرأة المصرية وفرنجتها بحيث تلبس اللباس الافرنجي وتخرج سافرة الوجه .. لأن هذا في نظرهم تهتك يجب أن نقي منه نساءنا المحصنات ...)) "٢" ، والتهتك عنده أن تقوم المرأة بواجباتها نحو زوجها ، لأن القيام بهذا الواجب تترفع عنه أحط البغايا الافرنجيات ، وعدّ سلامه موسى الحجاب علامة العبودية ، ((هل ثمة امرأة مصرية متحجبة تستطيع أن تقول عن نفسها أنها حرة ؟ ان الحجاب والعبودية كلمتان لمعنى واحد ... يأنف الحر ألا يرى في زوجته غير بغي تلبي شهواته ...)) "٣" فالمرأة التي تلبي حاجات زوجها ، ولا تسفر ولا تلبس اللباس الافرنجي من البغايا .

---

١) من رسائل الرافعي ، لمحمود أبو ريه ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م الطبعة الثانية ص ١٠ .

٢) المستقبل ، السنة الأولى ، العدد الخامس عشر ، ١٦ أغسطس / آب ١٩١٤م ص ٣٢٤-٣٢٥ .

٣) المرجع نفسه ص ٣٢٤-٣٢٥ .

وعنده أن " الزار " "١" خاص بالمرأة المحجبة دون غيرها ، وأينما يكون الحجاب يكون " الزار " ، والواقع أن هذا الرأى لا يقصد به سلامة موسى سوى أن تتخلص النساء المسلمات من الحجاب ، لأنه جعل الزار ملازما للمرأة المسلمة دون المسيحية في مصر .

وتحامل سلامة موسى على المجلات ذات الاتجاه الاسلامي ، لأنها لا تدعو الى تهتك المرأة ، وهو يريد من الصحفي السورى في مصر أن يغار على مصر ، بأن يدعو الى السفور بين نسائها ، ويفتخر سلامة بمصر الفرعونية لأنها لم تعرف الحجاب. "٢"

ويقترح على المرأة أن تنزل الى ميدان العمل الحر ، فتعمل في المخازن والمتاجر أسوة بالأوروبيات ، ويرى في نزول المرأة الى ميدان العمل فرصة لها ، كي تتخلص من الحجاب الذى فصل الناس في مصر شطرين ، ولأنه أضر من أى مخترعات ضارة . "٣"

ولم يكتف سلامة موسى بهذه المواقف ، بل انه حرّض هدى شعراوى أن تطالب بمساواة المرأة بالرجل في الميراث ، على الرغم من أن قضايا الميراث في الاسلام أمور مفردة واضحة ، ولكن هدى شعراوى رفضت أن تستجيب لرأيه . "٤"

وعبّر سلامة موسى عن فرحه لما يحدث في تركيا من تمزيق للحجاب ، فالمحجبة في رأيه تعيش معيشة سلبية وتستجيب للعالم بلفظة " لا " .

---

١) المجلة الجديدة ، السنة الأولى ، العدد التاسع ، أول يوليو/تموز ١٩٣٠ ص ١١٠٣ - ١١٠٦ .

٢) المجلة الجديدة ، السنة الثانية ، العدد العاشر ، أول أغسطس/آب ١٩٣١م ص ١١٧٨ .

٣) المجلة الجديدة ، السنة الأولى ، العدد التاسع ، أول يوليو/تموز ١٩٣٠م ص ١١٠٧ - ١١٠٩ .

٤) المرأة بين الفقه والقانون : لمصطفى السباعي ص ٢١٩ - ٢٢٢ .

وأظهر سلامة سروره البالغ للاجراءات التي اتخذتها روسيا لتمزيق حجاب المسلمات في مدينة بخارى التي خرج منها الامام البخارى ، ((ومهما قيل في ضرر الشيوعية ، فانه ليس أقل شك في أن روسيا وتركيا قد أحسنتا بالغاء الحجاب وتقرير السفور للمرأة المسلمة .)) "١" .

ولكي ندرك الفرق بين حال المرأة المصرية قبل خروجها من بيتها وتمردها على التقاليد ، وحالها بعد تحررها حسب زعم بعض دعاة الاختلاط ، ننقل ماقالته الكاتبة الايطالية " دوينا دالدريه " : ((كانت المرأة المصرية هادئة مطيعة قانعة ، بيتها المحراب وزوجها المثل الأعلى ، واذا عدنا الى بيتها في أواخر القرن التاسع عشر ... رأينا فيه روحا عميقا يحكي لنا صدى تلك النفس الهادئة الوادعة ... وقد ولدت لنا ثورة ١٩١٩م ثورة نسوية كبرى ، فثارت المرأة على ذلك التراث من تقاليد الأولين ، ومستها سنة ذلك التطور الذى بعثت به تلك الحياة الجديدة التي اصطلحوا على تسميتها " حياة مابعد الحرب " ، تشبهت بالمرأة الغربية في كثير من المظاهر والأساليب والشئون ، فبدت سافرة الوجه حاسرة الرأس أو عليه قبعة مناسبة ، عارية الذراعين متجردة الساقين ذات ثوب قصير دقيق التفصيل ، بدت كأختها الغربية وقد تحاول أن تبزها في بعض مظاهرها ... مزقت عن وجهها القناع تمزيقا ، ومحت من معالم حياتها ذلك المعنى الشرقي القديم الذى سرى في النفوس مسرى الدين والذى يرمز الى فضيلة انسانية سامية ويدفع عن النفس طغيان الشهوة ، الذى اذا صادف تهاونا لا يقف عند مدى معلوم ، ذلك المعنى الروحي الذى يرمز له الحجاب ،

---

١) المجلة الجديدة ، السنة الأولى ، العدد العاشر ، أول أغسطس/ آب ١٩٣٠م ص ١٢١٢ - ١٢١٤ .
ولم يكتف سلامة موسى بذلك بل أعجب بنساء الغرب اللواتي يرين في الزواج قيدا لابد من التخلص منه ، ويرى أن ذلك دليل على التقدم الذى وصلت اليه الحركة النسائية في العالم المتمدن .
وانظر البيان ، السنة الثانية ، الجزءان الثامن والتاسع ١٣٣١ هـ ص ٥٤٥ - ٥٤٦ .

تحاول مصرية اليوم بما ملكت من حيلة أن تكون كأختها الغربية وبخاصة في المظهر الخارجي المزخرف ... تسافر المرأة المصرية في ظل زوجها الى بلاد الغرب ، وهناك بعيدا عن العمائم والطرابيش تطلق لنفسها العنان .. تختلف الى المقاهي وتدخن السجائر ... وتتعرف الى أصدقاء زوجهــــا وتسكن الفنادق ... وتأتي كل ماتأتي فتاة الغرب ...)) "١"

وهل نحن بحاجة أن نضيف شيئا الى ماقالته الكاتبة الايطالية عمـــا كانت تتمتع به المرأة المصرية من عفة وترفع ووقار ، وما آلت اليه من سقوط فـــي أحضان المدنية الغربية دون تأن ؟ ان المرأة التي سعت الى تقليد الغرب وطالبت برفع سن الزواج ، ونادت بمنع تعدد الزوجات وأباحت لنفسهـــا الاختلاط ، بدأت تجني ثمرة سعيها فانخفض اقبال الشبان على الزواج ، وكثر عدد العوانس وأصبح الحض على الزواج من الموضوعات التي اضطـــرت الأقلام أن تتناولها ، فكتب محرر " مجلتي " مقالا بعنوان " اللواتـــي ينتظرن " قال فيه : ((ما أكثر أخواتنا اللواتي ينتظرن ، لا يعلمن متـــى ينتهي الانتظار ، انهن ينتظرن السعادة والسعادة تتمثل لهن فـــــي البيت ....)) "٢" .

كذلك كتبت " المجلة الجديدة " عن مشكلة الزواج في مصـــر ، فعزت تأخيره الى أسباب اقتصادية ، والى ضعف الفضيلة القومية ، وعـــدم الاكتراث بالقواعد الخلقية السامية ، والى التهتك والخلاعة في المدن الكبرى لأن الشباب يجدون من التسهيلات مايجعل الدافع الطبيعي للزواج عندهـــم أقل شأنا ، وحلا لهذه المعضلة يدعو الكاتب الى مداواة الداء بنفـــس الأسباب التي أوجدته ، فيقترح أن تتاح للشباب فرص تجمعهم في الحفلات العائلية . "٣"

---

١) مجلتي ، السنة الثانية ، أول مارس / آذار ١٩٣٦م ص ٥٢٣-٥٣٢

٢) مجلتي ، السنة الأولى ، العدد الأول ، أول ديسمبر/ كانون أول ١٩٣٤م ص ٤٢ - ٤٣ .

٣) المجلة الجديدة ، السنة الثانية ، العدد الأول ، أول نوفمبر / تشرين ثاني ١٩٣٠م ص ٣٦-٤٠ .

لكنّ الدعوة الى التفرنج لم تكن مقصورة على مصر فقط ، بل كانت المحاولات لفرنجة العالم الاسلامي تسير جنبا الى جنب ، فقد زار ملك الأفغان " أمان الله خان " مصر وكان يلبس " البرنيطة " مما جعل رشيد رضا يقول : ((ان حاشية هذا الملك مصابون بعدوى الالحاد الكمالي ، ورأيت ملكهم وملكتهم مفتونين بالتفرنج)) "١" ، وكان والده " حبيب الله خان " عند عودته من أوروبا قد أمر النساء برفع الحجاب ، فابتدأ بزوجته ونساء القصر الملكي ، وقتل بعض العلماء الذين عارضوا دعوته وحلق لحى بعضهم الآخر ، وهدد باستعمال السياط لتطبيق هذه العادات ، ولكن الأفغانيين أسقطوه عن العرش . "٢"

أما في تركيا فقد جعل أتاتورك السفور اجباريا للنساء ، والقبعة جزءا من ملابس الرجل ، وأنزل المرأة الى ميدان العمل للقضاء على الحياة العائلية الشرقية ، التي اعتادتها الأسر التركية ، وأدخل المرأة في الشرطة واستغل النساء في عمليات التجسس ، ويظهر أن هذه الأمور كانت تروق الداعين الى السفور في مصر ، فكانوا ينشرون أخبار المرأة التركية ويحضون المصرية على اتباعها ، فكتبت الصحف في التنويه بذلك كما أسلفنا . "٣"

وكان أتاتورك قد جعل التعليم مختلطا ، فقالت المجلة الجديدة : ((ان المسجد لم يعد شاخصا ببنائه كما كان سابقا ، فقد حلت محله المدارس المختلطة)) . "٤"

---

١) السيد رشيد رضا أو اخاء أربعين سنة ، لشكيب أرسلان ٥٠٨ - ٥١١

٢) الجامعة الاسلامية ، حلب ، السنة الأولى ، العدد العاشر ، ١٧ ديسمبر/ كانون أول ١٩٢٩م ص ٧ - ٩ .

٣) المجلة الجديدة ، السنة الثالثة ، العدد الأول ، يناير / كانون ثاني ١٩٣٤م ص ٩٢ - ٩٣ .

٤) المجلة الجديدة ، السنة الأولى ، العدد السادس ، أول ابريل / نيسان ١٩٣٠م ص ٧٤٠ - ٧٤١ .

وأصبحت مسابقات الجمال من علامات الحياة الجديدة في تركيا ، حتى أن بعض المجلات المصرية أثنت على هذه المسابقات ، التي بدت فيها الفتيات عاريات الصدور . "١"

أما في ايران فقد ألغى " الجادر " عام ١٩٢٦م ، حتى اذا كان عام ١٩٣٦م ، أبطل الحجاب في فارس ، وأسست أول النوادى النسائية ، وأول فرقة كشفية من البنات ورفع الحد الأدنى لسن الزواج عند الفتيات. "٢"

وهكذا طبقت حركة السفور رسميا في أكثر أرجاء العالم الاسلامي ، وبدأنا نقرأ في الصحف دعوات للاهتمام بالتمثيل ، حتى رأينا مجلة من المجلات المصرية تنعي على الحكومة اهتمامها بتمهيد الطرق واهمالها للممثلين . "٣"

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل ان بعض الفرق التمثيلية اتخذت من الدعاية لمبادىء الماسونية موضوعا لمسرحياتها "٤" ، وكانت الماسونية تتخذ من الحفلات المدرسية وسيلة للدعاية كما حصل في مدرسة وادى النيل الابتدائية . "٥"

وفي خضم الحياة الجديدة التي عمت ولفت ، خفت صوت الداعين

---

١) المجلة الجديدة ، السنة الأولى ، العدد الثالث ، أول يناير / كانون ثاني ١٩٣٠م ص ٣٢٣ .

٢) تاريخ الشعوب الاسلامية ، تأليف كارل بروكلمان ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، ط ٤ ، ١٩٦٥ م ص ٧٩٨ .

٣) الأسبوع ، السنة الثانية ، العدد الرابع ، ٢٤ مارس / آذار ١٩٣٥م ص ٣ .

٤) المستقبل ، السنة الأولى ، العدد ٤٨ ، ١٥ نوفمبر / تشرين ثاني ١٩٢٨م ص ١٧ .

٥) المستقبل ، السنة الأولى ، العدد ٢٠ ، ٢٤ ابريل / نيسان ١٩٢٨م ص ١٣ .

الى المحافظة على الأخلاق ، وتغلب تيار السفور والاختلاط ، وأصبحت قضية المرأة في حكم المنتهية ، بانتصار السفوريين الذين نجحوا في اخراج المرأة من بيتها وأطلقوها في الطرقات والأماكن العامة ، وأصبح الحديث عن الحجاب والسفور حديثا قديما لا يثير غير الذكريات ، وصار ما دعا اليه قاسم ومن بعده حقيقة مجسمة ، فها هي المرأة قد أسفرت واختلطت بالرجال ونزلت ميدان العمل . "(١)

ولكن هل تستطيع المرأة أن تعود الى بيتها ثانية ؟ وهل وجدت ما وعدها به قاسم حقا ، أم أنه مجرد زخرف خادع ؟ وهل تحررت المرأة بالفعل أم أنها قد جنت على نفسها بتركها بيتها ، وأصبحت أمة لأناس كثيرين بعد أن كانت ربّة البيت وسيدته ؟ ..

---

(١) المصرية ، السنة الأولى ، العدد ١٦ ، ١ أكتوبر / تشرين أول ١٩٣٧م ص ٢٣ - ٢٤ .

الفصل الثاني
تطور الشعر الحديث في مصر

في العصر التركي كسدت سوق الشعر والشعراء في مصر ، لأن أكثر الحكام من الأتراك أو المماليك الذين حكموا مصر لم يحسنوا النطق بالعربية ، وانما راج الشعر منذ كان في كنف الحكام من الملوك والوزراء والأمراء ، فاذا كان الحكام لا يحسنون نطق العربية فكيف نتوقع منهم أن يشجعوا الشعراء ، أو كيف نتوقع من الشعراء أن يكونوا كأسلافهم ؟ لقد عزّ عليهم اللفظ الجزل والاسلوب القوى ، فلجأوا الى الزخرف والمحسنات يخفون بها ضعفهم ، حتى استغلق كلامهم ."١"

وظل الشعر في مصر هكذا أثناء النصف الأول من القرن التاسع عشر من حيث الأغراض والمعاني والأساليب لعدم توفر المثل الفنية العليا لديهم ، فلا نقرأ ديوانا لشاعر من شعراء هذه الفترة حتى تطالعنا الألغاز والتخميسات والتشطيرات والتطريز والتأريخ من خلال الموضوعات التافهة ، والشعر في هذه الحقبة لا يصوّر عاطفة قوية ولا خيالا ساميا ، وانما هو ضرب من التكلف في الصناعة ، يقال في مدح أو تهنئة بمولود ، أو تعزية بوفاة عزيز أو تأريخا لبناء أو ولادة أو وفاة ، وكل ذلك أثر من آثار انهيار الحياة الفكرية والأدبية في العصر التركي ."٢"

ولا نذهب بعيدا اذا قلنا ان آثار الصنعة ظلت تلاحق الشعراء حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فها هو خليل اليازجي يمدح الخديوى توفيق بقصيدة ضمّن كل شطر منها تاريخا هجريا لسنة ١٢٩٩ هـ ،

---

١) في الأدب الحديث لعمر الدسوقي ، الطبعة الثامنة ، الناشر دار الفكر العربي ، مطبعة الرسالة ١٣/١ .

٢) تطور الشعر الحديث في مصر ١٩٠٠ - ١٩٥٠ ، لماهر حسن فهمي ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٨م ، ص ٢٢ .

وافتتح صدور أبياتها بحروف اذا جمعت على الترتيب خرج منها بيتان يتضمن كل واحد منهما أربعة تواريخ للسنة المذكورة ، وجعل الأبيات المصدرة بحروف البيت الأول تسيبا ، والأبيات المصدرة بحروف البيت الثاني مديحا ، والبيتان هما : "١"

راقت بتوفيق / مصر عزة فزهت   في نفسها بأريض / الفخر والشان

١٢٩٩هـ   ١٢٩٩هـ   ١٢٩٩هـ   ١٢٩٩هـ

راقي ذرى المجد / في الاسعاد مرتهة   غدا فريد / خلال مالها ثاني

١٢٩٩هـ   ١٢٩٩هـ   ١٢٩٩هـ   ١٢٩٩هـ

والقصيدة حوالي تسعين بيتا ، وهذا يعني أنها تضمنت مالا يقل عن مائة وثمانين تأريخا .

ويبدو أن التأريخ كان صنعة محببة لدى الشعراء ، فخليل اليازجي نفسه أرّخ جلوس الخديوي توفيق على أريكة مصر ببيتين من الشعر يتضمنان ثمانية وعشرين تأريخا ، وتؤخذ من أشطرها الأربعة ومن ضمّ مهمل كل شطر الى مثله من غيره وكذا من المعجم وبالخلاف ، وهما هذان :

عزيز مصر الخديوي بالعباد سما

رفيع جاه سنى في المجد والرتب "٢"

نراه جلّ بأوج قد رقى شرفا

توفيق جد جمال النور للعرب

سنة ١٢٩٦هـ

---

١) ديوان نسمات الأوراق ، لخليل اليازجي ، مطبعة دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٠٨ ص ٣٤ - ٣٩ . وانظر ترتيب حروف الهجاء والقيمة العددية لكل حرف ، وهذا مايسمى بحساب الجمل

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ى	ك	ل	م	ن
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠

س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠

٢) المرجع نفسه ص ٣٩ .

ومهما بذل القارئ من جهد في حلّ هذه الرموز ، فلن يجد الى ذلك سبيلا ، فقد أصبح الشعر حسابا وأرقاما وتمارين هندسية عسيرة الحل ، واذا ابتعد الشاعر عن حساب الجمل ، فلا بد أن يبحث عن مسألة أخرى يستعرض من خلالها مقدرته ، نظم الشيخ علي الدرويش قصيدة في المديح التزم فيها ثلاث قواف ، اذ يقول :

أمين لطفه في كل معنى له منن نمت دون / انتهاري /انتهاء/انتهالي "١"
لقد عجز المشابه عنه مجدا ويأمن فضل علياء / المجاري /المجاء /المجالي

فألزم نفسه بقافية الراء والهمزة واللام ، وهذا يعني أن أية كلمة من الكلمات الثلاث في نهاية البيت يمكن أن تتخذ قافية للقصيدة .

وانظر هذين البيتين من الشعر لعلي الدرويش نفسه ، نظمهما في الغزل وجعل كل كلمة منهما تبدأ بحرف العين ، يقول :

علي على عينيك عذلّ عواذلي
عذابٌ عليها عند عاشقها عذب "٢"
عذارك عذري عجب عطفك عدّني
عيونك عضبي عاد عائبها عضب

ولم يتخلص شعراء النصف الثاني من القرن التاسع عشر من هذه المقاييس، بل ظلّ لها بعض قوة وتأثير على شعرهم ، فهاهو عبد الله فكري يؤرخ بناء مدرسة البنات بالسيوفيه ، تلك التي أنشئت تحت رعاية الزوجة الثالثة للخديوي اسماعيل " جشم أفت هانم " مطرزا أوائل الأبيات بلفظ " جشم " يقول :

---

١) ديوان علي الدرويش ، القاهرة ، ١٢٨٤ هـ ص ٥٨ .
٢) المرجع نفسه ص ١٧ .

ج جادت يد الحرم العالي بما افتخرت
مصر به وتباهت سائر المدن "١"

ش شادت على الخير والاحسان مدرسة
تزهو بأبدع شكل معجب حسن

م محل مجد لتعليم البنات سما
٧٨ ٤٧ ٥٨٠ ٤٨٤ ١٠١
بمصر في سالف الأعصار لم يكن

سنة ١٢٩٠ هـ

وظل التطريز من الأغراض التقليدية التي بقي لها وجود في الشعر حتى مطلع القرن العشرين ، وكان حفني ناصف ممن اهتموا به ، يقول في تطريز اسم "صفيه" :

ص صدق الذى قال : الغرام عنـاء
فلقد رثى لصبابتي الاعداء "٢"

ف في كلّ يوم منك تبدو قسوة
ويلوح صدّ قاتل وجفاء

ى يامن تعلمت الغصون دلاله
وحكت رخيم حديثه الورقاء

هـ هلا شفيت ببرد ثغرك عاشقا
ان الشفاء كما علمت شفاء

ويظهر أن اهتمام حفني ناصف بأغراض الشعر التقليدية ومعالجته لها لمجرد النظم ، هو الذى جعل العقاد ينفي عنه صفة الشاعرية ، ومن قوله عن شعره : ((اننا رجعنا الى قصائد حفني ناصف جميعها لم نجد

---

١) الآثار الفكرية ، لعبد الله فكرى ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، الطبعة الأولى ١٣١٥ - ١٨٩٧م ، ص ٤٦ - ٤٧ .
٢) شعر حفني ناصف ، جمع مجد الدين حفني ناصف ، دار المعارف بمصر ١٩٥٧م ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

بينها بيتا واحدا يدل على سليقة مفطورة على استيعاب المحسوسات أو نكتة تخرج عن مفارقات الألفاظ واللعب بالأوضاع والأشكال)) "١" .

وكانت الألغاز من الأغراض التي شاعت وانتشرت بين الشعراء ، حتى أن بعض المجلات التي صدرت في نهاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر أفردت لها أبوابا خاصة بها ، يقول داود البستاني في لغزله حول كلمة " عطار " :

يامن بدا ملغزا في كل مضمار
وذاع صيتا بأقطار وأمصار"٢"

ما اسم مبانيه في رسم مربعة
حروف ذات اهمال الى القارى

ان رمت تصحيف أو تحريف صيغته
يوما فلم تجن منه طيب أثمار
....

لكن اذا شئت حذف الشيء منه ففي
حذف " لثالثة " من طيب اعطار

أو تحذف الذيل تلفيه بدا كرمسا
بالبذل من ماله في ألف دينار

أو تقطع الرأس منه سار في عجل
وغادر الصب من وجد على نار

وان تشأ حذف ثانية ترى عجبا
يأتيك طوعا بقيد الذلّ والعار

---

١) مجموعة أعلام الشعر ، لعباس محمود العقاد (شعراء مصر وبيئاتهم في القرن الماضي) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط ١ ، ص ٢٤٣ .

٢) الثريا ، السنة الثالثة ، الجزء الثالث ، (أكتوبر تشرين أول ١٨٩٨م ص ١٠٤ ، وقد ذكرت المجلة حلّ هذا اللغز في العدد الصادر في (نوفمبر/ تشرين ثاني ١٨٩٨م ص ١٤١ ، حيث أجاب أحد القراء بقوله :

أخا الفضل قد ألغزت لغز بجملة اذا تليت بهدو لرقتها العطر
تريد به أن تصلح الشعر بيننا وهل يصلح (العطار) ما أفسد الدهر ؟

ولا تقل حارت الأفكار منابـــه
لا بدّ للحلّ من تحيير أفكـــار
فأقبل ذا فديتك مني وجد كرما
في حلّه بمعان ذات أبكـــار

كذلك كانت كتابة دعوات الأفراح وبطاقات التعزية الى جانب تأريـخ الولادة والوفاة من الأمور التي نالت اهتمام الشعراء ، وربما كانوا يشعـرون أن القيام بمثل هذه الأمور واجب تفرضه عليهم التقاليد ، ومن ذلك ماكتبتـه عائشة التيمورية في دعوة فرح ، فقالت :

لقد منّ الاله لنا بسعـــد	وأشرقت الليالي بالأمانـــي "١"
وقام الفوز بالنادى خطيبـــا	ودقّ الخط أوتار المثانـــي
وأنتم للمنى عيـــن وروح	ومشكاة السرور مع التهانـــي
لكم صنو المسرة في انتظـــار	فمنوا بالتعطف والتدانـــي
أجيبوا دعوة الداعي فأنتم	فرائد والمجالس كالجمـــان

ومن الشعراء من كلّف بكتابة الشعر الذى تزين به أنصاب القبور ، كتب عبد العزيز الصيرفي شعرا لينقش على قبر صهره ، قال فيه :

هذا ضريح أخي عـــلا	جمع المحامد والفخـــار "٢"
ولقد دعاه ربّـــه	حيث النعيم لـه استغفار
ليعمــه احسانـــه	ويكون في أعلـى جـــوار
والحـور ايناسا بـــه	قالت وأظهـرت المسار

ومنهم مع هذا من كان يقصده الناس ، ليعبر لهم عن عواطفهم فيمـا يعن لهم من أمور ، فهذا بائع طرابيش قد طلب من عبد العزيز الصيرفـي أن يكتب له شعرا يعبّر فيه عن ترحيبه بزيارة الخديوى الى ثغره "٣" ، ورثت

---

١) حلية الطراز (ديوان عائشة التيمورية) ، القاهرة ، مطبعة دار الكاتب العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٢م ، ص ١٧٦ .

٢) ديوان الصيرفي ، لعبد العزيز الصيرفي ، القاهرة ، مطبعة الملاجيء العباسية بمدرسة محمد علي الصناعية ، ١٣٢٥هـ-١٩٠٨م ، ص ١٩٩ .

٣) المرجع نفسه ص ١٧٦ .

ورده اليازجي زوجا متوفى على لسان زوجته. "١"

وكان من عادة الشعراء أن يقرظ بعضهم دواوين بعض بشعر يعبرون خلاله عن اعجابهم وتقديرهم، وامتدت هذه الظاهرة حتى شملت المجلات، فقد قرّظت عائشة التيمورية مجلة "الفتاة" التي أصدرتها هند نوفل عام ١٨٩٢م في القاهرة. "٢"

واذا كنا قد استعرضنا نماذج متعددة لبعض أنماط الشعر التي سادت، فنحن لم نذكر حتى الآن نماذج لشعر المديح والتهنئة، وهذان الفرضان لا يخلو منهما ديوان شعر من دواوين القرن التاسع عشر، حيث كان الشاعر يغدق على ممدوحه كثيرا من المحامد دون قصد أو اعتدال، مدح محمود صفوت الساعاتي سعيد باشا مهنئا له بولاية مصر، وقد جعل في البيت الأول من القصيدة تاريخين، كل شطر تأريخ لسنة ١٢٧٠ هـ، وقد وصف سعيدا بأنه كوكب تجلى في سماء مصر، وأن الدين سيزداد عزة ومنعة في عهده، وسيزداد المسلمون رفعة، وأشاد الساعاتي بعدله وأمانته وجوده وسداد رأيه الذى أعاد للملك هيبته، فقال:

تسابقك البشرى بملك مؤبد	تقول تهنى بالسعيد محمد "٣"
لقد أطلع الرحمن في مصر كوكبا	تجلّى عليها فاختفى كل فرقد
وقد قلّد الدين الحنيف بمرهف	له قائم منه بنصر الموحد
وتوّج هام الملك بالملك الذى	بدولته تعتز ملة أحمد
وأسفر وجه الدهر عن غرة المنا	بأهيب بسام عزيز مؤيد
أنارت به الدنيا ودان لملكه	برغم الأنوف الشمّ كلّ مسوّد
أنام الرعايا تحت ظل أمانه	فلا روع ذى ظلم ولا خوف معتدى

---

١) حديقة الورد لورده اليازجي، مطبعة هندية بمصر، الطبعة الثالثة ص ٥٤ - ٥٥.

٢) انظر حلية الطراز ص ١٧٥. وانظر تقريظ ورده اليازجي لحلية الطراز في ديوانها حديقة الورد ص ٤٣.

٣) ديوان محمود صفوت الساعاتي، جمعه مصطفى رشيد، مطبعة المعارف بمصر، ١٣٢٩ هـ - ١٩١١م ص ٢٧ - ٣٠.

وكان الشعراء يرون أن من واجبهم تقديم التهاني للحكام الذين يعاصرونهم لا عند تولي زمام الأمور فحسب ، بل في كلّ مناسبة تجدّ أو تطرأ على حياتهم ، فقد قدّم صالح مجدى تهانيه لتوفيق بمناسبة زواجه عندما كان وليا للعهد ، ورأى أن زواجه عيد ملأ نفوس الناس بالبشر والفرح :

ياصاح خلّ سبيل الراهبين ولا
ترغب عن النسل أو تركن لتمويق "١"

فما بدا درّ ثغرالدهر مبتسما
الا بأعياد تفريح وتشريق

أو في مواسم تأهيل أهلتها
مضيئة بين هالات وتطويق

أو في زواج وليّ العهد من طبعت
له القلوب على ود وتوميق

وهكذا كان الشاعر أداة من أدوات التشريف في بلاط الملوك والأمراء وحفلات التأبين ومناسبات المواليد والوفيات ، يؤدى مهمته كما حددت له أو كما تصورها ، وهذا يعني أنه لم يكن حرا ليقول مايشاء ، لذلك قلّ الاتجاه الى الشعر النفسي والذاتي ، وغلب الشعر التقليدى الذى لم يكن يصدر عن احساس منفعل أو شعور أصيل الا في القليل النادر. "٢"

ولكن عودة البعثات التي أرسلها محمد علي وأحفاده وتسلمها بعض المناصب الهامة ، بالاضافة الى انشاء الحياة النيابية في عهد اسماعيل ، وتدفق جماعات من السوريين الذين تأثرت حياتهم بالاداب الأوروبية تحت تأثير البعثات الدينية الكاثوليكية والبروتستانتية ، كل هذه عوامل دفعت الشعب الى الاحساس بكيانه والدفاع عن وجوده أمام الضغط الواقع عليه من الأجانب كما أن الصحافة قامت بدور كبير في ترقية الحياة الاجتماعية بمصر ، مما دفع الحياة الأدبية دفعة قوية الى الأمام ، وبدأ الشعراء يتململون للتخلص من

---

(١) ديوان صالح مجدى ، الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر، ١٣١١ هـ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) الشعر العربي المعاصر تطوره وأعلامه ١٨٧٥ - ١٩٤٠م ، لأنور الجندى ص ٨ .

الأساليب العتيقة التي كبّلت قرائحهم ، وفي هذه الأثناء بدأت المطابع في اخراج دواوين الشعر القديم الى عالم النور ، فتلقى هؤلاء الشعراء نماذج لم يكونوا قد سمعوا بها من قبل الا نادرا ، فأحسوا أن القدماء كانوا يصدرون فيما ينظمون من أشعار عن عاطفة صادقة ، وكان شعرهم يصوّر حياتهم تصويرا دقيقا ، ورأوا أن البديع كان عند شعراء العصر العباسي وسيلة لا غاية ، فبدأ الشعراء في نهاية القرن التاسع عشر يحاولون التعبير عن أنفسهم ، أو على الأقل تقليد نماذج من الشعر القديم نجح أصحابها في التعبير عن أنفسهم .

وكان البارودي رائدا لهؤلاء جميعا ، فقد اتخذ من شعر العباسيين ومن سبقوهم نماذج يقلدها ويعارضها دون أن يفقد شخصيته ، ووصف حياته ومتعه قبل منفاه وآلامه وهمومه بعد ذلك ، وكان أبو الطيب من أغرم البارودي بمعارضتهم ، فقصيدته التي مطلعها :

أمن ازديادك في الدجى الرقباء
اذ حيث أنت من الظلام ضياء "١"

عارضها البارودي قائلا :

صلة الخيال على البعاد لقاء
لو كان يملك عيني الاغفاء "٢"

ولا ريب أن ثقافة البارودي وتجاربه كانت بعيدة المدى في شعره ، فقد كان فارسا ممتازا ومحاربا شجاعا ذا همة عالية ، صوّر في شعره مشاهد الحرب التي خاضها ، ووصف ساحة القتال خلال الحرب التي خاضتها تركيا ضد روسيا في قصيدة طويلة ، منها قوله :

---

١) شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١/١٤٠ .

٢) ديوان البارودي شرح وتحقيق علي الجارم ومحمد شفيق معروف ، ١/٦٥ .

وأصبحت في أرض يحاربها القطـــا
وترهبها الجنّان وهي سوارح "١"

بعيدة أقطار الدّياميم ، لو عـــدا
سليك بها شأوا قضى وهو رازح "٢"

تصيح بها الأصداء في غسق الدّجى
صياح الثكالى هيجتها النوائح "٣"

ترانا بها كالأسد ترصد غــــارة
يطير بها فتق من الصبح لامح "٤"

مدافعنا نصب العدا ومشاتنـــا
قيام تليها الصافنات القوارح "٥"

فلست ترى الا كماة بواســـــلا
وجردا تخوض الموت وهي ضوابح "٦"

نغير على الأبطال والصبح باسم
ونأوى الى الأدغال والليل جانح "٧"

واذا كان البارودى قد وصف الحرب التي خاضها وصفا حيا يذكرنـــا بمعارك سيف الدولة التي وصفها المتنبي في شعره ، فانه أيضا شارك فـــي

---

١) ديوان البارودى ١/١٦٠ ، والجنّان : جمع جان ، السوارح : جمع سارحه وهي السائرة المطلقة .
٢) الدياميم : جمع ديمومه وهي الأرض القفر ، سليك : أحد صعاليك العرب ولصوصهم ، الشأو : الغاية ، رزح : سقط من شـــدة الاعياء .
٣) الأصداء : جمع صدى وهو طائر يصوء بالليل ، أو رجع الصوت في الخلاء
٤) فتق الصبح : انشقاق الفجر ، لامح : لامع .
٥) الصافنات : جمع الصافن وهو من الخيل التي تقف على قوائـــم ثلاثة ، القارح : مابلغ الخامسة من الخيل .
٦) الضوابح : ضبح الخيل ، صوت أنفاسها عند العدو .
٧) ديوان البارودى ٣/١٨ - ٢٦

الحياة السياسية عند عودته الى مصر حتى وصل الى مرتبة الوزارة في عهد توفيق ، ثم رئاسة الوزارة بعد ذلك ، واشترك في الثورة العرابية لأنه لم يكن راضيا عن الظلم الذى كان يعم مصرا ، فالحياة في رأيه أصبحت لا تطاق لأن الأمر قد غدا في أيدى أهل الزور والنفاق ، ولأن الظلم خيّم على سائر الأرجاء ، حتى أضحى الانسان عاجزا عن حماية عرضه ، ولكي يتخلص المجتمع من هذا الوضع نصح له أن يتدارك أمره ، فالوقت لم يعد يسمح بالتريث :

بئس المشير وبئست مصر من بلد
أضحت مناخا لأهل الزور والخطل "١"

أرض تأثل فيها الظلم ، وانقذفت
صواعق الغدر بين السهل والجبل

وأصبح الناس في عمياء مظلمة
لم يخط فيها امرؤ الا على زلل

أصوّحت شجرات المجد أم نضبت
غدر الحمية حتى ليس من رجل

لا يدفعون يدا عنهم ولو بلغت
مسّ الصفاقة من جبن ومن خزل "٢"

فهذا الشعر السياسي ، وهذه النفس المتوثبة الطموح ، وتلك الثورة المتأججة في نفسه على الظلم والظالمين والتي انتهت بالبارودى الى النفي والتشريد ، هي من الجديد في معاني البارودى وشعره ، وهي جديدة في الشعر العربي الحديث ، انها الروح الجديدة التي أمدّ بها البارودى الشعراء المحدثين ، فأصبحوا من بعده أكثر اهتماما بآمال أمتهم وآلامها وأكثر ميلا الى التعبير عن طموح الشعب الى الاستقلال والحرية ، فأصبح

---

١) ديوان البارودى ٣/١٨ - ٢٦
٢) الخزل : الظلوع في المشي .

للبارودى مدرسة شعرية اقتفى أفرادها أثره ، واتخذوه اماما لهم كشوقي وحافظ والرافعي واسماعيل صبرى وعبد المطلب واحمد محرم "١" ، وهكذا انتقل الشعر على أيدى هؤلاء وغيرهم خطوة جديدة ، تتجلى في تحوله الى الاهتمام بالشعوب والاكثار من الموضوعات الوطنية والاجتماعية ، مثل المطالبة بالاستقلال ومحاربة الاستعمار والمستعمرين ، والعطف على المظلومين والمنكوبين ، وظهر التجديد في الشعر عندما بدأ الشعراء يتعرضون للموضوعات الجديدة كالقول في المخترعات الحديثة ، مثل وصف القطار والطائرة والمنطاد والكهرباء والمذياع وغيرها . "٢"

ومن الطبيعي أن يكون الشعر في الحقبة الأولى من هذه النهضة شديد الاهتمام بحاجة الناس الى اقتباس المخترعات الحديثة ، فقد وصف الرافعي الصور المتحركة المعروفة (بالسنوغراف) فقال :

وما (السنوغراف) وما مثّلت
الا الصدى ينقله النقال "٣"
تبعث فيها أمم قد خلت
وتجتلي في "لندن" بابل
كم مثّلت من طلل ماثل
فكاد يحيى الطلل الماثل

ووصف حسن القاياتي الهاتف ، ورأى أنه قد يكون فيه الشقاء لبعض بني الانسان ، لكن نعمه كثيرة ، فهو يقرّب المسافات بين بني البشر :

---

١) في الأدب الحديث ١/٢٣٧ .
٢) قصة الأدب في العالم ، لأحمد أمين وزكي نجيب محمود ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ١٣٦٧ - ١٩٤٨ م ص ٣٠٨ .
٣) ديوان الرافعي ، لمصطفى صادق الرافعي ، المطبعة العمومية بمصر ، ١٣٢١ هـ ١/٦٠ .

هو مثل الحباب والجرس الصا ... ئل فيه شبيه صوت الحباب "١"

وهو غلّ الرقاب منهم ونمصسا ... ه على الناس طوق كلّ الرقاب

قرّب الموقف الذى أنت فيـــه ... للمكان القصي كلّ اقتـراب

ان يكن للطغاة سوط عـذاب ... فهو للمهتدين ماء ثـواب

ووصف أحمد شوقي الباخرة في هزيمته التي أعدّها لمؤتمر المستشرقين في جنيف ، وقابل بينها وبين النياق ، فقال :

همّت الفلك واحتواها الماء ... وحداها بمن تقلّ الرجاء "٢"

ضرب البحر ذو العباب حواليـ ... ـها سماء قد أكبرتها السماء

....

يا زمان البخار لولاك لما تفـ ... ـجع بنعمى زمانها الوجناء "٣"

فقد يما عن وخد ها ضاق وجه الأ ... رض وانقاد بالشراع الماء "٤"

ورأى شوقي أن الغربيين يستغلون علومهم في سبيل السيطرة على العالم ، فدعا شباب أمته أن يجاروهم في هذا الميدان ، فانه لا سبيل الى التخلص من سيطرتهم الا بالسعي في طلب مالديهم من وسائل القوة ، ونعى على المسلمين تأخرهم وسبق الغربيين لهم عندما قدم طيّارات فرنسيات الى مصر عام ١٩١٤ م ، فقال :

أرى طيّارهم أوفى علينـــا ... وحلّق فوق اروسنا وحاما "٥"

وأنظر جيشهم من نصف قـرن ... على أبصارنا ضرب الخياما

فلا أمناونا نقصوه رمحـــا ... ولا اخواننا زادوا حساما

ملكنا مارن الدنيا بوقـــت ... فلم نحسن على الدنيا القياما

---

١) ديوان حسن القاياتي ، مطبعة كردستان العلمية بمصر ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠م ، ١/ ٣٢ - ٣٣ ، الحباب : الحية .

٢) الشوقيات ١/ ١٧ .

٣) الوجناء : الناقة الشديدة .

٤) الوخد : السير السريع وسعة الخطو .

٥) الشوقيات ٢/ ٨٨ - ٩١ ، وراجع كذلك وصفه للطائرة ٢/ ١

ولم يكن حافظ ابراهيم أقل اهتماما من شوقي بهذا الأمر ، فقد رثى الطيارين العثمانيين فتحي وصادق اللذين سقطت بهما الطائرة فوق طبريا في فلسطين ، وكانا يعتزمان الطيران من دمشق الى القدس ثم الى مصر ، وذلك في سنة ١٩١٤م ، فقال :

أخت الكواكب مارماك وأنت رامية النسور "١"
ماذا دهاك وفوق ظهرك منهض الأسد الهصور
خضعت لأمرته الرياح من الصبا ومن الدبور "٢"
فغدا يصرف من أعنتها تصاريف القدير
(فتحي) وهل لي ان سألت عن المصيبة من مجير "٣"

ومع ماذكرنا عبر الشعراء عن النزعة الاسلامية في مدحهم للخليفة التركي واشادتهم بفضله على المسلمين وحرصه على اعلاء كلمة الدين ، وليس فيهم من تخلف عن المشاركة بشعره في حروب تركيا وأحداثها الجسام ، واعلانها للدستور واسقاط عبد الحميد الثاني ، ذلك أنهم كانوا يرون الخليفة هو الجامع لشمل المسلمين ، وأنه حين يحارب ، انما يحارب دفاعا عن الاسلام ، يقول شوقي :

رضي المسلمون والاسلام فرع عثمان ، دم فداك الدوام "٤"
ايه عبد الحميد جل زمان أنت فيه خليفة وامام
عمر أنت بيد أنك ظل للبرايا وعصمة وسلام
ماتتوجت بالخلافة حتى توج البائسون والأيتام

ويقول أحمد محرم داعيا المسلمين تركا وعربا أن يتمسكوا بالهلال ، فهو الذى يجمعهم برابطة الاسلام ، ويحذرهم من ضياع مجدهم ، اذا هم

---

١) ديوان حافظ ابراهيم ، شرح أحمد أمين وجماعته ، دار العودة - بيروت ٢/١٧٩ .
٢) الدبور : الريح التي تقابل الصبا .
٣) المجير : المجيب
٤) الشوقيات : ١/٢٣٩

فرّطوا في الوحدة ، التي تجمعهم تحت ظل التاج العثماني .

يا آل عثمان من ترك ومن عرب ... وأي شعب يساوي الترك والعربا "١"
صونوا الهلال وزيدوا مجده علما ... لا مجد من بعده ان ضاع أوذهبا
يا تاج عثمان ان اليوم موعدنا ... فجدد العهد والق الحب والرغبا
لو ضاع عهدك أوهام الرجاء بنا ... على سواك لقينا الحين والعطبا

وعند ما أعلن السلطان عبد الحميد الثاني الدستور ، رأى علي الغاياتي أن من حق مصر أن تنعم بالحرية ، التي منحها السلطات لشعوبه ، وأن مصر تنتظر نصيبها من الحرية ، مؤملة أن يمد لها السلطان يد المساعدة ، وذلك في قصيدته التي وجهها الى السلطان عبد الحميد بمناسبة عيد الدستور عام ١٩٠٨ م ، يقول :

أمير المؤمنين مضت قلوب ... اليك يحثها الحب المكين "٢"
تؤمل أن تراك لها معينا ... وأنت لها على الدهر المعين
رأتك أمامها الأمل المرجى ... وفيك لدائها البرء المبين
فيا أمل القلوب اليك مصر ... تشير ، وبين جنبيها حنين

وأما عند ما ألغى عبد الحميد الدستور ، وثار عليه الاتحاديون ، وأجبروه على التسليم ، فقد ارتفعت أصوات الشعراء في مصر بين مشفق عليه يرثي له في بلواه ، وعاتب عليه سوء سياسته وشامت به يشنع بما لقي خصومه على يديه من نكال ، وقصيدة شوقي في هذه المناسبة مشهورة :

سل يلدزا ذات القصور ... هل جاءها نبأ البدور "٣"

---

١) ديوان أحمد محرم ، مطبعة الفتوح بدمنهور ، الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ - ١٩٢٠ م ، ٤/٢ .

٢) ديوان الغاياتي لعلي الغاياتي ، مطبعة عطايا بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م ص ٥ .

٣) الشوقيات ١١٩/١ ، وقد ردّ ولي الدين يكن على قصيدة شوقي هذه بقصيدة سماها " عبرة الدهر " ، مناقضة لما جاء في قصيدة شوقي ومطلعها :

هاجتك خالية القصور ... وشكتك آفلة البدور

راجع هذه القصيدة في ديوان ولي الدين يكن ، مطبعة المقتطف والمقطم في مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م ص ٢٦-٣٠

على أن ذلك لا يعني أن الشعراء في مصر لم يلتفتوا الى مايدور فيها ، فقد سجّل شعرهم كثيرا من الحوادث التي اهتز لها الوجدان المصرى ، وكانت حادثة دنشواى من أهم الأحداث التي صوّرها الشعراء حيث وصفوا قسوة الانجليز وظلمهم وتعسفهم ، وكان صوت حافظ ابراهيم من أقوى الأصوات وأكثرها جزعا على الضحايا ، فقال مخاطبا المحتلين :

أيها القائمون بالأمر فينا ... هل نسيتم ولاءنا والودادا "١"
خفّضوا جيشكم وناموا هنيئا ... وابتغوا صيدكم وجوبوا البلادا
واذا أعوزتكم ذات طوق ... بين تلك الربا فصيدوا العبادا
لا تظنوا بنا العقوق ولكن ... أرشدونا اذا ضللنا الرشادا
لا تقيدوا من أمة بقتيل ... صادت الشمس نفسه حين صادا

وندد شوقي بفظائع الانجليز في دنشواى ، ولكن بعد مرور عام عليها ، فقال :

يادنشواى على رباك سلام ... ذهبت بأنس ربوعك الأيام "٢"
شهداء حكمك في البلاد تفرقوا ... هيهات للشمل الشتيت نظام
مرّت عليهم في اللحود أهلة ... ومضى عليهم في القيود العام
عشرون بيتا أقفرت وانتابها ... بعد البشاشة وحشة وظلام

وحادثة دنشواى واحدة من أمور عديدة ، عانى منها الشعب على يد " كرومر " الذى حكم مصر مالا يقل عن عشرين عاما ، كان خلالها يعمل لمصلحة الانجليز ، ولهذا فان خروجه من مصر عام ١٩٠٧ كان فرصة للشعراء كي يعبروا عن سخطهم وغضبهم على الاحتلال ممثلا في "كرومر" يقول حافظ بمناسبة استقالته :

---

١) ديوان حافظ ابراهيم ٢ / ٢٠ .
٢) الشوقيات : ١ / ٢٤٤

فتى الشعر هذا موطن الصدق والهدى
فلا تكذب التاريخ ان كنت منشدا "١"

لقد حان توديع العميد وانــــــــــه
حقيق بتشييع المحبين والعدا

وينتقل حافظ بعد هذه المقدمة الى تحديد المآسي التي لحقت بمصر في عهده ، فقد أزرى بالعلماء وأغلق معاهد العلم ، وجعل الانجليزية لغة للتدريس بدلا من العربية ، وأراد فصل السودان عن مصر ، وضيّق على الصحف ، يقول حافظ موجها حديثه الى " كرومر " :

يناديك قد أزريت بالعلم والحجا	ولم تبق للتعليم يا "لرد" معهدا "٢"
وانك أخصبت البلاد تعمــــدا	وأجدبت في مصر العقول تعمّدا
قضيت على أم اللغات وانــــــه	قضاء علينا أو سبيل الى الردى
ووافيت والقطران في ظل رايـــة	فما زلت بالسودان حتى تمردا
حجبت ضياء الصحف عن ظلماتـــه	ولم تستقل حتى حجبت المؤيدا "٣"

ولما كان شوقي قبل رحيل كرومر مقيدا بعض الشيء نظرا لارتباطه بعباس الثاني الذى حاول في أخريات حكمه أن يهادن الانجليز ، استغل فرصة هجوم "كرومر" على المصريين واساءته في خطبة وداعه للخديوى اسماعيل ، فصبّ على الاحتلال غضبه ، اذ يقول :

---

١) ديوان حافظ ابراهيم ٢/٢٦ .
٢) المرجع نفسه ٢/٢٨ - ٢٩ .
٣) صحيفة كان يصدرها الشيخ علي يوسف .

أيامكم أم عهد اسماعيـــلا ... أم أنت فرعون يسوس النيــلا "١"
أم حاكم في أرض مصر بأمــره ... لا سائلا أبدا ولا مسئــولا
يامالكا رقّ القلوب ببأســـه ... هلا اتخذت الى القلوب سبيلا
لما رحلت عن البلاد تشهدت ... فكأنك الداء العياء رحيــلا
أوسعتنا يوم الوداع اهانــة ... أدب لعمرك لا يصيب مثيــلا

واذا كانت الروح الوطنية قد أخذت تجد لها صدى على ألسنة الشعراء ، فان هذه الروح تجلت على حقيقتها بعد أن بثها مصطفى كامل في نفـوس المصريين ، فاحتل بذلك مكانة عظيمة ظهرت في قصائد الرثاء التي ألقيت في حفلات التأبين تخليدا لذكراه ، فرثاه شوقي بقصيدة تعد من أروع قصائد الرثاء في الشعر العربي ، ترجم فيها عن شعوره بالحزن والألم ، بأسلوب تجلت فيه حكمة الشعر وقوة الوطنية وروعة البيان ، فعبرت عن الرزء الفادح الذى أصاب مصر بوفاة زعيمها ، يقول شوقي :

المشرقـات عليك ينتحبـان ... قاصيهما في مأتم والداني "٢"
ياخادم الاسلام أجر مجاهـد ... في الله من خلد ومن رضـوان
لما نعيت الى الحجاز مشى الاسى ... في الزائرين وروّع الحرمـان

ونظم خليل مطران قصيدة تزيد على تسعين بيتا ألقاها في حفلة الأربعيـن لوفاته ، وجعلها بعنوان : ((حق الوطن وحق الاخاء)) وفيها عبّر عـن مشاركة النصارى للمسلمين في مصابهم بمصطفى كامل ، الذى كان ينبـض قلبه بحب مصر ، يقول :

---

(١) الشوقيات : ١٧٣/١ - ١٧٦ .
(٢) المصدر نفسه ١٥٧/٣ .

أعلى مكانتك الاله وشرّفـــا   فانعم بطيب جواده يا " مصطفى " "١"

جزع النصـارى واليهود لمسلم   هو خير من والى وأوفى من وفى

بكوا المرّجى في خلاف عـارض   ليزيل ذاك العارض المتكشفـا

وكانت الدعوة الى الحياة الدستورية مما هتف به الشعراء منذ زمن مبكر ، وذلك على أثر منح السلطان عبد الحميد الثاني الدستور لرعاياه عام ١٩٠٨م ، مما استتبع مطالبة المصريين بالدستور ، فقام الحزب الوطني يجمع توقيعـات المواطنين على عرائض تطالب بالدستور تمهيدا لذلك ، وتقدم بها محمد فريـد الى الخديوى عباس الثاني "٢" ، ومن ذلك قصيدة لاسماعيل صبرى باشـا ، وجهها الى عباس الثاني في عيد جلوسه عام ١٩٠٨م ، يدعوه فيها الـى الأخذ بنظام الشورى :

سدد سهام الرأى بالشورى يصـط

بك منه في ظلم الحوادث فيلـــق "٣"

واسبق به واضرب به وافتح بـــه

ماشئت من باب أمامك يغلـــق

---

١) ديوان الخليل ، لخليل مطران ، الناشر دار الكاتب العربي بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٦٧م ، ١/٢٠٨-٢١٢ . وراجع في نفـس الغرض رثاء حافظ ابراهيم لمصطفى كامل ، حيث رثاه في قصائد ثلاثة ، انظر ديوان حافظ ٢/١٤٩ ، ٢/١٥١ ، ٢/١٦٠ . وراجـع كتاب شعراء الوطنية لعبد الرحمن الرافعي ، الناشر مكتبة النهضـة المصرية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الأولـى ، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤م ص ٢١٧ ، حيث رثى أحمد نسيم مصطفـى كامل بقصيدة مطلعها :

مابال دمعك لاهام ولا جارى   هلا اكتفيت بما للقلب من نـار

وكذلك رثى أحمد الكاشف مصطفى كامل بقصيدة بلغت نحو مائة بيت ، راجع شعراء الوطنية ص ٢٣٧ .

٢) الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد محمد حسين ٢/٩٦ .

٣) ديوان اسماعيل صبرى باشا ، صححه وضبطه احمد الزين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨م ص ٥٦

ودعا شوقي في كثير من قصائده الرعاة الى النزول على حكم الرعية ، ونبّه الملوك الى قوة الشعب ، والى ضرورة التخلص من حكم الفرد ، يقول :

زمان الفرد يافرعون ولّى ودالت دولة المتجبرينا "١"
وأصبحت الرعاة بكل أرض على حكم الرعية نازلينا

كما حث حافظ ابراهيم مواطنيه أن ينتخبوا المصلحين والمخلصين من صفوة أبناء أمتهم ، وحذّر أولي الأمر من مغبة اسكات صوت الشعب أو نفي ممثليه ، ودعاهم أن يكونوا حذرين صابرين حتى يفلحوا فيما سعوا اليه ، وعلى الرغم من ذلك ، فهو لا يثق بتصريح ٢٨ فبراير / شباط ١٩٢٢م الذي منحت بموجبه انجلترا مصر استقلالا مقيدا ، فقال :

أصبحت لا أدرى على خبرة أجدت الأيام أم تمزح ؟ "٢"
أموقف للجد نجتازه أم ذاك للاهي بنا مسرح ؟
ان تسألوا العقل يقل عاهدوا واستوثقوا في عهدكم تربحوا
وأسسوا دارا لنوابكم للرأى فيها والحجا أفسحوا
ولتذكر الأمة ميثاقها ألا ترى عزتها تجرح ؟
ولتنتخب صفوة أبنائها فمنهم المخلص والمصلح
وليتقوا الله أولو أمرها أن يسكتوا الأصوات أو يرفحوا "٣"
أو تسألوا القلب يقل حاذروا وصابروا أعداءكم تفلحوا

على أن شعراء مصر وان تغنوا بالدستور ، وصدّقوا وعود الانجليز لهم برغبتهم في ارساء حياة نيابية في مصر سواء قبل الحرب الأولى أو بعدها ، لم يصمتوا عندما اشتد الحال باعلان الحماية والأحكام العرفية في ظل الحرب ، فانبروا ينددون بفظائع الانجليز ابان الحرب ، يقول أحمد محرم :

---

(١) الشوقيات : ١/٢٧٤ . وانظر الشوقيات : ٤/٢٩-٣١ ، حيث تكلم شوقي عن الحياة الدستورية .
(٢) ديوان حافظ ابراهيم ٢/٩٤ - ٩٧ .
(٣) يرفحون : أى ينفون من خالفهم الى رفح ، وهي مدينة مصرية على حدود فلسطين .

أيها الجند ظافرا يتمشــــى   في الجماهير معجبا مختالا "١"
يوم غاب الحماة واستصرخت مصـ   ـر تنادى الرجال والأبطـــالا
أقتلت الكماة في الحرب غلبــا ؟   أم قتلت النساء والاطفـــالا ؟

وذكر الكاشف أن ماقدمته مصر لانجلترا أثناء الحرب كان سببا من أسباب انتصارها مع أن هزيمتها كانت أمرا محققا لولا هذه المساعدات ، وهو يـــرى أن مصر دفعت ثمن استقلالها ، فلماذا تحرم منه ؟ يقول :

ياناثلين من الحرب العوان سوى   ماكان منتظرا منها ومظنونــا "٢"
نجوتم من رزاياها وما لكـــــم   لا تذكرون رفاقا غير ناجينــا
مدّوا الحديد لكم في كلّ مرحلــة   وذللوا لكم أطوارها لينـــا "٣"
جربتمو مصر في تقييدها زمنـــا   فجربوا مصر في اطلاقها حينا

وهكذا أصبح الناس في مصر لا يثقون بوعود انجلترا ، فما أعطتهم وعدا الا عادت بعد ذلك ونقضته ، وتنبه الشعراء لهذه المراوغة من قبـــل الانجليز ، حتى لقد حذّر حافظ ابراهيم سعدا من مغبة خداعهم لـه ، وكان سعد زغلول يعتزم السفر الى لندن لمفاوضتهم ، فقال :

لا تقرب " التاميز " واحذر ماءه   مهما بدا لك أنه معســـول "٤"
الكيد ممزوج بأصفى مائـــه   والختل فيه مذوبّ مصقول "٥"
كم وارد ياسعد قبلـك مـــاءه   قد عاد منه وفي الفؤاد غليل

ولم يقتصر الشعر على خوض معترك السياسة ، والتعبير عن أماني الأمة في الحرية والاستقلال والحكم النيابي ، بل تناول جميع جوانب الحياة في مصر ، حتى الحياة الاقتصادية وجد لها متسعا عند الشعراء ، فطالبـــوا بالغاء الامتيازات الأجنبية ، التي منحت للأوروبيين ، فاتخذوها وسيلـــة للعدوان ، يقول اسماعيل صبرى :

---

١) شعراء الوطنية ص ٢٠٠
٢) شعراء الوطنية ص ٢٤٠ - ٢٤١
٣) يعني بذلك أن المصريين مدوا خطا حديديا في سيناء لخدمة الحلفاء .
٤) ديوان حافظ ابراهيم ١ / ١١٠ - ١١١
٥) الختل : الخداع والمكر .

ويحهم مالصنعهم أبطر القوم، فعقّوا ماكان من احسان ؟ "١"
ولماذا تمخّض السلم عن حرب لظاها يشوي الوجوه وان ؟
منح قد بذرت في شرّ أيد كنّ مذ كنّ منبت الكفران

ويقول شوقي من قصيدة له بمناسبة الاحتفال بتأسيس "بنك مصر"، دعا فيها الى الاكتتاب في رأس مال هذا المصرف ، ونوّه فيها بفضل المال في حياة الأمة ونهضتها ، فقال :

قف بالممالك وانظر دولة المال
واذكر رجالا أدالوها باجمال "٢"
ياطالبا لمعالي الملك مجتهدا
خذها من العلم أو خذها من المال
بالعلم والمال يبني الناس ملكهم
لم يبن ملك على جهل واقلال

ويشير حافظ ابراهيم في قصيدة له بعنوان "البورصة" الى المضاربات التي تجرى فيها ، وحذق اليهود لاكتساب الثروات عن طريقها ، والى الربح والخسارة التي تصيب المشتركين فيها نتيجة ارتفاع الأسعار أو هبوطها المفاجيء ، مما يسبب الدمار لبعض المضاربين ، ويضطرهم الى الانتحار، يقول :

ببابك النحس والسعود ... وموقف اليأس والرجاء "٣"
وفيك قد حارت اليهود ... يامطلع السعد والشقاء

....

مضاربات هي المنايا ... ورسلها أحرف البروق
صبوح أصحابها الرزايا ... ومالهم دونها غبوق
قد أتلفت أنفس البرايا ... بأسهم الغدر والعقوق

---

١) ديوان اسماعيل صبري باشا ص ١٨٣ - ١٨٥ .
٢) الشوقيات : ١/١٨٤
٣) ديوان حافظ ابراهيم ١/٢١٣ - ٢١٥ .

فليتعظ منكم العبيد ... وليتقوا الله ذو الثراء
فذلك التاجر الشهيد ... قد عاف من أجلها البقاء

ويلتفت أحمد محرم الى الفلاح ، فيجده محروما من ثمرة أرضه ، وقد تلقفها آلاف المترفين من بين يديه ، وبقي هو محاصرا بالفقر والاملاق ، زيادة على ما هو فيه من عنت وارهاق ، فيقول :

ويلي على فلاح مصر أما كفى ... ما ذاق من عنت ومن ارهاق "١"
يغني ألوف المترفين بماله ... ويعيش في فقر وفي املاق
سبحان من شرع السبيل لخلقه ... أكذا يكون تفاوت الأرزاق

وعندما أصبح العمال قوة في الحياة الاقتصادية التفت الشعراء اليهم ، يستنهضون هممهم ، ويطالبونهم بالكدّ من أجل كسب رزقهم ، واعمار الأرض التي لولا سواعدهم لتحولت الى قفر ؛ ويدعونهم أن يتمثلوا أجدادهم ، وما خلدت لهم الأرض من آثار أتقنوا صنعها ، طمعا في ثواب الله ثم الناس ؛ يقول شوقي :

أيها العمال أفنوا العمـ ... ـر كدا واكتسابا "٢"
واعمروا الأرض فلولا ... سعيكم أمست يبابا
أين أنتم من جدود ... خلّدوا هذا الترابا
قلدوه الأثر المعجز ... والفن العجابا
وكسوه أبد الدهر ... من الفخر ثيابا
اتقنوا الصنعة حتى ... أخذوا الخلد اغتصابا
انّ للمتقن عند ... الله والناس ثوابا

واذا كان شوقي قد نصح العمال بالكدّ واتقان الصنعة ، فان أحمد زكي أبو شادي رأى فيهم أصحاب شرف يبنون للناس حياتهم ، ويدين لهم

---

١) شعراء الوطنية ص ٢١٢
٢) الشوقيات ١/ ٩٠ - ٩٢

المجتمع بوجوده ، فهم يحولون بعرقهم التراب تبرا والفحم نورا ، وهم الذين يزرعون الحقول ، ويقهرون البحار بيأسهم على الرغم مما يقابلونه من العنت والعناد ، يقول :

أنتم بنو الشرف العظيم بنفعكم ... للناس تبنون الوجود جديدا "١"
الترب أنتم من بعثتم تبره ... يختال مابين الورى معبودا
والأرض أنتم من نشرتم فحمها ... فأنار بل أحيا البلاد السودا
والحقل أنتم من خلقتم نبته ... فأغاث محروما ورد شهيدا
والبحر أنتم من قهرتم بأسه ... ولكم تمرد عاتيا وعنيدا

ومن الأمور التي استحقت عناية الشعراء والمصلحين مشكلة الفقر ، فقد كان المصريون بين غني ينفق باسراف ويكدس الثروات ، وبين فقير لا يملك قوت يومه ، وكان أكثر أفراد المجتمع من هذه الفئة ، فحث حافظ ابراهيم الأغنياء على البذل والعطاء ، ودفع أموال الزكاة لمن يستحقها ، لأنهم لو أنفقوا بعض مايشترون به الأثاث والرياش مابقي في مصر معدم أو جانح نحو الشرور والآثام :

وعلمنا أن الزكاة سبيل الله ... ـه تهل الصلاة ، قبل الصيام "٢"
خصها الله في الكتاب بذكر ... فهي ركن الأركان في الاسلام
لو وفى بالزكاة من جمع الدنـ ... ـيا وأهوى على اقتناء الحطام
ماشكا الجوع معدم أو تصدى ... لركوب الشرور والآثام

وعندما بدأ التفكير في انشاء جامعة وطنية في مصر ، وتكونت لجنة لجمع التبرعات ، كان حافظ ممن تحمسوا لهذه الدعوة ، حتى تقوم الجامعة بدورها في احياء العلم والأدب ، وبناء الرجال الذين سيكونون سبيل أمتهم الى المعالي ، قال :

---

١) الشفق الباكي ، لأحمد زكي أبو شادى ، المطبعة السلفية بمصر ، ١٩٢٦م ص ٢١٦ - ٢١٨ .
٢) ديوان حافظ ابراهيم ١/٢٨٧

حياكم الله أحيوا العلم والأدبا ... ان تنشروا العلم ينشر فيكم العربا "١"
ولا حياة لكم الا بجامعة ... تكون أما لطلاب العلا وأبا
تبني الرجال وتبني كل شاهقة ... من المعالي وتبني العزّ والغلبا

واذا كان حافظ قد دعا الى تأسيس الجامعة ، فان محمد عبد المطلب هاجم سياسة " دنلوب " "٢" التعليمية ورأى أنها سياسة فاسدة ، وكشف عن هدف الانجليز من افساد التعليم وحرمان المصريين منه ، ووصف " دنلوب " بأنه داء أبتليت به وزارة المعارف مدة ثلاثين عاما ، مما جعل العلم في مصر يهبط الى أدنى مستوى ، فقد كان ينفذ سياسة اللورد " كرومر " التي كانت تهدف الى تخريج أفواج من الموظفين فقط.

فأصبح داء في المعارف قاتلا ... يسدد فيها كل سهم مفوّق "٣"
فواها على تلك العقول التي ثوت ... بكفيه في لحد من الجهل ضيق
ثلاثين عاما يسكب النيل حسرة ... على العلم مع الواله المتشوق
وماورد وامن عذبه غير لامع ... من الآل في بيدائها مترّيق
ولولاه كانت مصر بالعلم روضة ... تلألأ بالأنوار للمتأنق

من هذه النماذج التي سردناها يمكننا القول أن الشعراء كانوا متحمسين للدفاع عن قضايا أمتهم ، ولا يرون بأسا في الاقتباس من بعض جوانب الحضارة الغربية ، لكنهم سرعان ما اكتشفوا أن هذه الحضارة ليست نعما كلها ، لأن منها مايؤدى الى الانحطاط والتقهقر ، خصوصا فيما يتعلق بألوان الترف والخلاعة "٤" ، وقد هال الشعراء مارأوا من طغيان الفساد في الحياة الاجتماعية ، ذلك أن الغرب أثناء اتصاله بالشرق أدخل معه كثيرا من الموبقات ، فاندفع وراءها كثيرون ممن لم يدركوا المعنى الحقيقي للحضارة ،

---

١) المرجع نفسه ١/٢٧٢ . ينشر فيكم العربا : أى مجد العرب.

٢) انجليزى كان يعمل مستشارا في وزارة المعارف المصرية في عهد كرومر .

٣) ديوان عبد المطلب ص ١٧٣ .

٤) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، لأنيس الخورى المقدسي ، دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة السادسة ١٩٧٧م
راجع البحث الذى كتبه المؤلف بعنوان " في الحملة على المفاسد الاجتماعية " ص ٢١٦ - ٢٢٣ .

فجرفهم تيارها حتى عمت مفاسدها ، وقد لمس مصطفى لطفي المنفلوطي هذه الظاهرة ، فكتب مقالا بعنوان " المدنية الغربية " بيّن فيه أن المصرى لا يقلد الغربي الا في المظهر ، حيث يقول : ((يريد المصرى أن يقلد الغربي في نشاطه وخفته ، فلا ينشط الا في غدواته وروحاته وقعدته وقومته ، فاذا جدّ الجد ، وأراد نفسه أن يعمل عملا من الأعمال المحتاجة الى قليل من الصبر والجلد دبّ الملل الى نفسه ... يريد أن يقلده في رفاهيته ونعمته ، فلا يفهم منها الا أن الأولى التأنث في الحركات ، والثانية الاختلاف الى مواطن الفسق ومخابئ الفجور .... أما شأنه في رذائلها ، فانه أقدر الناس على أخذها كما هي ، فينتحر كما ينتحر الغربي ، ويلحد كما يلحد ، ويستهتر في الفسوق استهتاره ، ويترسم في الفجور آثاره)) "١"

وهذا التيار الفاسد الذى قدم الينا نتيجة الاختلاط بالغرب حاول الشعراء مقاومته والتصدى له ، فنبهوا المجتمع الى مايجره هذا الوباء من خطر على الأمة قد يودي بحياتها ويدفعها الى الدرك الأسفل ، ولا غرابة أن نجد بعض الشعراء قد عدّ هذا العصر عصر ضلالات في قوله :

تظنون هذا العصر عصر هداية وأجدر لو تدعوه عصر ضلالات "٢"

ومن الشعراء من وصف حياة الفساد في الغرب ، ومافيها من مفارقات ، فهناك الغني الذى يحيط نفسه في جو من الرفاهية الزائدة ، والفقير الذى يحيا حياة الحيوان ويستف الملقم ، يقول الدكتور ابراهيم شدودى في قصيدة له بعنوان " السماء وجهنم في باريس " :

---

١) النظرات ، لمصطفى لطفي المنفلوطي ، الناشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ودار الثقافة بيروت - ١/١٣٢ - ١٣٦ .

٢) ديوان الشبيبي ، لمحمد رضا الشبيبي ، القاهرة ١٩٤٠ م ، ص ١١٣ .

ياقائلا صف لي جهنم والسما   انني بباريس أرى كلتيهما "١"
أجد الغني مرفها يأوى الـ   دور بمثل بهائها لن تحلما
دور تدوس الخزّ في عرصاتها   ويريك نور الكهربا الأنجما
ومنازل الفقراء شبه ذ رائب   يستقبلون بها القضاء المبرما
تلقى بها عفن الهوى ومزابلا   ومهاولا فاضت وجوا مظلما
وأرى بباريس الغني يعيش في   خفض ويستفّ الفقير العلقما

ويشير الدكتور شدودي الى جانب آخر من حياة الغربيين ألا وهو الدين ، فيذكر أن المعابد أصبحت خاوية الا من بعض العجائز اللاتي جئن يكفرن عما ارتكبن من آثام ، واذا مررت على الحانات رأيتها مرتعا للفسق يقضي فيها الشباب زهرة عمرهم ، ورأيت بائعات الهوى يسعين وراء الفاحشة ، ولا يجدن في ذلك أى غضاضة ،

واذا دخلت هنا المعابد لاترى   غير العجائز عابدا متندما
واذا العشية زرت حانات الهوى   ألفيت للفسق الشبيبة مغنما
ورأيت ربّات الخنا يسعين للـ   فحشا وما فيها يرين محرما

هذه هي الصورة التي كانت عليها باريس في نهاية القرن التاسع عشر ، وهذا هو الجانب الذى عني الغرب بنقله الى الشرق ، فكثرت المفاسد وعمت ، حتى ان الشعراء اضطروا أن يرفعوا عقيرتهم منبهين الى عاقبة هذه الشرور ، وخطرها على الدين والأخلاق ، فقد شكا محمد عبد المطلب غربة الدين في مصر ، وقلة احتفال المسلمين به حتى لانت قناته ، وتضعضع حال أهله ، فأمحل بعد خصب وذلّ بعد عز ، يقول على لسان الدين :

بكيت بواد مابه لك راحم   تراه الى ماترتجيه مجيبا "٢"
كأنك دين الله في مصر باكيا   وقد صار بين المسلمين غريبا
تضعضع أهلوه وصوح نبته   وأمحل ماقد كان منه خصيبا
ولانت لكف الغامزين قناته   وقد كان ممنوع الجناب مهيبا

---

١) الثريا ، السنة الرابعة ، الجزء الثامن ، ١٥ يوليو / تموز ١٩٠١ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

٢) ديوان عبد المطلب ، ص ١٩ .

وهاجم محمد رفيق اللبابيدى من يتحدون حدود الأخلاق والقيم بدعوى التجديد ، وأوضح أن مايسمونه تجديدا ليس في حقيقته الا تماديا في ارتكاب القبائح ، وأن التجدد الصحيح لا يكون الا بالرجوع عن التمرد الى الهدى ونور الحق ، ففي ديننا مايدعونا الى الرشاد ، يقول من قصيدة له بعنوان ((التجدد الباطل والتجدد الصحيح)) :

اذا كان هدم الدين والخلق والحجى
تسمونه ياقوم فينا تجددا "١"
لعمركم انا رضينا جمودنا
دعونا ، وقولوا : جامدون وأزهدا

....

دعوتم الى ذاك التجدد ليتكم
يجدد كلّ عقلة المتمردا
ولو أن هاتيك العقول تبصرت
على نور حق ماتستمر أربدا
اذن كنتمو أدركتم أن مابكم
جنون تمادى فيكم وتمدّدا
تجددنا ياقوم رجعى الى الهدى
نحطم من صخر الضلالة جلمدا
نعض على آي الكتاب بناجذ
وما ضرّنا أنا نعض على الهدى
لنا ديننا ياقوم يدعو الى العلى
فما بالكم تمشون ياقوم للردى

ويرى ابن رواحة في قصيدة له بعنوان : " أعوان الضلالة " أن الداعين الى التجدد والتحديث لا يرمون من وراء دعوتهم هذه الا افساد الشباب الغض وارهاقه بمباذل الحضارة ، وأن هجومهم على القديم لا يقصد به الا هدم

---

١) الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٤٦ ، ٢ مايو/آيار ١٩٢٩م ص ١٠

الدين ، حتى يفسحوا الطريق للمحرمات كي تنتشر ، ولن يتم لهم ذلك الا اذا نزعوا الدين من الصدور ، يقول :

اني لأطمع أن أكو ن عدو أعوان الضلالة "١"
الفاسدين المفسدين على الشباب الغض حاله
يدعونه للنكر في قول تنمقه الجهالة
باسم الحديث ، وما الحديث وما القديم سوى علالة
هم يبتغون حرام هذا العيش صرفا لا حلاله
ويرون هذا الدين مخزيهم لذا طلبوا زواله
وتقاسموا نفث السمو م بكل آونة مقاله
اني لأرجو أن يذلهم المهيمن ذو الجلاله
يرميهم بالحق يد مغهم ويهتك ما حياله

وحذّر جبران يوسف من مغبة منادمة أراذل الناس وأنذالهم ، ودعا الى هجر أحاديثهم حتى لو كانت تقطر عسلا ، لأن السقوط في هاوية الرذيلة يكمن في تعدد طرق الاغراء التي يتهمونها ، ويرى أن العفاف والفضيلة هما خير سياج يحيط بهما الانسان نفسه ، والا فانه سيكون ريشة في مهب الريح ، يقول من قصيدة له بعنوان (العفاف سياج العمران) :

دع عنك حبّ منادم الأنذال وملازم لجماعة الارذال "٢"
واهجر سماع حديثهم حتى ولو عذبا يسيل برقة الجريال
ومزخرف الألفاظ دعه لشأنه أنى حكى في فيه ضرّ مقال
يأتي بسامعه وهادّ رذيلة وهناك يرميه بأسوأ حال
فطرائق الاغراء عدّ وافر متباين الأنواع والأشكال
فاكبح جماع رذيلة بفضيلة تدعى العفاف عروسة الأميال

---

١) الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٢٠ ، ١٠ يناير/كانون ثاني ١٩٢٩ م ص ٩
٢) الهلال ، السنة الثالثة ، الجزء الحادى عشر ، فبراير/شباط ١٨٩٥ م ص ٤٢١ .

وهاهو حسن القاياتي يرى أن العصر الذى يعيش فيه قد عمه الكذب ، وجانبه الصواب والمنطق ، فقد خرج أكثر الشباب عن جادة الصواب ، فأصبحوا مزهوين بأنفسهم ، يقضون أوقاتهم في اللهو ، وهو يشكو عصره لأن أعف نساكه ذئاب ، وهو يشكو ضياع الحسن الذى كانت له قداسته في النفوس ، فأصبح نهبا مشاعا ، بعد أن تبرجت النساء ، وأصبحن يتصدين بجمالهن للناس ، كي يقعوا في الفتنة والغواية ، يقول :

شمائل كلها كذاب ... ومنطق خصمه الصواب "١"

من يخبأ العصر من خلال ... كما طوى الجيفة التراب

سما شباب، أجل ، ولكن ... شذ ماعرفه الشباب

تألق اللهو في وجوه ... كما تصدى لك السراب

وهز عطف الشباب زهو ... كأن أخاذه شراب

شكاتنا أن يسود عهد ... أعف نساكه الذئاب

تبرج الحسن وهو قدس ... وصد للغي وهو عاب

علام والشهد ليس فينا ... يشيع في جونا الذباب

كذلك من الشرور التي لاحظها الشعراء ونددوا بها ، عيد شم النسيم ، ومايحدث فيه من أعمال ذميمة منافية للدين والخلق ، وكأن هذا العيد قد اتخذ مناسبة للقضاء على البقية الباقية من الفضيلة ، حيث يخلع بعض الناس فيه ثوب الحياء ، ويأتون الفسق والمنكر نهارا جهارا ، حتى أصبح لا ينفع معهم نصح ، يقول محمد صادق عرنوس :

وبعد فقد أتى شم النسيم ... معيدا خطة العهد القديم "٢"

أتى بأحط أنواع المخازى ... وأثراهن بالعمل الذميم

وأقسم ما أتى الا ليقضي ... على الاداب والخلق الكريم

---

١) الفتح ، العدد (٢٧١ ، ٢٦ جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ ص ٩

٢) الفتح ، السنة الرابعة ، العدد ١٩٦ ، ٢٤ ابريل / نيسان ١٩٣٠م ص ١

يشدّ على الفضيلة أين حلت ... ويطعن كل نصح في الصميم
ورثنا عادة فيما ورثنا ... بلا تذلير ولا فهم سليم
ففاسقة وفاسق استباحا ... مخالفة الصراط المستقيم
وراحا يأتيان الفسق جهرا ... بوجه لم يقدّ من الأديم
لقد ذهبت نصائحنا هباء ... فمن للقوم بالريح العقيم

ونبه عرنوس الى أهمية الوقت في حياة الانسان ، والى ضرورة الاستفادة منه ، وعدم تضييعه بما لا يعود على المرء بالنفع ، فانتقد الرجال الذين يقضون أوقاتهم مرابطين على المقاهي وسألهم : الى متى تظلون هكذا لا تقدرون للزمن قيمة ، ولا تستفيدون من أعماركم ؟ هل أديتم كل ماعليكم من واجبات ؟ ألا تطمح نفوسكم الى المعالي ؟ ألا ترون الأطماع المحدقة بنا حتى أصبحنا كالشياه بين الأسود ؟ هل قضيتم ماعليكم من حقوق الله والناس ؟ هل راقبتم أبناءكم حتى لا يضلوا ؟ وهل أتقنتم العلوم وطالعتم كل جديد فيها ؟ اذا قمتم بكل ذلك وأديتم ماعليكم فاعكفوا على ملاهيكم ؟ ولكن أشفق عليكم من فعالكم هذه ! وليس عندى الا زفرات حرّى أطلقها شفقة عليكم ، يقول :

اليومَ ترود أندية المقاهي ... وحتام التسكع في المقاهي ؟ "١"
أوقتك من صغار الشأن حتى ... غدوت بقطعه هدرا تباهي ؟
أمالك دافع نحو المعالي ... أمالك للهدى أى اتجاه ؟

.....

ألست ترى بعينك كيف صرنا ... بمأسدة المطامع كالشياه ؟
قضيت حقوقك الأخرى جميعا ... حقوق الناس أو حق الاله ؟
وخفت على عيالك أن يضلوا ... فلست عن استقامتهم بساهي
وبيتك صنته من كل رجس ... فركن الخلق فيه غير واهي
قطعت الى العلوم مدى بعيدا ... تطالعها بفحص وانتباه
نعم أديت طوعا كل هذا ... اذن فاعكف على تلك الملاهي
اذا داوت لك الآهات داء ... فآه من فعالك ثم آه

---

(١) الفتح ، السنة الرابعة ، العدد ١٦٤ ، ١٢ سبتمبر / ايلول ١٩٢٩م ص ٨ .

وكان الانتحار من الأمراض الاجتماعية التي تسللت الى الشرق ، فقد يقدم بعض الناس على الانتحار ، اذا مافشلوا في تحقيق غاياتهم ، وقد نجم ذلك عن ضعف العقيدة في النفوس وعن انتشار الجشع بين بعض الأفراد ، يحدثنا محمد صادق عرنوس عن طالب انتحر اثر رسوبه في الامتحان خشية أن يلحق به العار ، ويرى الشاعر أن الانتحار هروب مما كتب الله ، وليس هذا شأن الطالب وحده "١" ، بل ان بعض من سدت في وجوههم سبل الرزق يقدمون على الانتحار تخلصا مما هم فيه من ضيق ،

رسب التلميذ يومـــا	فتولاه انذعـــــار "٢"
ورأى أن رسوبـــا	يلحق التلميذ عـــار
فاحتسى المسكين سما	أو تخطاه قطـــار

ومع الانتحار أو قبله تسلل القمار ، حتى اننا نجد بعض الشعراء قد حذر من مغبة الاقدام عليه في نهاية القرن التاسع عشر ، فها هو أنطون داود البستاني يدعو الى الحذر من الوقوع في شرك المقامرين الذين نزلوا مصر واتخذوه وسيلة لسلب الأموال ،

فكم من خاسر في اللعب أمسى	بعيد العز في وادي الشنار "٣"
وكم صفر اليدين غدا وأضحـــى	يعض يمينه قبل اليســـار

---

١) انظر كتاب النظرات ، لمصطفى لطفي المنفلوطي ص ١٥٥ - ١٥٧ ، حيث كتب مقالة بعنوان " الانتحار " نعى فيها على الأدبـــاء والمدرسين لعدم تربية أبنائهم تربية دينية وأدبية تمنعهم من احتقـــار الحياة وافهامهم أن العلم صفة من صفات الكمال ، وليس سلعة مـن سلع التجارة ، ورأى أن السبب يعود الى أن الطلاب يرون فـــي الشهادة وسيلة من وسائل العيش جريا على القاعدة الفاسدة التـــي تقول : " ان الشهادة بلا علم خير من العلم بلا شهادة " .

٢) الفتح ، السنة الثانية ، العدد ١٥٢ ، ٢٠ يوليو / تمـــوز ١٩٢٩م ص ٤ .

٣) الثريا ، السنة الثالثة ، الجزء الثاني ، ١ سبتمبر / أيلـــول ١٨٩٨م ص ٥١ .

ويصف عرنوس ما أصاب بعض الشباب من جراء تعلقهم "بالكوكايين" وكيف تحولت أجسامهم من بعد النضارة حطاما ، وكيف ذلت نفوسهم بعد أن كانت عزيزة ، يمدون أيديهم الى غيرهم طلبا للاستجداء أو يختلسون المال أحيانا أخرى ، ويتساءل الشاعر ، على من تقع مسئولية هذه الضحايا ؟

ونفس ذلّ صاحبها فذلـت ... وصارت لا ترى في الهون هونا "١"
تمد يدا للاستجداء حينا ... وتختلس الذي حرمته حينا
وأي كرامة بقيت لديهـا ... تميز بها الشرف المشينا
اذا انحصرت أمانيها جميعا ... بواقدة تسمى "الكوكيينا"

....

من المسئول عن تلك الضحايا ... جريرتها علينا أجمعينا

هكذا تغنى الشعراء بأحاسيس الأمة وآمالها وعبّروا عن آلامها ، وظهرت في شعرهم نزعة الى الاصلاح الاجتماعي ، والى انقاذ مصر من كل تدهور سياسي أو ثقافي أو خلقي ، فاستطاعوا أن يحافظوا على تقاليد الشعر القديمة في الوزن والقافية من جهة ، وعبّروا عن عواطف الجمهور ومشاعره من جهة ثانية .

وهكذا زاوج جيل حافظ وشوقي بين القديم والحديث ، فأخذوا من القديم صياغته وأوزانه ، ومن الحديث موضوعاته ومعانيه ، فأعادوا للشعر نضارته ، بعد أن كاد يجف عوده ، ولم يكتف شوقي بذلك بل أبدع فنا جديدا من الشعر لم يكن معروفا في الأدب العربي ، ونقصد به الشعر التمثيلي ، وقد حاول شوقي أن يخوض هذا الميدان في فترة مبكرة من حياته ، ولكن انتاجه المسرحي ظهر في آخر فترة من حياته ، فاجتمعت في فن شوقي آثار دراسته العربية ودراسته الغربية الفرنسية "٢" ، ولم تقتصر

---

(١) الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٤٥ ، ٢٥ ابريل / نيسان ١٩٢٩ م ص ٤ .

(٢) الفن المسرحي في الأدب العربي الحديث ، لمحمود حامد شوكت ، مطبعة عابدين ، الناشر دار الفكر العربي ، الطبعة الثالثة ١٩٧٠م ص ٦٨ - ٦٩ .

محاولات التجديد في الشعر العربي على محاولات شوقي ، فقد قام خليل مطران الذى يعد من جيل شوقي وحافظ بمحاولات أخرى للتجديد ، حيث دعا الشعراء الى الاهتمام بوحدة القصيدة ، واتجه في أنتاجه الى الشعر القصصي ، ومن ذلك قصيدته " الجنين الشهيد " "١" ، و " فتاة الجبل الأسود " "٢" ، و " حكاية عاشقين " "٣" ، و " نيرون " "٤" .

وأعقب جيل شوقي وحافظ ومطران جيل آخر من الشعراء درس الأدب الانجليزى والآداب الغربية دراسة عميقة من أمثال العقاد والمازني وشكرى ، وقد رأوا أن شعراء النهضة وعلى رأسهم شوقي وحافظ لا يبسطون شعرهم على حياتهم النفسية وحياة الكون من حولهم ، بل انهم يبسطونه ويمدونه على الحياة العامة ، وقلما يقفون عند الحياة الانسانية في عواطفها ودوافعها وظواهرها وبواطنها ، ثم انهم يبالغون في التقيد بصورة الشعر العربي القديم في صياغته وأوزانه . "٥"

أما هم فقد جعلوا من الشعر وسيلة للتعبير عن النفس لا بمعناها الخاص ، ولكن بمعناها الانساني العام ، وما تضطرب به من ألم ولذة وخير وشر ، وعبّروا عن الطبيعة وخصائصها وأسرارها المبثوثة فيها ، فليس الشعر عندهم تسجيلا لحوادث الأمة حسب وقوعها ، وانما هو تصوير لعواطف انسانية تزدحم بها نفس الشاعر ، فكانوا في نظرتهم هذه الى الشعر متأثرين بالشعر الغنائي الانجليزى ، وكان ديوان عبد الرحمن شكرى " ضوء الفجر " أول محاولة لهذه المدرسة ، لكن شعر هذا الديوان اصطبغ بروح التشاؤم وسيطرة النزعة الذاتية ، وفيه جدد شكرى في القوافي ، ثم أصدر المازني الجزء الأول من ديوانه وتبعه العقاد .

---

١) ديوان الخليل ١/٢٢٣ - ٢٤٥ .
٢) المرجع نفسه ١/١٧٩ - ١٨٣ .
٣) المرجع نفسه ١/١٨٤ - ١٩٢ .
٤) المرجع نفسه ٣/٥٠ - ٧٣ .
٥) الأدب العربي المعاصر في مصر ، للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة ١٩٧٦م ، ص ٥٨ .

وحتى تتضح أسس المذهب الجديد ، أصدر العقاد والمازني كتابهما " الديوان في النقد والأدب " ، وفيه كشفا عن العيوب التي وقع فيها شعراء الجيل الماضي وكتابه ، ووصفا مهمتهما بأنها : ((اقامة حد بين عهدين لم يبق مايسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما ، وأقرب مانميز به مذهبنا ، أنه مذهب انساني مصري عربي ، انساني لأنه من ناحية يترجم عن طبع الانسان خالصا من تقليد الصناعة المشوهة ، ولأنه من ناحية أخرى ثمرة لقاح القرائح الانسانية عامة ومظهر الوجدان المشترك بين النفوس قاطبة ، ومصري لأن دعاته مصريون ، تؤثر فيهم الحياة المصرية ، وعربي لأن لغته العربية ... وقد مضى التاريخ بسرعة لا تتبدل ، وقضى أن تحطم كل عقيدة أصناما عبدت قبلها)) "١"

ولأن المازني نقد شكري في هذا الديوان تفرقت الجماعة وانفرط عقدها ، فهجر المازني الشعر الى الصحافة والسياسة ، وترك شكري نظم الشعر الا في حالات نادرة ، وظل العقاد وحده يستلهم في شعره مبادئ مدرسة الديوان. "٢"

على أن شعراء الديوان الذين عابوا شعراء النهضة لاهتمامهم بتسجيل الأحداث السياسية والاجتماعية قد اضطروا في بعض الأحيان أن يسلكوا سبيلهم ، وهذا يعني أنهم تناولوا قضايا مجتمعهم ، وعبّروا عن الروح العامة في عصرهم ، ومن الملاحظ أنهم عنوا بالمعنى والفكرة عناية فائقة ، ولم يهتموا باللفظ المونق والأسلوب الرائق ، وقليل منهم من جمع الى جدة المعنى رشاقة اللفظ وحلاوة الموسيقى . "٣"

---

١) الديوان في الأدب والنقد ، لعباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازني ، الطبعة الثالثة ص ٤ .

٢) الشعر العربي المعاصر تطور وأعلامه لأنور الجندي ص ٢٤٤ .

٣) في الأدب الحديث ، لعمر الدسوقي ٢/٢٤٩ .

ولا نكاد نمضي في العقد الثالث من القرن العشرين حتى تظهر مجموعة جديدة من الشعراء حاولت أن تعبر عن نفسها مستوحية النماذج الشعرية التي أبدعها جيل حافظ وشوقي وشعراء مدرسة الديوان ، الى نموذج ثالث جاءهم عن شعراء المهجر الذين تأثروا برومانسية الغرب ، فأكثروا من ذكر الطبيعة والحنين الى الوطن والتأمل الواسع للحياة ومافيها من الام . "١"

وقد أحدثت هذه النماذج ومارافقها من الاطلاع الواسع على الاداب الغربية نزعات شتى لديهم ، ومن هؤلاء أحمد زكي أبو شادى ، وعلي محمود طه وابراهيم ناجي وحسن كامل الصيرفي وغيرهم ، وحاول أبو شادى عام ١٩٣٢م تأسيس جمعية أدبية ، فدعا الشعراء الى تأسيس رابطة أدبية توحد جهودهم ، وتكون وسيلة للتفاهم فيما بينهم ولتقريب آرائهم بعضها من بعض وتبادل الخواطر والنزعات الاصلاحية ، دون أن يضحوا في سبيلها بمذاهبهم الخاصة . "٢"

واقترح أبو شادى في دستور الجمعية أن يطلق عليها اسم " جمعية أبولو " وأبان بأن الجمعية تسعى الى تحقيق أغراض عدة ، هي : ((السمو بالشعر العربي وتوجيه جهود الشعراء توجيها شريفا ، وترقية مستوى الشعراء أدبيا وماديا واجتماعيا ، والدفاع عن صوالحهم وكرامتهم ، ومناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر)) "٣"

وأسندت رئاسة الجمعية الى شوقي ، ولكنه سرعان ماتوفي ، فاسندت الرئاسة الى خليل مطران ، ويلاحظ على أعضاء هذه الجمعية أنهم لا ينتمون الى مذهب أدبي بعينه على العكس من جماعة الديوان ، الذين حاولوا في انتاجهم الأدبي أن يحققوا أهداف مدرستهم ، ففي جمعية أبولو شعراء

---

١) الأدب العربي المعاصر في مصر لشوقي ضيف ص ٧١ .
٢) أبولو ، العدد الأول / سبتمبر/ ايلول ١٩٣٢ ص ٤٥ .
٣) أبولو ، العدد الأول ، سبتمبر / أيلول ١٩٣٢ ص ٤٦ .

من عصر النهضة مثل شوقي ومحرم وخليل مطران ، وفيها شعراء ناشئون ، وهؤلاء حاولوا في شعرهم أن يعبروا عن أنفسهم ومجتمعهم وعن القيم الجديدة التي طرأت أو تأصلت قبل ذلك بقليل .

والواقع أن الجيل الأول من الشعراء الذى يمثله حافظ وشوقي أو الجيل الثاني الذى يمثله شكرى والعقاد والمازني ، أو الجيل الثالث الذى يمثله أبو شادى وعلي محمود طه وابراهيم ناجي والصيرفي وغيرهم ، أو شعراء المهجر الذين يمثلهم ايليا أبو ماضي ، هؤلاء جميعا لم ينفصلوا عن مجتمعهم ، ولم يكونوا بمعزل عن أحداثه ، الا أنهم اختلفوا في تصوير صدى هذه الأحداث ، فصورها بعضهم من خلال رومانسية مغرقة في الفردية وصورها آخرون بأسلوب واقعي .

ومن خلال دراستنا للتطور الذى لحق بالشعر الحديث في مصر نستطيع القول أن النثر كان أسبق تناولا من الشعر لقضايا المرأة ، فاذا كان النثر قد تناولها منذ الحملة الفرنسية مثلا بما كتبه الجبرتي ، فان الشعر تأخر عنه كثيرا ، ولم يدخل الشعر في هذا الميدان الا في نهاية القرن التاسع عشر .

على أننا استعرضنا المراحل التي مرّ بها الشعر في مصر ، حتى لا نبدأ دراسة الشعر الذى عالج قضايا المرأة دفعة واحدة ، وحتى لا يتصور القارئ أن الشعر الذى سنتناوله بالدراسة قد يكون منفصلا عن غيره من الأغراض التي وجدت ، ولا نريد أن نتسرع ، فنصدر أحكاما جاهزة ، وانما يمكننا القول أن الشعر الذى سندرسه يمكن أن يندرج تحت غرض من أغراض الشعر يمكن أن نسميه " الشعر الاجتماعي " ، على أننا ننبه منذ الآن أننا قد لا نجد كثيرا من هذا الشعر مفردا في قصائد مستقلة ، وانما يمكن أن يكون موقف الشاعر من هذه القضايا متناثرا في زوايا قصائد كثيرة ، قد يكون بعضها غزلا وبعضها الآخر رثاء أو وصفا أو مديحا وربما يكون كثير من هذا الشعر شعر مناسبات خاصة أو عامة .

وعلينا أن نتذكر أن قضايا المرأة لم تظهر في أفق الحياة الاجتماعية في مصر مجتمعة طيلة الفترة التي عرضنا فيها لتطور الشعر ، فهناك بعض القضايا التي أثيرت في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مثل قضية الحجاب وتعليم المرأة ، وهناك قضايا أخرى لفتت انتباه الشعراء بعد الحرب العالمية الأولى مثل قضية مشاركة المرأة في الحياة السياسية ، ولهذا سنحاول أن نتناول هذه القضايا من خلال الشعر حسب ظهورها .

الباب الثانـــــي

مواقف الشعراء المحدثين في مصـــر من قضايا المـــرأة

الفصل الأول : قضية الحجاب والسفور

الفصل الثاني : قضية تعليم المرأة

الفصل الثالث : قضية عمل المرأة

الفصل الرابع : قضية العلاقات الزوجية

الفصل الخامس : القيمة الانسانية للمرأة عند الشعراء المحدثين في مصـــر .

الفصل الأول

قضية الحجاب والسفور

— ١ —

عرضنا في الباب الأول الوضع الذى كانت عليه المرأة في مصر منذ أواخر العصر العثماني ، ورأينا أن نظام " الحريم " "١" لم يكن وكرا للشهوات كما صوّره بعض الأوروبيين ، وانما هو نظام أساسه الصيانة الدقيقة للمرأة ورعاية مصالحها وحاجاتها ، وعدم السماح للرجال أن يختلطوا بالنساء ، وبذلك كان شرف الأزواج في الشرق مصونا من العبث ، فلم يتعرض شرف المرأة في ظل هذا النظام للامتهان ، ولم يكن بامكان المرأة أن تعيش في ظله خليلة لرجل غير زوجها . "٢"

وعلى الرغم من اعتراف علماء الحملة بأهمية الفصل بين الرجال والنساء في الحفاظ على الأخلاق وصيانة الأعراض ، رأوا في تمسك المصريين بأخلاقهم واعتمادها على الدين مشكلة تواجههم ، وتعوق محاولاتهم الرامية للاستيلاء على الشرق ، فأرادوا أن يحلوا " الموضة " محل النظام الاجتماعي الذى يراعي الروح الدينية "٣" ، وحاولوا بكل سبيل ايهام المصريين بأنهم لن يتقدموا مالم يتخلصوا من سيطرة الدين ، فأنشأوا لهم المسارح ، وشجعوا

---

١) الحريم : اسم يطلق على مساكن النساء ، وكان من عادة الأتراك أن يقيموا في منازلهم قسما منفصلا للنساء عن القسم الذى يسكنه الرجال ، وذكر كلوت بك أن كلمة " الحريم " مستعملة في المعنى الذى يؤخذ من لفظ السراى أو القصر ، وأن المسلمين يطلقون كلمة الحرم ليس على المسكن فقط ، بل على النساء اللواتي يقطنّه كذلك ، ويحتوى الحرم على ديوان تجتمع فيه النساء وغرف استقبال وحجرة لكل امرأة ، وليس فيه مايعد خارجا عن القواعد . راجع كتاب لمحة عامة الى مصر ١/ ٦١٥

٢) لمحة عامة الى مصر ١/ ٦٢٥ - ٦٢٦ .

٣) وصف مصر ١/ ١٠٥ - ١٠٧ .

المرأة على دخولها ، كما دعوا الى سفورها ، وعندما سافر أعضاء البعثات العلمية التي أرسلها محمد علي باشا وخلفاؤه الى فرنسا ، عاد هؤلاء متأثرين بنمط الحياة الفرنسية ، بل حاول بعضهم أن يتبنى بعض هذه القيم ، فمثلا وصف رفاعه الطهطاوى السفور والاختلاط في المجتمع الفرنسي ، وبيّن أنه لا علاقة لهما بالعفة وعدمها ، وحاول الخديوى اسماعيل أن يجعل مصر قطعة من أوروبا ، ففتحها على مصراعيها للأجانب ، وأدخل عادة الليالي الراقصة ، وشجع قيام مدارس الارساليات الأجنبية ، بما كان يمنحها من هبات مالية وأراض ، وانتشرت المجلات والجرائد في مصر ، وكان أكثرها بأيدى النصارى ، هذا الى ظهور فئة من المفكرين شغفت حبا بنمط الحضارة الغربية ، مما جعلها تدعو الى اعادة النظر في القيم الموروثة ، ومنها الحجاب الذى دعا بعض المفكرين الى التخلص منه ، لأنه حسب ادعائهم عادة وفدت الى مصر ، ولأن الحجاب المعروف في عصرهم لا ينطبق على ماجاءت به الشريعة الاسلامية ، لأن الشريعة أباحت للمرأة على حد زعمهم أن تظهر بعض أعضاء جسمها للأجنبي ، وأنها وكلت تعيين هذه الأعضاء للعادة . "١"

وهكذا بدأت مدارس الارساليات الأجنبية والمجلات والصحف التي في أيدى النصارى تركز على هذه الأمور ، ولكنها لم تستطع أن تقنع الا عددا قليلا من النساء غير المسلمات في مصر بالتخلص من الحجاب ، وظل الأمر كذلك حتى انبرى قاسم لموضوع الحجاب ، وعدّه دورا من الأدوار التاريخية التي تلاشت طوعا لمقتضيات الاجتماع وجريا على سنة التقدم . "٢"

وهذا يعني أن قضية الحجاب بدأت تطرح في المجتمع المصرى منذ دخول نابليون الى مصر ، وظل المفكرون مشغولين بها منذ ذلك العهد ، وتجاوز الاهتمام بهذه القضية كل حد بعد أن طرحها قاسم أمين على

---

١) الأعمال الكاملة ، للامام محمد عبده ٢ /١٠٧ - ١١٥ .
٢) تحرير المرأة ، لقاسم أمين ص ٦٧ .

بساط البحث ، وأراد أن يتخذ من الدين وسيلة لتبرير آرائه ، فألف بعضهم الكتب في الرد عليه ، وكتب آخرون مقالات في المجلات والصحف ، وخطبت جماعة ثالثة ، وكان المؤيدون للحجاب في البداية كثيرين كثرة مفرطة ، لكن أنصار السفور بدأوا يكثرون شيئا فشيئا ، خصوصا عندما شاعت أساليب الحضارة الغربية في مصر ، وتسلم بعض المتأثرين بها مقاليد الأمور بمساعدة الانجليز .

وعلى الرغم من كل ماحدث بقي الشعراء بعيدين عن الميدان ، ولم يشترك سلاح الشعر في هذه المعركة الا بعد أن استفز قاسم أمين معاصريه بما طرح عليهم من آراء جديدة لم ترق أكثرهم ، ويعود ذلك الى الظروف التي أحاطت بنهضة الشعر .

وقبل أن نبدأ بدراسة الشعر الذى واكب قضية الحجاب والسفور ، نقول : ان المقصود بالحجاب عند أكثر من دافعوا عنه وتشبثوا به ، أنه ستر العورة وستر الوجه من المرأة أمام الرجل الأجنبي عنها وملازمتها البيت الا لحاجة . "١"

ولكن يجب أن ننبه منذ الآن أن الشعراء المؤيدين للحجاب لم يلتزموا جميعا بهذا المفهوم في شعرهم .

---

(١) الحقائق ، الجزء التاسع ، دمشق ربيع الثاني ، ١٩٢٩م ص ٣٢١ . وقد تبنى محمد طلعت حرب هذا الرأى ، فالحجاب عنده : هو اقامة المرأة في بيتها وعدم مبارحته الا للضرورة وستر المرأة بدنها بأكمله الا عند الضرورة وأمن الفتنة ، راجع تربية المرأة والحجاب ، لمحمد طلعت حرب ص ٦٧ - ٧٧ . ورأى محمد فريد وجدى أن الحجاب ضرورة للنساء لأنه يجبر المرأة على عدم تخطي دائرة وظيفتها الطبيعية ، والحجاب عنده ضرورة للمرأة لا لأنه لا يثق بها ، بل لأنه يحافظ عليها ، والحجاب عنده يعني ستر الوجه وبقاء المرأة في البيت ، حتى تتمكن من القيام بوظيفتي الأمومة والزوجية ، وهو يرفض خروج المرأة الى العمل . انظر كتاب المرأة المسلمة لمحمد فريد وجدى ص ٢٠٠ . وانظر دائرة معارف القرن العشرين ، لمحمد فريد وجدى ، دار المعرفة بيروت ١٩٧١م ، ٣/ ٢٣٧ - ٢٤٧ .

والشيء الآخر الذى يحسن بنا أن ننبه اليه ، أن هؤلاء الشعراء لم يدافعوا عن الحجاب في شعرهم الا بعد أن شعروا بالخطر الذى يتهدد هذه المادة ، بانتشار السفور بين النساء .

— ٢ —

ومن المرجح أن عائشة التيمورية كانت من أوائل الشعراء الذين نظموا في الحجاب ، فقد ردت على مزاعم القائلين بأن الحجاب يعوق المرأة عن الخوض في مسائل العلم والأدب ، ورأت أن الحجاب وحده لا يكفي للحفاظ على الفتاة ، بل لابد الى جانبه من العفاف ، تقول :

بيد العفاف أصون عزّ حجابي ... وبعصمتي أسمو على أترابي "١"

وبفكرة وقادة وقريحة ... نقادة قد كمّلت آدابي

ولقد نظمت الشعر شيمة معشر ... قبلي ذوات الخدر والأحساب

......

"فبنية المهدى"،"وليلى" قدوتي ... وبفطنتي أعطيت فصل خطابي "٢"

لله درّ كواعب منوالها ... نسج العلا لعوانس وكعاب

وخصصت بالدرّ الثمين وحامت"الخنساء" في صخروجوب صعاب

فجعلت مرآتي جبين دفاتري ... وجعلت من نقش المداد خضاب

---

١) حلية الطراز (ديوان عائشة التيموريه) ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

٢) بنية المهدى : وهي علية بنت المهدى بن المنصور ١٦٠ هـ - ٢١٠ هـ أخت هارون الرشيد ، أديبة شاعرة ، من أجمل النساء وأكملهن عقلا وفضلا ، وهي الملقبة بالعباسة . انظر الأعلام لخير الدين الزركلي ط ٣ ، ١٨٩/٥ .

ليلى الأخيلية : من بني عامر بن صعصعة شاعرة فصيحة ، وفدت على الحجاج وكان يكرمها ، اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير توفيت عام ٨٠ هـ ، انظر الأعلام للزركلي ١١٦/٦ .

لم يحل الحجاب بين الشاعرة ونظم الشعر على عادة ربّات الخدور، اللواتي اتخذن منه وسيلة للتعبير عن أنفسهن ، فقد تمثلت بابنة المهدى وليلى الأخيلية والخنساء أخت صخر ، وكأنها بذلك تدعو نساء عصرها أن يتمثلن بهؤلاء الشاعرات وأن يتخذنهن قدوة ، وتفخر عائشة على بنات جنسها باتقانها الشعر ، لأنهن اتخذن المرآة وسيلة للزينة ، واتخذت هي من دفاترها مرآة لها ، وتخضبت بالمداد عوضا عن الحناء ، وقلدت بنات جنسها بأدبها فضلا يتمنين مثله ، وجعل منها أدبها زهرة يعبق أريجها على عقول معاصريها ، ولم يمنعها مكوثها في خدرها وسدل خمارها على وجهها من القيام بواجبها نحو أسرتها :

منطقت ربّات البها بمناطـق يغبطننها في حضرتي وغيابـي

ويبدو أن أحمد محرم كان من أشد المعارضين لدعوة قاسم الى سفور المرأة ، وكان موقفه صريحا ، وكان جريئا في تخطئة قاسم ، فيما دعا اليه من الثورة على الحجاب ، فقد كان يرى أن دعوته ستؤدي الى فساد المجتمع ، ولذلك عدّ كتابه مصيبة كبرى تصيب الأمة في كرامتها وعزتها وجيشا آخر ينضم الى جيوش الأعداء في حربها وتقويض أركانها ، فخاطبه بقوله :

أقاسم لا تقذف بجيشك تبتغـي بقومك والاسلام ما الله عالـم [1]
لنا من بناء الأولين بقيـــة تلوذ بها أعراضنا والمحارم
أسائل نفسي اذ دلفت تريدهـا أأنت من البانين أم أنت هادم ؟
ولولا اللواتي أنت تبكي مصابهـا لما قام للأخلاق في مصر قائـم
نبذت الينا بالكتاب كأنمــا صحائفه مما حملن ملاحـــم
ففي كل سطر منه حتف مفاجـيء وفي كل حرف منه جيش مهاجـم
حنانك ان الأمر قد جاوز المدى ولم يبق في الدنيا لقومك راحـم
أحاطت بنا الأسد المغيرة جهرة ودبت الينا في الظلام الأراقـم
وأبرح ما يجني العدو اذا رمـى كأهون ما يجني الصديق المسالم

---

(١) ديوان محرم ، الجزء الثاني ، مطبعة الفتوح بدمنهور ، ١٣٣٨ - ١٩٢٠م الطبعة الأولى ٢/٦٣ - ٦٥ .

فمحرم يرى أن كتاب قاسم أخطر على الأمة من جيش يهاجمها ؛ وأن رائحة الموت تظهر في كل سطر ، بل في كل كلمة من كلماته ، ويرجو قاسما أن يكون رفيقا بأمته ، وألا يكون عونا للعدو عليها ؛ فقد أثخنتها جراح الغزو ، وأحاطت بها الحيات من كل جانب ؛ ثم اتجه الشاعر بعد ذلك الى المرأة راجيا اياها ألا تغتر بما يدعوها قاسم اليه ، ويحذرها من مغبة ترك البيت ، وينصحها ألا تضيق ذرعا بالحجاب ، لأنه علامة فضل ، فقال :

أغرك يا أسماء ما ظن قاسم	أقيمي وراء الخدر فالمرء واهم
ذكرتك أني ان تجلت غيابتي	على ما ثعي من ذكرك اليوم نادم
تضيقين ذرعا بالحجاب ، ومابه	سوى ما جنت تلك الرؤى والمزاعم
سلام على الأخلاق في الشرق كله	اذا ما استبيحت في الخدور الكرائم

ولقد ظل محرم على موقفه ، لم يتراجع حتى في تأبينه لقاسم ؛ لأنه في هذا التأبين ذكر دعوته الى السفور التي حمدها الجهال وعدّها خطيئة سوء ، لأن الطبيعة الانسانية لا تقوى على كبح جماحها ، ولو كان هناك شعب من الملائكة لجاز أن تقبل هذه الدعوة من غير أن يعترض أحد طريقها ، ولكان قاسم مصيبا فيما دعا اليه ، لكنه على الرغم من ذلك نفى عنه سوء النية ، واكتفى بتخطئته ، يقول :

اذا رأى الرأي لم تنكص عزيمته
خوف الملام ولم يقعد به اللدد "١"
رمى الحجاب ، فلولا الله يمسكه
لانشق أوطار أوخرت به العمد
لتلك خطة سوء لست أحمدها
منه وان رضي الجهال أو حمدوا
كيف السلامة والأخلاق واهية
والجهل منتشر والشرّ متقد ؟

---

(١) ديوان محرم ٢/ ٦٤

انا نعيش بسواد غير مؤتمن
تنزوا القلوب به ذعرا وترتعد
تعدو الذئاب به ، والويل ان غفلت
عين الربيئة أو أغفى به الرصد
لو كان من قومنا شعب ملائكة
قلنا : أصبت ، فلا لوم ولا حرد
لم يبغ حين رمى شرا بأمته
وانما خانه رأى ومعتقد

فكان محرم من أقوى الأصوات التي عبّرت عن معارضتها لدعوة قاسم ، ووقفت في وجهها ، ويمكن تعليل ذلك ، بأنه عاش في ظل أسرة كانت تتمسك بالدين ، فورث محرم هذه النزعة عن والده ، إلى جانب اتصاله بالحزب الوطني الذى تزعمه مصطفى كامل ، فكان لشخصيته وشخصية خليفته محمد فريد تأثير كبير على محرم ، وحتى كان لهذه الصلة أثر بعيد في اتجاهه الاسلامي والوطني ، وفي معاداته للاحتلال الانجليزى . "١"

كذلك كان حسن القاياتي من الشعراء الذين ساءهم انتشار الفساد وخروج النساء الى الأماكن العامة ، حيث يتاح للفتيات أن يلتقين باضرابهن من الشباب ، وقد أبن عن مفاتنهن وتبرجن ، حتى لم يعد الحجاب الخفيف الذى يضعنه على وجوههن بقادر أن يخفي شيئا ، فحذّر الآباء من مغبة اطلاق الحرية لبناتهم ، وطالبهم ألا يسمحوا بخروجهن على هذه الحال التي تثير الفتن ، وتلطخ الأعراض بالعار ، وذكرهم أن الدين لا يسمح بما يجرى حولهم ، وذلك حيث يقول :

---

١) شاعر العروبة والاسلام احمد محرم ، لمحمد ابراهيم الجيوشي ، الناشر مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م ص ٢١ - ٢٤ ، ص ٢٨ .

فلا تمذلاها في قناع مهلهـل

يتم على الخدين غير أميـن "١"

فما هلهلته باطلا ان تحتسـه

قناعا من الصفات جد متيـن

بني مصر أوليكم نصيحة مخلـص

أمين من النصّاح غير خئـون

حذار حذار أن تصان ظباؤكم

بكل مضيء البدر ضوء جبيـن

حذار حذار أن تصان ظبـاؤكم

فيرتد ذاك الحسن غير مصـون

....

أما ماساءكم أن تبصروا خصر عاتـق

نسيبة قوم في ذراع هجيـن "٢"

غدت لاغدت والعرض كالماء طاهـر

ثمين وراحت وهو غير ثميـن

أفي كل يوم "بالجزيرة" ملعـب

تلاقي به الأعراض كل مهيـن

.....

هناك رأيت الخسر في صف غيدكم

وان كنّ قد أربين كـل قريـن

ألا فاخزنوا الدرّ البديد بسركم

فلم أر قط الدرّ غير خزيـن "٣"

....

---

١) ديوان حسن القاياتي ، مطبعة كردستان العلمية بمصر ، ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠م ، ١/٥ - ١٢ . مهلهل : دقيق .

٢) هجين : لئيم .

٣) البديد : المتفرق .

جديربكم أن تتهموا الدين انسنه
قمين بمسح السداء أى قمين
لكم دين نصح قد مددت به يدا
قضيت بهذا النصح كل ديوني

وأيضا كان محمد عبد المطلب من أشد الشعراء حرصا على الحجاب، فقد حمل على بنات مصر اللواتي أسفرن حملة شعواء ، وعدهن سوأة في شرجيل ،لأنهن هجرن الخدور ، وخرجن زرافات الى الخمائل والحقول ، وقد قصّرن ثيابهن ، وخففن الحجاب حتى لم يعد يستر شيئا مما تحته ، وهمن على وجوههن في الطرقات ، ليس لهن من هدف سوى خداع الشباب وخيانة الأزواج ، حتى خجلت الشمس من فعالهن :

....

مافي بنات النيل من أرب لمذى غرض نبيل "١"
أصبحن عابا في الزمان وسوأة في شرّجيل
ماهذه الحبرات تهفو في الخمائل والحقول
نكر العفاف ذيولها ومن الخنا قصر الذيول
ان ينتسبن الى الحجاب فانه نسب الدخيل
أو كالحمام ظلمنها ان الحمائم غير ميل
يختلن أبناء الهوى بالدلّ والنظر الختول
من كلّ خائنة الحليل تهيم في طلب الخليل
نقم الضحى منهن ما خجلت له شمس الأصيل

وهذا يعني أن عبد المطلب يرفض أى تغيير يطرأ على الحجاب ، فهو يستنكر محاولات النساء أن يجعلنه خفيفا ، لأنه ينم عما تحته ، ومما

---

(١) ديوان عبد المطلب ، شرح ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة الاعتماد ، الطبعة الأولى ، ص ١٨٥ - ١٨٨ .

يأسف له الشاعر أن المرأة المصرية ملت مقامها في البيت ، وحاولت أن تهجره ، ولم يقف أمرها عند هذا الحد ، بل لبست الضيق من الملابس ، واهتزت في مشيتها معجبة بنفسها ، وقد كشفت ذراعيها ، وعبق عطرها ، يقول :

بكت الخدور جفونها وهجرتها هجر الملول "١"

....

ما لابنة الخدر المصون وربة المجد الأثيل
أودى شقيق نقابها بكرامة الأم البتول
وعلا رنين حجولها أسفا على الذيل الطويل
فاذا مشت هتك النقاب محاسن الوجه الجميل

....

تهتز عجبا بالقوام اللدن والخصر النحيل

....

ولقد ينم عبيرها فتحسه من نحو ميل

ولكي يستثير غيرة الرجال رجع يسأل مستنكرا ، لكن هل درى الرجل الغيور بما تفعله زوجته أو ابنته أو أخته ، أم أنه يجهل منهن كل ذلك ؟ ويتساءل مرة أخرى : وهل هذه هي المرأة المسلمة التي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بحجابها صيانة لها من الانزلاق الى هذا الداء الوبيل ؟ فأين الناس من القرآن الذى أنزل نورا للعقول والبصائر ؟ وهل اختلط الأمر عليهم فذهلوا عن أعراضهم حتى أصبحوا لا يدركون عاقبة التفريط في العرض ؟ وهل استمرءوا أمر الخروج عن العادات فأصبحت أمرا مقبولا ومقررا في حياتهم ؟ فنشكا الى الله ذهولهم عن العاقبة التي تنتظرهم :

---

١) المرجع نفسه ص ١٨٦ .

ياهل درى ذاك الغيو ... ربما جرى ؟ ويح الجهول "١"
أهي التي فرض الحجا ... ب لصونها شرع الرسول
جعل الحجاب معاذها ... من ذلك الداء الوبيل
يامنزل القرآن نو ... را للبصائر والعقول
عميت بصائر أهل وا ... دى النيل عن وضح السبيل
ذهلوا عن الأعراض لو ... يدرون عاقبة الذهول
واستمرءوا مرعى الهوى ... في مرتع العيش الوخيم

ثم عاد الى تقريعهم مستغربا أن يكون بعضهم ممن يفاخرون برجولتهم ، ثم يسمحون لنسائهم أن يظهرن بهذا المظهر ، ألا يشعرون أن تصرفات نسائهم تغض من قيمتهم ومروءتهم ، وأن الرجل الذى يسمح لمحارمه أن يتبرجن ليس عند أهل المروءة شيئا مذكورا ؟ أيها المصرى تذكر أنك تنتمي الى أمة عريقة ذات فضل ، ودع الجرى وراء الأهواء ، وكن عونا لدينك ، ولا تكن عليه ، وصل من أمره ما انقطع :

فعلام يا ابن النيل تمرح ... في الصبا مرح الأفيل "٢"
ولانت أهون عند بعض ... الناس من شروى فتيل

....

فاذكر حديثك في القد ... يم وما لقومك من فضول
وذر الهوى وامدد لدي ... نك راحة البر الوصول

ان عبد المطلب بهذا الموقف من الحجاب يذكرنا بنشأته في أسرة عربية محافظة على الدين والأخلاق الأصيلة وبدراسته في الأزهر ودار العلوم فلم تفسد الحضارة ذوقه ، ولم تخدعه مظاهر المدنية الحديثة ، وكان خصما عنيدا في وجه خصوم اللغة ودعاة العامية ، الى جانب موقفه المؤيد للدولة العثمانية في حروبها مع دول البلقان ، وفي حربها مع ايطاليا اثناء غزوها لليبيا ، ولقد ظل يدافع عن الحجاب حتى في غزله ، فصاحبته التي

---

١) المرجع نفسه ص ١٨٦ - ١٨٧ .
٢) المرجع نفسه ص ١٨٧ - ١٨٨ . الأفيل : ولد الناقة .

يتغزل بجمالها ليست من اللواتي ألقين الحجاب جانبا ، وانما هي من بنات القاهرة اللواتي لا يتبرجن ، ولا يبدين ضيقا أو تبرما من طول بقائهن في الخدور ، وقد ورثت عن أمها الحجاب ، كما ورثت عنها الغيرة على العرض :

نماها الى المجد الأثيل انتسابها
الى النيل في بيت أشم طويل "١"
وماهي ممن يشتكي الخدر هجرها
اذا برمت بالخدر كل ملول
وماورثت من أمها غير حسرة
محجبة في الأمهات بتول

وهكذا أجمع من ذكرنا من الشعراء على بقاء الحجاب بمعناه المفروض آنذاك من ستر العورة والوجه أمام الأجنبي وملازمة البيت الا لحاجة ، وكان حرصهم عليه نابعا من شعورهم بأنه أمر طارئ ، وأن هتكه خروج على عادات القوم وتقاليدهم الدينية ، وقد وافقهم في ذلك بعض الشعراء العرب في الشام ، ومن هؤلاء عبد الحميد الرافعي "٢" الذى كان من أشد الشعراء سخطا على دعاة السفور وأشدهم تمسكا بالحجاب ، ومنهم أيضا

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٢٤ .
(٢) أنظر الحقائق ، المجلد الأول ، الجزء الثامن عدد شباط/آذار ١٩١١م ص ٣١٤ . حيث وصف دعاة السفور بأنهم ليسوا من الدين في شيء ، لأنهم لم يقتصروا على هتك حجاب المرأة ، بل دعوها أن تنزل الى ميدان العمل وأباحوا لها التهوج ، بحجة أن الحجاب يحيل حياة المرأة الى ظلام ، والحجاب عنده أن تستر المرأة وجهها ، وتقيم في بيتها ، يقول :

قالوا : الحجاب ظلام ظلم للنسا ... وتشدقوا بالعلقم المعلوك
راموا بمثلك خطة بل خزية ... من دونها خوض الدم المسفوك
ماشمّ ريح الدين يوما من يرى ... فضلا على المستور للمهتوك
يدعو النسا لوظائف قد خصهنا ... برجالها ربّ بغير شريك
....
ويرى التبرج كالمباح وذاك منا ... يأباه بين العالمين ذووك
ويرى مخالطة الفتاة مع الفتى ... تدعو الى التسكين لا التحريك
....
ان قيل ان الوجه ليس بعورة ... ومراد هم هذا بلا تشكيك
فتقي بأن الوجه أكبر فتنة ... واو انجلى لملائك وملوك

مصطفى الغلاييني "١" ، وأمين تقي الدين "٢" ، وأمين ناصر الدين "٣" .

أما في العراق فكان جواد الشبيبي "٤" ؛

---

١) راجع ديوان الغلاييني للشيخ مصطفى الغلاييني ، المطبعة العباسية بحيفا ، ١٣٤٣ هـ ١٩٢٥م ، الطبعة الأولى ص ٢٦٧ حيث يقول من قصيدة له بعنوان : " التمدن المشوه " :

فلا يفسد التقليد طيب ارثكم
ففي دسم الغرب اختفى ناقع السم
ولا تقربوا منهم سوى العلم وحده
وعضوا على أخلاق أبائنا الشم

٢) وانظر قصيدة " الى فتاة اليوم " لأمين تقي الدين ، الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٤٩ ، ٣٠ مايو / أيار ١٩٢٩م ص ٤ - ٥ .

أغرك القوم بما زخرفوا من زعم انهاضك من كبوتك
فقمت تبغين جديدا وقد أبليت في ذلك من جدتك
تحريرك اليوم ادعوا ضلة تالله ماراموا سوى خدعتك
. . . .
فأي معنى لحجاب غدا صونك في طياته صنعتك

٣) وانظر قصيدة أمين ناصر الدين في مجلة الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٠٣ ، ٥ يوليو / تموز ١٩٢٨ م ص ١٢ .

٤) انظر قصيدة جواد الشبيبي في كتاب الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه ، تأليف الدكتور يوسف عز الدين القاهرة ، المكتبة العربية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ص ٢٦٣

صنع السفور كتابنا ونبيننا فاستنطقي الآثار والآيات
تلك الوجوه هي الرياض بها ازدهت للناظرين شقائق الوجنات
كانت تكتم في البراقع خفية من أن تمس حصانة الخفرات
صوني جمالك بالبراقع انها ستر الحسان ومظهر الحسنات
وتماثلي في البيت صورة دمية مكنونة الأعضاء في الحجرات

وعد الحسين الأزدي "١" من أشد شعراء العراق تمسكا بالحجاب ، وقد رأيا في الخروج على الحجاب خروجا على الكتاب والسنة والتقاليد .

- ٢ -

واذا كان هذا النفر من الشعراء قد دافع عن الحجاب على هذا النحو ، فان آخرين من الشعراء لم يروا بأسا في رفع النقاب والخروج من البيت ، لكن هؤلاء انقسموا فريقين ،فريق أطلق ولم يتحفظ سيأتي الحديث عنهم ، وفريق تحفظ واحتاط ، فربط قوله بالدين ، وطالب بتربية النساء وتهذيبهن ورعاية التقاليد ، وعلى رأس هذا الفريق شوقي وحافظ وباحثة البادية .

أما شوقي فلم يصرّح برأيه أول الأمر بل أوحى به ايحاء ، وهذا واضح في رثائه لقاسم أمين ، يقول :

ماذا رأيت من الحجاب وعسره
فدعوتنا لترفق ويسار ؟ "٢"
رأى بدا لك لم تجده مخالفا
مافي الكتاب وسنة المختار

---

١) وانظر كتاب الأدب العصرى ، لروفائيل بطي ، القاهرة ، ١٩٢٣م ٥٦/٢ . وراجع كتاب قاسم أمين ، لماهر حسن فهمي ، ص ١٧٣ - ١٧٤ .

نص الكتاب على الحجاب ولم يبح — المسلمين تبرج العذراء
ماذا يريبك من حجاب ساتر — جيد المهاة وطلعة الذلفاء
ماذا يريبك من ازار مانع — وزر الفؤاد وضلة الأهواء
مافي الحجاب سوى الحياء فهل من — التهذيب أن يهتكن ستر حياء
هل في مجالسة الفتاة سوى الهوى — لو أصدقتك ضمائر الجلساء

٢) الشوقيات ٧٨/٣ .

والباسلات ، شجاع قلب في الوغى
وشجاع رأى في وغى الأفكار
أوددت لو صارت نساء النيل مما
كانت نساء " قضاعة " " ونزار "
يجمعن في سلم الحياة وحربهما
بأس الرجال وخشية الأبكار
ان الحجاب سماحة ويسارة
لولا وحوش في الرجال ضواري
جهلوا حقيقته وحكمة حكمه
فتجاوزوه الى أذى وضرار

والواقع أن هذه الأبيات تصور ميل شوقي الى الابقاء على الحجاب ، ويبدو أن قربه من الخديوى عباس الثاني الذى كان يؤيد فكرة الجامعة الاسلامية ، ويعادى الانجليز الذين أبدوا تأييدهم لدعوة قاسم ، يبدو أن ذلك هو الذى هيأه لهذا الموقف ، ففي قصيدته التي رثى بها قاسما ، تساءل عن الأسباب التي حدت به أن يثور على أخلاق القوم ويسفه رأيهم في الحجاب ، فهل كان مادعا اليه قاسم مجرد رأى خطر على باله ، فأحب أن يذيعه في الناس ، أم أن ماتلاقيه النساء من عسر في الحجاب هو الذى دفعه الى تبني السفور ؟ ويحاول شوقي أن يجيب وهو في موقف رثاء للرجل الذى ثار على الحجاب ، فهل يتهمه بالخروج على الدين ، أم يسكت وسكوته سيفسر من قبل الخديوى أنه مؤيد لقاسم ؟ ولكنه يتخلص من هذه المآزق بلباقة ، فيعد رأى قاسم في الحجاب مجرد اجتهاد في الرأى لم يخطر على بال صاحبه أنه يخالف ماجاء في الكتاب والسنة ، فقد كان له من شجاعته وحرية فكره حافزا يدفعه أن يقول مايراه صوابا ، لأنه كان يطمع أن يكون لبنات النيل دور في حياة مصر ، سواء في السلم أو الحرب كما كان لبنات العرب من قبل ، ثم أضاف أن الحجاب كما يراه - أى شوقي - سماحة ويسر ، ولكن تشدد الرجال في أمره وتعسفهم في حرصهم على نسائهم جعله عبئا ثقيلا على المرأة ، ولم يكن ذلك منهم الا جهلا لحقيقته وحكمة وجوده .

وهكذا استطاع شوقي أن يرضي الحاضرين ويرضي أميره ونفسه ، ولكن شوقيا لا يستقر على رأى فيما يتعلق بالحجاب ، فاذا كان قد أيد الحجاب الذى لا يكبل المرأة في بيتها ولا يمنعها من ممارسة واجباتها : ((ان الحجاب سماحة ويسارة)) ، فانه في قصيدة أخرى عبّر عن اعجابه بالمرأة التركية السافرة ، وذلك في قصيدة له بعنوان " كوك صو " حيث وصف جمال النساء اللواتي يأتين هذا الماء للتسرية عن النفوس والتخلص من الهموم ، فهذا الماء كوثر ترده النساء كأنهن حوريات الجنة ، ويتساءل شوقي ، هل من بأس اذا أسفرت الحوريات على ماء الكوثر ؟ ويخاطب أنصار الحجاب بقوله ، وهل بالامكان حجب هذا الجمال عن نفوس الناس ؟ ويرى أن النقاب الحريرى الذى تضعه النسوة لا يقي النفوس شر الفتنة ، وخير من هذا النقاب أن تتحلى الغواني بالأدب ، وينفعل شوقي أمام هذا الجمال وتستشعر نفسه جلاله ، فيرى في منظر النسوة على ماء " كوك صو " "١" صورة بريئة لمريم العذراء لا تثير الرجال ، وانما يشعرون نحو هؤلاء النسوة بالهيبة والوقار ، يقول :

وردنك كوثرا وسفرن حورا — وهل بالحور ان أسفرن بأس ؟ "٢"
فقل للجانحين الى حجاب — أتحجب عن صنيع الله نفس
اذا لم يستر الأدب الغواني — فلا يغني الحرير ولا الدمقس
تأمل ، هل ترى الا جلالا — تحس النفس منه ما تحس
كأن الخود مريم في سفور — ووارئها حوارى وقس "٣"
تهيبها الرجال فلا ضمير — يهم بها ، ولا عين تحس

ويبدو أن اعجاب شوقي بالجمال التركي ليس له حد ، فهو يعجب بنساء الأتراك سافرات ومبرقعات ، فالسافرات من النساء على هذا الماء

---

١) كوك صو : موقع جميل في الأستانة ، ومعنى لفظة " كوك صو " التركية : ماء السماء .
٢) الشوقيات ٢ / ٥٢ - ٥٣
٣) الخود : جمع خوده ، وهي المرأة الشابة .

ملائكة لا تدري مايجري حولها ، وكل همهن أن يتمتعن أنظارهن بجمال هذا الماء ، وحتى المبرقعات من النساء التركيات لا تخفي البراقع جمالهن ، وانما يبدو هذا الجمال للرائي كما تبدو الشمس من خلال الغيوم ، يقول :

كأن سوافر الغادات فيهـــا ملائك همها نظر وهمس "١"
كأن براقع الغادات تهفـــو على وجناتها غيم وشمس

فهل كان شوقي يؤيد السفور عند نساء تركيا ، ويعترض على سفـور نساء مصر ؟ وهل يعني ذلك أنه كان يحسن الظن بالمرأة التركية ويراهـا أهلا للسفور بينما لا يرى في نساء مصر مثل ذلك ؟ .

والظاهر أن هذه النظرة لم تكن لدى شوقي فقط ، بل كانت عنـد بعض معاصريه ، ويعود ذلك الى أن العنصر التركي في مصر كان يتمتـع بمستوى حياة أرفع ، لأنه كان يمثل السلطة الحاكمة ، فأتيحت للتركيـات فرصة كانت المرأة المصرية محرومة منها في الغالب ، هذا عدا استغـلال نساء تركيا للحرية التي منحها الدستور العثماني لرعايا الدولة ، ويبدو أن النساء أسأن استغلال هذه الحرية ، مما اضطر الحكومة العثمانية أن تصدر أمرا تمنع فيه التبرج في الأسواق ."٢"

وقد عبّر شوقي عن تأييده لسفور المرأة التركية ، عندما أبدى عطفه علـى التركيات اللواتي يقترنّ بمصريين يصحبونهن معهم من الأستانة الى مصـر ، وصوّر جزعهن من الحجاب الذى يفرض عليهن بعد وصولهن ، يقول :

أسفي على تلك المحاسن كلمـا نقلت من (البالي) الى (الدوّار) "٣"
وعلى وجوه كالأهلة روّعـــت بعد السفور ببرقـع وخمــار

---

١) الشوقيات ٢/٥٤ .
٢) الحقائق ، المجلد الثاني ، الجزء التاسع ، دمشق ، ربيع ثاني ١٣٣٠ هـ ص ٣٥٦-٣٥٧ .
٣) الشوقيات ١/١٣١ .

ويعود شوقي الى طرح قضية الحجاب والسفور في قصيدة أخرى بعنوان ((الرق والعبودية والضعف والقوة)) ، وقد بدا شوقي في قصيدته هذه مشفقا على المرأة مما تقاسيه داخل جدران بيتها ، ولكنه رأى أن اعطاء الحرية لمن لا يحسن التصرف فيها يسبب له المتاعب ، فالمرأة مثل الكنار الضعيف الذى أعتاد حياة الرفاهية والدلال ضمن سنابل قفصه ، فأضحى عاجزا عن حماية نفسه وتحصيل قوته ، فيما لو أتيح له العتق من ذلك الأسر ، يقول :

صدّاح يامك الكنا ر ويا أمير البلبل "١"
قد فزت منك " بمعبد " ورزقت قرب " الموصلي " "٢"
وأتيح لي " داود " مز مارا وحسن ترتل
فوق الأسرة والمنا بر قسط ام تترجل

---

١) الشوقيات ١/١٧٦ - ١٨٠ . ونشرت هذه القصيدة في مجلة فتاة الشرق بعنوان " الرق والعبودية والضعف والقوة " ، عدد يونيو/حزيران ١٩١٠م ص ٣٤١ - ٣٤٤ . ولكن عنوان القصيدة في الديوان هو " بين الحجاب والسفور " .
على أن الدكتور محمد صبري في كتابه الشوقيات المجهولة ، دار الكتب ١٣٨١ - ١٩٦٢م ، ٢/١١٩ - ١٢٤ يرى أن موضوع القصيدة سياسي ، وليس حول الحجاب والسفور ، وأنها من الشعر السياسي الذى قاله شوقي أثناء محاكمة ابراهيم الورداني الذى قتل بطرس غالي ، ورفض الرأى القائل أن شوقيا أهدى قصيدته هذه الى باحثة البادية ، وعدّ توجيه الخطاب لها ضربا من التستر على الموضوع الحقيقي ، ولكن المتأمل في هذا الأمر يرى غير رأيه لأن شوقيا راجع شعره ونشره في عدة أجزاء عام ١٩٢٦م ، فلماذا لم يغير العنوان أو يعلق على مناسبة القصيدة ، واكتفى أن يضع لها عنوان " بين الحجاب والسفور " . هذا الى جانب رد باحثة البادية عليه وشكرها له على هديته ؟ .

٢) معبد : من أشهر المغنين في العصر الأموي ، والموصلي : يطلق على اسحاق الموصلي وابنه ابراهيم ، كانا مغنيين في العصر العباسي ، وكان لهما فقه وأدب .

ثم يسأل شوقي كناره الذى يرمز به الى المرأة قائلا : هل خلا فؤادك من المتاعب أم أنك ما زلت تشكو ألم الأسر ؟ وهل تنام الليل أم أنك تقضيه مسهدا مفكرا في القيود التي غلّت يديك ؟ لكنه يعتذر له ، بأن مايعانيه من حبس في البيت ليس نابعا عن كراهية من الشاعر ، بل هو حريص عليه حرص الانسان على ثمين يمتلكه ، فيضن به على غيره .

يا ليت شعري يا أسير شج فؤادك أم خلي "١"
وحليف سهد أم تنام الليل حتى ينجلي ؟
بالرغم مني ما تعالج في النحاس المقفل
حرصي عليك هوى ، ومن يحرز ثمينا يبخل
والشحّ تحدثه الضرورة في الجواد المجزل

ويصور شوقي ماتعانيه المرأة من ضيق حتى لو أسكنها الرجل في بيت مصنوع من الذهب ومجلل بالحرير ، فكل هذا لا يقنع المرأة أن تعترف بفضل الرجل وكرمه ، ولا يثنيها عن المطالبة بحريتها ، لأن حياة الرفاهية لا تساوى شيئا اذا كانت مشوبة بالرق ، وأن القيد مرفوض ولو كان منظوما من اللؤلؤ :

أنا ان جعلتك في نضار بالحرير مجلل "٢"

....

ماكنت ياصداح عندك بالنعيم المفضل
شهد الحياة مشوبة بالرقّ مثل الحنظل
والقيد لو كان الجمان منظما لم يحمل
ياطير ، لولا أن يقولوا : جنّ ، قلت : تعقل

ويزداد موقف شوقي نحو المرأة وضوحا ، ويحاول من جديد اقناعها أن ترضى بما هي فيه ، ويوسع لها صدره ويفصل وجهة نظره ، فيقول : صبرا أيتها المرأة على ما أنت فيه من شقاء ، واذا لم يعجبك ما أقوله فافعلي

(١ ، ٢) الشوقيات ١/١٧٦-١٧٨ .

ماترينه ، فأنت امرأة منذ خلقت ، وللطبيعة فيك رأى لا يتبدل ، فأنت لا تقوين على مواجهة متاعب الحياة خارج البيت ، لأن من ليس له ناب يدفع به عن نفسه المخاطر مهدد بالترويع والقتل ، فان خرجت من حماية الرجل وكنفه سقطت بين مخالب النسور :

اسمع فربّ مفصّل لك لم يفدك كمجمل "١"
صبرا لما تشقين بنته أو ما بدا لك فافعل
أنت ابن رأى للطبيعة فيك غير مبدّل
أبدا مروع بالاسار مهدد بالمقتل
ان طرت عن كنفي وقعت على النسور الجهّل

ثم يخاطب المرأة ثانية ، فيقول : ان الأمثال يضربها لذى اللب الحكيم ، فان سكان هذه الأرض تعودوا ألا يدينوا لأعزل أو غبي ، وانما لحر يبتلي غيره ، فيأخذ منه ما أراد ، أو يبتلى بآخرين فيتصدى لهم ، فهو في جهاد دائم سعيا وراء عيشه ، ويبذل في سبيل تحقيق غاياته كل امكاناته ، فهل تستطيعين خوض غمار هذه المعارك التي لا وجود فيها الا للقوى ؟ وهذه هي حقيقة الحياة شئت أم أبيت ،

ياطير ، والأمثال تضرب للبيب الأمثل "٢"
دنياك من عاداتها ألا تكون لأعزل
أو للغبي وان تعلل بالزمان المقبل
جعلت لحي يبتلي في ذى الحياة ويبتلي
يرمي ويرمى في جهاد العيش غير مغفل
مستجمع كالليث ، ان يجهل عليه ، يجهل
صدّاح حق ما أقول حفلت أم لم تحفل

مما سبق لشوقي يبدو أنه كان يميل الى ابقاء الحجاب مادامت النساء عرضة لأن يفتن بهن الرجال ومادمن غير قادرات على تدبر أمورهن بسبب

---

١) المرجع نفسه ١/١٧٦ - ١٧٨ .
٢) المرجع نفسه ١/١٧٩ .

تفشي الجهالة ، ولكنه يميل الى الحد من سلطة الرجال في اعنات النساء وتحميلهن مالا يطقن ، والواقع أن شوقيا يظهر لنا في هذه القصيدة حائرا بين اشفاقه على المرأة وشعوره بوطأة الحجاب عليها ، وبين السماح لها بالانعتاق من قيود التقاليد ، وقد بدت حيرته في قوله :

صبرا لما تشقى به | أو مابدا لك فافعل

واذا قارنا حيرته هذه بموقفه من سفور النساء في عاصمة الخلافة عرفنا ميله الى التساهل في أمر الحجاب ، ويمكننا القول أن ما أصاب المجتمع المصرى من تغيير في أوائل القرن العشرين كان له أثر على تفكير شوقي ، فقد كان تيار الجامعة الاسلامية في مصر قويا أول الأمر ، ثم بدأ يضعف شيئا فشيئا ، وكان شوقي في موقفه من الحجاب والسفور يساير قوة هذا التيار وضعفه ، حتى كانت عودته الى مصر بعد نفيه نقطة تحول واضحة في موقفه ، وذلك بعد أن انتهى ارتباطه بالقصر ، وبعد دخول الفتاة المصرية معترك الحياة والجامعة ، فأعرب عن غبطته بالمرأة المصرية التي دخلت ميدان التجارة والسياسة وشئون الحياة الأخرى ، وذلك في قصيدته التي ألقاها في جمع حافل من النساء المصريات ، بدأها بتحية النساء اللواتي يعملن في ميادين البر والاحسان ، وذكرهن بنهضة اليابان ، وحذرهن من الوقوع في مزالق الحضارة الغربية المتهتكة ، يقول :

قم حيّ هذي النيرات | حيّ الحسان الخيرات "١"
واخفض جبينك هيبة | للخرّد المتحفزات

....

واذا خطبت فلا تكن | خطبا على مصر الفتاة
اذكر لها اليابان لا | أمم الهوى المتهتكات
ماذا لقيت من الحضا | رة يا أخيّ الترهات
لم تلق غير الرق من | عسر على الشرقي عات

---

(١) المرجع نفسه ١/١٠٢ - ١٠٣ . في الأدب الحديث ٢/١٩٧

وهكذا سمح شوقي للكنار أن يغادر قفصه ، بعد أن كان ضنينــا به حريصا عليه ، وتناسى الأخطار التي كان قد حذره منها قبل ذلك ، ونسي نصيحته التي قدمها للمرأة حين قال :

ان طرت عن كتفي وقعـ ت على النسور الجهل

ولكن شوقيا الذى وقف يشيد بالأعمال الخيرية التي قامت بها المرأة عام ١٩٢٤م في قصيدته ((قم حيّ هذى النيرات)) "١" عاد فشكك في دعوة قاسم أمين واتهمه بالاغارة على الاسلام ، وذلك في قصيدته التـــي ألقاها في حفل نسائي كبير انعقد في دار التمثيل العربي برئاسة هـدى شعراوى عام ١٩٢٨م "٢" ، حيث أشار الى اختلافه مع قاسم في الرأى ، ولكنه ذكّر الحاضرين أن الاختلاف في الرأى يجب ألا يقود الى العداوة ، يقــول :

لقد اختلفنا والمعلـــا شر قد يخالفه العشير "٣"

....

في الرأى تضطغن العقو ل وليس تضطغن الصدور

وأشار شوقي الى لباقة قاسم أمين في احتجاجه بالقرآن والسنة ، معتمدا على بيانه الجزل وعلمه الغزير في سبيل تحقيق مطلب يصعـــب تحقيقه ، لكثرة مافيه من مزالق ، وتساءل شوقي : هل كان قاسم يغـــار على العقيدة أم يغير عليها ،

وذلك البيان الجزل فـي أثنائه العلم الغزيـــــر "٣"

في مطلب خشن كثيـــ ر في مزالقه العثــــور

ما بالكتاب ولا الحديــ ث اذا ذكرتهما نكيــــر

حتى لنسأل : هل تغـار على الحقائق أم تغيــــر ؟

---

١) راجع مجلة الهلال ، عدد مايو/ أيار ١٩٢٤م

٢) نشرت هذه القصيدة في الأهرام عدد ٥ مايو / أيار ١٩٢٨م

٣ ، ٤) ديوان شوقي ، طبعة ٤٨ ١م ، ٢/٢٠٨ - ٢١١ ، وراجع الاتجاهات الوطنية ٢/٢٥٤ - ٢٥٥ .

وربما كانت هذه القصيدة آخر قصائده التي تناول فيها موقفه من المرأة ؟ فهل يعني ذلك أن شوقيا تراجع في أخرياته حياته عن موقفه الذى أيد فيه خروج المرأة من بيتها ، أم أن موقفه هذا لا يزيد عن كونه تحفظا من بعض الجوانب في دعوة قاسم ؟ والحقيقة أن مواقف شوقي المضطربة هذه تصور الأزمة التي كان يجتازها المجتمع المصرى ، فقد كان الناس في حيرة من أمرهم ، لا يدرون مايأخذون ومايدعون من سيل البدع الذى تدفق عليهم ، وكان شوقي واحدا من هؤلاء .

وكشوقي في تطور موقفه من الحجاب حافظ ابراهيم الذى بدأ بتأييد قاسم أمين ، وكان حافظ أسبق من شوقي في اعلان موقفه من دعوة قاسم ، وفي تأييده له سخر من معارضيه ، فرماهم بالضلال وعدم الفقه لما قال ، كما اتهمهم بالتعصب الأعمى ، لأنهم يعارضون دعوته الى رفع النقاب ، مع علمهم أن رفعه حق وحلال في الأديان الثلاثة :

أقاسم ان القوم ماتت قلوبهم
ولم يفقهوا في السفر ما أنت كاتبه (١)
الى اليوم لم يرفع حجاب ضلالهم
فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه ؟
فلو أن شخصا قام يدعو رجالهم
لوضع نقاب لاستقامت رغائبه ؟
ولو خطرت في مصر حواء أمنا
يلوح محياها لنا ونراقبه
وخلفهما موسى وعيسى وأحمد
وجيش من الأملاك ماجت كواكبه
وقالوا لنا رفع النقاب محلل
لقلنا ، نعم حق ولكن نجانبه

---

(١) الجامعة العثمانية ، السنة الثانية عدد يناير ونصف فبراير / شباط ١٩٠١م ص ٦٤٠ . وانظر أبولو ، العدد الحادى عشر يوليو / تموز ١٩٣٣م ص ١٤٢٥ . وهذه الأبيات ليست موجودة في ديوان حافظ ابراهيم الذى طبعته دار العودة في بيروت .

وفي مناسبة أخرى رحّب برفع التركيات للنقاب ، فقد هنأ السلطان عبد الحميد الثاني بعيد جلوسه ، وعبّر في هذه التهنئة عن اعجابه بالخطوة التي اتخذها عبد الحميد باعلان الدستور ، ووصف الفرحة التي عمت أرجاء المملكة العثمانية وعودة المنفيين الى أوطانهم ، واماطة النساء للحجب عن وجوههن "١" ، ونزولهن يجلسن مع الرجال على نحو تمناه للمصريات ، يقول :

فترى النساء مع الرجال سوافرا	لا يتقين عوادى الأجفان "٢"
عجبا لهنّ وقد خلقن أوانسا	يبرزن في فرح وفي أحزان
أهلا بحاسرة اللثام ومن اذا	سفرت عنا لجمالها القمران "٣"
خطرت فعطّرت المشارق عندما	هبت نسائمها من البلقان
ياليتها خطرت بمصر وأشرقت	في يوم أسعدها على طهران

فحافظ يرى أن سفور النساء في تركيا كان في ظل الدستور وحماية القانون .

ولكنه في رثائه لقاسم بدا متململا من شدة المعارضة والتفنيد لآرائه ، حتى لقد اعترف بأنه ليس معصوما ، وفوّض الحكم على رأيه للأيام ، وطلب منه أن يشكو الى الامام محمد عبده في العالم الآخر ماتعرض له وهو ودعوته من هجوم ، وقد لاحظ أن الهيئة المصرية ماتزال غير مهيئة لتقبل مثل هذه الآراء ، لأن كل جديد على الناس يجابه بالرفض أولا ، ثم يأخذ طريقه بينهم ويعتادون عليه ، يقول :

---

١) استغل الاتحاديون اعلان الدستور فشجعوا السفور ، واستغلوه لتحقيق أطماعهم مما دعا السلطان الى الغائه .

٢) ديوان حافظ ابراهيم ١/٤٧ - ٤٨ .

٣) عنا : خضع .

ان ريت رأيا في الحجاب ولم
تعصم فتلك مراتب الرسل "١"
الحكم للأيام مرجعه
فيما رأيت ، فنم ولا تسل
وكذا طهارة المرأى تتركه
للدهر ينضجه على مهل
فاذا أصبت فأنت خير فتى
وضع الدواء مواضع العلل
أولا ، فحسبك ماشرفت به
وتركت في دنياك من عمل

....

قل للامام اذا التقيت به
في الجنتين بأكرم النزل
ان الحقيقة أصبحت هدفنا
للراكبين مراكب الزلل

على أنه فيما يبدو لم يسلم من الهجوم هو الآخر بسبب تأييده السفور ، لأنه فيما يلي أعلن أنه لا يقول بالسفور على الاطلاق ، حيث تخرج المرأة من بيتها كما تشاء ، وتفعل كالرجال ماتشاء دون وازع أو رقيب، كما أنه لا يقول بالحجب على الاطلاق ، لأن النساء ليست حليا وأثاثا يصان خوف الضياع ، بل رأيه التوسط بين الحالتين مع ضرورة تربية البنات على الفضيلة ، فانها خير وسيلة للمحافظة على عفتهن وشرفهن ، وذلك في قوله من قصيدة أنشدها في حفل أقيم ببور سعيد ، لاعانة مدرسة البنات هناك :

---

١) المرجع نفسه ١٥٨/٢ - ١٦٠

أنا لا أقول دعو النساء سوافرا
بين الرجال يجلن في الأسواق "١"
يدرجن حيث أردن لا مـــن وزع
يحذرن رقبته ولا من واقـــي "٢"
يفعلن أفعال الرجال لواهيا
عن واجبات نواعس الأحـــداق
في دورهن شؤونهن كثيـــرة
كشؤون ربّ السيف والمـزراق "٣"
كلا ولا أدعوكمو أن تسرفـــوا
في الحجب والتضييق والارهـــاق
ليست نساؤكم حلى وجواهـــرا
خوف الضياع تصان في الأحقـاق
ليست نساؤكم أثاثا يقتنـــى
في الدور بين مخادع وطبـاق
تتشكل الأزمان في أدوارهـــا
دولا وهن على الجمود بواقـــي
فتوسطوا في الحالتين وأنصفوا
فالشرّ في التقييد والاطـــلاق
ربّوا البنات على الفضيلة انها
في الموقفين لهن خيـر وثـاق
وعليكم أن تستبين بناتكـــم
نور الهدى وعلى الحياء الباقـي

---

١) المرجع نفسه ٢٨٢/١ - ٢٨٣ ، أنشد هذه القصيدة عـام ١٩١٠م .
رقبته : مراقبته ، وازع : زاجر ، يدرجن : يمشين .
المزراق : الرمح .

على أن ايمان حافظ بالسفور المرشد والقائم على تربية المرأة وتهذيبها ، جعله ينحي باللوم على المرأة الجاهلة التي لم تفهم من المدنية سوى التبرج ، لأنه رأى في تصرفها هذا خروجا على تقاليد العفاف والفضيلة ، وقد عبّر عن سخطه عليها في معرض رثائه لباحثة البادية واطرائه لفضائلها العلمية والخلقية ، حيث قال :

انى رأيت الجاهلا ت السافرات على خطر "١"
ورأيت فيهن الصيا نة والعفاف على سفر

وأما باحثة البادية فقد كانت أكثر الأدباء اهتماما بالمسائل المتعلقة بالمرأة ، فقد كتبت مقالات عديدة على صفحات الجرائد ، ناقشت فيها أمور الزواج والطلاق وتعدد الزوجات وقارنت فيها بين أخلاق المصريات والغربيات ، واهتمت بقضية الحجاب والسفور ، وكانت ترى عدم جدوى تخلص نساء مصر من الحجاب دفعة واحدة ، ((فلو أمرتهنّ مرة واحدة بخلعه وترك البرقع لرأيت ما يجلبنه على أنفسهن من الخزى ، وما يقعن فيه بحكم الطبيعة والتغير الفجائي من أسباب الهلاك ، وتكون النتيجة شرا على الوطن والدين ...)) "٢"

وانطلاقا من موقفها هذا رفضت موقف بعض معاصريها من قصيدة شوقي ((بين الحجاب والسفور)) التي أشرنا اليها سابقا ، حيث ذهب الى أن شوقيا يأسف لأقامة المرأة في البيت ، ويعتذر عن موقف الرجل منها "٣" ، ورأت أن هذه التأويلات بعيدة عن الصواب ، وأن قصيدة شوقي لا تزيد عن كونها هدية رجل فاضل يرمي الى تشريف من أهدى ، وهذه عادة مألوفة ، تقول باحثة البادية :

---

١) ديوان حافظ ابراهيم ١٩٥/٢ .
٢) النسائيات لباحثة البادية ، مطبعة التقدم ١/ ١٤٨ - ١٤٩ .
٣) راجع النسائيات ١/ ١٤٧ ، حيث رد شاعر على لسان الباحثة عما جاء في قصيدة شوقي دون أن يصرح باسمه .

أهدى القصيدة في " الجريدة " لي هدية مفضل "١"

كمؤلف يهدى الكتا ب الى سري أمثل

يرمي الى تشريفه ويخصه بتطول

هي عادة مألوفة في الناس منذ الأول

هذى الحقيقة يافتا ة تلوح للمتأمل

ثم هي تؤيد شوقيا في موقفه من المرأة ، وترى أن دعوته للمرأة كي تبقى في بيتها بعيدا عن مصاعب الحياة ومشاكلها دعوة صحيحة ، ولهذا تدعو الباحثة بنات جنسها ، أن لا يسخطن على عيشهن ، وألا يندفعن خارج بيوتهن ، لأن المرأة لا تستطيع أن تحافظ على مجدها ومكانتها المرموقة في الأسرة الا اذا بقيت في بيتها ، تقول :

ماذا فهمت من الكنار ومن حديث البلبل "٢"

حتى سخطت على المعيشـ ـة في ظلال المنزل

....

مجد الفتاة مقامها في البيت لا في المعمل

كم خدمة يقضي نظـام البيت ان لم تعملي

من للوليد يعينه في لبسه والمأكل

ويميط عنه أذى الهوى بتلطف وتحيل

من للمريض يحوطه أبدا بدون تململ

من للأثاث يصونه من للذخائر والحلي

من قسم المذخور بين الحال والمستقبل

فالعمل داخل البيت في رأى الباحثة لا يقل أهمية عن العمل خارجه ، لأن المرأة ان أحسنت القيام على بيتها ، وربّت أبناءها ، وحاطتهم برعايتها ، أسعدت أسرتها ، لكن اذا عرضت للمرأة حاجة خارج البيت

---

١) النسائيات ١/١٤٨- ١٤٩ .

٢) المرجع نفسه ١/١٤٨-١٤٩ .

فلا مانع من خروجها ، بشرط أن تكون مشيتها وقورة وحركاتها متزنة ، وعليها أن تتجنب الزحام ، وأن لا تتبرج ، تقول :

لكن اذا دعت الضرو رة للخروج فحيهل "١"
سيري كسير السحب لا تأنسي ولا تتعجلي
وتنكبي نهج الزحام وفضلي النهج الخلي
لا تخضعي بالقول أو تتبرجي أو ترفلي

وتعرضت لموضوع السفور أي (كشف الوجه) ، فرأت أن الحكم الشرعي فيه يتفاوت من مذهب الى آخر ، فبينما رفضه البعض ، وعدّوه محرما ، تساهل آخرون ، ورأوا أن الوجه والكفين ليسا بعورة ، وأنه يحلّ للمرأة كشفهما ، ولم يمنع أحد منهم المرأة أن تسفر عن وجهها اذا جاء خاطب يطلب الزواج منها ، ولكن عليها أن تبقي النقاب على رأسها تقول :

أما السفور فحكمه في الشرع ليس بمعضل "٢"
ذهب الأئمة فيه بين محرم ومحلل
ويجوز بالاجماع منهم عند قصد تأهل "٣"
ليس النقاب هو الحجا ب ، فقصري أو طولي
فاذا جهلت الفرق بينهما فدونك فاسألي
من بعد أقوال الأئمة لا مجال لمقولي

ويتضح موقف باحثة البادية من الحجاب في قصيدة أخرى لها ، تبرد فيها على من يتعجلون سفور المرأة ، بأن هذا الأمر حسن ، لو كان الرجال أتقياء ، ولأنهم ليسوا كذلك ، تخشى على الفتاة من خداعهم وكلامهم المنمق المعسول ، وترى أن لا يتخلصوا من الحجاب طفرة ، بل يصلحون

---

١) المرجع نفسه ١٤٨/١ - ١٤٩ .
٢) المرجع نفسه ١٤٩/١
٣) التأهل : الخطبة بقصد الزواج .

أخلاق نسائهم وبناتهم قبل ذلك ، فهذا أليق بالرجال ، كانت الباحثة واضحة في موقفها ، وان خالفت بعض معاصريها ، ممن كانوا يصرّون على السفور الفوري ، ولذا سألتهم : أليس هناك من مشاكل تعالجونها غير هذه ؟ هل أنتم راضون عن كل شيء في حياتكم الا الحجاب ؟ وهل يؤرقكم وجوده الى هذا الحد ؟ هل هذبتم طباع نسائكم وأزلتم من حياتهن الجهالات ؟ هل سبقتم نساءكم الى الفضيلة والتقى وخشيتم عليهن من الهلاك ؟ اذا لم تفعلوا شيئا من هذا كله ، فلم تتعجلون السفور ، ولماذا تصرون على نزع الحجاب ، على الرغم من كونه علامة فضل ؟ تقول :

هل تطلبون من الفتاة سفورها ولكن أين بينكم التقى ؟ "١"
تخشى الفتاة حبائلا منصوبة غشيتموها في الكلام برونق
لا تتقي الفتيات كشف وجوهها لكن فساد الطبع منكم تتقي
لا تطفروا بل أصلحوا فتياتكم وبناتكم وتسابقوا للأليق
أرضيتم عن كل شيء عندنا وخشيتمو أمر القناع اذا بقي ؟
هل قمتمو بفروض نسوتكم وهل هذبتم من طبعهن الأخرق ؟
أسبقتمونا للفضيلة والتقى وخشيتم المهلكات ان لم تلحق ؟

ولو تأملنا موقف باحثة البادية لرأينا أنها لا تعترض على الغاء الحجاب ، ولكنها لا تحبذ التعجل في ذلك حتى تتهيأ المرأة المصرية للانتقال الى مرحلة السفور ، على أن السفور عندها لا يعني أكثر من كشف الوجه واليدين ، وعدم منع المرأة من مغادرتها بيتها بشرط أن لا تظهر شيئا من زينتها وألا تتبرج ، وقد أوضحت الباحثة أن البيت هو المكان الطبيعي للمرأة ، وأنها ترفض خروجها للعمل ، لأن وظيفتها في بيتها تحتاج كل وقتها وتستهلك قواها .

ويبدو أن بعض شعراء الشام أيضا كان يرى أن الحجاب مرحلة ضرورية مادام الجهل متفشيا بين النساء ، أما اذا تعلمت المرأة ، فانه

---

(١) آثار باحثة البادية ، جمع مجد الدين حفني ناصف ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، سلسلة تراثنا ص ٣٠٧ .

يكفيها أن تتخذ من علمها حجابا لها ، وقد عبّر محمد البزم عن هـــذا الاتجاه في قصيدة له بعنوان " الحجاب " "١"

---

(١) انظر ديوان البزم ، شرح وضبط سليم الزركلي وعدنان مردم ، المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٨١ هـ ١٩٦١م ، نشر المجلس الأعلى للفنون والآداب في سوريا ، ١/٢٧٩ - ٢٨٣

وفي قصيدته هذه حاور فتاة في مقتبل العمر ، نعت على الرجال تمسكهم بالحجاب ، وطالبت بفك قيدها ، لأنها سئمت ملازمة الخدر ، ونفد صبرها ، وسألت الشاعر عما جنته المرأة ، حتى تقضي عمرها كله أسيرة ، فهل حسبتموها سلعة تباع بالمهور ؟ يقول البزم :

وثبت تطالب بالسفـــور	حسناء محدمة النظـير
سئمت ملازمـــة الخـدو	ر ، وخانها جلد الصبور

. . . . . .

ماذا جنت فحبستمـــو	ها الدهر كالعاني الأسير
أحسبتموها سلعـــة الـ	مستام تشرى بالمهـــور ؟

فأجابها الشاعر مطمئنا اياها وأنه يقف الى جانبها ويناصرها ، مبينـــا أن الأمر يحتاج الى دراية وتبصر لا مجال فيه للانخداع بالســـراب أو الظن البعيد ،

فأجبتها وأنا النصــير	لها ومن لي بالنصــير
ياضرة البدر المنيــــر	وربة الأدب النضيـــر

. . . . . .

خدعتك لامعة الســـرا	ب وروعة القول الطريـــر
أظننت أن الستـــر عـــا	رية تردّ الى المصيـــر

ثم حذرها من مغبة سفورها ، لأنه سيقودها الى التهتك والفجور ، وأن الطريق السليم الى السفور لا يكون الا بنيل قسط وافر من العلم ، والتحصن بالفضيلة :

ماذا يراد من الفتـــا	ة مع الجهالة بالسفـور
ان السفور لجنت يعـــ	رب لهو مجلبة الشرور
الا اذا حظيـــت من الـ	عرفان بالقسط الكثيـــر
وتحصنت ممـــا يـــرو	م أولو الهوى بأعز ســـور
لك ماصبوت اليه رغـــ	م الدهر في آتي العصور
لك ماطلبت اذا أخـــذ	ت من المعارف بالمنيـــر

أما الذين قالوا بالسفور على الاطلاق ودون أن يبدوا أى تحفظ عليه ، فمن أوائلهم ولي الدين يكن الذى أزرى بالحجاب في مقالات عديدة ، أتى فيها على ماتعانيه المرأة من ضيق في حياتها داخل جدران البيت الأربعة ، وروى في احدى مقالاته قصة امرأة زوجت برجل شديد الغيرة ، ودخلت بيته يوم زفت اليه ، ولم تخرج منه أبدا ، حتى اذا مرضت أتى لها بطبيب، وأخذ يصف له ماتشكوه ، ولكن الطبيب أصر على رؤية المريضة ، وفحص موضع العلة ، فأبى الزوج عليه ذلك ، فلم تمض أيام حتى شيعوها الى منزلها الأبدى "١" ، وهذا يعني أن ولي الدين يكن يرى في غيرة هذا الرجل على امرأته وحرمانها من مغادرة بيتها قسوة بالغة ، وأن غيرته هي السبب المباشر في موتها ، ولهذا دعا يكن في شعره الى التخلص من الحجاب والجهل ، فصوّر المرأة محرضة غاضبة ، لأن الرجل سلبها حريتها ، وحرمها من كل حقوقها ، وقد تمنى الشاعر أن تجهر عما بها بالكتابة ، لتجهر بما تعانيه من ظلم على أيدى الرجال ، ولكنها لم تستطع ، ومع هذا الحرمان لا تجد صاحبا تأنس به أو تشكو اليه همومها ، حتى زوجها الذى كانت تأمل أن يشفق عليها ، ومن ثم لا خلاص لها الا بازالة الحجاب "٢" الذى يعده الشاعر دخيلا على حياتها ، يقول :

تمنيت لو كتبت مابها ... ولكنها لم تكن كاتبة "٣"
تفتش ليست ترى صاحبا ... يقاسمها الحزن أوصاحبه
لقد غلب اليأس آمالها ... وآمالها كانت الغالبة

---

١) الصحائف السود لولي الدين يكن ، مطبعة المقتطف بمصر ١٩١٠ م ص ١٣

٢) ديوان ولي الدين يكن ، مطبعة المقتطف والمقطم ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م الطبعة الاولى ص ١٢٢ ، وانظر الصحائف السود ص ١٠ .

٣) موقف ولي الدين يكن من الحجاب يتلاءم وموقفه من الجامعة الاسلامية ، فقد كان يهاجم السلطان عبد الحميد ، ويتهمه بظلم رعيته وخنق الحريات ، ذلك أن يكن متأثر بروح الحضارة الغربية وبأفكار جماعة الاتحاد بين الذين ناهضوا السلطان عبد الحميد ، وقد سخر من الصيام ، وهاجم الحكومة العثمانية لأنها تعاقب من ينتهك حرمة رمضان ، وقد عدّه اكذوبة أشبه ماتكون بأكذوبة ابريل ، وذلك في مقال له بعنوان " أكذوبة ابريل وأكذوبة رمضان " . وانظر الصحائف السود ص ٣٤ - ٣٧ . وكان يكن أحد أعضاء ندوة مي حيث داوم على حضورها ، ولم يتخلف عنها حتى موته .

أزيلي الحجاب عن الحسن يوما   وقولي مللتك ياحاجبه
فلا أنا منك ولا أنت مني   فرح ذاهبا انني ذاهبة

ومنهم من رأى أن الحجاب يحول بين المرأة واظهار حسنها الذى يتوق اليه النظر ، وأن المرأة في حجابها أشبه ماتكون بالقمر ، الذى يلفه الغمام ، ولهذا يطالبها الشاعر أن تسفر ولو مرة واحدة ، حتى يتأمل جمالها ، وتكتحل عيناه بسحره ، يقول فريد ملحم :

لثّمتِ وجهك فاختفى   حسن يتوق له النظر "١"
كالبدر يلتثم الغمام   لكي تتوق له البشر

لكن بدر الأفق بعد   الحجب قد يبدو سرارا
فأبدى لعيني سفرة   كي تنقضي تلك المرارا

فماذا كان موقف المرأة في تصوره ؟ هل أبت عليه ما أراد وتمسكت بحجابها ، لم تفعل ذلك وانما رأت أن الحجاب أمر غير مرغوب فيه لديها ، وأن الله لم يأمر به ، ولكن التقاليد هي التي فرضته على النساء ، وجعلت منه قيدا ثقيلا يصعب عليها تجاوزه ، وأن الحل ليس في يد المرأة وانما بيد الرجل ، ولهذا فانها تدعو فتاها أن يثور على قيد التقاليد التي كبلت المرأة ، ويعتقها مما هي فيه من أسر :

قالت وقد جرت الدموع   من العيون على حذر "٢"
ما أنزل الله الحجاب   ولا الضمير به أمر

* * *

لكنّ ذا قيد التقاليد   الذى أسر الضمير
فاكسر سلاله فأنت   الحرّ في عتق الأسير

وأبدى عبد الرحمن شكرى سخطه على الحجاب الذى يقف حائلا بينه

---

١) فتاة الشرق ، السنة الرابعة ، ١٩٠٩ - ١٩١٠ م ص ١٦٨ .
٢) فتاة الشرق ، السنة الرابعة ، ١٩٠٩ - ١٩١٠ ص ١٦٨ .

وبين الوصول الى من يحب ، لأن أهلها حريصون على صيانتها من كل سوء ، يقول :

حجبوكِ من حذر عليك صيانة
يا ليتهم في مهجتي حجبوكا "١"
ولئن حجبت ففي الرحيق مشابه
في الدنّ أو ما يحتويه فوكا

وطالب عبد الرحمن شكرى مرة أخرى بالغاء الحجاب ، وهدم السدود التي تحول بين الرجل ورؤيته للمرأة التي يود خطبتها ، حتى يتعرف كل منهما على رغبات الآخر ومشاعره ، فان أى شخص يرفض أن يشترى سلعة من السلع قبل معاينتها ، ويعجب من الشاب الذى يقع في هوى فتاة لم ترها عيناه ، ويضيف شكرى أن هناك اختلافا بينا بين بعض الأمزجة ، وأن هناك توافقا بين بعضها الآخر ، ولهذا يرى أن يفسح المجال بين الجنسين للتعارف قبل الزواج ، حتى تلتقي الأرواح المتآلفة ، وعنده أن الحجاب يستر تحته كثيرا من عيوب النساء ، وأن هذه العيوب تزداد اتساعا ما دامت مستورة ، ولو أبصر الرجل ما تحت الحجاب من أمور نابية لتمنى العمى على أن يراها ، فاتركوا الحسناء تكشف لكم عن طباعها التي غابت عن الأعين ، يقول :

أطلقوا عن عرسه حتى يراها	ويرى أين هواه من هواها "٢"
واحسبوها لو أردتم سلعة	يترجى عوضها قبل شراها
كيف يهوى غادة لم يرها	يافع أبدت له الدنيا صباها
انما الأرواح شتى فاسلكوا	كلّ روح حيث لا تذوي مناها
ربّ حسناء اذا كشّفتها	عن أمور كان ينميها خفاها
لنبت عينك عما أبصرت	ولو هي نفسك ما أصمى عماها
فدعوا الحسناء تبدى لكم	منه طبعا غاب عن عين سواها

---

(١) ديوان عبد الرحمن شكرى . جمعه وقدّم له نقولا يوسف ، توزيع المعارف بالاسكندرية ، ١٩٦٠م ، الطبعة الأولى ٧ / ٥٢٤ ، من ديوان أزهار الخريف.

(٢) المرجع نفسه ، الجزء الثاني (لآلئ الأفكار) ، ص ١٥٢ .

وكان أحمد نسيم من الشعراء الذين ربطوا بين الجهل والحجاب ، وأبدى فرحه بسفور النساء ، وعدّه مظهرا من مظاهر النهضة النسائية ، وقد استقبل ذلك منهن بالترحيب ، وأعلن أنه قد مضى الزمن الذى كانت فيه النساء عاكفات على الجهالة ، يقول :

ألا حيوا الأوانس سافرات زواهر كالشموس الساطعات "١"

كرائم بتن للأيام ذخرا ومأمول السنين المقبلات

مضى زمن بلون العسف فيه وكنّ على الجهالة عاكفات

ويبدو أن الزمن كان يعمل لصالح دعوة قاسم أمين ، وأن كل الجهود التي كانت تبذل من أجل ايقاف تيار السفور ، لم توقف من زحفه ، بل على العكس من ذلك رأينا السفوريين يتخذون من ذكرى موته عيدا سنويا يحتفلون به ، وينشدون القصائد في مآثره تحية لذكراه ، ومن هؤلاء خليل مطران "٢" الذى أنشد قصيدة في حفل تأبين قاسم بعنوان " قاسم أمين المصلح الاجتماعي الكبير " ، فعدّ موته خطبا فادحا أصاب الأمة ، ففقدت بموته رجلا كان يشيد المحامد ، ويهدم حصون القبح والتأخر ، رغبة منه في الرجوع الى مايعتقد صوابه ، وكان كما يرى مطران حريصا على سلامة

---

١) خمسة من شعراء الوطنية (مجموعة أبحاث لعدة كتاب) ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الناشر وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م ص ١٢٥ .

٢) كان مطران لا يرى في الحجاب أى جدوى ، وهو من الداعين الى التخلص منه ، انظر الديوان ١٢٢/٤ ، يقول :

اذا بدت حسناء في برقع
لم يحجب البرقع منها الشعاع
أما التي أمّنها ربها
أن تفتن الناس ففيم القناع

وقد حرص مطران على صياغة موقفه بأسلوب لبق ، حتى لا يثير ضده أنصار الحجاب .

بناء الأمة من الأمراض التي تفتك بجسدها ، فدعا الى رفع شأن النساء على الرغم من اعتراض اللائمين والمسفهين ، الذين ينكرون عليه حرصه على المرأة ، فحلت أفكاره في أرض بكر ، ووجدت استجابة تبشر بنشوء جيل جديد من النساء ، يقول :

عزيز على "مصر" هذا المصاب	بمقدامها المصلح الحازم "١"
لك الله من شائد للعـلا	وفي يده معول الهادم
يدكّ القبيح ويبني المليح	رجوعا الى سنة الراسم

....

دعوت الى رفع شأن النساء	برغم المسفه واللائم
وسلطت بالحلم نور اليقين	على ريب المنكر الغاشم
فحلّ بذارك في مخصب	وبشر جيلك بالقادم
سلام عليك نما ماغرست	وذكى شذا الأمل الباسم
فنم آمنا ، ان في الغرس ما	يعيدك في خلف دائم

ومنهم عبد الرحمن شكرى الذى رثى قاسما في قصيدتين ، واتهم من لم يحزن لموته ، وتعجب من ضم القبر له ، وقد كان الصارم المسلول في وجه الضالين والمنقذ لأمته ، يقول :

قل للذى لم يصم رزؤك قلبه	اني حسبت فؤاده مدخولا "٢"
كيف احتواك القبر في أحشائه	ولقد عهدتك صارما مسلولا
يارب أقوام نفيت ضلالهم	وعجمتهم حتى أقمت عميلا

ومن هؤلاء علي الجارم الذى ألقى قصيدة من دار الاذاعة في القاهرة ، بمناسبة مرور ثلاثين سنة على وفاة قاسم ، عدّه فيها منارة أنارت درب مصر ، وان كانت تنكرت له حين قام ينادي بضرورة تحرير المرأة ، ولم

---

١) ديوان الخليل ، لخليل مطران ٢/٢-٤ .
٢) ديوان شكرى ، الجزء الأول (ضوء الفجر) ١/٥٤ .

تعرف قيمة دعوته الا بعد وفاته ، وكان في سماحة الدين مايسع الكثير من آرائه لو وعيناها ، ولكنا خشينا على النساء من ذئاب الرجال ، والرأى ان أردنا لهن الانطلاق أن نهيىء الرجال :

سكتة أطفأت منار طريق — كم مشت مصر في ضياء شهابه "١"
ومضى قاسم وخلّف مجدا — تخفق النجم ساريات قبابه
قد نكرناه حين قام ينادى — وفهمنا معناه يوم احتسابه
يعرف الورد حينما ينقضي الصيف ويبكي النبوغ بعد ذهابه
يانصير النساء والدين سمح — لو وعينا السري من آدابه
قد خشينا على الحمائم في الدوح أظافير بازه أو عقابه
ان أردت الظباء تمرح في السهل ، فطهر أكنافه من ذئابه

وعلى الرغم من حذر الجارم ، وخشيته على النساء من السفور ، لم ير فائدة للنقاب اذا لم تتخذ الفتاة من حيائها نقابا لها ، ويشعر الجارم بالغبطة عندما يرى نساء مصر يسرن في طريق العلم ، فقد ازدادت مصر جمالا ، واختال النيل تيها ببناته المتعلمات :

. . . .

واذا ما الحياء لم يستر الحسن ، فماذا يفيده من نقابه ؟ "٢"
قمت تدعو البنات للعلم فانظر — كيف حلّقن فوق شم هضابه
وزها النيل بابنة النيل فاختال ، يجر الذيول من اعجابه

وفي الاحتفال الذى أقامه الاتحاد النسائي ، بمناسبة مرور خمسين سنة على دعوة قاسم ، ألقى صالح الشرنوبي قصيدة أشاد فيها بدعوة قاسم ، التي كانت صيحة في وجه الجمود ، وحطمت التقاليد ، وشادت للأمة صرحا من النظام والرقي ، وبفضله حصلت المرأة على كثير من

---

١) ديوان علي الجارم ، مطبعة المعارف ، ومكتبتها بمصر ، ٣/١٠٨ - ١١٣ .
٢) المرجع نفسه ٣/١١٣

أمانيها ، على حد زعم الشاعر . "١"

وكما اتخذوا من موته ذكرى سنوية اتخذوا من موت هدى شعراوى التي طالبت بتحقيق المساواة السياسية والاجتماعية بين المرأة والرجل أسوة بالأوروبيات ، واشتركت في المؤتمرات النسائية العمالية ، فكانت المنفذ لمبادىء قاسم أمين ، ونتيجة لاطلاعها بهذا الدور أطلق عليها بعض معاصريها " الزعيمة الأولى " ، وأثنى عليها الشاعر محمود أبو الوفا ، فامتدح مقتها للحجاب ، وعملها على تحطيم أغلاله ، وندد بدعاة الجمود الذين فرحوا بموتها لطول ما أرقهم صوتها :

أمن كرهت شكل الحجاب ولونه ... ومنظره في أى وجه له بدا "٢"

. . . . . .

محطمة الأغلال ألقت الى الثرى ... معاول لم تهد أحد يداوبردا

وقولوا لكهان التقاليد يفرحوا ... فأزلامهم لا اليوم تخشى ولا الغدا

لقد ذهبت من كان محض وجودها ... ولو سكتت للجامدين مهددا

---

١) انظر قصيدة صالح الشرنوبي بهذه المناسبة ، ديوان صالح الشرنوبي ، تحقيق عبد الحي دياب وأحمد كمال زكي ، دار الكتاب العربي بالقاهرة ص ٥٥١ ، ومنها قوله في الاشادة بدعوة قاسم :

جهلوا أمرها وحجبها عنهم ... ضباب من ضعفهم وغمام
وانتهى سرها اليه فما أغفى ... ومن حوله الكسالى نيام
شاءها صيحة ففكت قيود ... وارتقت أمة وتم نظام
أيها الثائر المحرر ماذا ... من معانيك تدرك الأفهام
لم يزل صوتك الندى كما كان ... وان غاب وجهك البسام
بلغت مرفأ الأماني ياقا ... سم حواء والرياح جهام

٢) شعرى ، لمحمود أبو الوفا ص ١٧٦ . وقد امتدح هدى شعراوى في قصيدته (الزعيمة الأولى) .

ولم يقف محمود أبو الوفا عند هذا الحد في رثائه للزعيمة الأولى ، بل ألقى قصيدة أخرى في الذكرى الثانية لوفاتها ، خلع فيها عليها صفات لا تكاد تتوفر في بشر ، فهي حورية ذات روح انسانية عاشت حياتها لغيرها ، حتى كاد يخالها قديسة ، لأنها نذرت حياتها وسعادتها لمصر ، ومن الغريب أن يمدح الشاعر هدى شعراوى بأنها زعيمة السفور ، ثم يأتي ليشبهها بخديجة أم المؤمنين - رضي الله عنها - التي تفتخر بهدى وتعدها مجددة لعهدها ، فهل كانت خديجة رضي الله عنها تقرّ الاختلاط وتدعو اليه ؟ ولا يكتفي بهذا بل يؤكد أن النهضة الكبرى التي تعيشها مصر نمت في بيتها ، ووجدت منها الحامي والنصير :

والله كدت أخالها قديسة
تذرت لمصر حياتها وهناها "١"
أزعيمة الوادي أجلّ زعيمة
في مصر سارت مصر تحت لواها
وكأن أم المؤمنين خديجة
تزهو بها وتعدّها ذكراها
النهضة الكبرى نمت في دارها
وتلفتت لحمى فكان حماها

وهذا يعني أن هدى شعراوى مسئولة عن السلبيات التي غزت حياة المرأة ، وعجلت بانحطاط بعض النساء ، ودفعت بهن الى حياة الرذيلة ، لأنها نأت بالحركة النسائية عن طريق الدين .

ولما كانت صفية زغلول ممن شاركن هدى شعراوى في توجيه نساء مصر ، وخصوصا في نبذ الحجاب ، أثنى خليل مطران على تصرفها

---

(١) شعرى ، لمحمود أبو الوفا ص ١٨٣ - ١٨٤ .

هذا في قصيدة له بعنوان الى " أم المصريين " :

قد كنت قدوة ربات الجمال بمسا
أزلت من وذم قوم ساء ماوهموا "١"
فصانت الأوجه الحسنى فضائلها
من حيث ألقيت الأستار واللثم

ومن قبل رأينا من بعد خروج النساء في المظاهرات عملا وطنيا ، فقال الهراوى معهم :

رأين بلاد النيل حاق بها الأسى
عليها عدا صرف الليالي وأجلبا "٢"
فثرن وراء الخدر ثم عدونه
يوالين أحداث الزمان تعقبا
ومن عائب في حب مصر عقائلا
طرحن قليلا للبلاد التحجبا

لم يترك السفوريون اذا طريقا يقوى وجهة نظرهم الا حاولوا استغلاله ، فالدين عندهم لا يعارض السفور ، وشرع الرسول - عليه الصلاة والسلام - لا يناقض المدنية الحديثة ، واختلاف مواقف الفقهاء بين محرم ومحلل ليس بمعضله ، ولما رأوا وعلى رأسهم قاسم أنهم لم ينجحوا في اقرار السفور بأدلة شرعية ، ووجدوا معارضة شديدة من الفقهاء ، اتجهوا الى طرح قضية المرأة على أنها بحث علمي لا علاقة له بالأدلة الدينية ، حتى لا يترك مجالا لمن يريدون مناقشته من زاوية دينية "٣" ، ويبدو أنهم قد اتخذوا من هذه القاعدة خطة يسيرون عليها ، ولما ضعف تيار الجامعة الاسلامية وتغلب حزب الأمة على الحزب الوطني بعد موت مصطفى كامل ، وتسلم رجالة كثيرا

---

١) ديوان الخليل ، لخليل مطران ٢ / ٢٧٢ .
٢) المعرفة ، السنة الثانية ، العدد الرابع عشر ، يونيو/ حزيران ١٩٣٢م ص ١٩٢ .
٣) المقتطف ، الجزء السادس ، (يونيو / حزيران ١٩٠٨) ص ٤٥٨-٤٥٩

من وظائف الدولة ، لتعاونهم مع الانجليز ، اتجه حزب الأمة اتجاهـــا أوروبيا غربيا ، ونادى بالاصلاح على الطريقة الأوروبية ، وبفصل الدين عن الدولة واحلال الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية ، واتخذ من اشتراك النساء في المظاهرات وسيلة لتحقيق مآربه ، ودعا من أثناء ذلك الى ازالة الحجاب ، فصبغ حزب الأمة السفور بالصبغة الوطنية مستغلا حماسة هدى شعراوى وغيرها من عضوات اللجنة المركزية للسيدات الوفديات ، وهكذا جعل زعماء الوفد السفور أمرا واقعا منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، واستطاع أنصاره بعد زمن ليس بالبعيد أن يجعلوا من الحجاب قطعة أثرية يذكرها الشعراء في قصائدهم على سبيل التندر ، ومن ذلك قصيدة لعبد الرحمن شكرى بعنوان : ((الى ذات الحجاب في حريم الشرق القديم))[1] ، ذكر فيها أن الحجاب لا يزيد عن كونه مصدر فتنة ، وأنه يثير في نفس من يشاهده الذكريات عن حياة الحريم التي كانت تعيشها المرأة في مصر قبل سفورها :

قالوا : الحجاب حمى من شرّ "خناس"
وفي حجابك هذا فتنة الناس
مفاتن في حجاب لا ليحجبها
لكن ليبعث شوق الذاكر الناسي

واذا كان شعراء مصر سواء منهم المؤيد أو المعارض قد عالجوا قضية الحجاب والسفور بشيء من الهدوء والحذر في أكثر الأحيان ، فان بعض شعراء الأقطار العربية الأخرى قد تناولوا هذه القضية بحماس زائد ،

---

(١) حواء والشاعر ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢م ص ٢٩ - ٣٠

خصوصا الرصافي والزهاوى "١" اللذين نقلا في شعرهما المعركة من مجرد الدعوة الى السفور ، الى مهاجمة الحجاب وتسفيه رأى المدافعين عنه

---

١) عدّ الزهاوى السفور قضية اجتماعية مهمة يتوقف عليها تقدم المجتمع المسلم ، وأن هذا التقدم سيظل ناقصا مالم تشارك فيه المرأة ، ومشاركتها للرجل لا تكون الا بسفورها ، انظر ديوان الزهاوى ، ص ٣١٩ ، حيث يقول :

هزأوا بالبنات والأمهات   وأهانوا الأزواج والأخوات
هكذا المسلمون في كل صقع   حجبوا للجهالة المسلمات
سجنوهن في البيت فشلوا   نصف شعب يهم بالحركات

وجعل الرصافي حجاب المرأة سببا من الأسباب التي أبقت عليهم تحت حكم الغرباء (أى الأتراك) ، لأنهم تربوا في حجور نساء عوملن معاملة العبيد ، فربين أجيالا رضعت الذل وشبت عليه . انظر ديوان معروف الرصافي ص ٣٤٢ ، يقول :

ألم ترهم أمسوا عبيدا لأنهم   على الذلّ شبوا في حجورا ماء
وهان عليهم حين هانت نساؤهم   تحمل جور الساسة الغرباء

وحاول الزهاوى أن يسلب أنصار الحجاب أقوى دليل في أيديهم ، فادعى أن الحجاب ليس من الدين في شيء ، وليست هناك آية في القرآن تدل على ضرورة التمسك به ، بالاضافة الى أنه يحول بين المرأة وحريتها . انظر ديوان الزهاوى ص ٣١٩ :

ان هذا الحجاب قبر كثيف   حال بين الفتاة والنسمات
انّ هذا اثم أقبحه ما   جاء حض عليه في الآيات

وسار الرصافي في نفس الاتجاه ، فلام قومه لأنهم يعدون التشدد في الحجاب أمرا شرعيا ، وادعى أن انصار السفور أعلم من غيرهم بما أمر به الشرع ، وأن ماجاء به الاسلام لا يتعارض بأى حال مع المدنية الحاضرة ، وهذا يعني أن السفور هو علامة على المدنية عنده .
انظر ديوان معروف الرصافي ص ٣٥٤ ، يقول :

نحن السفوريين أعلم بالذى   شرع النبي محمد من دين
أيكون ماشرع النبي محمد   شيئا يخالف شرعة التمدين ؟

والسفور عند الرصافي والزهاوى لا يعني أن تتخلص المرأة من حجابها فقط بل لابد من مشاركتها في الحياة العامة ، وهذا مادفع الزهاوى أن يرحب بمظاهر النهضة النسائية في لبنان ، لأن المجتمع لا يعترض على سفور المرأة واختلاطها بالرجال ومشاركتهم في الحياة العامة ، مما جعله يعد لبنان مثلا على للبلاد العربية تقتدى به ==

وهكذا كانت رحلة الشعر مع الحجاب والسفور تصويرا للصـــراع الذى كانت تشهده مصر والبلاد العربية بين الحضارتين الاسلامية والغربية ، حيث كان صراعا غير متكافيء ، حاول أثناءه الغيورون على التقاليد الموروثة أن يوقفوا زحف تيار الحياة الغربية المادية ، ولكنهم لم يستطيعوا ذلك ، لأن بريق هذه الحياة كان أقوى لمعانا ، وكانت قوته المادية أكثـــر طغيانا ، ناهيك عن التطبيق السيء للاسلام ، وفقدان النموذج الحي لـه في حياة المسلمين العملية ، فقد كانت دولة الخلافة تلفظ أنفاسها ، بينما كانت دول الغرب في ريعان شبابها وحيويتها ، وتدلّ على الشـــرق بمنجزاتها العلمية ، مما جعل مدرسة الشيخ محمد عبده وتلاميذه يسعـــون جاهدين من أجل التقريب بين الحضارتين ، ولاقوا من أجل ذلك تشجيعـــا كبيرا من الانجليز في مصر عن طريق كبار الموظفين المصريين ، وليس أدل على ذلك من الدعم الذى حصل عليه قاسم أمين من مصطفى فهمي رئيـــس الوزراء ومن بعده سعد زغلول ، الى جانب وضع الصحف والمجلات التـــي كانت بأيدى النصارى والمؤيدة للانجليز تحت تصرف الداعين الى السفور ، هذا بالاضافة الى العناية الزائدة بالآداب الغربية .

== في هذا المضمار . انظر ديوان الزهاوى ص ٣٦٧ ، يقول :

بيروت عزّ بلاد الضاد قاطبة ... بنهضة القوم فيه يضرب المثل

وللنساء لدى أهليه منزلـــة ... كما يليق بشعب هبّ يحتفل

واذا كان الزهاوى لا يرى ضيرا في مشاركة المرأة في الحياة العامة ، فان الرصافي قد عتب على العراقيين منعهم المرأة أن تعمل على خشبـــة المسرح ، وطالبهم أن يسمحوا لها باحتراف التمثيل ، انظر ديـــوان الرصافي ص ٣٤٢ :

وما العار أن تبدو الفتاة بمسرح ... تمثل حالي عزة وإباء

وهاجم عمر أبو ريشة الحجاب ، لأنه عبء فادح على المرأة ، ولأنه يفصـــق بين الفتى والفتاة ، ورمى القائلين بالحجاب بالجهل لأنهم حرموا كـــل محلل . انظر الشعر الحديث في الاقليم السورى لسامي الدهـــان ، ١٩٦٠م ص ٣١٢ - ٣١٣ يقول :

ظلموك ياحواء جهلا مطبقا ... والمرء مظلوم اذا لم يظلـــم

غلبوا نواميس الحياة فأثقلـوا ... عطفيك في عبء الحجاب المؤلم

....

هم حرّموا للناس كل محلـــل ... هم حللوا للناس كـــل محـــرم

كل ذلك فصلناه في الباب الأول ، فلا حاجة الى تكراره ، ولكننا سنحاول فيما يلي أن ندرس أهم مظاهر السفور التي عمت وانتشرت بعد أن نجح أنصاره في اقصاء الحجاب من حياة كثير من النساء .

- ٥ -

كانت المرأة في مصر تهتم بزينتها داخل بيتها ، ولا تبديها الا أمام زوجها ، ولكنها بعد أن انعتقت من أسر الحجاب تغيّر وضعها ، وأصبحت تبدى ماخفي من زينتها خارج بيتها ولغير زوجها في الطرقات والأماكن العامة دون ماهدف ، وأصبحت ترى لنفسها الحرية أن تتصرف كما تشاء دون أن يصدها أحد ، فليس للتقاليد عندها أي حساب ، فعلت المرأة كل ذلك لأنها لم تفهم من السفور سوى الاهتمام بالمظهر بعد خروجها من البيت ، ولكن الجدير بالذكر بأن بعض مظاهر السفور كالتبرج "١" ظهر

---

(١) تبرجت المرأة تبرجا : أظهرت زينتها ومحاسنها للرجال ، وقيل اذا أظهرت وجهها ، وقيل اذا أظهرت المرأة محاسن جيدها ووجهها قيل تبرجت ، وقال ابو اسحاق : أن المقصود بالتبرج في قوله تعالى : ((غير متبرجات بزينة ...)) أى اظهار الزينة ومايستدعي به شهوة الرجل ، وقيل انهن كن يتكسرن في مشيتهن ويتبخترن ، وقال القرآن في قوله تعالى : ((ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)) ذلك أن المرأة في زمن ابراهيم عليه السلام - كانت تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مخيط الجانبين ، ويقال كانت تلبس الثياب لا توارى جسدها .
انظر تاج العروس : مادة برج . ويبدو أن التبرج في حقيقته واحد في كل العصور ، وان اختلفت مظاهره .

في فترة مبكرة ، وربما كان قد انتشر بين النساء خصوصا غير المسلمات في مصر قبل دعوة قاسم أمين ، لأن قاسما عندما دعا الى تحرير المرأة كان يقصد في دعوته المرأة المسلمة ، أما المرأة النصرانية فلم تنتظر دعوته ، بل أعلنت سفورها قبل ذلك ، بسبب اختلاطها بالمرأة الغربية ودخولها مدارس الارساليات الأجنبية في وقت مبكر .

ومن أولى مظاهر التبرج التي ظهرت في مصر في نهاية القرن التاسع عشر ، اهتمام النساء بلبس القبعات ، وقد سجل جورجي ابراهيم هذه الظاهرة في قصيدة له بعنوان : " برانيط فتيات الحضر في أواخر الجيل التاسع عشر " حيث وصف نساء الحضر وهن يرتدين القبعات ، وقد رسمت عليها أغصان الأشجار أو طرزتها النساء ببعض أنواع الورود :

فلو أن ركت زرقاء اليمامة عصرنـــا
وما فيه مما يدهش السمع والبصـر "١"
وجالت تدير الطرف فيه فأبصرت
برانيط ربات الحجال من الحضر
ومن فوقها روض أريض تـرى بـه
غصونا بلا زهر وأخرى بها ثمـر
ومن تحتها القامات يحكي قوامهـا
رماحا تقد الظهر بل تفلق الحجر
لقالت لنا القول الكريم وأنشدت
لقد أقبلت أعداؤنا تحمل الشجـر

ثم ان نساء الحضر لم يكتفين بلبس القبعات المزينة بالزهور ، بل ان بعضهن لبسن هذه القبعات وغرسن فيها الريش ، وتضمخن بالعطور ، وركبن العربات التي تجرها الخيول في منظر عجيب لفت أنظار بعض العشاق فاتبعوه ، ولفت نظر نجيب الحداد ، فقال فيه :

---

(١) الثريا ، السنة الثانية ، الجزء الرابع ، سبتمبر / أيلول ١٨٩٧ م ص ١٣٩ .

من بدور تدور في المركبـــات
ومن القبعات في هـــالات "١"

كللتها أزاهر الصنع من نهـــ
ـت الأيادي ، لا من أيادي النبات

أقحوان يفاخر الثغر في الحســـ
ـن وورد يفاخـــر الوجنـــات

زهرات ماحاكها ابن سحـــاب
في ربى الروض بل بنات النبـــات "٢"

ان يكن فاتها الأريج فقد عوضـــ
ـن عنه روائـــح الغانيـــات

....

ويدور النسيم في الريش فوق الـ
ـروس حتى تخالها طائـــرات

وقلوب العشاق تتبـــع الغيـــد
تباري أفراسها الجاريـــات

تحوم الأبصار تنتهـــب الحســـ
ـن انتهابا من أعين ناهبـــات

صاح هذي هوادج الحضر اليـــو
م فخلّ الهوادج الباديـــات

كل هذه المظاهر لفتت أنظار الشعراء منذ وقت مبكر ، كما لفتتها مظاهر أخرى حرصت عليها المرأة ، منها كشف الرأس الذي ندد بـــه نجيب لاذقاني في قوله :

---

١) ديوان تذكار الصبا ، لنجيب الحداد ، مطبعة جورجي غرزوزي ، الاسكندرية ، الطبعة الثا... ١٩٠٥م ص ٤٠ - ٤١ .
٢) ابن سحاب : المطر .

يا ابنة الفضل ان خرجت لحسي

فاستري الرأس كشفه كان عـارا "١"

ومنها أنها أخذت تضع الطلاء على وجهها ، وتصبغ وجنتيهـا وتكحل عينيها وتبرز نهديها وتصبغ شعرها ، من أجل أن تظهر في حسن مصنوع وكاذب مصيره الزوال ، حتى أن الشاعر نقولا رزق الله لم يجد اسما يليق بمن تفعل ذلك سوى " غادة المرآة " فجعله عنوانـا لقصيدة قال فيها :

تميزت الحقيقة عن محـال	وأسفرت الهداية عن ضـلال "٢"
سطا ماكان يخدع من طـلاء	على ماكان يظهر من جمـال
لحا الله ابيضاضا كان يغـري	بجيدك كل أعمى القلب خـال
وخدا لم يحمره صبـاغ	وعينا لم تسود باكتحـال
وصدرا ثاكل الثديين لـولا	ندفة القطن والخرق البوالي
وحسنا كاذب الوجهين تمشـي	مطالعه على قدم الـزوال
وساعات وقفت بها مليـنا	الى المرآة وقفة ذى خبـال
ولو كانت نظيرك كل أنثـى	وكان الحسن يجلب باحتيال
لأثرى كل صبّاغ وأمسـى	غنيا من يتاجر بالغوالـي
أقلي من خضاب الشعر جهـلا	فقد خدعتك أبصار الرجـال
وقد يسود أبيض كل شـيء	سوى ما أبيضّ من سود الليالي

واذا كانت بعض النساء قد صبغن شعورهن ، حتى يخدعن الرجال ، ويبدون أصغر سنا مما هن عليه ، فان أخريات من الشابات قد صبغن شعورهن باللون الأبيض ، سعيا وراء كل جديد ولو لم يكن مستساغا ، حتى أصبحن

---

١) الهلال ، السنة السادسة ، الجزء الحادى عشر ، فبراير / شباط ١٨٩٨م ص ٤١١ - ٤١٢ .

٢) الضياء ، السنة السادسة ، ١٩٠٣ - ١٩٠٤ ، المجلد السادس ص ٥٩٩ . وانظر مجلة أنيس الجليس ، السنة السادسة ، الجزء الثامن ، ٣١ أغسطس / آب ١٩٠٣ ص ١٥٢٢ - ١٥٢٣ .

أشبه بالدمى ، وفي ذلك يقول الياس الفضهان من قصيدة له بعنوان الشيب الصناعي :

مابال شعرك بالبياض تخضبا
فبدا على عهد الشبيبة أشيبا "١"
أم ذاك لون قد غدا في عصرنا
في عرف ربات التجمل أصوبا
يادمية ان أسبلت فرعا لها
سدلت على أفق البرية غيهبا
....
كيف استعضت عن السواد بأبيض
وكسوت هذا الفرع ثوبا أشهبا
ورضيت بالشيب الذى يدعو السى
يوم الرحيل وأنت في غض الصبا
واخترت توديع الشباب بلا أسى
ودعوت أهلا بالمشيب ومرحبا
والعمر في سوق التجمل بعته
ياليت هذا البيع صادف مكسبا

ثم لم يكن الشيب الصناعي كل مارآه الشاعر من تقليد ، بل رأى المشد على الخصور ، والطلاء بألوان السموم على الوجوه ، والترائب العارية في شدة البرد ، والأحذية الضيقة كأحذية الصينيات .

كم غصن قامتك النحيف هصرته
ضمن المشد فبات فيه معذبا

---

١) الضياء ، السنة السابعة ، الجزء الخامس عشر ، ١٥ مايو/أيار ص ٤٦٧ - ٤٦٩ .

وأديم طلعتك الرقيق طليتــــه
ففدا بألوان السموم مخضبـــا
ولكم حسرت عن الترائب حيث لا
تخشين من برد يهزّ المنكبـــا
قلدّت بنت الصين في لبس الحذا
أرأيت هذا للتجمل أقربـــا ؟

أما السبب الذى دعا النساء الى تغيير أشكالهن في رأي الشاعر ، فهو لفت الأنظار والجري وراء " الموضة " ، ولأنهن على استعداد أن يمشين محدودبات الظهور ، لو كان في ذلك لفتا لأبصار الرجال اليهن ، ذلك أن النساء جبلن على حب الخديعة ، وهذا مايدفعهن الى تكلف المشيب :

للخود زي ليس يثبت فهو كـــال
حرباء يُبصر دائما متقلبـــا
يحتلن فيما يجذب الأبصــــار اذ
يوددن لو أصبحن مثل الكهربـــا
ولقد يحدّبن الظهور تجمـــــلا
ان كان للأبصار ذلك أجلبـــا
فاذا تكلفن المشيب تصنعـــا
لم يبتغين سوى الخديعة مطلبا

على أن ظاهرة " المشد " التي جاءت عرضا في القصيدة السابقة قد وجدت من يخصها بالتناول ويبين مضارها للمرأة المقلدة ، ويحذّرهـــا من مغبة ارتدائه ، لأنه كثيرا مايؤدى الى اصابتها بأمراض مزمنة ، وعنـده أن حسن المرأة لا يكون الا بمحافظتها على عفتها وتدبير شئون بيتها ورعايـة أبنائها ، أما من تقضي وقتها في المخاصرة ولعب الورق ، فلا تستحـق أن تكون أما ، يقول عيسى اسكندر المعلوف من قصيدة له بعــــنوان " المشـد " :

نـرى ولع الأوانـس بالمشـــد
كثيـرا مايقود لطـيـي لحـد "١"
فيورث صدرهنّ الرحب ضيقــا
ويوقـف نجح جسم عند حـدّ
فما حسن النساء بكلّ هـــذا
اذا لم يلـف في كـد وجـد
وطهر الثوب مع تدبير بيـــت
وتربية البنين وحسـن قصـد
فمن هزّت بيمناهـا سريـرا
فباليسرى الورى من غير بـدّ
ومن هجرت مخاصرة ورقصـا
فلا تصبو الى ورق ونـرد

وهكذا لم تدرك بعض النساء قيمة الحرية التي حصلت عليها ، وحصرت اهتمامها في العناية بمظهرها وأناقتها ، وأصبحت تبحث عن الحسن ، كأنه سلعة تباع وتشترى ، ونسيت أن الجمال لا يكون باستعمال المساحيق والتطري بصنوف الأصباغ ، وبدلا من أن تجذب الرجل نفرّته بكذبها وتصنعها ، حتى ليقول أبو ماضي محذرا منهن :

اني بلوت الغانيات فلم أجـد
فيهن قط مليحة لا تكـذب "٢"
وصحبتهن فما استفدت سوى الأسى
مايستفاد من الغواني يتعـب
وخبرتهنّ فما لبكر حرمـة
ترعى ، وأقذر من رأيت الثيب

---

١) فتاة الشرق ، السنة الثانية ، الجزء التاسع ، ١٥ يونيو / حزيران ١٩٠٨م ص ٣٤١ - ٣٤٢ .
٢) ايليا أبو ماضي ، شعر ودراسة ، زهير ميرزا ص ١٣٧ - ١٣٨ .

لا يخدعنك ضعفهن فانمـــــا
بالضعف أهلكت الهزبر الأرنـــب

ويبدو أن خروج المرأة من بيتها متبرجة قد أثار عبد الرحمن صدقي ، فهو لا يرى في خروجها من بيتها ، وقد ضمخت جسدها بالعطور ، ولطخت وجهها بالأصباغ ، الا حيوانا ضاريا أفلت من حرسه ، فسار ثائرا متخبطا ، وكذلك حواء تركت بيتها ثائرة عليه ، كأن بها ماردا يريد أن ينطلـــق ، فهي مهووسة بالحب لا يهمها أن يكون حلالا أو حراما ، وانما هدفهـــا أن تبحث عن رجل تفترسه ؛

حواء هذي قد طلعـت	كالضاري أفلته حرسه "١"
ثائرة الحسّ كأن بهـــــا	مارد بركان تحتبسه
أبدا بالحبّ مهووســـــة	سيّان هداه أودنسه
تغدو وتروح هنا وهنـــا	تبحث عن رجل تفترسه

وحذّر محمد الأسمر النساء من مغبة اتخاذهن الأصباغ غاية لهن ، وذكّر المرأة أن الحسن المصطنع لا يدفع الرجال على التهافت عليها ، فالحسن هبة من الله ، وليس سلعة معروضة في الأسواق :

قل للتي تجعل الأصباغ غايتهـــا
في وجهها خير عن كلّ مسحــــوق "٢"
لصبغة الله خيرٌ ، وهي باقيـــة
على الزمان ، ويفنى كل تزويــــق
أخت المساحيق ، ان الحسن موهبة
لا يشترى الحسن يوما ما من الســوق

---

١) حواء والشاعر ، لعبد الرحمن صدقي ، ص /٧٩ .
٢) ديوان محمد الأسمر ، شركة فن الطباعة ، القاهرة ص ٤٧٨ .

لا أكتمنك أعيى القبح سخيفسة
وان تأنق فيه كل تزويــــــق
أخت المساحيق ، لم تكذبك قافيتي
وما وضعت لها بعض المساحيـق

وأهاب خليل شيبوب بالأوانس ألا يتخذن من المتبرجات اللواتـــي يصبغن وجوههن بألوان الطلاء المختلفة مثلا يقتدين به لأنهن لو عرفـن عواقب هذا التصرف المشين لفزعن ، لقد خدعت هؤلاء المتبرجـات ، لأنهن اقتدين بالقدوة القبيحة ، فأصبحن مثلا منكرا ، ويدعوهن أن يتخذن من جمالهن وعفتهن وطهارتهن حلية يتزين بها :

لا تقتدى بهم اذا شاهدتهم
ألفوا صباغ الوجه أبيض أحمـرا "١"
لو أنهم يدرون عاقبة الطـــلا
فزعوا بأوجههم الى رب الـــورى
خدعوك بالمثل القبيح كما همو
خدعوا به ، وغدوا مثالا منكـرا
أنت الشبيبة غضة ضحاكـــة
أفتقتلين بها الحياة تحسـرا
والعاج أنت نقاوة وطهـــارة
والفجر رفاف الجوانب نـورا

ويوصي شيبوب الأوانس أن تصون محاسنها ، فالحرة اذا لطخـت وجهها ، وتبرجت صعب التفريق بينها وبين المتبرجة ، فالملاحة لاتتأتـى بالتزويق ، لأنها صنعة الرحمن :

---

١) الفجر الأول ، لخليل شيبوب ، مطبعة جريدة البصير بالاسكندرية ، ١٩٢١م ص ١٨ - ١٩ .

صوني المحاسن من عيونك محضـــــة
وتمتعـي بالعيش عذبا أخضـــرا
الفرق مابين الحرائر والفـــــــوا
جر وجههن لناظر لن يخبـــرا
فدعي التبرج والتحلـي وابسمـي
تستنزلي النجم الأغر الأزهـــرا
ان المليحة صنعة الرحمـــــن لا
صنع السحـوق مزوقا ومـــزورا

لكن أين هذه التحذيرات من المرأة التي انطلقت ، ولم تقنع بألوان التبرج السابقة ، بل أخذت ترتاد الأماكن العامة ، كما في هذه الصورة ، التي ذكرها خليل شيبوب لامرأة ، جلست تحدث رجلا مقبلا عليها ، وهي تختلس النظر الى غيره ، يقول شيبوب :

ان الذى جلست تحدثـــه يبدو محبا والمحبّ أبـــي "١"

---

١) المقتطف ، الجزء الثاني ، اكتوبر / تشرين أول ١٩٣٤م ص ١٥٧ - ١٥٨ .

وقد رسم علي الجارم صورة للفتاة المصرية ، التي تحاول أن تجمع حولها عددا كبيرا من المعجبين ،ولهذا فهي لا تمانع أن يشتـــرك أكثر من شخص في محبتها ، يصف الجارم سلوك صاحبته التي حاولت أن تجمع بين محبته ومحبة غيره ، ويحذرها من مغبة التلاعب بحسنها والاتجار به ، لأنه سيفقد رونقه لكثرة الواردين عليه ، وهذه الصـورة شبيهة بالصورة التي رسمها خليل شيبوب للفتاة التي حاولت أن تستميله دون مراعاة لمشاعر من يجالسها . يقول الجارم :

علقت غيرى وترجو صلتـــي عجبا مما ترجي عجبـــا
هل يحلّ الغمد سيفان معا ؟ أو يضمّ الغيل الا أغلبـــا ؟
. . . . . .
ان هذا الحسن كالماء اذا كثر الناهل منه نضبـــا
وهو مثل الزهر ان أكثرت من شمّه يازين ،أمسى حطبـا
وهو مثل المال ان أسرفت في بذله للسائليه سلبـــا

راجع ديوان علي الجارم ٣/١١٥ - ١١٧ .

تجني عليه اذ تخالسني نظراتها ، فأراه وهو غبي
فعلام تدنيه لتبعده وعلام ترضيه على غضب
وعلام تفريني وماعرفت أصلي ولا فصلي ولا حسبي

ان هذا الانطلاق لم يفزع المحافظين فقط ، بل أفزع المؤيدين أيضا ، لأنهم شعروا أن دعوتهم الى نزع الحجاب لم تحقق ماكانوا يرجون من ورائها ، فقد ظنوا أن تحرير المرأة من الحجاب سيفتح أمامها طريق المعالي والعلوم ، لكنهم وجدوا أنها لم تفهم من هذه الدعوة غير الجري وراء المظاهر ، حتى أن داعية من دعاة السفور وهي أوليفيا عبد الشهيد هيّج أشجانها أن ترى المرأة على هذه الحال ، فقالت في قصيدة لها بعنوان " شكوى " :

الحال هيّج أشجاني فوالمي
والنفس آسفة والعين لم تنم "١"
واحرقلباه قد أمسيت حائرة
أهكذا تصبح الآرام كالرمم
أين المعالي وأين المجد سائلتي
أين الجلال وعصر العزّ والعظم
الغرب يسمو الى العلياء مهتديا
حتى تسنّم أقصى المجد والأمم
ونحن نهوي الى قاع الحضيض وقد
تهنا بواديه بين الجهل والظلم

وسألت الرجال لخلاعة بعضهم : أين العفاف وأين الدين ؟ ومضت تستنفر الهمم ، لاصلاح هذا الفساد من أجل مصر ، لعل شهما شجاعا يتقدم الصفوف ويبيد الجهل بالحكمة ، ويعيد للمرأة حياءها وعفافها :

---

١) فتاة الشرق ، السنة السابعة ، الجزء الثامن ، مايو / أيار ١٩١٤م ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

خطب جسيم ورزء لا نظير لـــه
دمعي عليك فتاة العصر كالديـــم
لم هتكت ستور الفضل حانيـــة
رأس الخضوع لزيّ غيـــر محتشـــم
أصبحت كالعيس في البيداء سائرة
بلا حياء ، كأظعان بــلا خطـــم
أين العفاف وأين الديــن والهدي
أين المروءة ، أهل الفضل والشمم
كم من خليع ســباه لحظ غانيـــة
غدت تجرد يول اليسد والعظـــم

. . . .

فينا المثالب تترى هل يقوم لهـــا
منا شجاع يبيد الجهل بالحكـــم ؟
ضاع الحياء وظلت مصـــر نائمـــة
على عفاف غدا كالدارس الرمـــم
هي العليلة من جهل بـه منيـــت
ومن غيور على الآداب لـم يقـــم
قوموا أقيموا سبيل الحق واجتهدوا
ولا تكونوا عن الداعين في صمـــم
لا تمطلونا فما في المطل فائـــدة
بالعلم نسعد والأخلاق والشـــيم

وهذا عبد الحليم المصرى يأخذ على الشرقية الاهتمام بالمال والجمال والأزياء دون أن تفكر كأختها الغربية في طلب المجد مع الرجل ، ودون أن تتعلم مايجعلها أما صالحة تبني للشرق الرجال الذين هم في الحقيقة أسواره وحصونه :

لا تحسب المال البنات لها غنى
ففنى الهنسات طهارة وحياء "١"
الغرب شمّر للوغى فرجاله
ونساؤه في النازلات سواء
أمحاسن الغربية الهمم العلا
ومحاسن الشرقية الأزياء
نصف الحياة على النسا وانسا
ضلّ الرجال وأخطأ الحكماء
والأمهات اذا تعلمت اهتدت
ابناؤها وارتاحت الآباء
فابنين للشرق الرجال فانهم
أسواره وحصونه الشماء .

تمنى عبد الحليم المصرى أن تقلع فتاة مصر عن الاهتمام بالمظاهر ، وأن تهتم بأمور نفسها وأسرتها ، وتشارك الرجل أعباء الحياة ، ولكن هل حققت أمله ؟ وهل كان مافعلته النساء من جرى وراء المظاهر مجرد أمر عابر لابد أن ينتهي بهن الى الطريق الصواب ؟

ويبدو أن المرأة بسعيها وراء المظاهر لم تخرج عن فطرتها التي فطرت عليها ، فالمرأة الحديثة لم تختلف عن سبقتها من النساء ، فهي تظهر حبا وميلا للمعارف والعلوم ، ولكن عقلها وقلبها مشغولان بالبحث عن الأزياء مهما بلغ بها العمر ، ومهما واجهت من صعاب في سبيل ذلك ، قد تتغير أزياؤها ، ولكن حبها للتغيير ثابت لا يتغير ولا يتبدل ، فللأزياء سيطرة عجيبة على نفسها ، فلو بدا لها زي جديد ، وهي في أشد حالات الحزن ، فان ذلك ينسيها ماهي فيه ، وتتقلب مستفسرة عن هذا الجديد ، ولو كانت مريضة واستعصى شفاؤها ، ورأت جديدا في عالم الأزياء ، فانها

---

(١) فتاة الشرق ، السنة الثانية عشرة ، الجزء الرابع ، ٤ يناير / كانون ثاني ١٩١٨م ص ١٣٦ - ١٣٧ .

تنسى مرضها ، ويظهر أن عنصر الغيرة عند المرأة من أقوى العناصر التي تدفعها الى البحث عن الأزياء ، وتقصّي أخبارها ، حتى لا تتيح لغيرها أن تتفوق عليها ، ولو شاهدت امرأة أكثر منها أناقة وأوفى جمالا وأغرب أزياء ، لعصفت بها البغضاء ، ولا تفرق في ذلك بين قريبة لها أو بعيدة عنها ، وصف أحد الشعراء فطرة المرأة هذه ،فقال :

يهوى المعارف والعلوم لسانها
والقلب فيه تجنب وإباء "١"
لا شيء غير الحسن يشغل عقلها
لا العمر يذهلها ولا الاعياء
تتحول الحالات عن أزيائها
فيها ولا تتحول الأزياء
لو أنها في مأتم من أهلها
وبدت لها الأزياء فهي عزاء
أو أنها أشفت وعزّ الشفا
وبدت لها الأزياء فهي عزاء
أو أبصرت أوفى سنا من غيرها
في حسنها ثارت بها البغضاء
من غير ما نسب يثير عداوة
ان التفاضل في النساء عداء
حكم به جرت الطبيعة هكذا
وقضى الاله به وتمّ قضاء

نعم ظل حرصها على الأزياء ، وزاد حتى وجدنا العقاد يخصها بقصيدتين من شعره هي " الثوب الأزرق " "٢" و " الأثواب الثلاثة "

---

١) أنيس الجليس ، السنة الثانية ، الجزء السابع ، ٣١ يوليو/ تموز ١٨٩٩م ص ٢٧٦ .

٢) أبولو ، العدد الخامس ، يناير / كانون ثاني ١٩٣٤م ص ٤٠٧ .

حيث حكى في الثانية قصة أخوات ثلاث ، أغرين بتقليد بعضهن ، دون أن يكون للأخوة بينهن أي دور في التخفيف من حدة الغيرة ، لأن كل واحدة منهن يخيل اليها أن احترام الناس لها نابع من ارتدائها لأحدث طراز من الثياب ، ولهذا ترفض أن تشارك أختها ارتداء طراز واحد ، بل تحب أن تتفوق عليها ، ولهذا احتارت الأخوات الثلاث في اختيار الثياب على الرغم من تماثلها من حيث الجودة وغلاء الأثمان بسبب اختلاف ألوانها ، فكان ذلك سببا لتنازعهن وارتياب كل واحدة منهن بالأخرى ، يقول :

وتواصت على الثياب أخوا
ت ثلاث فتنّ بالتقليد "١"
يتسترن بالإخاء وتزهى
كلّ أخت بحسن وجه وجيد
لا تجلّ العذراء ان لم تجدها
في كساء من الطراز الجديد
فمن يقسمن بينهن شفوفا
غاليات من زاهيات البرود
لاحقات الأثمان بعضا ببعض
واختلاف الألوان جدّ شديد
فتنازعتها طيبا ، وولت
كلّ أخت بريبة المزؤود "٢"
تنتقي الثوب ثم تزهد فيه
ثم تغرى بثوبها المردود
لم يكن غيره بأخلب وشيا
لا ولا كان همها في المزيد

---

١) ديوان من دواوين نظم عباس محمود العقاد ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ص ١٦٥ - ١٦٦ .

٢) زأده : أفزعه .

حسدا والضئيل يبدو جليلا

ان رآه الفتى بعين حسود

ثم كان من النساء مع هذا من استهواها التنكر في ملابس ليس من عاداتها أن ترتديها ، فمثلا قد تلبس بعض نساء المدينة زيا ليس معروفا الا عند نساء القرى ، وذلك حبا في التغيير ، أو رغبة في التقاط صورة على هذه الحالة ، يقول أحمد زكي أبو شادى :

أوفدت رسمك للفؤاد رسولا

فجعلت منه السائل المسئولا "١"

وبدوت في ثوب القنوع وجسرة

سقت الخيال من الغرام شمولا

فيم التنكر والهوى لك فاضح

وعلام آثرت السلام عليلا

هكذا صارت المرأة بتبرجها من سيء الى أسوأ ، حتى أنها لم تكتف بما سبق من كشف رأسها وصبغ شعرها وطلاء وجهها والتفنن في زينتها ، بل تجاوزت الى كشف ساقيها وذراعيها وقص شعرها ثم تزيينه بما يشبه العمامة من الحرير ، والشعراء يتابعون خطواتها بين مؤيد لها ومنكر عليها .

أما كشف الساقين والذراعين ، فما أعجب به بعضهم فيما يبدو ، لأننا نجد حسن كامل الصيرفي يصور افتتانه بساقي امرأة رآها في حفلة رقص ، يقول :

هما فتنتان ، هما روعتان "٢"

اذا اجتمعت حسنات الغواني

فساقاك أجمل ما في الحسان

---

١) أنين ورنين ، لأحمد زكي أبو شادى ، المطبعة السلفية بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٤٣ - ١٩٢٥م ص ١٧ .

٢) صدى ونور ودموع ، لحسن كامل الصيرفي ، مطبعة كوستانوماس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٠م ص ٨٦ - ٨٧ .

كما نجد العوضي الوكيل يصف افتتانه بذراع رشيق جميل كادت تلتهمه عيناه ، وتمنى لو أنه يستطيع ارتشافه ، يقول :

هذا الذراع جميـــل   هذا الذراع رشيـــق "١"
هذا الذراع رشيـــق   يشع منه شـــروق
يغرى فمي وعيونـــي   اليه ... هذا البريق ؟
هل رشفة منـه يُـروى   صدى ويطفأ حريـــق ؟

وأما قص الشعر ، فقد قوبل بالاعتراض من كثيرين ، لأنه يذهب بحلية الله للأنثى ، ويجعل وجهها كوجه الغلام ، وهذا يعني أن القيم الجمالية عندها قد تغيرت ، فبعد أن كانت تتباهى بطول شعرها ، أصبحت لا ترغب في هذا الصنف من الشعر الطويل ، بالطبع لتأثرها بالمرأة الغربية ، فقد رأى محمد الأسمر أن النساء في مصر شاردات يتصرفن بغير توجيه ، وأنهن بقص الشعر صرن كالرجال ، يقول :

لا أرى الغيد في الكنانـة الا
شاردات راحت بغير زمـام "٢"
أى شيء فعلن بالرأس حتـــى
صار وجه الفتاة وجه الغـلام ؟
عجبا للحسان يسرقن منـــا
كل شيء لم يبق الا الأسامي
انما الشعر حلية الله للأنثـــى
وأكليلها البديـــع النظـام

---

١) أغاني الربيع للعوضي الوكيل ، مطبعة ومكتبة وادى النيل بميت غمر ، الطبعة الأولى ١٩٣٩م ص ٢٨ .
٢) ديوان الأسمر ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .
٣) الينبوع ، لأحمد زكي أبو شادي ، مطبعة التعاون ١٩٣٤م ص ٧٣ .

كما أسف أبو شادى على الجمال الذى ذهب بقص الشعر وصارت صاحبته كالغلمان ، وفقدت دلال الأنوثة وحنانها وعطفها ، ولهذا يدعوها أن ترعاه ثانية حتى يطول فتزداد جمالا ، يقول :

أسفيْ على هذا الجمال مزيفا
أكذا الحسان تعدّ في الغلمان "١"
أين الأنوثة ؟ أين أين دلالها
وحنانها بحديثها الفتّان ؟
لاكان قص الشعر ان ضحّى لنا
حلو الشعور ، وعطفك الروحاني

لكنه عاد فغيّر رأيه ، وعدّه من المحاسن التي تزيدها حسنا ،وتضاعف افتتان الرجال بها ، يقول :

كيف الشكاة وكيف ينقص حسنها
غرض ؟ وقد غلب الهناء هنيّها "٢"
فلبثت مأسور الجمال وعبده
أضعاف أمس ، وهل أكون عصيها ؟
فتمتعي يابنت عصر مدهش
ماشئت من دنيا تعزّ كميّها
وترجلي حينا ، وحينا حققي
أمل الرجال العارفيك حليّها

ومنهم أيضا العقاد الذى عبّر عن سخريته من الذاهبات الى صالونات الحلاقين في حوار أجراه بين المرأة وزوجها ثم بين زوجها والحلاق ، لتحديق أحد الجالسين فيها ، يقول :

---

١) الينبوع ، لأحمد زكي أبو شادى ، ص ٧٣ .
٢) الشفق الباكي ، لأحمد زكي أبو شادى ، المطبعة السلفية ١٩٢٦م

فأقبلت غضبى الى قرينهــــا ... وأومأت سخرا الى مجنونها "١"
قالت : ألا تنظـر للمغـرور ... حدّق في المرآة كالمسحور
مازال يرنو نحوهــا بالطـرف ... حتى لقد أخجل فيها طيفي
فأومأ القـرين للحـــلاق ... يبتسم ابتسامة الاشفـاق
وقال : قل للصاحب الصديـق ... لايكسر المرآة بالتحديـق
من يكثر اللمح لها بالليـل ... قد يعتريه خبل في العقـل

أما عمامة الحرير على الشعر المقصوص التي تزين بها المرأة رأسها ، فقد سخر منها محمود الأسمر ، لأنها زيادة في التبرج ولفت الأنظـار ، يقـول :

مشت غانيات اليوم فوق رؤوسهـا
على الشعر المقصوص بيض العمائم "٢"
خطرن بها مثل الغصون تمايلـت
بأزهارها من كلّ أبيض ناعـــم
اذا مابدت هيفاء حاملة لهـا
بدت وهي أنثى رأسها رأس عالم

ولكن علي الجندى خالفه ، وعدّها من أسباب الجمال ، لأن عمامـة صاحبته كانت كالهالة حول البدر ، ولأنها كانت تفوح بأطيب الروائح ، وعبق الزعفران والكافور من شعرها الفاحم :

عمامة من يقق الحريـر ... تضيء مثل هالة البـدور "٣"
كأنما خيوطها من نـور ... تندى بريّ الزنبق المنضـور
وعبق الجادي والكافـور ... تخالها في الفاحم المنشور "٤"

---

١) ديوان من دواوين ص ١٦٩ - ١٧٠ .
٢) ديوان الأسمر ص ٣٥٣ .
٣) أغاريد السحر ، لعلي الجندى ، مطبعة نهضة مصر ، الناشر دارالفكر العربي ، الطبعة الأولى ، ص ٣٢١ ، اليقق : شديد البياض .
٤) الجادي : الزعفران .

ولم يكن الجندي وحده الذي اعجب بعطر صاحبته وبأريجها النفاذ ، بل طالب أبو شادى المرأة أن تنثر العطر على جسدها حتى يفوح كالروض المزهر الندي ،

الروض أنت بزهره وبعطره
فوحي اذن ماشئت كالزهر الندى "١"
مهما نثرت العطر نثرك سائغ
فهو التوضوء للجمال المهتدى

لكن العجب الذى سجله أحد الشعراء ، أنهن بعد ما قصصن الشعر ، وكشفن الساقين ، ولبسن ملابس الولدان ، وتبرجن غاية التبرج ، ذهبن الى المسئولين يطلبن اذنا بالسفور ، ولا أدري أكان ذلك حقا أم أنه سخرية من الشاعر ، يقول :

انا عهدنا الشعر أجـ ـمل حلي ربات الخدور "٢"
فجززنه مترجـلا ت ، وهي مفتاح الشرور
ثم لبسن من الملا بس لهن ولدان وحور
لا شيء فوق الثوب من سيقانهن الى النحور

....

فخرجن في هذا التبر ج بعد تضميخ العطور
وذهبن للشكوى لمن لهم مقاليد الأمور
يبغين اذنا بالسفو ر ، أعن بطون أم صدور ؟
ان لم يكن هذا السفو ر ، فكيف تعريف السفور ؟
قد كان في الحسبان هذا مذ غدون بلا شعور

---

١) الشفق الباكي ص ٤٤٥ - ٤٤٦ .
٢) الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٤٥ ، ٢٥ ابريل / نيسان ١٩٢٩م ، ص ٣ .

- ٦ -

ثم كانت بدع أخرى في مجال السفور أو التبرج ، منها احتراف الرياضة ، حيث اتخذت بعض النساء من لعبة (التنس) كرة الطاولة وسيلة لعرض مفاتنها ورشاقة عضلاتها ، ولم يواجه ذلك منهما عند بعض الشعراء الا بالترحيب والتشجيع ، يصف أبو شادى بعض لاعبات كرة الطاولة بقوله :

ياجاريات في الهواء وطائرات في الهواء "١"
والضاربات اللاعبات لنا على أكسر الضياء
....
أنتنّ ماتهب الرشاقة والملاحة والرجاء

وزيادة في التضليل وتشجيعا لهن على الانطلاق من قيد التقاليد ، جعلهن باللعب يمثلن ثورة الحسن على التقاليد ، وأبدى عدم ارتياحه من المتقاعسات عن هذا النشاط ، فقال :

أنتن ثورة حسنكنّ على تقاليد الرياء
فيكنّ من روح " الألمب " حرارة للأوفياء
توحي لنا معنى النضارة والتحرر والاباء
فتيات مصر لم الخمول من الصباح الى المساء
مثل الروابي النائمات على الحقول بلا ارتواء
لا خير في موت الحياة يصاغ في رسم الحياء

بهذه الاثارة أو بمثلها تشجعت المرأة فركبت الدراجة وأطرى فعلها أبو شادى ، لأنه عنده يزيد من رشاقة القوام وسرعة الحركة وطرح الحياء ، يقول :

---

(١) أطياف الربيع ، لأحمد زكي أبو شادى ، مطبعة التعاون ، الطبعة الأولى ، ١٩٣٣م ص ١٠٩ .

ياغادة تركب في خفة
محسودة لولا رشيق القوام "١"
من علّم الحسن الدلال الذى
ينساب لا يرعى حقوق الأنام ؟
يشقّ في جمع لهم خطة
لا يرهب الجمع وفرط الزّحام

كذلك فعل علي محمود طه حين أبدى اعجابه الشديد بفتاة رآها ذات صباح ، وهي تركب الدراجة ، كأنها الفراشة ، فدعاها الى التمهل أثناء ارتيادها الطرق ولو كانت فسيحة ، وعند قفزها بدراجتها فوق العشب ، وذلك في قصيدة له بعنوان : " راكبة الدراجة " :

تمهلي فراشة الصباح أسرفت في الغدو والرواح "٢"
ماذا ارتياد الطرق الفساح والوثب فوق العشب والصّفاح
بين الروابي الخضر والبطاح بالشعر المهدّل السّباح

ولم يقف التيار بل سار بالمرأة الى غير ذلك ، فاذا هي تحمل لفائف التبغ في يديها ، وتسير بها في الشوارع والطرقات ، حتى ان باحثة البادية شكت من هذا التصرف مرات عديدة "٣" ، وهذا علي الجندى يقدم نصحه لهؤلاء النسوة ، وقد ضاق ذرعا بهن ، لأنهن طمسن جمالا ماكان ينبغي طمسه ولا العبث به ، فقال :

قل للغواني عن نصيح ضاق ذرعا بالغواني "٤"
قولا لوجه الحسن أملاه الوداد على لساني
......

١) الشفق الباكي ص ١٦٦ - ١٦٧ .
٢) علي محمود طه شعر ودراسة ص ١٧٠ - ١٧١ .
٣) النسائيات ، لباحثة البادية ص ٩٨ .
٤) الجان الأصيل ، لعلي الجندى ص ٢١٧ - ٢١٩ .

تلك الثغور الزاريـــا ت على ثديّ الأقحوان
الناطقات اللفظ مهـــ موسا كوسوسة المثانـــي
خلقتْ لتنشقنــا أريـــ ج المسك لاريح الدخان
هانت وهان بها "لمى" ماكان أهلا للهـــوان
عبث الدخان بحسنهـــا والحسن أولى بالصيـــان
طمس الدخان بهـا الفتو ر ، وكان قيدا للعيـــان
ماللحسان يـــردن أن يفللن من سحر الحسان

نعم قلدن الغربية فأفرطن ، ثم قلدن الرجل فلم يكتفين بتدخين اللفائف ، بل شاركنه كل قبائحه حتى شربن معه الخمرة وسقينها له في الأندية وأماكن اللهو ، ولم تقف جرأتهن عند هذا الحد ، بل تناولن السموم البيضاء ، فقد صوّر محمد عبد الغني حسن في قصيدة له بعنوان " قصة تبكي " فتاة في ربيع العمر ، تعلقت بهذه السموم ، فتبدلت صحتها سقما ، وأشرفت على الموت بسبب افراطها في تعاطي المخدرات :

حسناء كانت كالربيـع جميلـة
مشت السموم على ربيع جمالهـــا "١"
كانت منـورة الجبين مدلـة
مابالها لعب الردى بدلالهـا ؟
الشمة البيضاء بيـن يمينهـا
"والموتة السوداء" خلف شمالهـا
كنا نعيب على الرجال ضلالها
ما للنساء تعثـرت بضلالهـا ؟
وأشد ماتشقى عليـه جماعـة
" الشمّ " بين نسائها ورجالهـا
ان الحياة مـع السموم مذلـة
ماللنساء تزلّ في أوحالهـا ؟

---

(١) من نبع الحياة ، لمحمد عبد الغني حسن ، طبع ونشر دار المعارف بمصر ١٩٥٠م ص ١٢٢ - ١٢٤ .

الشمّ يغتال الحياة جميلة

كيف الحياة على يدى مغتالها

ولكن لماذا نلومها ولا نلوم الرجل ، وهو أحرى باللوم منها ، هل أقلع عن السموم البيضاء والمخدرات ؟ وهل امتنع عن تناول الخمور ؟ وهل ترك لعب الورق وأضرب عن الجلوس على مائدة القمار ؟ لم يفعل شيئا من ذلك ، فلماذا تحافظ المرأة على مال زوجها ، وهي تراه يبدد أمواله ، ويبعثرها على طاولة القمار ؟ لقد وصف خليل شيبوب فاتنة جلست تلعب القمار مع بعض الرجال ، وقد وضعوا الدنانير أمامهم ينتظرون الكسب أو الخسارة ، وكل يطمع أن تواتيه الفرصة ، يقول شيبوب من قصيدة له بعنوان "جميلة الورق" :

جلستِ تجيلين أوراقهم ومنها جدودهم تُعلم "١"

فتعثر هذي وتنهض تلك وأنتِ القضاء بهم يحكم

اذا ماغنمتِ واما غرمتِ سواء جلا وجهك المبسم

تدور الدنانير عليك ومنك عليهم أن يغنموا

فتجري على راحتيك الشموس وتنثر من يديك الأنجم

وهاهو حسن الصيرفي يشكو من و مهارة النساء في لعب الورق ، وقدرتهن في التغلب على الرجال ، فيرجو شريكته في اللعب أن تعطيه الفرصة في التغلب عليها ، ولو مرة واحدة ، وذلك بأن تكف عن استغلال حسنها ، يقول :

نوليني الحظّ مرة وأغلبيني ألف مرة "٢"

. . . .

ماعلى الغالب لو سلّم للمغلوب فترة

قدرة الحسن ، وهل تغلبه في الحسن قدره

سحر عينيك هو الغالب ، لاغالب غيره

---

١) الفجر الأول ، لخليل شيبوب ، ص ١٠٨

٢) صدى ونور ودموع ، لحسن كامل الصيرفي ص ٨٣- ٨٤ .

لكن الجدير بالذكر أن المرأة عرفت القمار ، وقلدت الرجل فيه منذ نهاية القرن التاسع عشر ، فقد عدّ نجيب لاذقاني واجبات الزوجة ، وجعل اجتناب لعب القمار احداها ، وحذّر من مغبة تعلق النساء به ، لأن ذلك سيجبرهن على التفريط بما هو أهم من المال :

يا ابنة العصر ان اردت كمالا
فعليك اجتناب لعب القمار ⁽¹⁾
ذاك عار على النساء وبيل
كيف ترضين يا ابنة بالعار
انما اللعب طلسم يسحر العقـ
ـل ويكوي القلوب حرقا بنار
كم نساء أنفقن كل ثمين
في سبيل القمار دون انتظار

ومما نافست فيه - مع قدم عهدها به - العزف على الآلات الموسيقية ، ذلك الذي عرفت به غير واحدة في العصر العباسي ، واتقنته بعضهن في العصر الحديث ، حتى كان قول خليل شيبوب في امرأة تعزف على المضراب (البيانو) :

أنا طاف اللطاف وقد أمسّت
على المضراب أنطقت الجماد ⁽²⁾
فأسمعنا التدلـه والتصابي
وغنانا المحبة والودادا
وأطربنا بكل رخيم سجع
اذا نحن استزدنا منه زادا

على أن من أبشع البدع التي ساق اليها التقليد ، وأقبلت عليها

---

(١) الهلال ، السنة السادسة ، الجزء الحادي عشر ، فبراير / شباط ١٨٩٨م ص ٤١٢ .
(٢) الفجر الأول لشيبوب ص ١٠٦ - ١٠٧ .

المرأة عادة الرقص الشائنة ، التي أصبحت لدى بعضهن ولدى عدد غير قليل من الأسر في مصر لاغنى عنها في الحفلات والمجتمعات ، حتى توهمت تلك الطبقة من النساء والأسر أن الرقص من ضرورات التمدن في هذا العصر ، دون النظر الى كونه مخالفا للعقيدة وغير موافق لروح الشرق وعاداته ، فضلا عن أنه مضيعة للوقت والجهد . "١"

وقد شكا عبد الله النديم من السرعة التي انتشرت بها آفات الغرب في مصر ، ومنها الرقص ، حيث يقول : ((ثم ترقى الفجور الى أن صار النساء يحضرن مجالس اللهو ؛ ويذهبن الى " التياترات" ، ويرقصن في " البالو " بأنفسهن بحضور أزواجهن ؛ ويشربن الخمور في المواخير ومجامع الأوباش ، وهن بحضرة رجالهن ...)) "٢" ، وجعل النديم الغرب مسئولا عن انتشار هذا الفساد في مصر والبلاد الشرقية ؛ لأن الغرب أفسد أخلاق الرجال والنساء ، بادخاله كثيرا من البغايا الى الشرق وفتح المحلات لهن ، وكان للخديوى اسماعيل دور كبير في ترويج هذه البدعة ، بادخاله عادة الليالي الراقصة الى قصر عابدين ، حيث كان يفتتح الرقص في قصره بحضور أعيان العاصمة وقناصل الدول الأجنبية "٣" ، وتبعه خلفاؤه في احياء الحفلات ، ولكن الآثار السلبية للرقص بدأت تظهر على السطح ، فحاولت بعض الحكومات المصرية منعه في المحلات العامة حفظا للآداب ، فلم تنجح بسبب تدخل الدول الغربية التي كان لها الحق في حماية رعاياها . "٤"

---

١) فتاة الشرق ، السنة الأولى ، الجزء الثالث ، ١٥ ديسمبر / كانون أول ١٩٠٦ م ص ٧٢ - ٧٥ .
٢) الأستاذ ، السنة الأولى ، الجزء الرابع والثلاثون ، ١١ ابريل / نيسان ١٨٩٣م ص ٧٨١ .
٣) تاريخ مصر في عهد اسماعيل ، لالياس الأيوبي ص ٢٩٥ .
٤) الهلال ، السنة الثانية ، الجزء الثالث والعشرون ، أغسطس / آب ١٨٩٤م ص ٧٢٩ .

وظل حكام مصر يقيمون الاحتفالات الراقصة في مواعيدها ، ويدعون اليها كبار الأعيان ورجال الدولة "١" ، ولفتت هذه المراقص نظر بعض الشعراء فوصفوها ، من ذلك مرقص أقيم في قصر رأس التين ، دعا اليه الخديوى عباس الثاني الذى كان يعدّ من أقوى المؤيدين لفكرة الجامعة الاسلامية ، تقول الكسندره أفرينو :

أيا قصر رأس التين باكرك الصبا
وحييت ملهى للنفوس وملعبا "٢"
تمرّ عليك الغاديات بصوبها
فتلقى هوى العباس أهمى وأصوبا
لنا كلّ عام فيك ليل كأنما
يردّ علينا حسنه زمن الصبا
وليلتنا بالأمس فيك تغيبت
مع الدهر لكن ذكرها ماتغيبا

لقد كانت ليلة التقى فيها الجنسان من المصريين والغربيين ، وراح كل يتشبه بالآخر ، فيتشبه العربي بالافرنجي ، ويقلد الغربي العربي في جو اختلط فيه الحابل بالنابل ، وظهرت الحسان في قمة جمالهن وروعة صباهن ، ويدور الرقص بين الجنسين في جو مشبع برائحة الخمر على نحو ماتقول الكسندره أفرينو :

تجمّع فيه كل لسن وأمة
وقابل فيه مشرق الأرض مغربا
ترى العرب لا يألون الا تفرنجا
بناديه والافرنج الا تعرّبا
فمن أُشد فيه تدافعها الظبا
ومن سمهريات تخاصرها الظبا

---

١) أنيس الجليس ، السنة الثانية ، الجزء الخامس ، مايو / أيار ١٨٩٩م ص ١٩٩ .

٢) أنيس الجليس ، السنة الرابعة ، الجزء السادس ، يونيو/ حزيران ١٩٠١م ص ٢٠١ .

فلست ترى الا التي هذّب الحجى
صباها والا الألمعي المهذبا
تدار علينا الراح مثنى وموحدا
تسوق لنا اللذات جمعا وموكبا
نقول اذا تبدو لدينا كؤوسها
قد أخطأوا انا حيينا لنشربا

ولم يكن شوقي بمنأى عن هذه الحفلات ، فقد وصفها في قصائد متعددة ، كما لم يكن الأمر محصورا في المراقص التي يقيمها الخديوي ، بل كانت تفد الى القاهرة والاسكندرية بعض فرق الرقص الأجنبية ، وصف الشيخ أحمد أبو علي الأزهري ليلة راقصة ، أحيتها فرقة رقص ايطالية في الأسكندرية ، حيث صوّر الحركات التي قامت بها الراقصات في قوله :

بنات روما اللواتي يلعبن بالناس لعبا "١"
هن الكواكب أمست لها المراسح قطبا
بل والشموس ، ولكن أضأت شرقا وغربا

. . . . . .

فكم تمايلن دلا واختلين تيها وعجبا

كما وصف محمد الهراوي ، مرقصا افرنجيا آخر شاهده في نهاية العقد الثالث من القرن العشرين ، حيث صوّر ماتقوم به الراقصات من حركات متناسقة ، أفقدته عقله وسبت قلبه . "٢"

كل ذلك قاد بعض أفراد المجتمع في مصر لتقبل فكرة الرقص ، وعدّوا تعلمه واجبا على الانسان العصري ، بحجة أنه رياضة بدنية وفن ينمي عند الشباب روح الفضيلة ، ويعود هم النظر الى الجنس اللطيف بعين مجردة عن الشهوة ، وهذا يعني أن الاختلاط المزري بين الرجال والنساء ، وفتح

---

١) الثريا ، السنة الثانية ، الجزء الثالث ، ١٥ أغسطس / آب ١٨٩٧م ص ١١٢ .
٢) السياسة الأسبوعية ، السنة الخامسة ، العدد ٢١٩ ، ١٧ مايو/ أيار ١٩٣٠م ص ١٠ .

طريق الشر لهم عن طريق الرقص ليس عملا مشينا ، ولكنه ممارسة لفن رفيع ، وهكذا ألبسه دعاة المدنية الغربية ثوب الفضيلة "١" ، ومنهم أبو شادى الذى عدّه السحر الحلال والدواء للحزن بقوله :

هذا هو السحر الحلال وطبّ أشجان الحزين "١"

بل يبدو أنه كان من دعاته والمتحمسين له ، فقد دعا في قصيدة له بعنوان : " ارقصي ياغادتي " احدى الفاتنات أن ترقص احسانا على الحاضرين وتخفيفا عنهم ، يقول :

ارقصي ياغادتي ارقصي يافاتنة "٢"
ارقصي في حسن احسان وعطف المحسنة
وانثرى الاحلام تفن الحسرات المزمنة
ارقصي يامهجتي ماشئت لا مستأذنة
الا من القلب المذى ناجاك تهل الألسنة

لكن ايليا أبو ماضي لم يشارك أبا شادى رأيه في الرقص ، ولم يجد فيه ماوجده ، فقد لاحظ أنه وسيلة يحصل بها الشباب والفتيات على فرصة تضمهم وتجمعهم ، ليتطارحوا الغرام ، دون خوف من أحد ، أليس الرقص عند بعض الأسر فنا ورياضة ؟ ولكنه عند أبي ماضي يؤجج نار الشهوة ، وقد أوضح الشاعر موقفه في قصيدة له بعنوان " الرقص المقنع " ، فقال :

أوفى عليها وهي ترقص كالفراشة فاشتهاها "٤"
شكت الصبابة مقلتا • فجاذبتسه مقلتاها

---

١) قولي في المرأة ، لشيخ الاسلام مصطفى صبرى ، المكتبة العربية بحلب ص ٧١ .
٢) الشفق الباكي ، لأبي شادى ص ٨٤٧ .
٣) المرجع نفسه ص ١٧٤ . وراجع في الشفق الباكي قصيدة لأبي شادى بعنوان " في مرقص " ، ص ٧٦٤ .
٤) فتاة الشرق ، السنة السادسة والعشرون ، الجزء العاشر ، يوليو / تموز ١٩٣٢م ص ٥٤٣ . وانظر ايليا أبو ماضي شعر ودراسة ص ٨٠٦ - ٨٠٧

حتى اذا ما اختار كسل فتى رفيقته اصطفاها
ورأت به من تبتغي وكما رأته كذا رآها
متلاصقي الجسمين يس ند ساعديه ساعداها
....
فانسلّ من أصحابه سرا وأغضت جارتاها
ومشى بها في روضة قد نام عنها حارساها

كذلك صوّر صالح جودت مايدور في نفوس الشباب من انفعالات أثناء الرقص الذى يبدأ بعد منتصف الليل ، وذكر أن مجرد نزول الشاب الى ميدان الرقص يثير ميوله ، ويفقده السيطرة على عواطفه ، لأنه ليس صخرا جامدا أو ملكا من الملائكة ، وتحت تأثير أنغام الموسيقى وتقارب الأجساد والتصاقها يتخلى الجميع عن حيائهم ويتصرفون بغرائزهم. "١"

وذكر خليل مردم أن الرقص ليس فنا بقدر ماهو وسيلة للحصول على اللذة الجسدية ، فقد شاهد التصاق اجساد الراقصين والراقصات ، حتى لم يعد بامكانه تمييزها ، فكأنها انصهرت وكونت جسدا واحدا ، ولاحظ مردم أن للرقص متممات لا يتم الا بها ، فاذا لعبت المدام في عقول الشباب ، فقدوا السيطرة على عواطفهم ، وراحوا يعبون من متع الحياة ، ولهذا فهو عنده مجون ولهو وبداية لسقوط الشباب في الشرور ، ورأى أن الرقص يهون على المرأة كل صعب ، فاذا تمنعت الفتاة وأبت أن تسلم نفسها للشاب ، ثم رضيت النزول معه الى حلبة الرقص ، فقد سهل عليها ماكان عسيرا ، يقول من موشح له :

---

(١) ليالي الهرم ، لصالح جودت ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ص ١٩٥٧ م ص ٤٠ - ٤١ .

لو صبت الماء مابينهمـــا
لم يكد يخلص من فرط اعتــلاق "١"
علقت كفّ بكـــف منهمـــا
شركا واختلفت ساق وســـاق

.....

كيف ترجو صحو من قد ثمــلا
بمدام وغـــرام وشبــــاب

......

زعموه يورث الجسم اضطلاعا
ونشاطا وهــو لهــو ودد
وأراه بيــن أهــواء صراعــا
ريضت النفس بــه والجســد
كل صعب فهو بالرقص يهــون
وعسير الأمر فيه كاليســـير
ربّ جـــد كامن طيّ مجون
وكبيــر مبتــداه من صغيــر

وهذا مادفع الياس فرحات أن يحذّر الآباء من مغبة السمـــاح لبناتهم أن يدخلن المراقص ، لأن الرقص عادة وافدة يجب أن تحـــارب، وهي أولى بالتأخير ، لأن مفاسدها تزكم الأنوف ، وخاطب الآباء قائلا :

اذا كانت لدى ضمائركم بقية من يقظــة ، فاعلموا أن مايروجونــه عن الرقص ، بأنه رياضة وفن ، انما هو خداع وتضليل ، وليعلمّ كـــل أب حريص على عرضه وشرفه ، أن المراقص تقود هن الى المواخير :

---

١) ديوان خليل مردم ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشـــق ص ٢٠ - ٢٣ . وانظر قصيدة أخرى له في الرقص ، الديوان ص ٣٤٤ يقول في راقصة اعتلت المنصة ليلة عيد الميلاد :

لما رقصتِ على المنصة بدعةً فأتيتِ بالابداعِ والاغراب

للغرب في الشرق عادات مقدسة
كانت وما برحت أولى بتأخير "١"
لا تتهموها فكم من زهرة حسنت
في الناظرين وساءت في المناخير
يا أيها الناس ان كانت ضمائركم
تأبى الخداع وما ترضى بتسخير
قولوا لكل أب في الشرق محترم
ان المراقص أبواب المواخير

وعلى الرغم من المساوئ التي نجمت عن انتشار هذا الداء عند بعض الطبقات وكثرة التحذيرات التي صدرت عن بعض المفكرين والشعراء، ازداد هذا الوباء انتشارا يوما عن يوم ، وراجت سوقه حتى تخصصت بعض النساء فيه وعرفن به ، وأصبحن يلاقين من تقدير الشعراء مالا يلاقيه منهم زعيم أو مجاهد ، وهذا يعني أن الرقص أصبح مهنة بعد أن كان مجرد هواية ، وسنتعرض لهذا الجانب عندما نتكلم عن عمل المرأة .

ولم يقف تقليد المرأة المصرية للمرأة في الغرب عند مجرد الاهتمام بالمظهر ، وانما سعت كذلك الى تقليدها في كل أمر تافه من الأمور ، فدخلت في مسابقات الجمال التي كانت الى عهد قريب مقصورة على نساء الغرب ، ولكن انتشار الجمعيات المختلطة التي كانت تقوم باحياء الحفلات الراقصة ، اتجهت الى هذا النوع من المسابقات ، فكانت أول جمعية اهتمت بمسابقات الجمال احدى الجمعيات المختلطة التي أسست في الاسكندرية عام ١٩١٠م "٢"

ويبدو أن اختيار ملكة جمال مصر أصبح عادة متبعة بعد ذلك ، فقد انتقد الشاعر محمد صادق عرنوس قيام الجالية المصرية في باريس بالاحتفاء

---

١) الفتح ، السنة الثانية ، العدد ٥٥ ، ٢٨ يوليو / تموز ١٩٢٧م ص ٤ .

٢) فتاة الشرق ، السنة الخامسة ، الجزء الثاني ، ١٥ نوفمبر/ تشرين ثاني ١٩١٠م ص ٧٠ - ٧١ .

بملكة جمال مصر لعام ١٩٣٥م ، وتساءل عن الفائدة التي تجنيها مصر من هذا العمل ، وعن الاستقبال الحافل الذى قوبلت به في باريس من قبل الجالية المصرية ، التي أقامت لها حفلة فخمة ؟

وهل يعني ذلك أن المصريين أرادوا أن يثبتوا للغرب أنهم أهل للاستقلال ؟ ويرى عرنوس أن حصول المرأة على تاج مزيف لا يفيد في المحافظة على عزة الوطن ، بقدر ما يفسر على أنه خنوع واستسلام ، وأن كل هذه المظاهر لا تعود بالنفع على شعب محطم الآمال مهيض الجناح ، يقول :

مصر قد أثبتت بملك الجمال
ملك أبنائها للاستقلال "١"
ولذا استقبلوا التي منحتهم
ذلك الفخر أحسن استقبال
قابلتها وفودهم باحتفاء
لم يقابل به فحول الرجال
يالتاج مزيف لم يفد شيئا
عزة الملك بل خنوع الموالي
أي نفع ينال شعب مهيض
غير حر محطم الآمال
مستباح الحمى لكل دخيل
من فتاة تفوقت في الجمال

ويضع الشاعر يده على موضع الداء ، فيرى أن كلّ ما نعانيه من متاعب ناجم عن شدة اعجابنا بكلّ ما هو صادر عن الغرب ، دون أن نحذو حذوهم في الصفات الكريمة :

---

(١) الفتح ، السنة العاشرة ، العدد ٤٦٨ ، ٢٦ رجب ١٣٥٤ هـ ص ١١ .

هي احدى مساوىء الغرب عندنـا

بعد تقليدهـا بشرّ مثـــال

داوءنا في احتذائنا أيّ لهـــو

جاء عنه قد صار جدّ عضـــال

ما احتذيناه في كريـم السجايـا

واحتذيناه في ذميم الخصـــال

— ٧ —

ثم لم يقتصر سفور المرأة على ظهورها شبه عارية في مثل هذه المسابقات، بل شاعت بين النساء مظاهر أخرى للسفور ، أفاض الشعر في وصفهـا ، ومن هذه المظاهر ، ظهور المرأة عارية على الشواطيء وفي حمامـات السباحة ، وهكذا كشفت المرأة عن البقية من جسدها ، بحجة أن لهـا الحرية في التصرف تارة والسعي وراء كل جديد تارة أخرى ، ومما يوءسـف له أن أكثر الشعراء وقف من عري المرأة وقفة المستمتع الذى رأى في مناظر النساء على الشواطيء مادة خصبة يستوحيها شعره ، حتى انهم خلدوا في شعرهم بعض أماكن الاصطياف على البحر ، وصف علي علي العزبـي مصيف رأس البر ، بأنه مسرح للغزلان ومجمع للحسن تبدي فيه النسـاء مايستطعن من ألوان الجمال ، ويتساوى فيه الناس ، فلا فرق بين أسود وأبيض أو سيد وعبد ، حتى ان الغني يتجرد عن كثير من مظاهر غنـاه ، ويقنع بالحصول على كوخ صغير كما يفعل الفقير ، والكلّ ينعم بضروب الصفـاء المختلفة ، ويتجرد من مشاغله في جميع الأوقات لاسيما وقت الأصيـل ، يقـــول :

يامسرح الغـزلان والخرّد

ومسرح الأبيض والأسـود "١"

---

١) الهلال ، اكتوبر/ تشرين أول ١٩٠٥م ص ٢٢ - ٢٣ .

يامجمع الحسن بأنواعه
ولست غير العلم المفرد
ياحاكما أصبح من عدله
مساويَ السادة بالأعبد
ان السري يغتم في كوخه
عن قصره من عيشك الأرغد
لأنت ناد لضروب الصفا
كم مصدر فيه وكم مورد
لا يشغل المرء به شاغل
وفي سوى الايناس لم يسهد
وان يجيء ذاك الأصيل الذي
يشرحنا من وقته الأسعد
اذ ن ترى الجنسين في مشهد
تجله في الشكل عن مشهد
فأغيدٌ يرنو الى غادة
وغادة ترنو الى أغيد
وتلك مع هذا جلوس وذا
يسير مع تلك يدا في يد
للشاطيء الأقرب هذا مشى
وهذه للشاطيء الأبعد

هذه الجلسة المرية على شاطيء رأس البر ، والتي زالت فيها الحواجز بين الجنسين ، عدّها الشاعر لحظات أنس تزيد النفس بهجة ونعيما ، وتمنى لها أن تدوم ، دون أن يعترض على شيء مما رآه ، مع العلم أن وصفه لهذا المنظر كان عام ١٩٠٥م :

مرأى يزيد النفس من أنسها
وأمس مثل اليوم مثل الغد
وهذا نعيم العيش ،هذا المنى
لو دام للناس ولم ينفد

لكن الماحي لا يرى في مصيف رأس البر غير مصدر للفتنة والاغـــراء ، فهو أنى تلفت لا يجد غير شباب كست الحسرة وجوههم ، وسحرتهم فتـــن الشاطيء حتى ضعفت أجسامهم ، وشحبت ألوانهم ،ومن الطريـــــف أن الماحي الذى كبرت به السن ، لا يرى في حديث الفتيات معه سوى وسيلـــة لا صطياد أبنائه والتحرش بهم :

أنى تلفت لا ألقـى سوى مهـــج
حرّى تئنّ ومسحورين أنضـــــاء "١"
ويحمي من الغيد ان حدثتني كرمـا
فما يرد ن سوى القربى لأبنائـــي

ولم يكن شاطيء بور سعيد أقل شأنا من رأس البر ، فقد وصـــف مصطفى حسن البنهاوى النساء على شاطيء بور سعيد بأنهن حوريــــات ، يتخذ ن من الأمواج سترا ومتعة ، وهن شغل الشباب الشاغل سواء جلسن على الرمل أو نزلن الى الماء :

اتخذ ن الأمواج سترا ولهـــــــوا
مثل شمس تغيب خلف السحاب "٢"
هنّ في الماء والرمال حيـــــــــاة
ومنى الحسن والهـوى الشباب

ووصف عبد الله بكرى النساء على شاطيء بور سعيد ، وقد تجرد ن من الثياب ، بأنهن لا يعترضن على تحرش الشباب بهن ولا يتمنعن عليهم ، بل ويشجعنهم طمعا في الزواج أو رغبة في الهوى . "٣"

---

١) د يوان الماحي ص ٢٥٤ .
٢) أبولو ، العدد الثالث ، نوفمبر / تشرين ثاني ١٩٣٢ م ص ٢٥٠ .
٣) أبولو ، العدد الأول ، سبتمبر / أيلول ١٩٣٢م ص ١٨ - ١٩ .

أما خليج " ستانلي " في الاسكندرية فقد نال من اهتمام الشعراء مالم ينله مكان آخر ، حتى اننا نجد اسم هذا الشاطئ يتردد على ألسنة أكثر الشعراء ، وكأنهم تواضعوا فيما بينهم ، أن يعدوه مصدرا للجمال يستوحون من مناظره أشعارهم ، فالعقاد المشفق على القلوب من سهم الجمال ، يدعوها للحظة استمتاع بما على شاطئ " ستانلي " من حسان ينسين المهموم والشقي أحزانهما ، حيث لا طلاء يستر العيوب ، وذلك في قوله :

ياويح قلبك من هدف صال المسدد أم صدف "١"
كشف الخضم طلاء هن ولا حجاب لما كشف
قف في سبيلك لحظة وانس الشقاء وما اقترف
حيث الخماص ولا طوى حيث العراة ولا شظف "٢"
ياويح قلبك من هدف بين البضاضة والهيف

وأما محمد قدرى لطفي ، فقد ذكره خليج " ستانلي " بما كان عليه حال المرأة في روما أثناء عصرها الذهبي ، وحقق له في الواقع ماكان يظنه خيالا ، فلم يكن يعتقد أن يصل الأمر بالنساء الى هذا الحد ، فيتخلصن من حذرهن ويلقين ماعليهن من ملابس كانت تستر عوراتهن ، وذلك في قوله :

أيام روما أم ملاعب قيصر
تلك الملاهي البادیات لناظري "٣"

---

١) ديوان العقاد ، لعباس محمود العقاد ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، المجلد الأول ٥/٤٢٥ - ٤٢٨ .
وصف العقاد حمام السباحة في قصيدة أخرى ، بأنه مصدر فتنة هوجاء تعصف بما حولها ، لأن الغيد من النساء يزددن فتنة اذا جردن مما يستر أجسادهن ، وأشد مايكن فتنة عند ما يكن في نضرة الصبا .
انظر ديوان العقاد ١/ ٨٩ - ٩٠ حيث يقول :
هي فتنة عزلاء بل فتن هوجاء ماتضرب به يسر
والغيد أنفذ مارمين اذا جردن عن زرد وعن ستر
ياحسنهن ومالبسن سوى ثوب الملاحة والصبا النضر
٢) الخمصانة : ضامرة البطن ، الشظف : ضيق العيش .
٣) أبولو ، العدد الثاني ، اكتوبر / تشرين اول ١٩٣٢م ص ١١٨ .

مثّلن لي ماكنت أعهد صورة
شتّان بين ممثل ومصور
أتراك أغريت الحسان فكلّهـ
نّ كواشف لك عن جمال مسفر
ماكان سرا من جسوم الغانيا
ت كشفته وعرضته في متجر
واذعته للناظرين ، فلم تخف
شغف الأديب ولا نسيب الشاعر
حذر الفتاة أزلت حسن ستاره
عنها فيالك من جريء قادر

على أن أبا شادى كان أكثر الشعراء شغفا بوصف خليج "ستانلي" اذ كان مغرما بوصف الجمال العارى ، حتى انه يمكننا القول أن كثيرا من أشعاره كانت بوقا لنشر الرذائل باسم الفن ، فهو لا يرى في خلع المرأة ثيابها على الشاطيء شيئا مزريا ، لأنها عندما تخلع ثيابها ، ترتدى ثياب الحسن بدلا عنها ، يقول :

الخالعات من الثياب أجلّها
واللابسات الحسن وهو أجل "١"
" فينوس " تمرح فيه بين مفاتن
ويلي " كيوبيد " الحزيز " أبولو " "٢"

---

١) أبولو ، العدد الخامس ، يناير / كانون ثاني ١٩٣٣م ص ٥٦٥ . وانظر أطياف الربيع لأبي شادى ص ٢ - ٣ .

٢) فينوس : آلهة الجمال عند اليونان ، كيوبيد : اله الحب ، ابولو : اله الشعر عندهم .

ويعجب أبو شادى ممن يزعمون أن تحجب المرأة وتمنعها على الرجل يزيدان جمالها ، ويعد ذلك منهم تنطعا ، يدل على جهلهم وعدم درايتهم ، فالجمال عنده رشاقة في التعبير ، وحسن المرأة لا يتمثل الا في جسدها الذى امتلأ تموجا وسحرا ، يقول من قصيدة له بعنوان : " ديمقراطية الجمال في خليج ستانلي " :

زعموا الجمال تمنعا وتحجبا
حين الجمال رشاقة التعبير "١"
لم يدره المتنطعون ، وانما
يدريه كلّ مخبرٍ بشعور
يابنت " أفروديت " حسنك ماثل
في جسمك المتموج المسحور

ويرى حسن الصيرفي في شواطيء البحر ملجئا للناس ، يطرحون فيه عن أنفسهم قيود التقاليد ، ويطلقون لأنفسهم الأعنة بحثا عن المتع واللذات ، يقول من قصيدة له بعنوان " الاسكندرية " :

فروا اليكِ سراعا من عالم كجهنم "٢"
ومن قيود ثقال ومن تقاليد تسأم
الى حياة مراح ومتعة وتنعم

---

١) الينبوع لأبي شادى ص ١٢ - ١٣ ، وانظر قصيدة " حوريات الماء من وحي شاطيء ستانلي " لأبي شادى في ديوانه ، من السماء ، مطبعة جريدة الهدى ، نيويورك ، الطبعة الأولى ١٩٤٩م ص ٣٧ . وانظر قصيدة " الصيف عند شاطيء ستانلي " في ديوانه من السماء ص ٦٥ . وانظر قصيدته (حرب الشواطيء استيحاء شاطيء ستانلي) في ديوانه ، فوق العباب ، مطبعة التعاون بالقاهرة ، ١٩٣٥م ص ١١٠ - ١١١ .

٢) صدى ونور ودموع ، لحسن كامل الصيرفي ، ص ٢٥ - ٢٧ . وانظر في المرجع نفسه قصيدة " الموجة الراقصة " ص ٨٩ - ٩٠ . وانظر ديوان أصداء بعيدة ، للعوضي الوكيل ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الأولى ١٩٤٥م ، ص ١٨ .

ووصف عبد العزيز عتيق الاسكندرية بأنها كعبة المصطافين ، وملاذ لمن تألفت قلوبهم على الحب ، وعبّر عن سروره لرؤيته الحسان ، وهن يتبخترن فوق الأمواج ويعرضن فتنتهن على المصطافين ، يقول :

عم صباحا ياكعبة المصطاف
وملاذ الأحباب والألاف "١"

....

نزل الحسن في حمى اليمّ يبدى
فتن السور في بديع ائتلاف

أيها الموج ، لا عليك ، تمتع
بمئات الحسان والالاف

هاهنا تخطر الملاحة والحسن
وتحيا لالئ الأصداف

واذا كان الشعراء الذين أتينا على أطراف من قصائدهم قد عدوا عرى المرأة على الشواطئ وفي حمامات السباحة مناظر بديعة ، تثير لديهم الاحساس بالجمال وتقوي فيهم ملكة تذوقه ، ورأوا أن المصيف مكان يتخلى فيه الانسان عن كل القيود والقيم ، وأن الزمن الذى يقضى هناك يجب أن تنتهب فيه اللذات ، فان شعراء آخرين لم يروا فيها غير أنواع من التبذل والاستهتار واندفاع الفتيات والفتيان وراء الشهوات الجامحة ، ومن هؤلاء محمد الأسمر ، الذى عدّ العاريات على الشواطئ متمردات على طبيعتهن هازئات بكل ماحذرهنّ منه ، كأن منظرهن متقلبات على الرمل سرب من الحيات ، وذلك في قوله :

---

(١) أحلام النخيل ، لعبد العزيز عتيق ، مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة ، ص ٥٩ . وانظر في نفس الديوان قصيدة " وداع الشاطئ " ص ٦٠ - ٦٤ .

ماكنَّ من ورق الوكون وانما   ورقٌ هوأت بكل ريش ناعم "١"
متقلبات لو نظرت لحسنها   لحسبتها في الرمل سرب أراقم

كذلك منهم علي الجندى ، الذي رفض مايجري على الشواطي من اختلاط وعري ، فالشبان يحومون حول الفتيات يريدون أن يشبعوا رغباتهم ، ولهذا يحذر النساء أن يقعن فريسة سهلة في أيديهم ، لأن الجمال اذا أصبح سلعة تعرض فقد قيمته وهان على ناظريه ، وخير وسيلة للحفاظ عليه أن تصون المرأة نفسها عن التبذل ، وأن لا تدع جسمها نهبا مشاعا للأنظار ، يقول :

" أليلى " في المصيف أرى عيونا
تحوم على الجآذر والظباء "٢"
فصوني الحسن ان الحسن يكسى
جلالا بالتصون والاباء

* * * *

جمالك نعمة فارعي جسما لا
به أصبحت غيظا للملاح
أعيذك أن أراه اليوم نهبا
لأنظار كأطراف الرماح

ومنهم من عبّر عن الأسى والحزن لفساد الأخلاق في البرّ والبحر بسبب هذا التلاقي بين المرأة من الجنسين ، حيث بعضهم الى بعض في حالة غرام أو احتساء خمر ، وقد رأى من صاحبه مالا يحل له أن يراه ،

---

١) ديوان الأسمر ص ٣٢٠ - ٣٢١ . الورق : جمع ورقاء وهي الحمامة . الوكون : جمع وكن بفتح وسكون وهو عش الطائر .
٢) أغاريد السحر ، لعلي الجندى ص ٣٢٠ - ٣٢٣ .

وتجلس في النادي فتاة الى فتىسوى
على الورد بين النقل والكأس والخمر "١"
هنالك كل اثنين ضمهما هسوى
وكلّ صبيح الوجه في المعرض الحر
ففي البحر سوآت وفي البّر مثلها
فياضيعة الأخلاق في البّر والبحر

وهذا شاعر رابع يرجع فساد الفتيات الى الأمهات ، لأن الفتاة افتقدت في أمها القدوة الصالحة ، ويرجع فساد الأمهات الى الأزواج ، لأنهم سمحوا لهن بالمجيء الى الشواطيء ، وغضوا أبصارهم عن تصرفاتهن لضعف فيهم أو فساد في طباعهم ، ورأى في انغماس الشباب وراء شهواتهم وأطراحهم الحشمة وعدّها من العادات البالية ماشجع أخواتهم أن يحذون حذوهم ، كما رأى فيما يدور حوله على شاطيء " استانلي " من لقاء بين الجنسين ، وتكشف مخز ، وتصرفات رعناء مايجرح الفضيلة ، ويخجل الحر، ويشين مصر ،

هل رأيت الجموع محتشدات
فوق شط الخضم أو سابحات ؟ "٢"
ضللتهن قدوة الوالدات
ومن الوالد يسن سوء أناة
ومن الزوج غض طرف لضعف
أو طباع في نفسه فاسدات
وانغماس الشقيق في شهوات
لا يبالي بمنهج الأخوات

---

١) قولي في المرأة ، لمصطفى صبرى ص ٣٦ - ٣٧ .
٢) المرجع نفسه ص ٣٧ - ٣٨ .

فاطرحن الحشمة يحسبنها مسن
بالبيات الأمنور والعـــادات

....

حالة تجرح الفضيلة حقيـــا
ولها تدمى نفس ذى النخوات
شط " استانلي " أنت عار لمصر
وعليها من أشنع الوصمـــات

لكن هذه الصرخات من بعض الغيورين على أخلاق القوم لـــم تزد هن الا ضلالا ، وظل شاطيء " استانلي " وغيره من الشواطيء مصدر فتنة وبؤرة فساد الى جانب كونه وحيا لشياطين الشعراء .

والواقع أننا لا نستطيع أن نستقصي كل القصائد ، التي اتخذت من أجساد العاريات في حمامات السباحة موضوعا لها ، لأن أكثر الشعراء تناولوا هذه الظاهرة بالوصف ، وعدّوها ظاهرة فنية تستحق منهم أن يلتفتـوا اليها ، ويخلدوها في شعرهم ، هذا الى أن نظرتهم الى الشعر اختلفت عن نظرة من سبقوهم ، فاذا كان شوقي وحافظ وأضرابهما قد جعلوا من شعرهم وسيلة للتعبير عن آرائهم فيما يدور حولهم من أحداث ، فان آخرين أمثـــال العقاد وأبي شادى وغيرهما اتجهوا في شعرهم الى النزعة الذاتية الغنائية ، وهذا ماجعلهم يعبرون عن اعجابهم بالأجساد العارية على الشواطيء باعتبارها تجسيدا لقيم فنية استوحوها من الآداب الغربية والأساطير الأغريقية ، فالمرأة والبحر عند هؤلاء الشعراء مرتبطات ، حتى انه من الصعب علينا أن نجـــد لواحد منهم قصيدة في وصف البحر دون أن تكون المرأة جزءا منها ، وصـــورة المرأة على الشاطيء عندهم تعني الانعتاق من قيود المجتمع وتقاليده ، ولأن أكثر هؤلاء الشعراء كانوا يتجهون اتجاها رومانسيا هروبيا ، نراهم يرحبـــون بخروج المرأة عن الحشمة ، وهذا يعني أن الشعر عندهم كما لاحظ بعض الدارسين أصبح دعوة الى تقديس جسم المرأة وعبادة اللذة الجنسية دون التفات الى القيم الخلقية ."(١)

---

(١) الغزل في الشعر العربي الحديث في مصر ، لسعد دعيبس ، الطبعة الأولى ، الناشر المكتبة الوطنية في بنغازي ، ط ١ ص ٦٦٢-٦٦٥

واذا كان هؤلاء الشعراء قد حولوا الشعر عن رسالته السامية التي تقتضي منه أن يكون حارسا أمينا على القيم والأخلاق ، فان شعراء آخرين التزموا برسالة الشعر ، وجعلوا منه وسيلة لتنبيه المرأة ، وتحذيرها من مغبة الانجراف وراء التقليد الأعمى ، وطالبوها أن تفكر بعقلها ، وأن تتوقف عن السعي وراء اشباع شهواتها بطرق غير شرعية .

وقد أدى انطلاق المرأة نحو المدنية الغربية الى حدوث انقلاب في حياة المجتمع المصرى ، وأصبح كثير من الناس غير قادرين على الموازنة بين التقاليد التي شبوا عليها ، والعادات الجديدة التي فرضت عليهم ، ولم يعد الأمر مقصورا على مجرد خروج المرأة من بيتها وكشفها عن وجهها ، بل وصل الأمر بها الى درجة التمرد على الرجل ، كما لاحظ جورج ألفا حين وصف مايلاقي الرجل من عسف المرأة وظلمها ، لأن عشقها للتمدن ورغبتها في التشبه بالموسرات جعلاها غير مستعدة أن تراعي ظروف زوجها المادية ، فاذا وجدت منه تقاعسا في تلبية حاجتها من المال ، تحايلت عليه بدموعها ، حتى تدفعه الى الاستدانة ، ولم تكتف بذلك بل استغلت مسايرته لها حتى سلبته حقه في السيادة على البيت ، وأصبحت الآمرة الناهية فيه ، ولكن ماذا فعلت المرأة عندما تسلمت السيادة على البيت والأسرة ؟ هل أحسنت القيام بهذا العبء ؟ وهل حافظت على أسرتها وحرصت على أخلاقها ، أم أنها تمردت على القيم المرعية وحاولت التنصل منها ؟ خلعت شعار الكمال ، وداست على عفافها ، وخانت عهد زوجها عنادا وتكبرا ، حتى أصبحت ترى العفاف قيدا دنيئا ، لا يجمل بها أن تحافظ عليه ، يقول جورج ألفا :

أسلن دموع العيون نفاقا	لكي أستدين ويظلمنني "١"
وزدن بحب الفجور ولوعا	بمستنزف مثين وجردنني

---

(١) مجلة سركيس ، السنة الرابعة ، الجزء " ٢٢ ، ٢٣ " ، ١٥ أبريل / نيسان ١٩٠٩م ص ٦١٥ - ٦١٧ .

غرسن بذور الشقاق فسادا   وكدن المكائد في المسكن
فصرت كعبد مطيع وصرن   بحكم السيادة يأمرنني
خلعن شعار الكمال لجهل   كثوب عتيق وزي فني
ودسن ستار العفاف بكبر   كأنّ العفاف لشيء دني
كسرن القيود وخنّ العهود   نسين العهود وأهملنني

ويرى الشاعر أن تشبث المرأة بالمظاهر ، وجريها وراء التمدن أفقدها صوابها ، فأهملت زوجها ، ومزقت حجابها وهجرت خدرها ،لأن الحجاب لا يتناسب والحياة المصرية ، ولأن الخدر ينافي حريتها ، خرجت الى الشوارع تغري الرجال بلين قوامها ، وتصطادهم بنظراتها ،ولا تعود الى بيتها الا بعد حلول الظلام :

رفعن الحجاب ، ركبن السحاب   نزعن الحجاب وأخجلنني "١"
هجرن الخدور ، خلعن الخصور   جعلن الصدور كروض جني
أسرن بلين القوام رجالا   وصدن الكواسر بالأعين
سرحن وفقن الظباء شرودا   ولا من رقيب ولا محسن
وعدن وجنح الظلام كفيل   بستر المعائب للمسكن

وهذا يعني أن الدعوة الى السفور والتخلص من الحجاب ، لم تأت بالسعادة والهناء للأسرة ، كما وعد السفوريون ، وانما جعلت من حياة الرجل مع زوجته جحيما لا يطاق ، فلم يعد الزوج يجد في بيته السعادة والهناء اللذين يتمناهما ، لأن رزقه لم يعد يفي بما تطلبه زوجته من وسائل التبذل ، وزوجته لم تعد تمتثي به وبمعيشته :

---

(١) المرجع نفسه ص ٦١٦ .

رغبت اقتناص الهناء احتيالا
ولكن نحسي قد صادني "١"
ورمت اكتساب اليسار بكدي
ولكنّ زمان الغنى فاتني
فكيف أكون سعيدا ، ورزقي
بجلب ابتذالك لا يكفني
وكيف يسود الوفاق وأنت
بأمر المعيشة لن تعتني
فياليت شعري ، أعدل بأنني
أذوب شقاء ولن تحزني

والشاعر في هذه القصيدة يعبر عن الأزمة النفسية الخانقة التي عاشها الرجل في بداية القرن العشرين ، بسبب التبدل المفاجيء والسريع في القيم ، فقد شاركته المرأة في تصريف أمور الحياة ، ليس داخل البيت فقط ، بل خارجه كذلك ، وأصبح للبيت مسئولان بعد أن كان الأمر منوطا بالرجل فقط ، وهذا يعني أن الشاعر يرفض القيم الغربية الوافدة ، لأنه لم ير فيها الا تحطيما لنظام الأسرة الذي كانت تقوم فيه العلاقة بين الزوجين على الألفة والتعاون ، كما يعني أن بعض الشعراء النصارى ممن كانوا يقرون السفور ، ويدعون اليه ، لم يرضوا عن تجاوزات المرأة وخروجها عن جادة الصواب ، وهذا الأمر نفسه دفع بعض الخيوريين في مصر الى تأليف الجمعيات لمكافحة الفساد ، الذى دبّ في كل طبقات الأمة ، ومن هذه الجمعيات ((جمعية مكارم الأخلاق الاسلامية)) التي أشاد محمد صادق عرنوس بفضلها ، ودعا أعضاءها الى انقاذ مصر مما هي فيه ، وحذرهم من اليأس والقنوط وعدم مجابهة الفساد الا بالاطراق ، وذكّرهم أنهم في ساحة الجهاد ، وأن عليهم أن يحتملوا المتاعب ، وطالبهم أن يقفوا في وجه أهل النفاق الذين دفعوا بالمرأة الى الخروج من بيتها والتمرد

---

(١) المرجع نفسه ص ٦١٦ - ٦١٧ .

على خدرها ، ولم يكتفوا بذلك بل زينوا لها الكشف عن جسدها لتصبح غرضا لأصحاب الشهوات ، حتى أصبحت لا ترى ضيرا أن تترك زوجها مع أطفالها ، وتخرج لملاقاة عشاقها ، وحتى أصبح كثير من الناس غير قادرين على التمييز والتفريق بين التمدن والفسق .

يامحبي مكارم الأخلاق
بلغت روحها بعصر التراقي "١"
أنقذوها فالأمر جلّ خطير
معه الصبر لم يعد بالمطاق
واحذروا اليأس صاحبا ورفيقا
انه في الحياة شر الرفاق
بعضكم ربما استعاض - قنوطا -
عن تلافي الفساد بالاطراق

....

وعزا المخلصين شبه ذهول
اذ تولى الاصلاح أهل النفاق
انهم عرّفوه وفق هواهم
بخروج النساء في الأسواق
عاريات يرتدين كلّ سبيل
غرضا للغواة والعشاق
يشغل الزوج بالعيال وتمضي
زوجه يومها مع العشاق
خلطوا الفسق بالتمدن فاغتر
كثير بلونه البراق
مزجوا حامض الفساد بحلو
لفظة صحيحة الأذواق

---

(١) الفتح ، السنة الرابعة ، العدد ١٩٢ ، ٢٧ مارس / آذار ١٩٣٠ م ص ٥٤٠ .

ويزداد حماس محمد صادق عرنوس لفكرة انشاء الجمعيات الاسلامية ، التي كانت تقصد وقف تيار التبرج ، ودعوة الناس الى حياة الفضيلة والطهارة بعد أن تردت الأخلاق وشاع الفساد ، ووقفت المرأة في وجه الآداب العامة ، فيقول من قصيدة في تحية جمعية الحضارة الاسلامية :

انظر الى الأخلاق كيف تقلصت عنها الطهاره "١"
والى تمردي المكرمات من الفساد الى القراره
والى التبرج كيف صير نا كلنا يجني ثماره
والى النساء وقد تخذن عداوة الآداب شاره
الملحدون هم الذين تعمدوا هتك الستاره

ويبدو أن غيرة عرنوس على النساء ، واشفاقه لما وصلن اليه من التهتك ، جعلاه يستمر في حملته على التبرج ، فقد آلمه منظر الفتاة وقد أبرزت جمالها فتنة للناس ، وارتدت من الملابس مايشفّ عن جسمها ، ومشت بطريقة تثير الشهوات ، وصبغت شفتيها وخديها بألوان من المساحيق ، حتى غدت دمية ، فراح يسألهم ، هل يمكن لأحد أن يرتضي مثل هذه الفتاة زوجة له ؟ وهل ماتت نخوة الزوج حتى يسمح لزوجته أن تظهر على هذه الحال ، كأنها تريد أن تدخل مزادا علنيا ؟ وهل يسرّ الزوج أن ينهش عرضه في كل مجتمع وناد ؟ ان لم يكن لهذه المتبرجة زوج يردعها عن الاستمرار في غيّها ، أليس لها أخ يحرص على عرضها ؟ أليس لها محرم عاقل يصون شرفها من الضياع ويتألم لها ؟ وذلك في قوله :

هذي فتاة حسنها رائع قد أبرزته فتنة للعباد "٢"
قد ارتدت ثوبا تعرّت به يشفّ عن أعضائها أويكاد

---

١) الفتح ، السنة الخامسة ، العدد ٢٢٤ ، جمادى الآخرة ١٣٤٩ هـ ص ٨ .

٢) الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٤٤ ، ١٨ ابريل / نيسان ١٩٢٩ م ص ٥ .

والشفتان ارتدتا قرمزا يشتد في الفتنة أي اشتداد
والخد وردا زاهيا لونسه له المساحيق شبيه السماد

. . . .

من منكم بالله زوجا لهسا تلفه اشهارها في المزاد
في معرض الحسن غدت زوجته يذكرها في كل ناد يشاد
ان لم يكن زوج فهل من أب أو من أخ أو محرم ذي رشاد
اذا رآها خرجت مرة فانتقدت آلمه الانتقاد
هل ماتت النخوة من بينكم فقال كل قد لزمت الحياد

ونشرت البلاغ الأسبوعي قصيدة بعنوان " السفور " دعا فيها الشاعر النساء أن تعود الى الحجاب ، لأن أخلاق الشباب قد فسدت ، وأصبحت الدناءة شعارا محببا الى نفوسهم ، فلا يحميها من دناءتهم سوى الحجاب ، فكيف تأمن الفتاة على عرضها ، وهي سافرة في غابة مليئة بالذئاب ؟

أتشكو من سهام اللحظ جرحا
وسهم اللحظ يقصيه الحجاب "١"
فلا تبغي حياة في سفور
متى تؤمن على شاة ذئاب
لقد تخذوا دناءتهم شعارا
يميزهم اذا عمم النصاب
تباهوا بالمفاسد ذخر قوم
أعدهم متى حلت صعاب

وعلى الرغم من الجمعيات التي استحدثت وغيرة بعض المصلحين ، لم يجد كل ذلك مع المرأة نفعا ، فقد عم داء السفور في مصر ، وأصبحت النساء يعشن ولا رقيب عليهن من ضمائرهن ، يدفعهن الى وضع حد

---

١) البلاغ الأسبوعي ، ٦ مارس / آذار ١٩٢٩م ، العدد ١٠٣ ص ٢٧ .

للفساد ، فقد مشت النساء في الأسواق مشية مريبة ، وكشفن عن سيقانهن وشعورهن ، وأصبحت محاسنهن بادية لكل فاجر بعد أن كانت مصونة ، لأنه وقر في أذهان النساء أن التبرج علامة على التمدن ، وصدقن مانمّق دعاة السفور من أقوال ، يقول ابن رواحه :

أليس في مصر من رقيب ولا على الناس من حسيب ؟ "١"
لقد فشت بينهم أمور ستفسد النشء عن قريب
انظر الى الناس كيف تمشي نساؤهم مشية المريب

....

محاسن كنّ في حجاب فصرن مرعى لكلّ ذيب
قد غرّ رباتها كلام منمق ليس بالمصيب

ويقول محمد حسن النجمي مصورا ما أدى اليه السفور من فساد ، جنت ثماره الفتيات بوارا في سوق الزواج بعد أن كره الارتباط بها من كرهوا تبذلها من المحافظين ومن غيرهم .

زعم السفور والاختلاط وسيلة
للمجد قوم في المجانة أغرقوا "٢"
كذبوا متى كان التعرض للخنا
شيئا تعزّ به الشعوب وتسبق
أيكون كشف السوأتين فضيلة
فيذيعها هذا الشباب الاحمق
مابالهم والبنت قد فتنت بما
قالوا وحلّ بها الجنون المطبق
وبدت مقاتل عرضها لرماته
حتى لهمّ به الجبان الأخرق

---

(١) الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٠٣ ، ٥ يوليو/ تموز ١٩٢٨م ص ١٢ .

(٢) الفتح ، السنة التاسعة ، العدد ٨٠٩ ، ٧ ذى القعدة ١٣٥٣ هـ ص ٥ . وانظر هذه القصيدة في كتاب "قولي في المرأة" ، لمصطفى صبري ص ١١٣ - ١١٦ .

والقول أصبح في الخروج لها فلا
كف تكفّ ولا رتاج يغلق
كرهوا الزواج بها وباتت سوقها
بعد التبذّل عندهم لا تنفق
ماخطبهم كلفوا بنزع حجابها
وتكلّفوا فيه البيان ونمّقوا

ويرى النجمي أن السفوريين بفعلهم هذا قد ضلّوا السبيل ، وغرهم بريق المدنية الغربية ، فالضعيف مغرم بتقليد القوي ، حتى أنه لا يرى في سيئاته الا حسنات ، والتمدن عند النجمي لا يكون باباحة المتع الحرام وازهاق روح الحياء ، عن طريق السماح بانتشار الخلاعة ، كما أنه لا يكون بترك الفتاة تتصرف حسب هواها ، وانما يكون التمدن بالعلم ، فقد ضلّ المشرق الطريق على حين اهتدى الغرب بالعلم :

أغدت مشاكلنا الكبيرة كلها
ذيلا يجرجره السفور المطلق
أم أنهم ضلّوا السبيل وغرّهم
ببريقه هذا الجديد المخلق ؟

....

لم يقصدوا خيرا بها لكنهم
رأوا القوي يسيغها فتملقوا
ولربما اجترح القوي خطيئة
فمضى الضعيف بمدحها يشتدق

......

ليس التمدن أن نرى روح الحيا
بيد الخلاعة كلّ يوم تزهق
والبنت يدفعها براحته الهوى
فتروح تهوى من تشاء وتعشق

لكنه العلم اهتدى بضيائه
غرب البسيطة حين ضلّ المشرق

هكذا تجاوزت المرأة المدنية ما أراد لها قاسم ، فبعد أن كشفت نقابها ، انتقلت الى الكشف عن الأذرع والسيقان والصدور ، وأسلمت أمرها الى صانعي الأزياء ، واتخذت الملابس الضيقة ، ثم ظهرت على رمال الشواطيء بما لا يكاد يستر من جسمها شيئا ، وحطمت ما كان يفصل بينها وبين الرجل في المسارح ووسائل النقل ، وتتابعت هذه التطورات في صورة مذهلة ، ولم يعد جزع المحافظين على التقاليد يفيد في شيء ، حتى ان بيوتهم أصبحت عرضة للتأثر بهذا التيار ."[1]

وبعد صراع مرير بين المحافظين وأنصار المدنية الغربية الحديثة ، كانت النتيجة في صالح السفوريين ودعاة التحرر ، حيث اختفت - أو كادت تختفي - المرأة المحجبة من الحياة الاجتماعية في مصر ، وبرزت المرأة العصرية السافرة المتبرجة ، التي اتخذت من نساء الغرب قدوة لها ، وتلك صورتها كما رسمها خليل مطران :

برزت في الغداة غادة وادي النيل تخفي جمالها في الحبير"[2]"
جثلة الحاجبيّن ، فاحمة الفوديّن ترنو بطرف ظبي غرير
عبلة المعطفين ، ناهضة الثديين يزري أديمها بالحرير
لونها ظاهر انتساب الى الخمر ، له مثل فعلها في الصدور

أما صورتها عند أبي شادى ، فهي تحب الاختلاط بالناس جميعا ، ولا ترضى أن تعيش في عزلة عن الرجال ، وتبدي حسنها في سخاء يطمع الناظر اليه ، ولا تمتنع عن مغازلة أندادها من الشبان والتلطف معهم ، يقول أبو شادى من قصيدة له بعنوان " فتاة العصر " :

---

١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢/٢٤٨-٢٥٦ .

٢) ديوان الخليل ، لخليل مطران ٢/١٨٧ ، الحبير : الناعم الجديد من الثياب .

بروح الصبّ ماتبـــــدي ... ويحض العطف كالصـــد "١"
فتاة مـــن محاسنهـــا ... جمال الطبع والقصـــد
تجلّت للعيون كمـــا ... تجلّى السعد المجدي
سخيّ حسنهـــا أبـــدا ... فيقصينا عن الزهـــد
أغازلها علـــى أدب ... فتسقيني من الشهـــد
بلا لفظ بلا قبـــــل ... حواهما الصمت في مهد

ويخيل لمن يتأمل هذه الفتاة أنها ملك ، فقد أهتمت بجمـــال جسدها ، فضيّقت على خصرها ، وتأنقت في كلامها حتى عـــذب حديثها ، وهي جريئة لا تتهيب أحدا كالحاكم المسلط ، وهي تغـــري من يريد وصلها برقتها ، لكنها سرعان ماتصده ، لأنها متقلبة المزاج :

تأملها تجد ملكـــا ... رشيق اللفظ والقدّ
جريئا من جلالتـــه ... جلالة حاكم فـــرد
ويوما جئتها فرحـــا ... لأطلب وصلها وعدي
فأغرتني برقتهـــا ... ونظرتها وما تهـــدي

. . . .

وأقصتني بما جمعت ... من الكتمان والـــردّ
فهذي حال فاتنـــة ... مثار النقد والحســد

ان هذه الفتاة كما يقول أبو شادي غلبت حريتها صرامة العادات ، فلم تسمح لها أن تتحكم في تصرفاتها ، ولكنها مع ذلك تسيطر على عواطفها ، وتكبح جماحها ، وتهزأ ممن يخشون عليها الزلل ، لأنها شديدة الثقـــة بنفسها ، وهي تحب المخاطرة ، ولا تعد ذلك عيبـــا ، لأنهـــا تعتمد على الحظ كلاعب النرد ، يقول :

---

١) الشفق الباكي ، لأحمد زكي أبو شادي ص ٤٢٨ - ٤٣٠ .

لها حرية غلبست ... هوى العادات والوجد
تسيطر غير هائبة ... ولا تقسو على العبد
وتهزأ بالظنون ولا ... تخاف سوى هوى يردي
تخاطر غير عائبة ... كملقي الحظ للنرد

وكما رسم أبو شادي صورة الفتاة المصرية رسم صورة مماثلة للمرأة المصرية ، فما هي صفات هذه المرأة ؟ وكيف تفهم الحياة ؟ وهل تستوحي الدين والأخلاق في تصرفاتها ، أم أنها تستلهم في حياتها مقاييس جديدة ؟ .

انها كما صوّرها لا تهتم بالدين ، ولا تحترم التقاليد ، بل تسير بوحي من جمالها وعقلها ، وبهما وحدهما تستطيع أن تسيطر على كلّ من حولها ، وهي عنده لا تخشى على نفسها من الرجال ، فتقابلهم في كل وقت ، وتحييهم بشعرها الجميل وبيانها العذب ، وهي مغرمة بالحديث عن الفنون والآداب العالمية ، لأنها لم تعد معجبة بآداب قومها ، كما أنها بارعة في العزف على العود . "١"

هذه الصورة للفتاة والمرأة المصريتين كما رسمها أبو شادى ، وهي لا تبعد عن صورة المرأة الغربية الحديثة ، فهل يعني ذلك أن الصورة التي كانت عليها المرأة العربية في مصر قد اختفت ؟ .

الواقع أننا لا نستطيع أن ندعي ذلك ، لأن تأثير الحضارة الغربية لم يستطع أن يصل الى أعماق الريف المصري ، على الرغم من قوة هذا التأثير ، فسلمت الريفية الى حد كبير من عبث المدنية الغربية ، اذ بقيت على تمسكها بالتقاليد والعادات ، التي سادت مصر منذ زمن بعيد ، كما حافظت على عفافها وطهرها ، ولم تفقد ماء وجهها ، فظلت حيية خجولة ، تتجنب مقابلة الرجال ، ولا تسعى لهم في مجالسهم ، لأنها ليست معنية

---

(١) أشعة وظلال ، لأحمد زكي أبو شادى ، مطبعة الشباب بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٣١م ص ٥٢ - ٥٣ .

بعرض جمالها عليهم ، حتى رأى الشعراء في سلوكها تجسيدا للعفاف والطهر والحياء ، وهي أهم الصفات التي يتمنى الرجل أن تتوفر لدى المرأة ، خصوصا بعد أن تخلت كثير من نساء المدن عن هذه الأخلاق ، وقد وصف محمد الأسمر ريفية في مقتبل العمر ، كانت تلهو بمغزلها ، فلما رأت الرجال قد اقتربوا منها فرّت مختفية ، حفاظا على سمعتها ، وخشية على طهرها حتى من النظر ، يقول :

من القرى غادة أنست صبابتها
صبابة الفاتنات اللاء في الحضر "١"

ان أنس لا أنسها تلهو بمغزلها
لهو الحمامة بين الماء والشجر

حتى رأتنا ، فقامت وهي مسرعة
تعدو وأكبادنا تعدو على الأثر

فيالها الله من عذراء نافرة
تخشى على طهرها حتى من النظر

كم في المدائن من شوهاء قد وضعت
خزّ الحرير على جسم من الحجر

---

(١) ديوان الأسمر ، لمحمد الأسمر ص ٣٤٠ - ٣٤١ .

الفصـل الثانـــي

قضـية تعليـم المـــرأة

أجمع المفكرون - كما أسلفنا في الباب الأول - على ضرورة تعليم المرأة وتربيتها ، ولكنهم لم يتفقوا على طريقة تعليمها ، فبعضهم رأى أن تتعلم ما يعينها على تصريف أمور حياتها ، والقيام بواجباتها كزوجـة وأم ، على أن تهتم المدارس بالأمور الدينية والتهذيبية ! ورأى بعضهم الآخر أن لا مانع أن تصعد الفتاة الى أعلى درجات العلم والمعرفة .

ويلاحظ أن تعليم المرأة كان في بداية عهده ، وحتى فترة طويلة في أيدي المدارس التبشيرية والمدرسات الغربيات ، أو النصرانيات من السوريات ، وهذا يعني أن تعليم الفتاة وتربيتها في مصر ظلا مصبوغين بصبغة هذه المدارس ، ولم تستطع مصر أن تتخلص منه ، حتى بعد أن أصبح التعليم تابعا للحكومة .

لكن ماذا كان موقف الشعراء من قضية تعليم المرأة وتربيتها ؟ وهل اختلفوا حول تعليمها كما اختلفوا حول حجابها وسفورها ؟

يبدو أن نظرة المجتمع الى المرأة في القرن التاسع عشر لم تكـن واحدة ، فهي عند بعضهم أصل كل فساد ومهلكة ، وهي مسئولة عما يعانيه القوم من شقاء ومصائب ، فتمنى هؤلاء لو نهذت ، وابتعدت عن المشاركة في ميادين الحياة المختلفة ، حتى لا تفسد بدهائها على الرجال حياتهم ، بينما رأى آخرون أن القرب منها أمنية ، وأن الحياة معهـا نعيم دائم ، وأن الرجل بدونها لا يساوي شيئا ، فهي كالبدر في كبد السماء ، ولكن أديب اسحاق لا يقرّ هؤلاء ولا هؤلاء ، فالصواب عنده أن المرأة في كل تصرفاتها ليست الا صورة للبيت الذي عاشت فيه والرجال الذين دعوها ، فهي شيطان مدمر اذا فسدت تربيتها ، وهي ملاك من ملائكة الرحمة ، اذا هذبت وأعطيت من العناية مايليق بها ، وفي ذلـك

يقول :

حسب المرأة قوم آفـــة ... من يدانيها من الناس هلك "١"

ورآها غيرهم أمنيــة ... فاز باللذة منها من ملك

فتمنى معشر لو نبذت ... وظلام الليل مشتد الحلك

وتمنى غيرهم لو جعلت ... في جبين الليث أو وسط الفلك

وصواب القول لا يجهلـه ... حاكم في مذهب الحق سلك

انما المرأة مرآة بهـا ... كل ما تنظره منك ولك

فهي شيطان اذا أفسدتها ... واذا هذبتها فهي ملك

وكأديب اسحاق في دعوته الى تهذيب المرأة وتربيتها كثيرون ، نخص بالذكر منهم حافظ ابراهيم ، وأحمد شوقي ، وأحمد محرم ، ومصطفى صادق الرافعي ، وخليل مطران ، لأن لكل منهم وجهة سنتبينها من شعره ففي قصيدة لحافظ ابراهيم دعا فيها الى اعانة مدرسة البنات ببورسعيد نوه بتربية البنت ، وبالمستقبل الذى ينتظرها ، وينتظر أمتها اذا ربيت على الفضيلة ، واستبانت طريقها ، يقول :

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي
في حب مصر كثيرة العشاق "٢"

من لي بتربية النساء فانها
في الشرق علة ذلك الاخفاق

الأم مدرسة اذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

الأم روض ان تعهده الحيا
بالري أورق أيما ايراق

---

١) الثريا ، السنة الأولى ، الجزء الأول ، ١٨٩٦ م ص ٥ .
وانظر في الأدب الحديث ، لعمر الدسوقي ١/ ٩٨ .

٢) ديوان حافظ ابراهيم ١/ ٢٧٩ - ٢٨٣ .

الأم أستاذ الأساتذة الألمعي
شغلت مآثرهم مدى الآفـــاق
ربّوا البنات على الفضيلة انهـــا
في الموقفين لهنّ خير وثـــاق
وعليكم أن تستبين بناتكـــم
نور الهدى ، وعلى الحيا الباقي

لكنه في الحفل الذى أقامته كلية البنات الأمريكية لتوزيع الشهادات وأثنى على الفائزات ، أبدى اعجابه بطريقة تربيتهم وفهمهم لمعنى الحياة وحرصهم على كل دقيقة فيها حرصا ليس لغيرهم ، كما نوّه بنشرهم العلم ، وهما تعلّمه قومه منهم ومن مدارسهم في بلده ، حيث يقول :

أي ، رجال الدنيا الجديدة مهلا
قد شأوتم بالمعجزات الرجالا "١"
وفهمتم معنى الحياة فأرصد
تم عليها لكل نقص كمالا
وقدّرتم دقيقة العمر حرصا
وسواكم لا يقدر الأجيالا
وغرستم للعلم روضا أنيقا
فوق دنيا الورى يمدّ الظلالا
وحللتم بأرضنا فعرفنا
كيف تنمون بيننا الأطفالا

فهل كان حافظ راضيا عن الأساليب التي اتبعتها مدارس الارساليات الأمريكية ؟ وهل كان راضيا عن أخلاق الفتيات اللواتي دفعت بهن هذه المدارس إلى أعتاب الحياة ؟ أم أن طبيعة المناسبة فرضت عليه أن يجاري القائمين على أمر المدرسة ؟ قد يكون ذلك سببا معقولا ، ولكننا نعرف

---

(١) المرجع نفسه ١/٣١٢.

أن حافظا كان من تلاميذ محمد عبده ، ومن أكثر المؤيدين لقاسم في دعوته الى تربية البنات على أخلاق الغربيات ، خصوصا الأمريكيات اللواتي عدّهن قاسم المثل الأعلى للنساء. "١"

وأما شوقي فلا يقل حماسا عن حافظ في الدعوة الى تعليم المرأة وتهذيبها ، لكنه لا يرضى أن تكون المرأة منقادة في تصرفاتها للمرأة الغربية المتهتكه ، بل يطالب أن تكون نهضة النساء قائمة على تعاليم الكتاب والسنة وسيرة السلف ، فقد دعا الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن تنال النساء حقوقهن في العلم ، ومن ثم ضرب شوقي بنسائه المتفقهات مثلا يمكن لنساء المسلمين أن يتبعنه ، ورأى أن نساء المسلمين في عصورهم الزاهية اتجهن الى دراسة العلوم والشعر وروين الحديث ، واشتغل بعضهن بتفسير آيات الكتاب ، ويستدل على ذلك بحضارة المسلمين في بغداد ودمشق وقرطبه ، فانها تشهد بما كانت عليه النساء من مكانة علمية سامية :

خذ بالكتاب وبالحديـ	ـث وسيرة السلف الثقات "٢"
وارجع الى سنن الخليـ	ـقة ، واتبع نظم الحياة
هذا رسول الله لـم	ينقص حقوق المؤمنـات
العلم كان شريعـة	لنسائـه المتفقهـات
كانت سكينـة تمـلأ	الدنيا وتهـزأ بالـرواة
روت الحديث ، وفسرت	آي الكتاب البينـات
وحضارة الاسـلام تنـ	ـطق عن مكان المسلمات

وفي قصيدة له بعنوان " المرأة العثمانية " أشاد بالأم ، وعدّها نورا وهدى ورحمة من الله ، فالأم هي التي تربي الأبناء على الجبن

---

١) المرأة الجديدة ، لقاسم أمين ، راجع ص ٧-٨ ، ٦٧ - ٦٨ .
٢) الشوقيات ١/١٠٣ - ١٠٤ .

أو الشجاعة ، وبامكانها أن تجعل من أبنائها رجالا راشدين يتصرفون بحكمة وتعقل ، ويرى شوقي أن المرأة مليكة بيتها ، وهي الآمرة الناهية فيه ، وتربية أبنائها لابد أن تكون صدى لخلقها وسمو شرفها ، فالطفل كالببغاء مغرم بالتقليد ، يأخذ من أمه ماعودته عليه ، والانسان يشبّ ويكبر على ماتعود ، يقول :

أنت شعاع من عقل	أنزله الله هدى "١"
لولا التقى لقلت : لم	يخلق سواك الولدا
ان شئت كان العير أو	ان شئت كان الأسدا
وان ترد غيا غوى	أو تبغ رشدا رشدا
والبيت أنت الصوت فيه	، وهو للصوت صدى
كالببغا في قفص	قيل له ، فقلّدا
يأخذ ما عوّدته	والمرء ماتعودا

وهذا يوضح أن شوقيا لم يكن متحمسا للدور الذى كانت تقوم به المدارس التبشيرية ، فقد كان يرى أن تربية المرأة وتعليمها ينبغي أن ينهضا على أساس اسلامي ، هذا الى أنه كان يرى في تربية المرأة التركية مايدعوه الى الاعجاب بها ، وحض نساء مصر على تقليدها .

وكان أحمد محرم من أكثر الشعراء حماسا لتعليم المرأة ، وتثقيفها ثقافة تلائم طبيعتها ، على الرغم من كونه من أشد الشعراء تمسكا بالحجاب ووقوفا في وجه دعوة قاسم أمين ، ولكن الحجاب عنده لا يمنع تعليم المرأة ، فالأم المتعلمة تدفع أبناءها الى مراتب العز والكرامة ، وهو غير راض عما يحيط بالمرأة من جهل وضعة واستسلام للخمول والكسل ، ويرفض أن تبقى جسما ميتا لاحراك فيه ، فقد أفزعته هذه الحالة ، يقول :

---

١) المرجع نفسه ٢٨/٢ .

سئمنا حياة المستميت المصفّد
وأفزعنا صوت المهيب المندد "١"
وطارت بنا عن مجثم الهون هبة
أخذنا لها الأسباب في كل مصعد
ومن يستنم للحادثات يمتنه
ويدرجن منه فوق شلو مبدد
أتعرف شعبا لم تلده عليمة
مهذبة ، فاستنّ سنة سؤدد
اذا نحن علّمنا البنات سمت بنا
الى سورةٍ من يفترعها يمجد

ويهيب محرم بالشعب أن لا يسمح لروح اليأس أن تسيطر عليه ، وأن يكون حريصا على اعداد الأم اعدادا صالحا ، لأنها اما رحمة وهدى بعلمها ، واما نكبة مدمرة بجهلها ، واذا كانت الأم ذات خلق عال ورأي سديد نشأ الشعب على قوة الأخلاق وصدق العزيمة ، أما من يعترضون على تعليم الفتاة بحجة أن العلم يفسد أخلاقها ، فانه يدعوهم الى عدم التسرع ، فرب فتاة جاهلة تقضي بجهلها على بلدة بأكملها ، وعنده أن المجتمع لا يصلح الا اذا كانت لديه عناية بالفتاة ، التي تدبر البيت ، وتحسن تربية الأبناء ، يقول :

لا تيأسوا وأعدّوا الأم صالحة
فهي السبيل الى اصلاح ما فسدا "٢"
الأم للشعب اما رحمة وهدى
أو نكبة ما لها من دافع أبدا

---

١) ديوان أحمد محرم ٢/١٠٢ .
٢) ديوان محرم ٢/١٥٠ ، وانظر شاعر العروبة والاسلام ، احمد محرم ، لمحمد ابراهيم الجيوشي ص ١٧٥ - ١٧٦ .

لا يذهب الشعب في أخلاقه صببا
والأمّ تذهب في أخلاقها صعدا
لن ينفع العلم والأخلاق فاسدة
والنفس جامحة لا تتبع الرشدا
وجاهل ظنّ أن العلم مفسدة
للبنت فانتقص التعليم وانتقدا
مهلا فربّ فتاة أهلكت أسرا
بجهلها وعجوز أفسدت بلدا
أعملت رأيي في معنى الحياة لمن
يبني الحياة فكان البيت والولدا
هذا يصان بتدبير ومعرفة
وذا يعدّ لاصلاح البلاد غدا

ثم عاد الى تأكيد دور الأمهات وبيان أنهن الهانيات بمن ينشئن ، لأن الأم اذا صلحت وكانت داعية خير قدمت للأمة جيلاً صالحا يسهم في بناء الأمة ورفع مكانتها ، واذا كانت جاهلة فاسدة أفسدت أبناءها وقدّمت للأمة جيلا يهدم مابنى غيره ، ويفسد على المجتمع حياته ، يقول :

رأيت الأمهات لكل شيء	يكون لدى الممالك محدثات "١"
دعاة الشرّ والاصلاح منها	ورسل الموت فيها والحياة
فهنّ يكنّ اما بانيات	اذا نهضن ، واما هادمات
اذا ما الشعب شبّ على صلاح	فمن تلك السجايا الصالحات
واذا كان الفساد له قرينا	فمن تلك المفاسد والهنات

وهذا يعني أن معارضة محرم لدعوة قاسم كانت مقصورة على السفور ، أما تعليم الفتاة فقد كان محرم من أكثر المتحمسين له ، لأنه يؤمن بحاجة المرأة الى العلم ، كي تخرج به من الظلمات الى النور ، وتمارس دورها في

---

١) ديوان محرم ٢/١٤٥-١٤٦ .

تربية الشعوب ، وتنشئة الأبناء على الخير والصلاح ، وكان محرم يصدر في رأيه هذا عن عقيدته الدينية التي تدعو الى العلم ، وتجعل طلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة ، كما تجعل صيانة المرأة عن الابتذال والحفاظ عليها من أوجب الواجبات .

أما مصطفى صادق الرافعي فيرى أن الشرق كله أشبه بانسان مريض يردد أنفاسه ، لشدة مايعانيه من تأخر وجهل ، فقد تعقدت سبل النجاة في وجهه ، وأصبح انقاذه مما هو فيه معضلة كبيرة وأمرا صعبا ، ولو أراد واحد من العقلاء أن يصوّر هذه المعضلة لكانت صورة لامرأة اصطبغت حياتها بمختلف أنواع الجهالات :

تعقدت والتوت كالمستحيل فما
تريك من موضع فيها لامكان "١"
لو صوّروها لكانت صورة امرأة
مصبوغة من جهالات بألوان

وعنده أن الصلاح لهذه المعضلة لا يكون الا بتربية المرأة تربية روحية سليمة ، حتى يجد الشرق في روحها شفاء دائه الروحي ، وفي عواطفها فطرة الدين الخالصة ، وفي صفائها عهد الملائك ، وفي حنانها عهد الأنبياء ، وفي فضيلتها مايغريه بالفضيلة ، ولو أنه وجد الأم المنشأة على هذه الصفات ماصار الى الذل والهوان ، ولكن أنّى له بها ، وقد تلقاها بنوه على الفطرة ، فأفسدوها بسوء القدوة ، وحجبوها عن النور ، حتى صارت كالمرآة في يدي أعمى :

---

(١) حديث القمر ، لمصطفى صادق الرافعي ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م ص ١١١ .

ربّوا لذي الشرق ياقومي مروضـــة
تحنو عليه باحساس ووجـــدان "١"
تطبـه روحها مما ألمّ بـــه
فانّ أقتل داء الشرق روحاني
يرى عواطفها الأديان خالصــة
اذا تلعّب أهلوه بأديـــان
يرى بها عهده عهد الملائك ال
برّ الطبيعي في حسن واحسان
يرى هنانا كعهد الأنبياء ومـا
تشتاقه الروح فيه منذ أزمـــان
يرى الفضائل بعد اليأس قد ظفرت
آمالهن ونالت قلب انسان
ربّوا له الأم ياقومي فلو وجدت
في الشرق ماطاح في ذل واهوان
تلك التي ترفع الدنيا وتخفضها
بطفلها ، فهو والدنيا بميـــزان
تلك السماء التي تلقي لهم ملكـا
فلا يرونه الا كشيطـــان
تلك التي جعلوها في المنازل كال
مرآة مطروحة في دار عميـــان
ذنب الرجال ، ولكن النساء بـه
معاقبات بآلام وأشجـــان
كمقلة العين في آلامها اعتلجت
والداء ماسّ منها غير أجفـان
لهفي لغاية عذراء ماوضعت
الا بمنزل أسواء وأضغا ن

---

(١) المرجع نفسه ص ١١١ - ١١٢

وهذا يظهر أن الرافعي مهتم جدا بتعليم المرأة ، لأن في تعليمها صلاحا للأسرة ، والبيت عنده ليس سجنا للمرأة ، وانما هو مدرسة تربى فيه وتعد ، من أجل القيام بوظيفة الأمومة على خير وجه .

أما خليل مطران فقد دعا الى تربية المرأة واعدادها للقيام بوظيفة الأمومة ، فالأم اذا لم تنل حظها من العلم والأدب ربّت أجيالا ليس فيها نفع لأمتها ، بل ربما تكون وبالا على الوطن وخسارة تحلّ به ، يقول :

اذا الأم أخطأها حظّها من العلم والأدب العاصم "١"
غدا نسلها مربحا للعدا وخسرا على الوطن الغارم

وعبّر مطران عن رغبته في تعليم البنات ، عن طريق مساهمته بقصائده في المشاركة بالدعوة الى انشاء المدارس لهن "٢" ، فألقى قصيدة بمناسبة افتتاح مدرسة للبنين والبنات ، تبرعت ببنائها احدى نساء النصارى السوريات ، فأشاد مطران بفضلها ، وأثنى على صنيعها ، بينما لام القوم الذين ضنوا بأموالهم على دور العلم ، يقول :

يامن بنت بيد في الله أيسدة
صرحا على أسس الفضل المتين بني "٣"
أثني عليك وأثني عن مؤاخذة
يراعتي لفريق بالعلى قمن
بوركتِ مثريةً سنّت بقدوتها
لكلّ غانية نهجا وكلّ غني
وبوركت في بيوت العلم مدرسة
زادت مدينته تيها على المدن

---

١) ديوان الخليل ، لخليل مطران ٢/٢

٢) انظر المرجع نفسه ٢/٢ . حيث دعا مطران في قصيدة له الى تعليم المرأة ، لأنه أقصر طريق يصل به الشعب الى تحقيق أمانيه ، لأنه لا حياة للأمة اذا لم تكن الأمهات متعلمات ، يقول :

هذب بنات الشعب ان شئت أن تبلغه أقصى المنى من أمم
ان لم تكن أم فلا أمة وانما بالأمهات الأمم

٣) المرجع نفسه ٣/٣٠١ .

منارة بين كثر من منائرهـــا
فيها الهدايات للألباب والسفن
تديرها مسعدات باهرات حلى
من كلّ طالعة شمسا على غصـن

على أن الدعوة الى الاعتناء بتربية الأم لم تظل محصورة في شعر الشعراء من الرجال ، وانما شاركت بعض النساء في هذا المجال ، فقد حضت أوليفيا عويضة على تربية الأم ، لأنها معدن الأبناء ، وملهمة المفكرين وكاشفة الهموم ، تقول :

الأم أفق في سماء سعودها ... أبناؤها بين السماء بدور "١"
الأم أستاذ الفلاسفة الاولى ... بقيت معارفهم ومنها النور
الأم صخر للرزية دافع ... بالمكرمات كما تشاء تسير
فيها النعيم فعلموها سادتي ... لا علم الا علمها المبرور

وعدّت منيره هنا البنت فخرا للبلاد ، وزهرة لا يجف عبيرها اذا تسلحت بالعلم والأخلاق ، وترجو المجتمع أن يحسن الى الفتاة بتعليمها وتخليصها مما يحيط بها من جهالات ، حتى تقوم على تهذيب الجيل الجديد بهمة ونشاط ، فالأم اذا تعلمت كان لها تأثير عجيب على من تربيهم من الأبناء ، فتصيّرهم بعلمها غرسا يانعا ، يحب العلم ويتجه اليه اقتداء بها ، وعلى فتيات مصر أن يندفعن نحو العلم ، حتى ينهضن مما هن فيه من جهالة ، وأن لا ينصرفن عن العلم الى الاهتمام بالمظاهر :

البنت بالأخلاق والعرفان ... فخر البلاد وزهرة الأزمان "٢"
فتعهدوا روض الفتاة تجد لكم ... بالزهر فهي أسيرة الاحسان

---

١) فتاة الشرق ، السنة السابعة ، الجزء الأول ، ١٥ أكتوبر / تشرين أول ١٩١٢ م ص ٢ .
٢) فتاة الشرق ، السنة الثانية عشرة ، الجزء الثالث ، ١٥ / ديسمبر / كانون أول ص ١٠٥ .

بثوا العلوم بعقلها كي لا تُرى لخزعبلات الجهل من سلطان
فتهذّب النشىء الحديث بهمّة عليا يقصر دونها القمران
للأم تأثير عجيب مطلق فيمن تربيهم من الولدان
فتصيّر الأبناء غرسا يانعا يسقى بوابل علمها الهتّان
فتيات مصر الآن قمن بنهضة لا تنصرفن لزينة الأبدان

وربما كانت نبويه موسى من أكثر الشاعرات حرصا على تعليم المرأة ، ودفعها الى السير في طريق العلم ، فالعلم عندها خير وسيلة لعلو مكانة الوطن ، خصوصا ذلك العلم الذى يكون سببا في رقي الفتاة ، فيجعل منها أما مبصرة ، والنساء في رأي نبوية أساس كل فضيلة ، فاذا تدهورت أخلاق النساء ، أصبح الفضل صحراء مقفرة ، والمرأة المتعلمة تكون عونا للرجل وبمساعدتها يصل الى آماله ، فاذا تقاعست عن الوقوف الى جانبه خاب سعيه وفشل ، والمرأة اذا تعلمت طاب عنصرها ، وتنوّر عقلها وقوّمت ميول أولادها :

ولخير ما تعلو به أوطاننا
علم تواليه الفتاة فيثمر "١"
علم تعزبه الفتاة وترتقي
وتسود حين تكون أما تبصر
أن النساء عماد كلّ فضيلة
فاذا هوت فالفضل قاع مقفر
ان النساء يد الرجال وعونهم
فاذا هوت خاب الرجال ودمّروا
ان النساء تقيم ميل وليدها
فاذا ارتقت طابت وطاب العنصر
ان النساء اذا تنوّر عقلها
بالعلم ، فهي أجلّ ذخر يذخر

---

١) ديوان نبوية موسى ، الطبعة الأولى ، ١٩٣٨م ، مطبعة مجلة الفتاة بمصر ١/٢٢ .

لا ترتقي أمم بغير نسائهـــا
أبدا وتعلو بالنساء وتفخـــر
هذي نساء الغرب قد طارت به
فوق السها ، والشرق لاه ينظـــر
من رام للأوطان عزا فليكـــن
لمعاهد الفتيات عونا ينصـــر

ويبدو أن حماس نبوية موسى لتعليم المرأة لم ينضب ، لأن جهلها سيكون وسيلة هدم لكل ماتقوم الأمة ببنائه ، ومصر لن تسود ولن يرتفـــع شأن أبنائها مالم تتعلم الفتاة ، لأن تأثيرها في نفوس القوم لا ينكـــره الا مكابر ، واذا كان من الصعب على شعب من الشعوب أن يرقى ويتقدم دون أن يعلم بناته ، فان من الظلم أن نلقي بهناتنا الى معاهد لا تحســن رعايتهن ، وتبث في نفوسهن الغرور والاستهزاء بالوطن وقيمه ، تقول :

والبنت أصل رقي الشعب ان جهلت
مال البناء الذى نرجوه وانهدما "١"
فعلّموها تسد مصر بها وكفـــى
أن تغرس المجد في الأبناء والشيما
تأثيرها في نفـوس القوم ينكـــره
من أنكر الشمس في الأفلاك واتّهما
فكيف نرضى بأن نلقي بهـا عبثـــا
الى معاهد لا ترعى لنا الذمما
تبثّ في نفسهــا ماشاء منشئهـــا
من الغرور فتنسى المجد والشمما
قد أهمل الشرق اعـلاء النساء وفي
رقيّهن فخار الشـرق لو علمــا

---

١) المرجع نفسه ١/١٦ - ١٧ .

واذا كانت الشاعرة قد نبّهت الى الخطر الذي يتهدد الفتيات ، من جراء دراستهن في مدارس الارساليات فانها رأت خطرا آخر لا يقل أهمية عن سابقه ، وهو عبث رجال السياسة بالتعليم وتسخير الفتيات لخدمة أغراضهم الحزبية وتحقيق أطماعهم ، دون النظر الى المصلحة العامة تقول :

غرسي أخاف عليه من وقع الردى
بعد الكمال وذاك غرس طيّب "١"
أرجو لبنت النيل كلّ فضيلة
لا تعبث الأيدي بها أو تلعب
ويحارب الدهر الخئون مآربي
ويعينه نزق الرجال فيغلب

وتنعي نبوية موسى على رجال الفكر اهتمامهم بأمور لا تفيد المرأة في شيء ،فقد دعا بعضهم الى تمثيلها في البرلمان ، لكنهم أهملوا شئون المدارس ،حتى عجزت عن القيام بواجبها ، وتحض المخلصين أن يهتموا بدور العلم ، وأن يتعهدوا المرأة بالنصيحة ، فعسى أن يتراجع المفسدون عن خططهم المدمرة :

حاولتم الاصلاح في تمثيلنا
وتركتم للعلم دورا تخرب
ولّوا الى دور العلوم وجوهكم
وتعهدوها بالنصيحة واكتبوا
فعسى يضيق المفسدون ،فانهم
أخفوا بما فعلوا الكمال وغيبوا

وبالنظر فيما أوردنا من الشعر الذى تناول قضية تعليم المرأة ، نستطيع القول أن الدعوة الى تعليمها لم تكن مقصورة على الشعراء الذين

---

(١) المرجع نفسه ١/ ٤٣ - ٤٤ ، يراجع قصيدة أخرى لنبوية موسى ، بعنوان " شكوى من التعليم " ١/ ٤٦ - ٤٧ .

أبدوا السفور ، بل انه يمكننا القول أن الشعراء المحافظين على الحجاب أبدوا حماسا منقطع النظير في دعوتهم الى تعليم المرأة وتربيتها ، من أجل اعداد الأم الصالحة ، التي تستطيع أن تربي أبناءها تربية صحيحة قائمة على احترام العادات والتقاليد .

على أن من الشعراء من تابع مسيرة الفتاة وانتقالها من مرحلة الى أخرى ، فقد هنأ الماحي ابنة له تدعى سعاد ، بمناسبة نجاحها في الامتحان النهائي لاحدى مراحل الدراسة ، ودعاها الى الاستمرار في طريق العلم والعلى ، وتمنى لها التوفيق في روحاتها وغدواتها الى المدرسة ، وهو مغتبط بنجاح ابنته التي استطاعت أن تجني ثمار جدها ، وشجّعها أن تستمر في التقدم على طريق العلم خطوات أخرى ، فقال :

هيا (سعاد) الى العلى مشكورة
ميمونة الروحات والغدوات "١"
هذي ثمار الجدّ حان قطافها
فخذي هنيئا أطيب الثمرات
جاوزتِ مرحلة فدونك غيرها
كم دون غاي العلم من خطوات

ثم يشير الماحي أن طبيعة العصر وظروفه تحتم على الفتاة أن تخوض غمار العلم ، وتشارك أمثالها من الفتيات ، بل وتسابقهم في هذا الميدان ، حتى تستطيع بجهادها أن تبني لنفسها حياة مملوءة بالأمجاد ، دون أن تخشى الزلل ، لأن طريق العلم الذى سلكته مأمون العثرات ، ولا يرى الماحي في تعليم الفتاة مايضيرها ، لأن العلم الصحيح لا ينافي الدين ، فكلاهما نور يضيء طريقها في الشدائد ، ويجنبها مواطن الزلل ، ولها من مكارم الأخلاق أفضل عدة ، ومن الفضيلة خير وسيلة للسمو ، فلتتزود من كليهما ، يقول :

---

(١) ديوان الماحي ص ٩٨ - ٩٩

دار الزمان فأصبحت ظبياته
يبرزن للآساد في الأجمات
دار الزمان فسابقت فتياته
فتيانه ، فسبقن للغايات
كلٌّ يجاهد في سبيل حياته
ان الجهاد قوام كلّ حياة
فاسمي الى المجد الذى تبغينه
فسبيله مأمونة العثرات
الدين والعلم الصحيح كلاهما
نور يقيك مواطن الشبهات
ومكارم الأخلاق أفضل عدة
لك في الشدائد ، بل أعز قناة
ان الفضيلة للسمو وسيلة
تاج الفضيلة حلية الفتيات

لكن الجامعة المصرية لم تفتح أبوابها للفتيات الا بعد وقت ليس بالقصير من تأسيسها ، لأن المجتمع المصري لم يكن يستسيغ اختلاط الجنسين في دور العلم ، وقد أشار شوقي الى دور الأميرة فاطمة بنت الخديوى اسماعيل في تأسيس الجامعة المصرية ، حيث تبرعت بما كانت تملك من أرض وحلي "٢" ، وتمنى شوقي لو أن الله مدّ في عمرها ، حتى تشيد جامعة أخرى للمرأة التي تخلصت من حجابها ، وتحررت من التقاليد التي تقف في طريق تعليمها ، ويرى شوقي في الأميرة فاطمة اسماعيل صورة أخرى عن سكينة بنت الحسين في عطفها على العلم والأدب ، يقول :

ياجزع العلم على " سكينة " الموقرة "٢"
أمسى بربع موحش منها ودار مقفرة

---

١) في الأدب الحديث ، لعمر الدسوقي ٢/١٧٤ .
٢) الشوقيات ٣/٨٨ - ٨٩ .

من ذا يؤسي هذه الـ جامعة المستعبـــرة
لو شئت شدت مثلها للمرأة المحـــررة

حتى اذا كان حزب الأمة الذى أدار ظهره لفكرة الخلافـــة ، ونادى بالاصلاح الفكري والسياسي على الطريقة الغربية ، واستبدل فكـــرة الوطنية بفكرة الدين ، شجع سفور المرأة واختلاطها بالرجال ، وأنشـــأ احمد لطفي السيد مفكر حزب الأمة قسما ليليا في الجامعة المصرية تلقى فيـــه المحاضرات على النساء "١" ، ثم قبل أول مجموعة من الفتيات تقدمن للدراسة في الجامعة ، وحرص أن يتم ذلك في هدوء ، دون أن يشعر عنه شيء فـــي الصحف ، حتى لا يثير قبولهن احتجاجا من قبل المحافظين الذين لا يؤيدون الاختلاط بين الجنسين . "٢"

ويبدو أن أمر قبول الطالبات في الجامعة ظل طي الكتمان ، حتـــى أنهين دراستهن ، فأقام الاتحاد النسائي الذى كانت تتزعمه هـــدى شعراوى حفلا لتكريم خريجات الجامعة المصرية ، أنشد فيه خليل مطـــران قصيدة أثنى في مطلعها على هدى شعراوي ، التي أثمرت جهودها فـــي اخراج جيل جديد من النساء ، يستطيع مواجهة الحياة المصرية ومتطلباتها ، ويصف عهد خريجات الجامعة بأنه عهد رقي ، فقد سبقت هؤلاء الخريجـــات أترابهن ثقافة وعلما ، وغزون قلوب الرجال بفضلهن ، فلم يعدن بحاجـــة الى الحلي ، كي يتزين بها ، لأنهن استغنين بعلمهن عن الذهـــب واللؤلؤ ، الذى كانت نحورهن تتقلده ، يقول :

بشت غراسك عن بواكير القصد
وبدت تباشير الهدى للمهتـــدى "٣"

---

١) الحركة النسائية الحديثة ، لاجلال خليفة ص ٨٤ .
٢) احمد لطفي السيد (أستاذ الجيل) للدكتور حسين فوزى النجـار ص ٢٧٥ . وكان لطفي السيد ممن حضروا حفل افتتاح الجامعة العبرية في القدس ، ممثلا للجامعة المصرية .
٣) ديوان الخليل ، لخليل مطران ٤ / ١٦٣ .

تتجدد الدنيا فمن يبغي بهـــا
أن يدرك الغايات فليتجـدد
بوركتّ ياعهد الرقي وبوركـــت
متبوئات الصدر في هذا الندي
هنّ اللدات السابقات ثقافــــة
أخواتهن من الملاح الخرّد
الفازيات قلوب عشاق النهــــى
بالفضل لا بمثقف ومهنـد
الغانيات بمعنويات الحلـــى
عن لؤلؤ بنحورهن وعسجـد

ويشير مطران الى العلوم التي تلقتها خريجات الجامعة والتخصصات التي خضن فيها ، حيث حلّقن في سماء العلم ، فدرست واحدة منهـن الحقوق ،لتصبح محامية تصون للناس حقوقهم ، وترد عنها من تسول لـه نفسه الاعتداء عليها ، واتجهت ثانية لدراسة الطب ، كي تضمد جـروح المصابين وتحنو عليهم ، ودرست أخريات الآداب حديثها وقديمها ، وقد اتخذن من عفافهن قيدا يتقيدن به ، دون النظر الى أمر سواه ، وهـؤلاء الخريجات اللواتي بلغ عددهن تسعا يعدهن الشاعر رائدات لمن بعدهن ، حيث أصبح طريق التعليم الجامعي مفتوحا على مصراعيه لكل الفتيات اللواتي يرغبن فيه :

ونصيرة لأولي الحقوق تصونهـا	ممن يصول على الحقوق ويعتدى
وطبيبة تأسو ، ولا تقسو فمن	يدها يمر النصل مرّ المرود
وأديبة بلغت مدى مطلوبهـا	في العلم من مستطرف أو متلـد
زاد التأهب للغمار عفافهـا	وبغير ذاك القيـد لم تتقيـد
تسع برزن من الصفوف تواركا	للاحقات الشوط جدّ ممهـد

ويتوقع مطران أن تصبح الفتاة منافسا قويا للشباب من الذكور ، لأنهـن وردن مناهل العلم التي وردوها ، ويتمنى أن تكون الساحة عنوان المتنافسين ،

فالتسابق على المعرفة بين الجنسين ، هو السبيل الأمثل الى العلى ، وهذا الطريق هو الذى يقيل الشعب من عثراته ويعزز مكانته :

نافس فتيان الحمى فوزن منهنا
يرد ون لا والعرفان أصلح منورد
نعم التنافس والمطالب حقنسة
فهو السبيل الى العلى والسؤدد
وهو المقيل لكل شعب عاثسر
وهو المعز لكل شعب أيد

وفي بداية مرحلة دخول الطالبات الجامعة ، خصصت لهن مقاعد ، ولكن بعد مضي عشر سنوات ، ألغت الجامعة ممثلة في مديرها أحمد لطفي السيد هذه المقاعد ، لتصبح الدراسة مختلطة ، وقد أثار هذا التصرف بعض طلاب الجامعة ، فرفعوا التماسا الى مديرها وأساتذتها ، يطلبون فيه الفصل بين الطلاب والطالبات ، وادخال التعليم الديني في الجامعة [1] ، ولكن هذه الطلبات قوبلت بالرفض ، يقول أحمد لطفي السيد : ((فقامت ضجة تنكر علينا هذا الاختلاط ، فلم نأبه لها ، لأننا على يقين أن التطور الاجتماعي معنا ..)) [2]

وقد وقف مصطفى صادق الرافعي الى جانب الطلاب ، وحيا فيهم الروح الطيبة ، التي كانت سببا في ازعاج المسئولين عن الجامعة ، ورأى أن مطالبهم تصدر عن تعاليم الدين الذى لا يبيح الاختلاط ، وتمثل قوة روحية جديدة ، لأن الشباب يريد مع حقيقة العلم حقيقة الدين ، ويريد قوة النفس مع قوة العقل ، ودعا الرافعي رجال الجامعة أن يفرقوا بين حرية الفكر وحرية الأخلاق ، فان كان هناك شيء اسمه حرية الفكر ، فليس هناك شي اسمه حرية الأخلاق ، ويرى أن التعليم في الجامعة بغير دين

---

١) الاتجاهات الوطنية ، للدكتور محمد محمد حسين ٢ /٢٦١ .
٢) احمد لطفي السيد ((أستاذ الجيل)) ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

يمضم الشخصية ، هو تعليم الرذيلة تعليمها الحالي "١" ، وظل الرافعي على تأييده لمواقف الطلاب ، فكتب مقالا آخر بعنوان ((شيطان وشيطانة)) "٢" سخر فيه ممن يدّعون أن تجربة اشتراك الجنسين في الجامعة قد نجحت ، وأنه لم يحدث خلالها مايدعو الى قلق القلقين والمنادين بالفصل .

ويبدو أن طلاب الأزهر قد اشتركوا مع زملائهم في المطالبة بضرورة منع الاختلاط في الجامعة المصرية ، فجنّ جنون هدى شعراوى التي كانت تعمل على تشجيع الاختلاط ، وأرسلت برقية الى شيخ الأزهر ناشدته فيها أن يتدخل ، لمنع طلاب الأزهر من الخوض في هذا الموضوع ، زاعمة أن الذين يعملون ضد الاختلاط ، انما يعملون ضد وحدة الأمة ، وقالت في برقيتها : ((أناشد فضيلتكم ايقاف الفتنة القائمة ضد الجنسين باسم الدين البرئ ، لتدارك عواقبها السيئة في وحدة الأمة ورقيها)) . وأرسلت برقية أخرى مماثلة الى رئيس مجلس الوصاية الأمير محمد علي توفيق ، قالت فيها : ((روح خبيثة بدأت تنفث سمومها بين الطبقات وبين الجنسين باسم الديمقراطية والدين ، مهددة وحدة الأمة وسمعتها بين الأمم المتمدينة .....)) "٣" .

ويبدو في هاتين البرقيتين جزع هدى شعراوى على ضياع جهودها ، فيما يتعلق بارساء قواعد الاختلاط ، لأن الوقوف في وجه الاختلاط على حد زعمها ، يهدد سمعة مصر بين الأمم الغربية التي تعده علامة من علامات التقدم .

على أن هذه المعركة بين المحافظين ودعاة السفور والاختلاط كانت آخر المعارك ، فقد أصبح الاختلاط بعدها صفة مميزة للحياة الاجتماعية في مصر ، وفي مختلف نواحي الحياة العامة ، اذ خفتت بعدها أصوات

---

١) وحي القلم ، لمصطفى صادق الرافعي ، دار المعارف ١٩٧١م ، ٣/١٥٨ - ١٦٢ . وراجع مقالة أخرى للرافعي بعنوان " قنبلة بالبارود لا بالماء المقطر " .

٢) المرجع نفسه ٣/١٦٣ - ١٦٩ .

٣) المصرية ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، أول ابريل / نيسان ١٩٣٧ ص ٨ .

المعارضين ولم يعد صوتهم مسموعا .

ولم يقتصر أمر اختلاط الفتيات بالشباب على الجامعة المصرية فقط ، بل تعدى الأمر الى أكثر من ذلك ، حيث سافرت الفتيات الى أوروبا من أجل الدراسة في جامعاتها ، ليعدن بعد تخرجهن للعمل في الجامعة المصرية ، فقد كتب محمد عبد الغني حسن قصيدة هنأ فيها "زينب كامل" بمناسبة تخرجها من جامعة انجليزية ، وتعيينها معيدة في الجامعة المصرية ، وعبّر عن اغتباطه بنجاحها ، وعدّ عملها في الجامعة فتحا جديدا للمرأة ، وشكر لها دأبها على تحصيل العلم ، واتخاذها الكتاب صديقا ، حيث يقول :

نجاح يسرّ العلا طيّب	وفتح من الله يازينب "١"
دنوتِ فلا العلم في مجده	زهاكِ ، ولا غرّك المنصب
صديقك في العلم هذا الكتاب	وصاحبك المخلص المكتب
وسلوتُكِ البحث عما يفيد	وغيرك سلوته الملعب
فما صدّها مذهب الجامدين	ولا غرّها ذلك المذهب
ولكنما أطربتها المعالي	وكل كريم بها يطرب
أعيدي الحديث على مسمعي	فان المجيدة قد تطرب

وكما هنأ زينب بنجاحها هنأ "دريه شفيق" بحصولها على الشهادة الجامعية من " السوربون " وأثنى على جدها وقوة عزيمتها ، التي حفزتها الى المغامرة في سبيل طلب العلم ، والانكباب على المطالعة والدراسة ، حتى حازت قصب السبق :

أديبة قد نجحت في الأدب	وبلغت في العلم أعلى الرتب "٢"
واتصلت فيه بأقوى سبب	وغامرت وشمّرت في الطلب
بين الدراسات وبين الكتب	وحازت السبق فيا للعجب

---

١) من نبع الحياة ، لمحمد عبد الغني حسن ص ١٦١ - ١٦٢ .

٢) المرجع نفسه ص ١٥٥ .

وأيضا عبّر عن اغتباطه بنجاح "فاطمة فتحي" التي تمكنت من الحصول على شهادة في علم النبات من جامعة انجليزية ، وعدّها الشاعر مفخرة للبنات ، وطالبها أن تضع علمها تحت تصرف المصريين ، وأثنى على ثباتها وتصميمها :

نجحتِ وكنت مفخرة البنات فهاتي علمك المذخور هاتي "(١)"

ونلتِ على أناتك كل حمد وما كسب المحامد كالأناة

يزينك الثبات ورُبّ ركن من الدنيا يقوم على الثبات

ثم قرر أن الزمان قد تغير ، وأن ثقة الفتاة بنفسها قد ازدادت ، وأن عزيمتها وهمتها قد حفزاها أن تتخذ من العلم نورا تحتذى به ، بعد أن كانت مجرد دمية محبوسة في البيت ، تعيش في غياهب الجهل ،

دار الزمان وأصبحت فتياتنا
يطلبن كالرجل الحياة سواء "(٢)"
في الجامعات ترى لهن مقاعدا
وترى لهن عزيمة ومضاء
يمشين يسرعن الخطا في عالم
تأبى خطاه أن تكون بطاء
سبحان من ملأ الفتاة عزائما
وأشاع فيها الهمة العلياء
العلم نوّرها وكانت دمية
مقصورة وغيابة سوداء

ان هذا النور الذى قادها الى منابر الخطابة والبيان بعد جهاد طويل ، قد ألهج شاعرا آخر في التنويه به ،فاستطاعت المرأة بجهادها أن تمسح الأذى الذي علق بقلبها نتيجة المعارضة ، التي واجهتها

---

١) المرجع نفسه ص ١٥٩

٢) المرجع نفسه ص ١٦٥ - ١٦٦ .

أول الأمر ، فأصبح لها الحق أن تسابق الرجال ، سعيا وراء الفضائل ، حيث يقول :

سطعت بين بيان زاهر
كالدراري وأحاديث طليه "١"
وكفاح نسج النصر بمنسه
لابنة الثغر برودا قصبيه
وانتجاع العلم في نائي الربا
أو بأكناف المروج الجامعيه
وجهاد مسحت فيه الأذى
عن قلوب قرحتهن الأذيه
بعض هذا الفضل في ساح العلا
منح المرأة حق الأفضليه

وهكذا نجحت الجامعة في اخراج جيل من النساء قادر على التحدث في كل أمور الحياة ماعدا أمر البيت والزوج ، وهذا يعني أن الجامعة أصبحت تكمل الدور الذى كانت تقوم به مدارس الارساليات .

على أن الدعوة الى تعليم الفتاة لم تكن حكرا على شعراء مصر ، بل شارك شعراء الأقطار العربية الأخرى في هذا الميدان ، فقد كانت بلاد الشام أسبق من غيرها الى تعليم البنات ، لأن الارساليات الأجنبية نزلت سواحل سوريا ولبنان قبل أى بلد عربي آخر ، وأنشأت المدارس ، وكان حليم دموس من الشعراء الذين اتخذوا شعرهم وسيلة لتشجيع البنات على نهل العلم ، وحذر الفتيات من السعي وراء الاهتمام بالمظهر واهمال الدين ، لأن العلم خير زينة للفتاة ، وأن من تهمل العلم تقضي حياتها متألمة ، ويذكر الشاعر الفتيات بأن اليابان ودول أوروبا لم تصل الى ماوصلت اليه الا بجدها

---

(١) من وحي الاسكندرية ، لعادل الغضبان ، مطابع دار المعارف بمصر ١٩٦٣م ص ٤٩ - ٥٠

وعلمها ، ورجا حليم دموس أبناء وطنه أن يربوا فتياتهم على العلم الصحيح ، فالفتاة الشرقية المتعلمة نور يضيء للشرق حياته ، ويشحذ عقول بنيه :

ماذا يفيد فتاة العصر ان لبست
أثواب خز بلا دين وايمـــــان "١"
فالمرء ان لم يزنه علمه فلســـــه
عمر يقضي بآلام وأشجـــــان
فانهضن نحو المعالي مثلمانهضت
رجال سكسون أو أبطال يابـــان
رقوا الفتاة على العلم الصحيح لكي
نلقى البلاد بأزهار وعمـــران
رقوا الفتاة فتاة الشرق فهي لنا
شمس الحياة وتنوير لأذهـــان

ويتمنى حليم دموس أن تنهض الفتاة الشرقية ، كي يستطيع الشـــرق أن يجارى الغرب في جدّه ونشاطه ، فقد طال أمد الجهل ، حتى أصبح الناس أرقاء له :

يا ابنة الشرق انهضي حان القيام
لنجاري الغرب جدا واعتـــزام "٢"
طال عهد الجهل في أوطاننـــا
واسترقّ الناس والناس نيـــام

وكان مصطفى الغلاييني ممن تحمسوا لتعليم المرأة ، فقد حمل علـــى قومه وسخر منهم ، لأنهم ناموا على الجهل وأعماهم تعصبهم عن أهمية تربيـة الفتاة ، ولهذا يدعو النساء أن يتخطين مرحلة الجهل والضعف بنهضـــة

---

١) ديوان حليم ، لحليم دموس ، مطبعة دار الأيتام السورية بالقدس ١٩٢٠م ، ١/١١٨ - ١١٩ .
٢) المرجع نفسه ١/١٠٥

تحيي الآمال المعلقة عليهن ، فلا حياة للعرب الا اذا صفا عيشهم مما به من كدر ، ولن تطيب لهم حياة الا اذا أصبحت سيدة الدار قادرة على تنمية عقلها ورعاية أولادها :

يامعشر الآنسات ، الخطب منسكب
والجهل يسطو ، وفي أهل الحمى خور "١"
فانهضن تحيين آمالا معلقــة
بكنّ ، يقضي عليها اليأس والضجـر
حياتنا أن نرى في العرب جمهرة
منكنّ ، يصفو بها عيش لنا كدر
وهل يطيب لنا ورد الحياة ، وما
في الدار سيدة ينمو بها العمر
تحوط أولادها بالصالحات ، كما
تحنو على الدار ، ان دارت بها الغير

والغلاييني لا يقصر الغاية من تعليم النساء على مجرد قيامهن بواجب الأمومة ، ولكنه يريد للمرأة أن تتخذ من علمها وسيلة للعمل وكسب الرزق ، اذا ما أصابت أحداث الزمن رب الأسرة ، ولكن خروجها من خدرها للعمل والكسب يجب أن لا يفقدها عفتها ، بل عليها أن تتخذ من عقلها وحيائها رقيبا عليها :

تلازم الشغل ، ما تنفك عاملـة
بالعلم تزهو ، وبالأعمال تفتخـر
وان تكن برزت من خدرها بـرزت
يحفها الأطيبان : العقل والخفـر

واذا كان الغلاييني قد أيد عمل المرأة في حالة اضطرارها ، فانه حذرها في الوقت نفسه من السعي وراء مظاهر المدنية الخادعة ، فالسعي

---

(١) ديوان الغلاييني ص ٢٠٦ - ٢٠٧

وراء التفرنج ، سيف يحزّ عنق المرأة :

وذري التفرنج لا يغرّك برقــــــه
تلك السيوف تحزّ في الأوداج "١"
ليس التمدن ما علمتِ ، وانمــــا
يرجـو العلا بالصالحات الراجي

ولم يقف شعراء العراق متفرجين على الجهل الذى كان يطبق علـى النساء في العراق ، وانما اندفعوا في قصائدهم ينبهون الى ضرورة تعليـم المرأة ، فالأم اذا أحسن الشعب اعدادها سمت بأخلاق أبنائها ، فأخلاق الأبناء صورة عن أخلاق أمهاتهم ، والطفل الذي ترعاه أم واعيـة متعلمة لا تقاس أخلاقه بأخلاق طفل آخر تربى في حضن امرأة جاهلة ، وقد عبّر الرصافي عن وجهة النظر هذه بقوله :

فحضن الأم مدرسة تسامت
بتربيـة البنين أو البنـــات "٢"
وأخلاق الوليد ، تقاس حسنا
بأخـلاق النساء الوالـــدات
وليس ربيـب عالية المزايـــا
كمثل ربيب سافلة الصفـــات

ويشكو الرصافي من شدة الجهل الذى يخيم على النساء ، ويحـــول بينهن وبين تربية الأبناء على الفضيلة ، ويفزع الرصافي الى أم المؤمنيـــن عائشة - رضي الله عنها - فيشكو لها تعنت المسلمين وجهلهم ، لأنهـم يرفضون تعليم النساء ، فقد أصبحت العادات عندهم دينا يدينون به ، فكان ذلك سببا في شقائهم وشقاء نسائهم ، فألزموهن الاقامة في البيوت ، وصدوهن عن سبل الحياة والعلم :

---

١) المرجـع نفســه ، ص ٢٠٩ - ٢١٠
٢) ديوان الرصافي ، ص ٣٤٩ - ٣٥١ .

أأم المؤمنين اليك نشكو مصيبتنا بجهل المؤمنات
فتلك مصيبة يا أم منها (نكاد نغص بالماء الفرات)
تخذنا بعدك العادات دينا فأشقى المسلمون المسلمات
فقد سلكوا بهن سبيل خسر وصدوهن عن سبل الحياة

ثم يعرض الرصافي الحجج التي يعترض بها المعترضون على تعليم المرأة ويفندها ، فقد زعم هؤلاء أن العلم يحتاج الى الصبر والجلد ، وليس عند المرأة منه شيء ، اذ سرعان ماتضيق به صدور الفتيات ، وزعم آخرون أن الجاهلة أكثر حرصا من المتعلمة على عرضها ، ولكن الرصافي يعد كل ذلك كذبا ، ويرى أن طريق التعليم في هذا العصر اختلفت عما كانت عليه في عصور سابقة ، فبعد أن كان يلقن للمرأة في بيتها ، أضحى تحصيله غير ممكن الا بارتياد المدارس :

وقالوا : انّ معنى العلم شيء
تضيق به صدور الغانيات
وقالوا : الجاهلات أعف نفسا
عن الفحشا من المتعلمات
وكان العلم تلقينا فأمسى
يحصّل بانتياب المدرسات

وهذا يعني أن وجهات نظر شعراء الشام والعراق قد تلاقت مع وجهات نظر شعراء مصر ، في ضرورة افساح المجال للفتاة كي تنال حظها من العلم ، من أجل اعدادها لوظيفة الأمومة ، والقيام بوظيفة رب الأسرة في حالة موته أو مرضه .

ولو حاولنا أن نعود ثانية الى التأمل في الشعر الذى تناول قضية تعليم المرأة في مصر ، لوجدنا أن مواقف الشعراء تطورت كثيرا عما كانت عليه بادىء الأمر ، فقد كانوا ينظرون الى تعليم الفتاة على أنه وسيلة للقضاء على جهلها وتخليصها من الخرافات ، كي تتمكن من تربية أبنائها ، وتمكّن الشرق بهذه التربية من نهضته .

وقد سلك الشعراء في سبيل دعوتهم هذه اتجاهين ، أحدهما محاولة اقناع المرأة بضرورة أن يكون تعليمها منسجما مع تعاليم الكتاب والسنة ، وأن تتخذ من نساء السلف قدوة لها ، وكان شوقي ممن يمثلون هذا الاتجاه ولكن بعضهم الآخر ، ومنهم حافظ ابراهيم اعجبوا بنمط التربية الفرنسية للبنات ممثلة لهم في كلية البنات الأمريكية ، وتفرّد محرم من بين الشعراء بموقف واضح ، فقد كان متحمسا في دعوته الى الاعتناء بتربية المرأة تخليصا لها من الجهالات ، لكنه ظل مصرا على ضرورة التمسك بالحجاب ، الذى لا يعيق الفتاة عن تلقي دروس العلم .

واتفق جميع الشعراء على خطورة الدور الذى تلعبه الأم في ترقية الشعوب أو هدمها ، ثم لم يكتف بعض الشعراء بمجرد الدعوة الى تعليم المرأة ، لتقوم بواجباتها نحو الأسرة فقط ، بل دعوا الفتاة الى خوض غمار العلم ، لتنافس الفتيات في هذا المضمار ، وعبّر هؤلاء عن اغتباطهم بالفتاة المصرية التي دخلت الجامعة ، وجلست الى جانب زميلها ، كي تتلقى العلم ، كما عدّوا هذه الخطوة تحولا في حياة المرأة ، أهلها أن تنطلق الى حياة العمل .

وهكذا تغيّر الحال ، فبعد أن كان الغرض من تعليم المرأة مجرد تهذيبها ، كي تكون أما صالحة ، أصبح الهدف منه اعداد الفتاة ، كي تنافس الشاب في ميدان العمل ، بغض النظر عن كونه ملائما أو غير ملائم لطبيعتها .

والغريب في الأمر أن الشعراء الذين اغتبطوا بدخول المرأة الى الجامعة لم يشيروا الى المتاعب التي ستتعرض لها المرأة نتيجة اختلاطها بالرجل ، هذا الى كون الاختلاط أمرا لا يقره الدين ، بل عدوا دخول الفتاة الى حياة الدراسة المختلطة انتصارا على من اعترضوا على الاختلاط .

الفصل الثالث

قضية عمل المرأة

- ١ -

كانت واجبات المرأة حتى أواخر القرن التاسع عشر محصورة في نطاق البيت والأسرة ، وكان الرجل وحده المسئول عن كل ماتحتاجه الأسرة من خارج المنزل ، ولم تكن العادات عند أكثر الأسر ، خصوصا العريقة منها تسمح بخروج النساء من البيوت الا عند الضرورة ، وفي حالة رغبة بعض أرباب الأسر الموسرة في تعليم بناتهم ، كانوا يحضرون لهن المدرسين الى البيوت ، ولكن تأسيس الارساليات الأجنبية لبعض مدارس البنات في عهد اسماعيل ، وهجرة كثير من نصارى الشام الى مصر مع زوجاتهم ، اللواتي درسن في معاهد البعثات التبشيرية ، ثم عملن في التدريس بعد اقامتهن ، كل ذلك أدى الى نشوء طبقة جديدة من النساء في مصر حاولن أن يدخلن ميدان الأدب والصحافة ، وربما كانت عائشة التيمورية من النساء القلائل اللاتي تلقين علومهن في المنازل ، فقد أحضر لها والدها اثنين من الأساتذة ، تلقت على أيديهم مبادىء الخط والفقه والنحو واللغة الفارسية ، ثم حفظت القرآن ، واتجهت بعد ذلك الى الدواوين الشعرية ، فتربت عندها ملكة الأدب ، فنظمت الشعر بالفارسية والتركية والعربية "١" ، وكان لديوانها " حلية الطراز " الذي نظمته بالعربية ، وقع خاص في النفوس ، لأنه يمثل ميدانا غابت عنه المرأة في مصر منذ زمن طويل ، فقرّظه كثير من معاصريها ، وربما كانت

---

(١) عائشة التيمورية ، شاعرة الطليعة ، لمي زيادة ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٥م ص ٩٠ .

وردة اليازجي من أكثر الشعراء اهتماما بالديوان ، لأنه أنار صبح المرأة بعد ليل بهيم - على حد تعبيرها - وقد وصفت اليازجية عائشة التيمورية بأنها درة في جبين العصر ، فقالت :

حبذا " حلية الطراز " أتت من
مصر تزهو باللؤلؤ المنظـــوم "١"
قد أعاد الزمان عائشـــة فيهـــا
فعاشت آثار علم قديـــــم
هي فخر النساء بـــل درةفـــي
جيد ذي العصر زينت بالعلـــوم
فأدام المولى لها كلّ عـــــز
مابدا الصبح بعد ليل بهيـــم

ويبدو أن الخطوة التي خطتها عائشة التيمورية بدخول ميدان الشعر، قد شجعت بعض نساء عصرها على قرع باب آخر ، كان موصدا في وجوههن، ونعني به ميدان الصحافة ، التي انتشرت في مصر منذ عهد اسماعيل ، وازدادت انتشارا ورواجا على أيدي السوريين ، فأنشأت هند نوفل مجلـة الفتاة في القاهرة عام ١٨٩٢م ، وكان يغلب عليها الطابع الاجتماعـــي والعائلي "٢" ، وكما أشادت وردة اليازجي بديوان عائشة التيمورية ،أقرت التيمورية بفضل هند نوفل ، وعدّت مجلتها فاتحة عهد جديد للمرأة فـــي وادي النيل ، فقالت :

فتحت فتاة الحي أبواب المنى فلفضلها من كل ناطقة ثنا "٣"

---

١) حديقة الورد ، لورده ناصيف اليازجي ص ٤٣ - ٤٤ .
٢) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، لأنيس الخورى المقدسي ص ٢٧٢ .
٣) حلية الطراز ، لعائشة التيمورية ص ١٧٥ .

لله درّ مصونة قد جددت ... بمحافل الأتراب مصباح السنا
فانظر ترى لبها الفتاة جريدة ... فخرت بها آل العصابة أعينا
ياقلب قد جاد الزمان بهنده ... فاسمى بمنشور البشارة معلنا
هند محت تذكار" هند " حبذا ... عوض به ربّ الهرية أحسنا

ولكن أكثر المجلات النسائية التي صدرت في مصر بعد ذلك كانت باشراف نساء المهاجرين من النصارى ، فأنشأت " لويزا حبالين " مجلة " الفردوس " في القاهرة عام ١٨٩٦م ، وقد قرّظتها وردة اليازجي ، وأطرت منشئتها ، فقالت :

ياحبذا فردوس علم ناضر ... من كل فاكهة به زوجان "١"

ثم أنشأت " الكسندرة أفرينو " مجلة " أنيس الجليس " في الاسكندرية عام ١٨٩٨م ، وكانت الكسندرة قد وفدت من بيروت الى الاسكندرية ، وهي في العاشرة من عمرها "٢" ، وقد اتخذت من مجلتها مجالا لدعوة نساء مصر والشرق الى كل ماهو أوروبي ، وقد أثنى الشاعر نجيب الحداد على مجلتها ، ومدحها بما يمدح به الرجال من علو الهمة والسعي وراء المجد ، وذلك في مقدمة ديوانه ، الذى أهداه لصاحبة أنيس الجليس ، يقول :

وأنت غادة خدر قد جمعت لنا
حسن الفتاة الى همات فتيان "٣"
وأنت أول حسناء بها ظهرت
ألطاف انسانة في حزم انسان

---

١) حديقة الورد ، لوردة اليازجي ، ص ٥٥ - ٥٦ .
٢) فتاة الشرق ، السنة العاشرة ، الجزء الأول ، أكتوبر / تشرين أول ١٩١٥م ص ٣ - ١١ .
٣) تذكار الصبا ، لنجيب الحداد ، ص ٢ - ٣ .

همم النساء بتزيين وتطييبة
وهمك المجد يبقى بعد أزمان
أنشأت للناس ، والآداب قد خمدت
مجلة أصبحت نورا لأذهان
فهي الجليس لمن أعفت مجالسته
وهي الأنيس لذي هم وأشجان

وتوالى بعد ذلك صدور المجلات النسائية في مصر باشراف الوافدات من سوريا ولبنان ، فأنشأت " روز أنطون " مجلة " السيدات والبنات " في الاسكندرية عام ١٩٠٣ م ، ثم أنشأت " ماري فرح " مجلة بنفس الاسم في الاسكندرية عام ١٩٠٣ م ، وأصدرت " روجينا عواد " مجلة " السعادة " في القاهرة عام ١٩٠٣ م "[1] ، واستمر صدور مثل هذه المجلات بعد ذلك ، وركزت جهودها على نشر أخبار شهيرات النساء في الغرب من ممثلات ومغنيات وملكات مع التركيز على عرض صور للأزياء ، التي كانت ترتديها النساء في الغرب ، كما اهتمت هذه المجلات بالدعوة الى السفور والاختلاط ، لأن النساء اللواتي أشرفن عليها ، كان أكثرهن من النصرانيات خريجات المدارس التبشيرية .

ولم يقتصر نشاط المرأة على دخول مجال الصحافة الشهرية أو الأسبوعية ، بل دخلت بعض النساء ميدان الصحافة اليومية ، على الرغم مما يحيط بهذه المهنة من متاعب ومشقات ، فقد تولت السيدة " بتسي " بعد وفاة زوجها بشارة تقلا ادارة جريدة " الاهرام " حقبة من الزمن ،

---

١) الاتجاهات الأدبية ، لأنيس المقدسي ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

حتى اذا ماتت رثاها خليل مطران ، "١"

---

(١) انظر ديوان الخليل ، لخليل مطران ١٥٤/٢ - ١٥٧ . رثى خليل مطران السيدة " بتسي " بقصيدة طويلة نوه فيها بمعرفتها للعلوم واللغات ، وبقدرتها على البيان والتبيين ، وبرغبتها للفتاة أن تتخذ من العلوم والفنون مقتناها وسلواها ، كما نوّه بقدرتها على ضبط المشاعر ، وعدم التسرع في الحكم ، وبمضاء عزمها وحسن ادارتها وتمكينها للأهرام ، ثم بدورها في نهضة النساء ، يقول :

لك قسط من المعارف موفو ر ، وقسط من راقيات الفنون
تحسنين اللغات شتى كثارا مع لطف البيان والتبيين
وترين العلوم أنفع مايقـ ني ، وأسنى حلى الغواني العين
وترين الفنون أنسا وسلوى وغنى عن خدينة وخدين
تضبطين الشعور في كل آن ضبط مستأثر بكنز دفين
فاذا ماشجاك يوما سماع فباذن من الضمير الرصين
كنت أمضى من الرجال وقد زا ولت أعمالهم بعزم متين
فجعلت الأهرام تلقاء صرف الدهر في ذلك القرار المكين
وأدرت الشئون أحسن ما كان خبير ادارة للشئون
......
لك في نهضة النساء مساع حركت فضلياتها من سكون
وعلى ثابت من الأسس شادت مجدهن الجديد في تمكين

لكن هذا الاطراء على زوجة بشارة تقلا مؤسس جريدة الأهرام ، لو صدر عن غير خليل مطران ، لكان أقرب الى الحقيقة وأدعى الى التصديق ، لأن خليل مطران كان موظفا في جريدة الأهرام أول حياته في مصر وكان صديقا لأسرة تقلا ، مما يجعلنا نميل الى القول ، انه بالغ في تعداد مناقب المتوفاة .

انظر الأدب العربي المعاصر في مصر ، لشوقي ضيف ، ص ١٢٢ .

وفي هذه الأثناء - أى مطلع القرن العشرين - بدأت المحاولات لانشاء جمعيات نسائية ، وكانت دعوة قاسم أمين ، ثم محاولة لطفي السيد تنظيم محاضرات لبعض النساء ليلا في الجامعة المصرية ، لكن على الرغم من ذلك ، لم تستطع المرأة في مصر أن تندفع خارج بيتها ، وتشارك في الأحداث العامة ، الا بعد أن اشتركت في المظاهرات ، التي اشتعلت عام ١٩١٩م ، وكان حزب الأمة قد استغل حماسها ، فأومأ اليها أن تتخلص من حجابها في زحمة المظاهرات ، مما أكسب تصرفها هذا طابعا وطنيا ، خصوصا بعد مقتل " حميدة خليل " "١" احدى المتظاهرات على أيدى الجنود الانجليز ، وأراد حزب الأمة أن يصنع هالة من المجد والبطولة حول مظاهرات النساء ، فروّج حافظ ابراهيم لتلك المظاهرات ، حين وصف موكب النساء اللواتي طفن شوارع القاهرة ، لتقديم احتجاجهن الى السفارات على مقتل " حميدة خليل " ، ثم قصدن الى دار سعد كاشفات الرؤوس ، لكن الجيش الانجليزى فرّقهن بعد محاصرتهن وتهديدهن ، يقول حافظ :

خرج الغواني يحتججـ ... ن ورحت أرقب جمعهنه "٢"
فاذا بهن تخذن مـن ... سود الثياب شعارهنه
وأخذن يجتزن الطـر ... يق ودار سعد قصدهنه
يمشين في كنف الوقا ... ر وقد أبنّ شعورهنه
واذا بجيش مقبـل ... والخيل مطلقة الأعنه
فتطاحن الجيشان سا ... عات تشيب لها الأجنه
فتضعضع النسوان ، والنسوان ليس لهنّ منه
ثم انهزمن مشتتا ... ت الشمل نحو قصورهنه

---

١) المرأة المصرية ، لدرية شفيق ، ص ١١٩ - ١٢٠ .
٢) ديوان حافظ ابراهيم ٢/٨٧

كذلك أبدى محمد عبد المطلب رضاه عن دور المرأة في مظاهرات عام ١٩١٩م ، حين وصف صحوة مصر من غفلتها ، واشتراك النساء فيها حاسرات من شدة الحسرات ، متواصيات ألا يضيعن دينا أو يعطلن سنة في قوله :

دهش الناس يوم قيل صحت مصر ، وكانت في غفلة وسبات "١"
اذ لقينا الخطوب وهي شداد فتولت جموعها مدبرات
وركبنا متن الزمان ذلولا فمضينا لغاية الغايات
بين شيب بالحزم تحدو شبابا صادقي العزم ثاقبي النظرات

....

أفزعتهن حادثات الليالي في بنيهن بالردى راميات
فترامين من وراء خدور كن فيها الهدور مختدرات
سافرات ولسن أهل سفور حاسرات من شدة الحسرات
وكتبن الوفاء للنيل عهدا في قلوب بحبه داميات
وتواصين ألا يضيعن دينا أو يعطلن سنة المؤمنات
ايه ، لله سعيكن جميلا يابنات الأنجاب والمنجبات

ثم أثنى عبد المطلب على المرأة ثانية ، ورأى أن موقفها الحازم من الاستقلال ، وحماسها في الدفاع عن الوطن ، دعا المصريين أن ينحنوا لها اجلالا ، ويغضوا عيونهم عنها مهابة ، لكن ذلك من النساء لم يعجب الانجليز ، فطافوا حولهن متنقلين من مكان الى آخر ، وقد صوبوا حرابهم نحوهن ، ويشفق عبد المطلب على النساء من هذا الموقف ، فيصب جام غضبه على جنود الانجليز :

تغضي عيون بني البلاد مهابة من حولهن وتنحني اجلالا "٢"
وأرى ابن لندن نحوهن مصوبا بيض الظبا متوثبا مجتالا "٣"

---

١) ديوان عبد المطلب ص ٣٣ ، ٣٤ .
٢) المرجع نفسه ص ١٩٤ - ١٩٥ .
٣) المجتال : المتنقل الطواف .

يا ابن اللكيمة انهن عقائـل   يفدين من فتكاتك الا نجـالا "١"
يا ابن اللكيمة انهن عقائـل   يسألن حقا لا يرد ن قتـالا
يا ابن اللكيمة ،ماحملن صوارما   لبني أبيك ولا دعون نـزالا

ثم تبعه شوقي ، فأشاد بدور النساء في سبيل استقلال مصر ، حين تفثن الشجاعة في نفوس أبنائهن وعرّضن أنفسهن لحراب الانجليز ، ورأى أنهن أثبتن جدارة وهمة أكثر من الرجال ، الذين عدّوا أنفسهم قـادة للأمة ،حيث يقول :

لما حضن لنا القضية كن خير الحاضنـات "٢"
غذينها في مهدها   بلبانهن الطاهـرات
وسبقـن فيها المعلميـ   ن الى الكريهة معلمات
ينفثن في الفتيان من   روح الشجاعة والثبـات
يهوين تقبيل المهند أو مصافحة القنـاة
ويرين حتى في الكرى   قبل الرجال محرمـات

---

١) اللكيمة : اللئيمة . ولكن عبد المطلب تراجع عن موقفه السابق عند ما رأى النساء قد ترعن الحجاب ، ورفض العودة الى ماكـن عليه ، وأسرعن في تقليد المرأة الغربية ، مما جعل عبد المطلب يعبّر عن خيبة أمله في النساء ، وذلك في قوله :

مافي بنات النيل من   أرب لذى غرض نبيـل
أصبحن عابا في الزما   ن وسوأة في شرّحبيـل

انظر ديوان عبد المطلب ص ١٨٥ .

٢) الشوقيات ١/١٠٥

وكانت النتيجة أن اتجهت المرأة بعد عهد المظاهرات الى العمل في ميدان السياسة والمشاريع الخيرية ، وتأسيس الجمعيات النسائية، ذلك الاتجاه الذى أشاد به محمد الهراوى وبألوان النشاط فيه ، حيث يقول :

نهضن فما غادرن للمجد مطلبا
وقمن فما أبقين في النفس مأربا "١"
عقائل مصر قد نزعن الى العلا
وأقسمن لا يلويسن عنها تنكبا
فثرن وراء الخدر ثم عددنه
يوالين أحداث الزمان تعقبا
خرجن يظاهرن الرجال على هدى
وألفن فـي يوم المواكب موكبا
تسنمن أعواد المناكب غدوة
يثرن جوى الأحشاء حتى تلهبا
نزلن الى الأسواق تجار رحمة
وما رمن الا جانب الله مكسبا
فحيا فريق طلعة الغيد مثنيا
وعاب فريق أن درجن من الخبا
ومن عائب في حب مصر عقائلا
طرحن قليلا للبلاد التحجبا
لقد مشت الدنيا الى الغاية التي
ينادي بها الأحرار شرقا ومغربا
وقامت نساء الغرب يغلون في المنى
فما قيل : شطت في الأماني مذهبا
أكان عجيبا أن يقوم نساؤنا
ولوهنّ لا زمن الخبا كان أعجبا

---

١) المعرفة ، السنة الثانية ، يونيو/ حزيران ١٩٣٢ ، الجزء الثاني ، العدد ١٤ ص ١٩٢ .

ثم لم يكن عجيبا مع هذه الاشادة أن تحتل صفية زغلول زوجة سعد زغلول زعيم حزب الأمة وابنة مصطفى فهمي رئيس الوزارة المصرية في عهد كرومر مكانة مرموقة في نفوس المصريين ، خصوصا بعد نفي الانجليز لسعد عام ١٩٢٢م "١" ، ولحوقها به في منفاه بجبل طارق "٢" ، حتى أنهم لقبوها بلقب " أم المصريين " ، وقرنوا اسمها باسم سعد في مديحهم له ، على أنها الساعد الأيمن له ، وعند سفرها الى سعد في منفاه أرادت أن تشعر المصريين ، أن مغادرتها لمصر عمل وطني ، لأنها ستكون في خدمة الزعيم ، فوجهت اليهم كلمة قالت فيها : ((طلب سعد أن أوافيه الى حيث هو وحيد مريض ، فعلى الرغم مني ومنه أن أفارقكم ، قضوا على سعد بالوحدة ، فوق ماقضوا عليه بالنفي ، فهو اليوم يعاني من ذلك عذابا ، وقضوا على رفاق له بالبقاء في سيشل ، وعلى آخرين بالاعتقال والسجن ، فاصبروا فأنتم لامحالة منصورون)) "٣" .

وقد رأى علي الجندي أن توديع أم المصريين فرض عليهم مثل الصيام ، وأن رحيلها أبكى النيل مادت له جوانب الأهرام حزنا ، فقد ذهبت الى سعد تواسيه في منفاه ، وقامت بالأمر من بعده ، حتى فاقت الرجال في هذا المجال ، ولهذا كله ليست امرأة وفية فحسب ، بل من النادر أن يكون بين نساء الدنيا مثيلا لها ، فهي ليست فخرا لمصر ، وانما هي فخر الشعوب جميعا ، حيث يقول :

قف فودّع " أم الكنانة " فالتو
ديع فرض عليك مثل الصيام "٤"

---

١) الهلال ، السنة ٧٦ ، العدد الثامن أول أغسطس / آب ١٩٦٨م
ص ١٢٥ .
٢) الحركة النسائية الحديثة ، لاجلال خليفة ص ١٦١ .
٣) أغاريد السحر ، لعلي الجندي ص ١٥٥ .
٤) المرجع نفسه ص ١٥٥ - ١٥٦ .

أذنت بالفراق فاستعبر النيـــل
وماد ت جوانـب " الأهـــرام "
لم تطق أن ترى " الرئيس " يعاني
مايعاني من فادح الأسقـــام
أم مصر ، وأنت نادرة الـــد
نيا وفخر الشعـوب والأيـــام
قمت بالأمر بعد سعد على الرغـــ
م من العاديات حمق القيـــام
وشأوت الرجـال في حلبة السبـــ
ق ، وجلّيت في مجال الصدام
أقرئيـــه أماه عنّا التحيـــا
ت وقومي بواجـب الاعظـــام

وعندما عاد سعد زغلول من منفاه ، وبرفقته أم المصريين ، استقبـل استقبال الأبطال ، وألقيت عشرات القصائد تحية له ولقرينته ، على أنها شريكة كفاحه ، فكانت نبوية موسى من الشعراء الذين احتفلوا بهـــذه المناسبة ، وكان وصفها لصفية أنها لا مثيل لها ، خصوصا في أوقـــات الملمات ، وأنها بهجة لبنات النيل ، بل ملاكا ، وكعبة للمعالـــي يفتديها أهل وادي النيل بأرواحهم ، حيث يقول :

أدهشتهم ذات عزّ سرّهـــا
أن تذل النفس في نيل رضـــاك "١"
زوج سعد ليس في مصر لها
من مثيل يرتجى عند الدراك

---

(١) ديوان نبوية موسى ٣١/١/١

(٢) مصريات ، نظم أحمد زكي أبو شادي ، جمع ونشر حسن صالح الجداوي ، المطبعة السلفية بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤م ، ص ٤٧ .

أنت يازوجة سعد بهجة
لبنات النيل ، بل أنت ملاك
فابق فينا للمعالي كعبة
وجعلنا من أذى الدهر فداك

كما كان من بين المحتفلين أبو شادي الذي استأذن الزعيم في الاشادة بقرينته ، مشبها له ولها فيما تحملاه بالنبي - عليه الصلاة والسلام وخديجة - رضي الله عنها - ، يقول :

أيجيز لي البطل الزعيم تليلا
حتى أقدس للوفاء جميلا "١"

....

وأشيد من تقدير مصر لأمها
ذكرا كذكرك للخلود منيلا
أنت " النبي " شقيت وهي " خديجة "
وكذا نجل شهيلة ومثيلا

وظلت صفية ذات مكانة في نفوس القوم ، حتى أن أبا شادي لم يجد من يخاطبه بشأن تفسخ حزب الوفد بعد وفاة سعد غيرها ، فدعاها أن تنقذه من التفسخ والانشقاق ، الذى دبّ بين أعضائه ، وحسب الوفد كلمة من صفية ، حتى يعود الى توحيد صفوفه ، لأن لديها اقدام سعد واباؤه .

عانيت ماعانيت من ايلام حين الرجال ضحايا الاستسلام "٢"

---

(١) مصريات ، نظم أحمد زكي أبو شادى جمع ونشر حسن صالح الجداوى ، المطبعة السلفية بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤م ص ٤٧ .

(٢) فوق العباب ، لأحمد زكي أبو شادى ، مطبعة التعاون في القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٣٥م ص ٧٠ - ٧١ . وانظر ديوان مختارات من وحي العام ، لأحمد زكي أبو شادى ، دار المصور للطبع والنشر ، الطبعة الأولى ، ص ١١ . حيث نظم الشاعر قصيدة بعنوان " الى أم المصريين " ، وذلك بعد وفاة سعد .

يا أم مصر ويا صفية سعدها ... من ذاك سواك أحق بالاقدام
ولديك منبعها السليم وحسبنا ... أن نستقي من ذلك الالهام

— ٢ —

وهكذا دخلت المرأة ميدان السياسة ، بعد أن دخلت ميدان الأدب والصحافة ، ولكن حزب الوفد الذى تسلم السلطة بزعامة سعد ، لم يقدم شيئا مما كانت تأمل المرأة أن يحققه لها ، ولم يشر سعد في خطبته التي ألقاها أمام البرلمان المصرى ، وبيّن فيها سياسة حكومته الى الدور الذي قامت به المرأة ، أضف الى هذا أن برنامج الحكومة التي ألفها سعد لم يتضمن مطالب مصر الحقيقية ، ((وكان من الطبيعي أن يغضب لذلك ممثلو المرأة ، وهن أعضاء الاتحاد النسائي ، فعقدت اجتماعا بدار هدى شعراوي ، وأصدرن مذكرة أرسلت صورة منها الى رئيس الوزراء سعد زغلول .)) "١" ، وحذّرت هدى سعدا من مغبة تقديم التنازلات للانجليز ، لكنه ظل مصرا على موقفه ، فوقفت موقف المعارضة لحكومة الوفد ، وكانت نتيجة ذلك أن أعلنت انفصال لجنة الوفد المركزية للسيدات ، وما تضمه من لجان متفرعة عن حزب الوفد "٢" ، واستقلت عام ١٩٢٣م بالاتحاد النسائي المصرى ، فمالت به نحو النشاطات الاجتماعية "٣" وبذلك أصبحت هدى شعراوى محط أنظار الشعراء والكتاب ، الذين كانت تنفق عليهم بسخاء ، وتبسط لهم يدها بالهدايا ، وتدعوهم للمآدب والحفلات "٤" ، فامتلأت الصحف بتصريحاتها ونشاطاتها ، وعملت جاهدة على نشر السفور وتقليد الغربيات في كل مظاهر الحياة ،

---

١) الحركة النسائية ، لاجلال خليفة ص ١٦٢ - ١٦٥ .
٢) المرجع نفسه ص ١٦٧ - ١٦٩ .
٣) المرأة المصرية ، لدرية شفيق ص ١٤٤ - ١٤٨ .
٤) نساء شهيرات من الشرق والغرب ، لوداد السكاكيني وتماضر توفيق ص ٤ .

حتى أنها تسمت باسم زوجها "١" ، وكان شوقي من أوائل الشعراء الذين رحّبوا بقيام الاتحاد النسائي ، وأثنى على جهود العاملات فيه، وتعاونهن من أجل المنفعة العامة ، حتى لقد دعا الرجال أن ينظروا ويعتبروا بتعاونهن على تجديد حياتهن وحياة مصر :

ادعوا الرجال لينظروا	كيف اتحاد الغانيات ؟ "٢"
والنفع كيف أخذن في	أسبابه متعاونات
لما رأين يد الرجا	ل تفاخرا أو حب ذات
أقبلن يبنين المنا	ئر للنجاح موفقات
يمشين في سوق الثوا	ب مساومات رابحات
يلبسن ذلّ السائلا	ت ، وماذكرن البائسات
فوجوههنّ وماؤها	ستر على المتجملات
مصر تجدد مجدها	بنسائها المتجددات
النافرات من الجمود	كأنه شبح الممات
هل بينهن جوامدا	فرق وبين الموميات

لكن ثقة شوقي بالحركة النسائية وبقيادة هدى شعراوى لها لم تستمر طويلا ، لأنه بعد حين وقف يذكرها بمسئوليتها نحو هذا الجيل من النساء الذى يتخبط في حياته ، لأنه يفتقر الى قدوة يتخذها مثلا أعلى له ، وذلك في الحفل النسائي الذى أقيم بدار التمثيل العربي في القاهرة عام ١٩٢٨م ، حيث يقول :

---

١) اسم والدها سلطان باشا ، وقد عمل رئيسا لأول برلمان مصرى في عهد الخديوى توفيق ، وتنكر للثورة العرابية وتحالف ضدها مع الخديوى والانجليز ، وكان يفرق الناس عن عرابي ويجمعهم لمعاونة الانجليز . انظر الاعتصام ، السنة الثانية والأربعون ، العدد التاسع ، أغسطس / آب ١٩٧٩م ص ٢٠ - ٢١ .

٢) الشوقيات ١/١٠٤ - ١٠٥

لقد اختلفنا والعصا شرق يخالفه العشير "١"
في الرأي ، ثم أهاب بي وبك المنادم والسمير
....
في نامة الفضلى " هدى " جيل الى هناك فقير
أقبلن يسألن الحضا رة مايفيد وما يضير
ما السبل بينة ولا كل الهداة بها بصير

وفي سنة ١٩٣٤م أقام الاتحاد النسائي حفلة تكريم لخريجات الجامعة المصرية ، فأشاد خليل مطران بالاتحاد وزعيمته هدى شعراوى التي أثمرت جهودها جيلا جديدا من الفتيات ، يلائم الحياة الجديدة ، ويبشر نجاحه بمستقبل مشرق للمرأة في مصر ، ثم أثنى على الروح الوطنية التي تسود مجتمع المرأة ممثلة في الاتحاد النسائي ، وتمنى أن يكون التعاون والتعاضد هدفا للرجال يسعون اليه ، بدلا من الفرقة التي تحكم علاقاتهم ، وذلك في قوله :

شبت غراسك عن بواكير الغمه
وبدت تباشير الهدى للمهتدى "٢"
تتجدد الدنيا فمن يبغي بها
أن يدرك الغايات فليتجدد
أنصفت يانور الهدى ولحكمة
اذ كيت شعلة عزمك المتوقد
نعم المثال مثالك الأعلى لمن
بك في الرياسة والكياسة تقتدي

---

١) ديوان شوقي ، طبعة مصر عام ١٩٤٨م ٢/٢٠٨ - ٢١١
٢) ديوان الخليل ٤/١٦٣ - ١٦٥ . وانظر مجلة أبولو ، العدد الخامس ، يناير / كانون ثاني ١٩٣٤م ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

فضل من الله اتحاد نسائنــــا
حين الرجـال كزئبـق متبـدد
حاكين نظم عقودهن وفرقـت
ازواجهن خناصـر لـم تعقـد
ياحسن هذا الائتلاف ولطفـه
فيـه من الارشـاد للمسترشـد

وكما أقامت هدى حفلا لخريجات الجامعة المصرية ، أقامت حفـلا آخر بمناسبة افتتاح دار الاتحاد النسائي ، ودعت الشعراء لالقاء القصائد فألقى محمد الأسمر قصيدة تمنى فيها أن يقلّد الرجال النساء بوحدة تجمع شملهم ، ثم أثنى على هدى بأنها خير محض ، وخير أهل الحمى خلالا ، يقـول :

دار اتحاد النساء من لـي	بوحدة تجمـع الرجـالا "١"
هدى وأنت الهدى أرانـي	مقصـرا فاعذري الخيـالا
مهما أحلق فأنـت أعلـى	من شعـري ان تعالـى
رعاك ربـي فأنت خيـر	محض ، وخير الحمى خلالا

ثم بدا لها أن تنشر ظلها على كثير من نواحي الحياة ، فأعلنت عن رصد جائزتين لأفضل قصيدتين عن الريف المصري ، ووكلت الى مجمع فؤاد اللغة العربية مهمة التحكيم ، وأقامت في قصرها حفلا كبيرا ، دعت اليه العلماء والأدباء والفنانين تكريما للفائزين ، فجاءتها قصائد المديح من كل جانب تثني على رعايتها الفنون والآداب ، ومن ذلك قصيدة للعوضي الوكيـل :

وحيّ هدى ما أطاق الكـلام	وأنشد بها ما استطاع النشيد "٢"
رعت وحدها في البلاد الفنو	ن ومدت لها كلّ كف رشيد
أراعية الفن دومـي لـه	وعشت برفهة وعيش رغيـد

---

(١) ديوان الأسمر ص ٢٨٠ - ٢٨١ .
(٢) أصداء بعيدة ، للعوضي الوكيل ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط ١ ، ١٩٤٥م ، ص ١٥ - ١٦ .

وكان الشاعر محمد الأسمر ممن حضروا هذا الاحتفال ، فأثنى على زعامة هدى ، ووصفها بأنها "جان دارك" وادى النيل ، وهي الأب والأم لمصر ، لم تغفل عيناها لحظة عن رعاية شئونه ، ولهذا فهي جديرة أن يفتديها الرجال بنفوسهم ، يقول :

"جان دارك" وادى النيل ان ريع الحمى
صانت حماها ربّها يصونها "١"
فهي أب فيه وأم ، ماغفت
عن حفظه أو رعيه عيونها
ان صحت المرأة كانت رجلا
بل أسدا وخدرها عرينها
فيا لها سيدة فوق الحمى
رجاله بالنفس يفتدونها

وأشاد مصطفى الماحي بفضلها على الكتّاب والشعراء ، وعطفها عليهم في أكثر الأوقات حرجا ، على حين كان آخرون يضطهدونهم ويضيقون عليهم ، وذلك في قوله :

أهلا بمن عطفت على الكتاب والشعراء في الزمن العتي الجاني "٢"

وعرفت هدى أن الهدايا والهبات هي وسيلتها لغزو قلوب الشعراء ، فكانت تتحفهم ببعض الهدايا الثمينة ، كلما عادت من احدى أسفارها ، مما جعلهم يسبحون بحمدها ، ويجرون في ركابها ، فها هو علي الجندى يعترف أن أيادى هدى عليه كثيرة ، وبأنه عاجز عن نقل مشاعره الفياضة نحوها ، بعد أن قدّمت له هدية ثمينة ، فقال :

---

١) ديوان الأسمر ص ٢٧٥ - ٢٧٧ .
٢) ديوان الماحي ص ١٠٨ .

الله أكبر ياهدى جازت صنائعك المدى "١"
اني عجزت عن المدا ئح راجسرا ومقصدا

على أن من الشعراء من أدرك حرص زعيمة الاتحاد النسائي على تقليد المرأة الغربية ، بكل ما أوتيت من عزم وتصميم ، فزين لها هذا الاتجاه، ودعاها أن تعمل على الأخذ بوسائل الحياة الغربية ، حتى تثبت لأوروبا أن المرأة المصرية لا تقل شأنا عن أختها الأوروبية في الجري وراء وسائل الرقي المادية ، يقول حسن الحطيم في قصيدة له بعنوان " زعيمة النهضة النسائية " :

هيا اعلي أنت الرئيسة ياهدى أنت الامامه "٢"
هيا اثبتي للغرب أن الشرق يستقصي نظامه
يجرى على سنن الرقي ليسترد به مقامه

كما عدّ حضورها للمؤتمرات النسائية العالمية فخرا كبيرا للمرأة المصرية "٣" وأنها كانت تعود من كل مؤتمر بوسام وتقدير ، ولم تقف هدى عند هذا الحد ، بل وقفت خطيبة في كثير من المناسبات :

أعليت شأن السيدا ت ، فكنت رمزا للشهامه

---

١) الحان الأصيل ، لعلي الجندى ص ٥٦ .
٢) المصرية ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، أول ابريل / نيسان ١٩٣٧م ص ٥ .
٣) أشاد محمد عبد الغني حسن بهدى شعراوى ، فذكر أن نشاطها لم يكن مقصورا على النواحي النسائية ، بل شملت جهودها كل نواحي الحياة في مصر ، ولم تلن لها قناة طوال عشرين سنة ، فقد كانت ـ على حد تعبيره ـ في جهاد دائم ، يقول في قصيدته " زعيمة نهضة " :

أعليت في صرح البلاد بناء بلغ السماء وجاوز الجوزاء
عشرون عاما من جهاد دائم لم تعرفي تعباولا اعياء

انظر ديوان من نبع الحياة ، لمحمد عبد الغني حسن ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

في كلّ مؤتمر حضـــرت ، فحدت حاملة وسامه
في كل مجتمع خطـــبت ، رفعت للشرقي هامه

كذلك نوّه أبو شادى ببيانها الذى رفع هامة الشرقيين ، وأرضى المسلمات والمسيحيات ، لأنه عمق فكرة الوطنية بين النساء ، بغض النظر عن الدين ، وطالبها بتمزيق : حجاب الظلام ، الذى يحول بين المرأة وبين الانطلاق في قوله :

بمثلك في ظلمة يهتـــدى فشقي حجاب الدجى يا (هدى) "١"

......

اذا ماكتبت تغنّى اليراع قريراً ، وقبّل منك اليـــدا
وشاق بآياتـــه الفاتنات وأرضى الكنيســـة والمسجـــدا

لكن الحقيقة كانت غير ذلك ، فهدى شعراوى لم تكن كاتبة ، وانما كانت تكلّف المحامي ابراهيم الهلباوى محامي الانجليز في محاكمات دنشواى بكتابة الخطابات لها ، فقد كتبت مجلة الفتح مقالا بعنوان : ((هـــدى شعراوى شبح وهمي يختبيء وراءه أشخاص آخرون)) ، ذكرت فيـــه أن هدى شعراوى : ((أضاعت مالها ودينها في سبيل الشهرة ، ولأجل أن يقال انها تكتب وتخطب ، ولكن خبثاء الصحفيين يتأثرون خطواتها ، وقد ذكرت جريدة العالم الأسبوعية ، أن الخطبة المنسوبة لهدى شعـــراوى هي من كتابة ابراهيم الهلباوى)) . "٢"

ولم تكتف الزعيمة النسائية بما حققت من شهرة في مصر وأوروبا ، فأرادت أن تمد شهرتها ، لتشمل البلاد العربية الأخرى ، فدعت الاتحـــادات النسائية العربية ، لعقد مؤتمر نسائي في القاهرة في ١٢ ديسمبر/ كـــانون أول ١٩٤٤ م ، وحشدت الشعراء ليشيدوا بفضلها ، ويرحبوا بالقادمات

---

١) مصريات ، لأحمد زكي ابو شادى ص ٧٩ .
٢) الفتح ، العدد ٦٧ ، ٢٠ أكتوبر / تشرين أول ١٩٢٧م ص ٩

من الأقطار العربية المجاورة ، فرحب محمد الأسمر بعضوات المؤتمر ، وأعلن اعجابه بما سمع منهن من خطب تدعو الشرق الى نهضة يكون للمرأة فيها دور كبير ، ولم يضيع الأسمر هذه المناسبة ، فأضفى على هدى مزيدا من المناقب ، فهي ليست أما لمصر وحدها ، بل هي أم العرب جميعا ، يقول :

مرحبا جاراتنا كم سرّنا ... ماهتفتن به من خطب "١"
نهضة مرجوة للشرق ان ... يرعها الله أتت بالعجب
نهضة ان بارك الله بها ... ينهض الشرق بأم وأب
لست في مصر بأم للحمى ... وحده ، بل أنت (أم العرب)

حتى اذا انتهى المؤتمر ودعت ضيفات مصر بمثل ما استقبلتهن ، فأقامت حفلا ، ودَعَتْ الشعراء ، فكان مما قاله محمد عبد الغني حسن في حث المدعوات على النهوض بالشرق ، بعد أن مهدت هدى لهن الطريق :

يابنت عدنان اجعلي الى السماء مصعدا "٢"
لا تحسبي الباب الى مجد الفتاة موصدا
اني أرى طريقه ممهدا معبدا
قد كتب الله الهدى له على يدي هدى

---

١) ديوان الأسمر ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .
وانظر قصيدة على الجندى التي ألقاها في نفس المناسبة في ديوانه أغاريد السحر ص ١٠٥ - ١٠٩ ، ومطلعها :

يابنات الشرق أنتنّ له ... حلية أزرت بسمط الدرر

٢) من وراء الأفق ، لمحمد عبد الغني حسن ص ٣٥ - ٣٦ .

وكما أغدق الشعراء مدائحهم على هدى أثناء حياتها ، لم يبخلوا عليها بقصائد الرثاء بعد موتها ، فقد أقام الاتحاد النسائي حفلة تأبين لها ، ألقى الشعراء فيها قصائدهم ، وقد توفيت في عام ١٩٤٧م ، فرثاها خليل مطران ، وعدّ وفاتها خسارة للعالم العربي كله ، لا لمصر وحدها ، يقول :

مصاب مصر مصاب العالم العربي
هل مدمع في ربوع الضاد لم يصب "١"

ثم راح يعدد مناقبها ، فذكر فيما ذكر سعيها في سبيل المرأة ، ودفاعها عنها حتى حررتها برغم المعارضين ، وذكر تأسيسها للاتحاد النسائي ، الذى جمعت فيه النخبة من النابهات ، عدا مؤسساتها الأخرى لاعداد البنات والأمهات ، يقول مطران :

أما رسالتك المثلى فما برحت
كما بدأت بها موصولة السبب
ماذا صنعت لانصاف النساء وكم
دفعت عنهن من كيد ومن ريب ؟
حررتهن برغم الكاشحين ، ومن
يسعى بعزمك لم يخفق ولم يخب
وكان خير اتحاد ما جمعت به
من نابهات الغواني نخبة النخب
مؤسساتك لو عدت ولو وصفت
لما انتهى عجب الا الى عجب
آيات عصر جديد للرقيّ يرى
مستقبل الشعب فيها كل مرتقب
بها تعد البنات الصالحات لمن
والأمهات لجيل عامل درب

---

١) ديوان الخليل ، ٤/٣٦٩ - ٣٧١ .

على أن كثيرا من الشعراء رثوا هدى شعراوى ، وأطنبوا في الثناء عليها ، ولكننا نكتفي بما أوردنا من اشارات . "١"

---

(١) كان العقاد من الشعراء الذين تأثروا بموت هدى ، فرثاها وأشار الى مساعيها في ميادين البر ، فقد كانت تمثّل على حد تعبيره نمطا فريدا من النساء في الشرق ، وعدّها قدوة للنساء في تمزيقها للحجاب ، الذى كان يمثل في حياة المرأة ليلا بهيما .

ربة البر والندى لم يضع سعيها سدى
سفرت والحجاب كالليـ ـل غيهبان أسودا

انظر ديوان من دواوين ، لعباس محمود العقاد ص ٢٧١ - ٢٧٣ .
وانظر الرمزيات ، لمحمود رمزى نظيم ، جمع وترتيب محمد علي أبو طالب ص ٢٤١ - ٢٤٣ ، حيث رثى هدى شعراوى بقصيدة مطلعها :

فقدت مصر هداها واختفى نور سناها

وراجع ديوان الأسمر ص ٦٤٧ - ٦٥٠ ، حيث رثى هدى شعراوى بقصيدة مطلعها :

على مثلها فليبك من كان باكيا
ويرثى العلا والفضل من كان راثيا

وراجع قصيدة أخرى في رثائها ، بمناسبة مرور سنة على وفاتها ، ديوان الأسمر ص ٦٥١ بعنوان (بعد عام) :

عام مضى وكأنه أعوام طالت علينا بعدك الأيام

وراجع ديوان شعري لمحمود أبو الوفا ص ١٧٥ - ١٧٩ ، وقد رثاها بقصيدة مطلعها :

الى أن أجازي بعض فضلك ياهدى
سأبكي وأستبكي وان طال بي المدى

وله قصيدة أخرى في رثائها ، بمناسبة مرور عام على وفاتها " شعري ص ١٨٠ - ١٨٥ " ومطلعها :

أي النسائم عطرت مسراها
اني أشم الآن نفح شذاها

ولم تكن هدى شعراوي وحدها في ميدان العمل النسائي ، فقد كانت الى جانبها " سكرتيرتها " سيزا نبراوى ، التي رافقتها في طريق عودتها من فرنسا ، حيث أسفرتا معا عندما نزلتا من الباخرة "١" ، وكان ذلك عام ١٩٢٣م ، وقد عبّر احمد زكي أبو شادي عن تقديره لسيزا نبراوي التي تملك من الحسن والفضل الشيء الكثير ، مما يمكنها أن تكون قدوة لبنات مصر ، ويشكر لها ماقدمت من خدمات لوطنها في مدة وجيزة :

ولبيق فضلك مثل حسـ ـنك للبنات هدى وميزه "٢"
ولتهن (مصر) بعظم ما قدّمت في فتر وجيزه

كما كان مع هدى أستر فهمي ويصا التي اشتركت في انتخاب لجنة الوفد المركزية للسيدات في الكنيسة المرقسية ، والتي اختيرت عضوا عاملا في هذه اللجنة "٣" ، فقد برزت في ميدان الخطابة والكتابة والعمل النسائي حتى امتدحها أبو شادى بذلك ، ورأى فيها قدوة يقتدي بها المصريون في جهادهم :

في شعرك المنثور سلوى له لله كم يهفو الى شعرك "٤"
كم يذخر الوعظ الجميل السني من دُرّك الغالي ومن تبرك
من رائع مصغ ومن ناطق سيّان في صمتك أو جهرك
علّمتنا سرّ الجهاد الذى يشتق معنى النصر من صبرك

ولا ننسى الأميره " عين الحياة أحمد " أول من دعت النشاط النسائي في مصر "٥" ، وتبعتها أميرات منهن " سميحة حسين " التي

---

١) المرأة المصرية ، لدرية شفيق ص ١٢٧ .
٢) أنين ورنين لاحمد زكي ابو شادى ص ١١٧ .
٣) الحركة النسائية ، لاجلال خليفة ص ١٦١ .
٤) مصريات ، لأحمد زكي أبو شادى ص ٨٥ - ٨٦ .
٥) المصرية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ١٥ فبراير / شباط ١٩٣٧م ص ١٣ .
الحان الأصيل ، لعلي الجندى ص ٤٢

تبرعت بجملة من حليها النفيسة لجمعية الهلال الأحمر المصرى ، وقد أشار على الجندى الى ذلك بقوله :

حبوت الهلال جزيل النوال فأقمر في غرة الأشهر "١"

- ٣ -

وكان افتتاح المستوصفات من ميادين العمل التي جذبت المرأة ، ويبدو أن المرأة النصرانية في مصر كانت أسبق من المسلمة في هذا المجال ، فقد أثنى خليل مطران على فتاة شابة متفانية تمضي وقتها في خدمة المرضى ، وقد هجرت في سبيل ذلك كل زخارف الدنيا ومباهجها من أجل أن تلم بأحوال مرضاها ، وتبادر الى تقديم مايحتاجونه من خدمات ، حتى ألفت العمل في المستوصف ، على الرغم من المناظر المؤلمة التي تراها أثناء عملها ، وحتى ألفها المرضى وانتظروها ، كما ينتظرون النور بعد الظلمة لرفقها بهم :

تبدد مرضاها بالمامها والعهد أن الأحوج الأبدر "٢"
تألف لا تأنف "مستوصفا" للبوءس في أكنافه محشر
يمض من مرّ به ناظرا لفرط مايؤلمه المنظر
ماحال من عذاب تنتابه تخبر من بلواه ماتخبر
ياحسن تلك المفتداة التي آياتها في البر لا تحصر
لا حت فلاح النور بعد الدجى جاءت فجاء الدهر يستغفر
تأسو برفق أو تواسي به قد يضجر الرفق ولا تضجر

كذلك وصف حافظ ابراهيم أيادي الممرضات التي تمتد لمساعدة

---

١) ألحان الأصيل ، لعلي الجندى ص ٤٢ .
٢) ديوان الخليل ٢/٢١٣ - ٢١٧

المرضى بأنها أياد بيضاء طاهرة ، لا تتوانى عن صنع الجميل ، وتبادر اليه في الحال ، وأنهن يعطن في هذه المهنة حبا في المساعدة ، وليس طمعا في المال ، ويعاملن المرضى برفق ، كأنهن أمهات يتعهدن أطفالهن ويحلون عليهم ، يقول :

واذا بأيد طاهرات عسودت
صنع الجميل تطوعت في الحال "١"
جاءت تسابق في المبرة بعضها
بعضا لوجه الله لا للمـــال
فتناولت بالرفق ما أنا حاصل
كالأم تكلأ طفلها وتوالـــي

ويبدو أن المؤسسات الخيرية التي أنشأتها الجمعيات النسائية ، وألحقت بها المستوصفات ، وتطوع بعضهن للقيام بمهنة التمريض فيها ، لم يكن لها مورد مالي ثابت ، فكانت تضطر الى جمع المال عن طريق التبرعات واقامة الحفلات الخيرية ، وبيع الأزهار في تلك الحفلات ، وقد وصف مطران بائعات الزهور في حفلة من الحفلات ، بأنهن من بنات الجاه والمنزلة الرفيعة ، ورأى أن في شراء زهرة من الزهور ، تخفيفا لويلات المصابين ، وسترا لأعراض الفتيات اللواتي فقدن ذويهن ، وبرا بذوي الرحم الذين جانبهم الحظ ، ومواساة للجرحى ، وابقاء على حياة البائسين ، الذين ألصقهم الجوع بالأرض :

ببنات الروض تسعى رفقـــة	من بنات الجاه والقدر الرفيــع "٢"
زهرات بائعـات زهـــرا	يالقومي هل دريتم ماتبيـــع ؟
من شراها فبما يبذلـــه	بعض تخفيف لويلات الربـــوع
ستر أعراض وبـــر بـذوي	رحم ذلّوا وارقاء دمـــوع
وأسا جرحى وابقاء علـــى	أسدٍ ألصقها بالأرض جـــوع

---

١) ديوان حافظ ابراهيم ٢٧٧/١
٢) ديوان الخليل ١٢٢/٢

ووصف محمد الأسمر في قصيدة له حفلا خيريا أقامته هدى شعراوي ، حيث كلفت بعض البنات الصغيرات أن يطفن على المدعوين ، ليعرضن عليهم شراء الورود لصالح جمعية الاتحاد النسائي "١" ، والظاهر أن الجمعيات النسائية استوردت عادة بيع الزهور في الحفلات الخيرية ، كما استوردت غيرها من العادات ، فقد انتشرت هذه العادة في أوروبا منذ زمن بعيد ، وقد أشار ايليا أبو ماضي في قصيدته " بائعة الورد " الى امتهان الفتيات لهذه المهنة في باريس ، فقال :

تجني اللجين ، ويجني الهائلوه لها
من كفّها الورد منظوما ومنتثرا "٢"

على أن من الوافدات الى مصر من اتخذت الضرب على العود مهنة ترتزق منها ، ولم تكن هذه العادة قد انتشرت في الشرق بعد ، فقد حكى مطران قصة فتاة رومية ، رفضت أن تزل على الرغم من فقرها ، واستعاضت عن ذلك بالضرب على العود للحصول على رزقها :

أفقرا فتاة الروم ، والحسن مغنم
وطهرا وهذا العصر عصر تمتع ؟ "٣"
الى كم تطوفين الربوع تسولا
تهيمين صوت العود للمتسمع
ولو شئت قال الحب امرة قادر
لمجدب هذا العيش أزهر وأمرع

وكأنما تأثرت المرأة المصرية بذلك ، حين اتجهت الى ممارسة بعض الأعمال ، كالتجارة والتدريس والمحاماة والاذاعة ، أما التجارة فقد احترفها بعض النساء ، وأيدهنّ بعض الشعراء ، كمطران الذى أعجب

---

١) ديوان الأسمر ص ٢٨١ - ٢٨٢ .
٢) ايليا أبو ماضي شعر ودراسة ، لزهير ميرزا ص ٤٦٣ - ٤٦٥ .
٣) ديوان الخليل ١/١٠٥ - ١١٠

بامرأة تتاجر في النفائس والحرير ، وعدّ عملها ردا على من ذموا التجارة وخلقها ، ودليلا على أن السوق حرز للحرائر كالخدور ، وتحطيما للقيد في عصر لا خطر فيه لأحد الا بالعمل ، يقول مطران :

أتاجرة النفائس والغوالي
من الطرف المصوغة والحرير "١"
لأنت عجيبة بين الغوالي
كعصرك بين خالية العصور
وهل عجب كحانوت غدونا
نراه مطلع القمر المنير
علام بحسنك الأسواق تحلو
وتعطل منك باذخة القصور
يقولون التجارة خلق سوء
بدعوى الشح والطمع النكير
وانّ لها خلالا قد تنافي
صفات الغيد من خير وخير
وكم أثر اشتباه أعلقته
بأذيال العفاف من الفجور
فما استرعى سماعك عن تمال
صدى تلك الوساوس في الصدور
وكم حققت أن السوق حرز
حريزٌ للحرائر كالخدور
ألا يابنت عصر مالحي
به خطر بلا عمل خطير
حطمت القيد فيه ولم تراعي
سوى قيد الفضيلة في المسير

---

(١) ديوان الخليل ٢/١٧٣ - ١٧٤ .

كذلك نوّه علي الجندي ببائعة مرطبات تعرض بضاعتها على المارين ، وتجعل من جسر اسماعيل حانوتا لها ، وقد تهافت عليها الظامئون ، يتناولون شرابها :

ترى الشَّرْبَ حول الورد شتى فلاقط
حشاشة محمود وآخر ينتظر "١"

ومن صادر عنه بمهجة والـه
تكاد من الشوق المبرح تنفطر

مررت بها كالطيف استرق الخطا
يخال لفرط اللين ترنيمة الوتر

وأما التدريس فقد مارسته كثيرات ، كان من روادهن فيه باحثة البادية ، التي كانت أول من اشتغلت بهذه المهنة من نساء مصر المسلمات، وقد نوّه حافظ بأمرها ، حين قال في رثائها :

ربى أبوك الناشئين ، فعاش محمود الأثر "٢"
وسلكتِ أنتِ سبيله في الناشئات من الصغر
ربيتهن على الفضيلة والطهارة والخفر

كما كان من الرائدات أيضا نبوية موسى ، التي عدت طالباتها كبناتها ، فسهرت على تقويمهن وغرس الفضيلة في نفوسهن ، وفي ذلك تقول :

غرسي أخاف عليه من وقع الردى
بعد الكمال وذاك غرس طيب "٣"

غرس سهرت الليل في تقويمه
حتى نما فله أبش وأغضب

أرجو لبنت النيل كل فضيلة
لا تعبث الأيدى بها أو تلعب

---

١) ديوان حافظ ابراهيم ٢/١٩٣ .
٢) ديوان نبوية موسى ١/٤٣ . وراجع قصيدة لعلي الجندي في رثاء مربية اشتغلت بالتدريس في قصيدة له بعنوان " ريحانة المربيات ". الحان الأصيل ص ١٨١ - ١٨٢ .

وأما العمل في المحاماة ، فلم يتح للمرأة الا بعد أن دخلت الجامعة ، وأتمت الدراسة فيها ، وقد وصف محمد البرعي امرأة ، اتخذت من القانون ميدانا لدراستها ، فظهرت بمظهر يدل على الوقار والاتزان ، وأبدت الاهتمام بتخصصها ، من مراجعتها لبعض المراجع التي تعينها على جلاء ماغمض من أمور ، كما اهتمت بزيها الذى أضفى على مظهرها مسحة من التقى ، وزاد في هيبتها ، يقول :

عليك وقار وضيء السنبلى	وفي بردتيك ثبات النهى (١)
وبين يديك أرى مرجعا	تمرّ به العين مرّ الخطى
وماذاك يهفو على منكب	يك رداء له وقفة ترتجى
عليه مسوح التقى زانه	وشاح يزيد جلال الروى
وقفت على منبر سامق	فخرّ سجودا لمن قد علا
ودافعت في جرأة الواثق	ين عن الحق والمنهج المبتغى

لكن البرعي الذى أعجب بهذه المحامية ، عاد فأشفق عليها ، ورثى لحالها ، لأن سعيها وراء الدراسة ، ثم العمل أضاع عليها ربيع حياتها ، وهدّ قواها ، فأضحت هيكلا محطما ، بعد أن كانت ذات جمال وضيء ، ولا يخفي الشاعر احساسه بالمشقة ، التي تعانيها في هذا الجو الذى يعبق برائحة الجريمة ، مما يفرض على العاملين فيه مزيدا من الصلابة ومتانة الأعصاب ، ولهذا تبدو في هذا المجال ، كالزهرة بين أشواك الجبال :

أراك صرفت ربيع الحياة
جهادا وجهدا يذيب القوى
وماكنت الا سناء يضيء
فأمسى ذبالا ضئيل السنى

---

(١) دموع وشموع ، لمحمد البرعي ص ٧٢ - ٧٦ . وراجع قصيدة لمحمد الأسمر ، هنأ فيها احدى المحاميات بعيد ميلادها ص ٢٧٠ .

فيازهرة بين شوك الجمال
لها نفحة فوق تلك الربى

وأما الاذاعة ، فمن الميادين التي غزتها المرأة ، حيث عملت مذيعة ، وقد وصف الهرعي تأثير صوت المرأة على قلبه ، وكيف جعله يقبل على المذياع ، ويصغي اليه بعد أن كان من أعدائه ، فقال :

أيقظتِ أحلام الأثير الغافي
بمقاطع من صوتك الرنان "١"
ياربة الصوت الجميل ومن لها
أصغي مشوقا محسن الارهاف
قد كنتُ للمذياع من أعدائه
فغدوت أوثره بغير خلاف

هكذا شاركت المرأة الرجل في بعض الأعمال مشاركة أغرتها بالمزيد ، ولقيت على ذلك التأييد ، حتى أن بعض أعضاء مجلس النواب تقدم باقتراح الى المجلس من أجل انشاء معهد صناعي للبنات . "٢"

وليس أدل على منافسة المرأة للرجل أن بعض الفتيات حاولت التدرب على قيادة الطائرات ، حتى طار بعضهن ، وكانت ظاهرة جديدة ، نوه بها محمد عبد الغني في قصيدته " مصرية في السماء " حيث هنأ أول مصرية طارت عام ١٩٣٢م ، وتدعى عصمت ، فقال :

طيرى وكوني بهجة الطيور — وطاولي مسارح النسور "٣"
واخترقي مسابح الأثير — كوني جناحا من شعاع النور
على جناح الأمة الكبير — ورفرفي فوق ذرا القصور
كأمل يرفّ في الصدور — حورية فاقت بنات الحور

---

١) دموع وشموع ص ٨١ - ٨٥
٢) المصرية ، السنة الأولى ، العدد الثاني ، أول مارس / آذار ١٩٣٧ ص ٣٤ .
٣) من نبع الحياة ، لمحمد عبد الغني حسن ص ١٥٧ - ١٥٨ .

وخلعتْ بالعلم كل نيـــر   وأثبتت في همة الصبـــور
عزيمة المخاطر الجســـور   وطلعت في جسمها الصغير
تحمل قلب البطل الكبيـــر   ماخلقت للهـو والغـــرور
بل خلقت للمركب الخطيـــر   والمطلب اليسير والعسيـــر
" عصمت " طيرى في السماء طيري   وسابقي الطيور في البكـــور

وقد طارت " عصمت " وطارغيرها من الفتيات ، حتى أغراهن الطيران بالدخول في مسابقاته ، وقد نالت " لطيفة النادى " عام ١٩٣٣م الجائزة الأولى في سباق الطيران الدولي بين القاهرة والاسكندرية ، فهنأها غير شاعر بهذا الفوز ، من ذلك قول أبي شادى ، منوّها بعشقهـــا للجو ، وتساميها الى المجد ،

قد عشقت الجو حتى عفت أسباب السبـــات "١"
وتنفست التعالي من معالي الكائنـــات
أنت ياعنوان (مصر) في هوى للمجـــد آت
هكذا تعتزّ (مصر) بك بين المحسنـــات

....

امرحي يامصر تيهي بحلى مصر الفتـــاة
هوّمت فوق نسور لا تبالـــي بالنجـــاة
وبنت في الجو ذكرا من أعاجيب البنـــاة

---

١) الينبوع ، لأحمد زكي أبو شادى ص ١٢٠ . وراجع الديـــوان نفسه ، حيث هنأ أبو شادى " لطيفة النادى " بقصيدة تحـــت عنوان (لطيفة النادى) ، انظر الينبوع ، ص ٨٤ - ٨٦ ومطلعها :

يايوم أنت قرين أعياد   وسناك خلف جمالك البادي

وفتح أبو شادى مجلة أبولو للشعراء كي يطروها ، فكتب مختار الوكيل قصيدة عدّ فيها هذا الحادث دليلا على قيام النهضة الكبرى في مصر "١" .

لكن الشعراء الذين هتفوا بشعرهم للمرأة عندما دخلت ميدان الطيران نسوا أن طبيعة المرأة لا تساعدها أن تتخذ من الطيران مهنة ، وأنها وان استطاعت أن تدخل هذا المضمار في حالة السلم ، فمن الصعب بل من المستحيل الاعتماد على قدراتها المحدودة في حالة الحرب ، ولا نستطيع أن نفسر فرحة الشعراء هذه الا أنها مجرد اندفاع منهم ، لتأييد دعواهم القائلة بأن المرأة المعاصرة تستطيع أن تجاري الرجل في كل الميادين ، وقد كان الأجدر بهم أن يشيدوا بأول طيار مصري قاد طائرته من أوروبا الى مصر عام ١٩٣٠م ، كما أشاد به الرافعي في مقالته التي كتبها بعنوان " فاتح الجو المصرى " . "٢"

واذا كان هؤلاء ومن سبقهم أيدوا عمل المرأة ، ومنافستها للرجل ، فان ايليا أبو ماضي عارضهم في ذلك ، ورأى أن خروجها من بيتها عرّضها لبذل ماء وجهها على كل باب ، فهذا يصدها زهدا فيها ، وهذا يدخلها طمعا في النيل منها ، فهي والحالة هذه ، كالعصفور الذي اشتد به العطش ، ولكنه يخشى أن يقع في يدي الصياد الذي نصب شراكه على الماء ، يقول :

---

١) أبولو ، العدد السادس ، فبراير / شباط ١٩٣٤م ص ٤٧٨ - ٤٧٩ حيث أبدى مختار الوكيل دهشته بما أظهرته " لطيفة النادى" من جرأة ، وهو يرى أن من طبيعة المرأة أن تسبي قلوب الرجال وعيونهم ، لا أن تحلق في الجو ، ولكن الله منحها قلب فتى لا يتهيب المخاطر ، ولا يخشى المركب الصعب ، يقول :

قد أدهشتني غادة خلقت ... للحسن تسبي القلب والنظرا
أعطى لها الرحمن قلب فتى ... فعلى يروم المركب العسرا

٢) وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي ، ٢ / ٢٥٤ - ٢٥٧ ، وله مقالة أخرى بعنوان (أجنحة المدافع المصرية ( ) وحي القلم ٢ / ٢٥٨

ولها في كلّ باب وقفـــــة كامرئ القيس حيال الطلل "١"
تتقي قول أعربي خشيتهـــا قولة القائل "ياهذي اد خلي"
فهي كالعصفور وافي صاديا فرأى الصياد عند المنهل
كامنا فانصاع يدنيه الظمــا ثم يقصيه اتقاء الأجــــل
ولكم طافت بي آملـــــة وانثنت تقطع خيط الأمل

ثم يتساءل أبو ماضي عما دفعها الى هذا الموقف ، هل فقدت صوابها ، وعطّل الخبل تفكيرها فرضيت بهذا الواقع المهين ؟ كيف رضيت أن تترك أطفالها في البيت ، وتحرمهم من عطفها ورعايتها سعيا وراء المـــال ، الذى كلفت نفسها في سبيله مالا تطيق من الأعباء ؟ لقد أطاعت مـــن زينوا لها العمل ، وخرجت من المنزل الذى لم تخلق لغيره ، وأهملـــت أولادها من الصباح الى المساء ، حتى ألفت ما عودوها على كره ، كما ألفت الظبية أكل الحنظل على مرارته :

مابها ؟ لا كان شرا مابهـــا
مالها من أمرها في خبــــــل "٢"
سائلوها أو سلوا عن حالهـــــا
ان جهلتم ، كل طفل محـــول
في سبيل المال أو عشاقــــــه
تكدح المرأة كدح الابـــــل
ماتراها وهي لا حول لهـــــا
تحت عبء فادح كالجبـــــل
شدّت الأمراس في ساعدهـــا
من رأى الأمراس حول الجـــدول ؟
جشّموها كل أمر معضـــــل
وهي لم تخلق لغيــر المنـــزل

---

(١) ايليا أبو ماضي ، شعر ودراسة ، لزهير ميرزا ص ٥٩١
(٢) المرجع نفسه ص ٥٩٢

فاذا فارقت الدار ضحى
لم تعد الا قبيل الطفل
ألفت ماعودها مطمئنا
تألف الظبية طعم الحنظل

ان ايليا الذي عاش حياة الغرب ، واختبرها على حقيقتها ، ورأى أن المرأة عندهم أصبحت مبتذلة ، لا يرضى للمرأة في مصر والشام أن تتردى فيما تردت اليه المرأة في الغرب ، وفي موقفه هذا رد على من يدعون المرأة الى مخالفة فطرتها وترك بيتها ، بحجة مساواتها مع الرجل ، فقد كشف زيف دعاواهم ، وخطأ مايناد ون به ، وبيّن أنهم انصاعوا لأهوائهم ، وخالفوا أمر دينهم ، حتى أضاعوا أبناءهم ، باخراجهم المرأة من مملكتها ، فكانوا بذلك أصحاب بدعة غير محمودة العواقب ، يقول :

ما أطاعوا فيك أحكام النهى
لا ولا قول الكتاب المنزل "١"
قد أضاعوك وما ضيعتهم
فأضاعوا كلّ أم مشبل

— ٤ —

ويبدو أن المرأة التي أسست الجمعيات النسائية ، ودخلت الجامعة ، وحاولت القيام بمختلف المهن التي كانت حكرا على الرجال الى زمن قريب ، لم تقنع بكل هذا ، بل طالبت بتعديل قانون الانتخاب حتى يتسنى لها مشاركة الرجال ، فقد قدمت جمعية الاتحاد النسائي ولجنة الوفد المركزية للسيدات مذكرة الى البرلمان المصرى عام ١٩٢٤م

---

١) المرجع نفسه ص ٥٩٣ .

طالبن فيها ((باشراك النساء مع الرجال في حق الانتخاب ولو بقيود في الدور القادم ، كاشتراط التعليم أو دفعها نصابا معينا على مالهما من الملك ، ولا يكون من الانصاف الاعتراض على اشراك هذه الطبقة من النساء ، سيما وقانون الانتخابات ، يجعل للرجل الأمي والخالي من الملك حقا في أن ينتخب وينتخب ، وليس من المعقول ولا من العدل ، وأغلبية الرجال كذلك أن تحرم المرأة مع الشروط المتقدمة من المساواة بمثل هذا الجمهور من الرجال ، كما أنه ليس من العدل أن يخضع النساء للتشريع ، ويتجرعن آثاره ، وهن نصف الهيئة الاجتماعية ، دون أن يكون لهن رأي في وضعه)) . "١"

فلما انفصلت هدى شعراوى بجمعية الاتحاد النسائي عن لجنة الوفد المركزية ، وتركت العمل السياسي ، تولت منيره ثابت زعامة لجنة الوفد ، وأخذت تطالب بدخول النساء الى البرلمان زائرات مستمعات بعد أن فشلن في دخوله عضوات ، وأسست في سبيل ذلك مجلة أسمها ((الأمل)) بينما ظل آخرون يثيرون القضية من حين الى آخر ، حتى وصل الأمر بفاطمة راشد أن أسست حزبا سياسيا برئاستها . "٢"

ولم يكن الشعراء بمعزل عن هذه القضية ، لأننا نجد منهم من طالب بمساواة المرأة للرجل ، كأبي شادي وصالح الشرنوبي ومحمد البرعي ، حيث يقول أبو شادي لمنيره ثابت :

بسمتِ فجددت حلو الأمل وأطلعت بالهرّ نجما أفل "٣"
وأثبتِ أن الكمال المصل ولا قدر للحسن حيث امتثل
وما بمتاع الحياة الفخسار

---

١) المرأة الحديثة وكيف نسوسها ، لعبد الله حسين المحامي ص ١٥٥
٢) ثورة في البرج العاجي ، لمنيره ثابت ، طبع دار المعارف بمصر ص ٢٥
وانظر صورة المرأة في الرواية العربية ، لطه وادى ص ٤٣ .
٣) الشفق الباكي ، لاحمد زكي أبو شادي ص ١٣٠ .

وثرت فيا نعمت الثائره   على الخطط الرثة الجائره
فعيشي لجنسك يا اسره   مخلصة وارفعي قـــادره
لواء المساواة أبهى منـــار

وفي قصيدة للشرنوبي بعنوان " أعطوها حقها " طالب بفتــــح البرلمان وانتخابها له ، مستدلا بتفوقها على الرجل أحيانا بتاريخها ، الذى يدل على نبوغها ، وذلك في قولــه :

أفسحوا للذي تريد المجالا   ودعوها اذا أردتم كمـــالا "١"
افتحوا البرلمان وانتخبوهـــا   فلكم فاقت النساء الرجـــالا
ولديكم تاريخها فأقـــرأوه   تجدوها على النبوغ مثـالا
مزّقوا هذه الغياهب عنهـــا   تعرفوها حقيقة وظـــــلالا
تعرفوا القوة التي لم تروهـــا   فتقيموا لمجدها تمثـــــالا

ودعا محمد البرعي الى تأييد مطالب المرأة ، فيما يتعلق بحقهـــا في الانتخاب ، ويعجب من موقف مجلس النواب ، الذى رفض الاقتـــراح المقدم من أحد أعضاء المجلس ، والخاص بحق المرأة في الانتخاب ، ويتساءل الشاعر ، هل كان رأيهم صائبا ؟ وكيف سولت لهم أنفسهـــم أن يحرموا المرأة حقا من حقوقها ؟ ونسوا الصرخة المدوية التي صـــدرت عنها أثناء مشاركتها الرجل في الدفاع عن الوطن ، حتى بارك الله سعيها ، واستجاب لصوتها ، ورأى البرعي أن المرأة حين طالبت أن تشارك فـــي الانتخابات كان الحق الى جانبها ، لأنها لا تريد من وراء ذلك غيـــر فك القيود ، التي تحيط بعنقها ، وقد تعودت أن تلاقي الصعوبـــات والقيود في طريقها ، كلما رامت الوصول الى هدف من أهدافها ، ولكنها سرعان ما تحطمها ، يقول :

كيف ردّوا لكن حقا مجابـــــا
هل ترى ما رأوه أمرا صوابـــــا "٢"

---

١) ديوان صالح الشرنوبي ص ٥٤٩ .
٢) دموع وشموع ، لمحمد البرعي ، ص ١٢٠ - ١٢٧ .

صرخة في السماء والأرض دوّت
بارك الله صوتها واستجابا
خالط الحق صوتها منذ غنّت
فسما الحق مأملا وطلابا
مالها في الحياة والسعي الا
فك قيد يشدّ منها الرقابا
كلما حطمت على الدهر صرحا
من صروح القيود لاقت صعابا

لكن طانيوس عبده رفض الرأي القائل بضرورة مساواة المرأة بالرجل ، لأن الله تعالى زوّد كل مخلوق من مخلوقاته بسلاح يناسبه ، فاذا كان قد سلح الأسد ببراثنه والنسر بمخالبه ، فقد سلّح المرأة بالجمال والحسن ، فغدت بفضله سلطانة تتحكم في الرجل ، فاذا استرجلت زال حسنها ولطفها ، وانطلقت قوة الرجل من أسرها :

انما المرأة قد سلّحها بسلاح الحسن ، والحسن بلاء "١"
فغدت في ظله سلطانة تحكم الأرض وتقضي في السماء
قوضته عرشها ، فاسترجلت فانقضى الملك وأصبحنا سواء
ان تكوني امرأة يبقى لك الملك ، والسلطة من حق النساء
فاذا استرجلت أبقيت لنا قوة نبلغ فيها مانشاء
أنت للطف وللين فلا تستعيضي بزئير عن ثغاء
أنت بالضعف تفوزين ويا طالما جرّبت بأس الضعفاء

---

(١) ديوان طانيوس عبده ، مطبعة الهلال بمصر ١٩٢٥ ، ١/٤٥-٤٦ ، وانظر ديوان أنين ورنين لأبي شادى ، حيث دعا الى انصاف المرأة في قصيدة له بعنوان "المرأة المصرية" ص ١٢٤ - ١٢٥ . ومطلعها :

أنصفت ياملكا هزته غيرته لرفع نسوتنا للمنزل العالي
فالملك شطران شطر للرجال به شأن وشطر له ربّات أحجال

فالشاعر يرى في الدعوة الى المساواة بين الجنسين اسطورة لا يمكن تحقيقها ، لأنها تنافي طبيعة المرأة ، التي اتخذت من ضعفها سلاحا لها ، فما يحققه الرجل خارج بيته بقوة عضلاته ، يمكن للمرأة أن تحققه في بيتها بلطفها وحسن معاملتها ، وكما أن الأنوثة لا تشرّف الرجال ، لا تشرّف الرجولة النساء ، وانما شرف كل جنس بمحافظته على خصائصه .

وكطانيوس عبده في رفضه للمساواة عزيز فهمي الذى سخر من النساء سخرية مرة في قصيدته المشهورة ، لما اتخذن قرارا في أحد مؤتمراتهن بعدم استعمال (نون النسوة) ، فقال ساخرا من القرار ومن رغبة متخذاته في " ميم المذكر بدلا من نونهن " :

هل أتاك حديث نهنه	النون ليست نونهنه "١"
هذا القرار وثيقة	أفصح وذكر جمعهنه
النون تخدش سمعهـ	نّ ... وما أرقّ شعورهنه
النون فرض كفاية	يكفي النساء فروضهنه
الميم أحسم للخلا	ف ، فلا تثيروا كيدهنه
برئ النساء من الأنو	ثة مذ ملكن قيادهنه
عفن الخباء وما الحيا	ة اذا لزمن خدورهنه
عبء الأمومة فادح	حسب الحقائل حملهنه
حسب الحقائل ما احتملـ	ـن ، وما حملن من الأجنه
ما للغواني والرضا	عة؟ ان هذا الفرض سنه

ان أمر هؤلاء النسوة مثير حقا ، لأنهن - كما قال - لا يبدين أى تحفظ عندما يعرض عليهن الزواج ، بل يوافقن على الشروط ، التي يشترطها الزوج في عقد الزواج ، لكنهن بعد ذلك يحاولن بما يملكن

---

(١) ديوان عزيز ، لعزيز فهمي ، دار المعارف بمصر ص ١٠٩ - ١١٠ ، وانظر مجلة الرسالة ، العدد ٦٠٢ ، ١٥ يناير / كانون ثاني ١٩٤٥ م .

من مكر وخديعة أن يمتلكن الرجال ، ويتمردن عليهم كما يتمرد الحمل الوديع على الذئب في غفلة من أمره ، يقول عزيز :

عقد الوثاق ، فما شكيتهن ولا يومن بحالهنه
ومكرن مكر خديعة وجذبن من يده الأعنه
الطير راش جناحه قد ريئير له الدجنه
وتمرد الحمل الوديع على الذئاب المطمئنه

— ٥ —

الى هذا الحد خرجت المرأة على العادات والتقاليد ، فيما زاولت - أو طمحت اليه - من أعمال ، مدفوعة بتأثير المدنية الغربية وتأييد مناصريها في آن ، لكن خروجها كان أخطر حين احترفت البغاء وسيلة للارتزاق ، لأنها به تجاوزت كل حد ، ويبدو أن هذه المهنة قد وفدت مع الأوروبيين الذين دخلوا مصر في أواخر القرن التاسع عشر ، حيث شجعوا المصريين على ترك العادات الشرقية ، وأدخلوا في روعهم أنهم لن يستطيعوا مجاراتهم في المدنية الا اذا أقبلوا على الخمارات والزناء ، ووسّع الأوروبيون دائرة اللهو ، فازداد تهالك المصريين على الخمور والملاهي ، ((وارتحل اليها المومسات وأرباب الملاهي تحويلا للثروة وازهاقا لروح الدين ، حتى أصبح المتلبسون بهذه الفضائح والقبائح لا شرقيين ولا غربيين ، واتخذتهم أوروبا وسائل لتنفيذ آرائها ووصولها الى مقاصدها من الشرق ، وهي تحثهم على المثابرة ، على علمهم باسم المدنية ...)) "١"

وينحي النديم باللائمة على المصريين الذين عملوا مع الانجليز في بداية عهد الاحتلال ، ويحملهم مسئولية الترويج للدعارة ، وذلك بموافقتهم الانجليز على السماح للنساء أن يمتهن مهنة البغاء ، حيث يقول : ((أيرون أن الانجليز هم الذين نشروا منشور المومسات ، ورخصوا

---

(١) سلافة النديم ٢/٦٦ .

للنساء أن يخرجن للبغاء تحت حماية القانون ، أم هم الذين سنوا كشف الأطباء على البغايا وأعطائهن شهادات بأنهن صالحات للزنا ... ؟)) "١"

لكن مجلة الهلال دافعت عن الحكومة ، التي أتاحت للمومسات ممارسة الدعارة ، وأطلقت لهن عنان الحرية ، ((ومهدت السبيل السنى ذلك بما عينته من الأطباء لفحص المومسات فحصا طبيا ، فازدادت أقدامهن تمكنا في تلك المهنة ، واتخذن لهن مقاما في أواسط المدينة ، وبالقرب من الحدائق العمومية وأماكن اللهو ، تسهيلا لاستجلاب الشبان بما ينصبنه من الشراك ...)) "٢"

ويبدو أن الحكومة في مصر لم تكن جادة في القضاء على هذا الداء ، لأنها كانت تسمح بفتح مواخير رسمية ، وتأخذ من البغايا رسوما مالية ، كما هو الشأن في المدن الأوروبية ، وقد قامت الحكومة باحصاء المواخير في الاسكندرية ، فكان عددها اثنين وثمانين ماخورا ، وذلك سنة ١٣١٥ هـ "٣" ، وكأنما صار هذا الداء واقعيا محترفا به ، لأن مجلة المنار لم تطالب الحكومة بالقضاء عليه واقتلاع جذوره ، بل اكتفت بمطالبتها أن تشدد الرقابة الصحية على من احترفن البغاء ، وذلك في قولها :
((لا توجد في القاهرة مراقبة البوليس ولا مراقبة الصحة ، فالعاهر حرة تلطّخ بالأمراض من أصابته ، وتنقضّ على الناس انقضاض الوحش المفترس .
فلماذا لا تكنس شوارع مصر ، كما تكنس شوارع باريس من هذه العاهرات ، ولماذا لا تعزل النساء الوطنيات ، ولا تطرد من البلاد النساء الأجنبيات المريضات .. ؟)) "٤"

---

١) المرجع نفسه ٢ / ٧١ .
٢) الهلال ، السنة الثالثة ، الجزء الثالث ، اكتوبر / تشرين أول ١٨٩٤ م ص ٤٣ .
٣) المنار ، المجلد الأول ١٣١٥ هـ ، الطبعة الثانية ص ٤٦١ .
٤) المنار ، المجلد العاشر ، الجزء السابع ، ٧ سبتمبر / أيلول ١٩٠٧م ص ١٥٣ - ١٥٦ .

وحتى المطالبة التي تقدم بها الاتحاد النسائي المصرى الـــى البرلمان عام ١٩٢٤م ، لالغاء البغاء لم تحظ بغير الاهمال . "١"

وكان من نتيجة ذلك أن كثيرا من الشعراء الذين تناولوا الموضـــوع أشفقوا على المرأة ، وعدوها ضحية المجتمع الذى لم يبصرها أو يســـد حاجتها ، فهذا نقولا رزق الله على الرغم من عده لبعضهن " الخليلـــة الخائنة " "٢" في قصيدة له بهذا العنوان ، وقف في قصيدة أخرى

---

١) المرأة الحديثة وكيف نسوسها ، لعبد الله حسين المحامي ص ١٥٢

٢) انظر الضياء ، السنة السادسة ، ١٩٠٣ - ١٩٠٤م ص ٢١١ .
حيث حكى نقولا رزق الله في قصيدته " الخليلة الخائنة " قصة حبـــه لفتاة أعجب بمظهرها ، وسلّم لها قلبه ، ولكنه سرعان ما اكتشـف أنها تخدعه وتخونه ، وأنه ليس سوى ضحية واحدة من ضحاياهـــــا العديدة ، وقد عجب الشاعر من هذه المرأة ، التي فرّطت فـــي جمالها الملهم ، وأصبحت جسدا بلا روح ، وسلعة يرتادها كـــل وارد ، وذلك في قوله :

علمتني كيف تميت الهوى ... خيانة الفاسق والغـــادر
كنت ولا أنكر فتانـــــة ... وكان قلبي ريشة الطائـــر
كنت أرى الظاهر لا غيره ... والمرء قد يخدع بالظاهـر
واعجبا من فاسد خائـــن ... يلبس ثوب الملك الطاهـر

.....

كيف هوى ذاك الجمـــال ... الذى كان اله الشعروالشاعر
أفندق دارك أم منتـــدى ... للناس من ضيف ومن زائـــر
خاطرت بالروح ولا علم لـــي ... أنك في حسنك كالتاجـــر
وحسن غادات الهوى سلعة ... كثيرة الوارد والصـــادر

يحلل موقفها من عرضها وعفتها وحياتها وحسنها ، ويرى أنها ضحيـــــة المجتمع ، لأنها حين اصطرع الخير والشر في نفسها ، فانتصر الثانـــي ، لم تجد من يبصرها ، بل وجدت مع الجهل والفقر من يضللها ، فالكـــل مذنب في حقها ، وعليهم أن يعدلوا اذا حكموا عليها ، أو يمدوا يـــد العون اليها ، يقول :

وقفة يا ابنة الهوى وأجيبــــي
كيف صيّرت عرضك المبـــذولا "١"
وحماك المباح للناس طـــــرا
وهواك المضيــــع المـرذولا
أذكرينا فاننا قـــد نسينــــا
ذلك الوجه يوم كـان خجولا
يوم كان الحياء والحسـن كـــلّ
فيه يسبي قلوبنا والعقــــولا
ملكا يوم كنت جسما وروحــــــا
لابسا من عفافـــه اكليــــلا
بك قام القتــال بين عدويـــن
فكـان المفضـلّ المخــــذولا
بـرز الاثم للعفاف فألقــــاه
على ساحة الفجور قتيــــلا
....
هم أضلوك ثم قالـوا بـــــراء
نحن منها فهم أضل سبيـــلا
ان يكن ذنبك الجهالـة والفقـر
فمدّ يه عـــذرك المقبــــولا
كلهـــم مذنـب اليك ومـــــالا
قيـت الا مضلـــلا وبخيــــلا

---

(١) الضياء ، السنة الخامسة ، ١٩٠٢ - ١٩٠٣ ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦

أيها الناس ذنبكم ذلك الذنب
فكونوا اذا حكمتم عدولا
أو فجودوا على الفتاة بما يحفظ
وجه الفتاة حسرا جميلا

ومثله في هذا الموقف خليل شيبوب وطانيوس عبده ، الأول في قصيدته " عزيزه " "١" التي دافع فيها عن البغي ، بقوله أن الذين أغروها هم الذين أنزلوها منازل الهوان ، وحرام أن تتركها للشر ، بل يجب انقاذها منه ، والثاني في دعوته المجتمع أن لا يسبها بسقوطها ، لأنها لم تسقط الا بعد مقاومة ، وعليه أن يشعرها بالحب ، الذى يعيدها سيرتها الأولى . "٢"

---

١) انظر قصيدة " عزيزة " في ديوان الفجر الأول لخليل شيبوب ، ص ٦٤ - ٦٥ ، حيث يقول :

أنزلوها منازل الهوان خسرا — ثم قالوا صارت من الفاجرات
مكروها وخادعوها وأغروها — وقالوا : غدت من الهالكات
ورأوا في نسائهم شرفا لو — نهشوه عدّوه في المخزيات
وفجور الأجسام أيسر خطبا — من فجور النفوس والعاطفات
واذا ماكان السبيل سويا — بطل الحذر فيه للعاثرات
ان شرّ الفجور ماكان مستورا — بستر العفاف في الأسرات
وحرام أن يترك الحسن للشرّ — ويقضي فريسة الشهوات
انما ينشل الغريق من أليم — ويدلي اليه حبل النجاة

٢) انظر قصيدة " المرأة الساقطة " في ديوان طانيوس عبده ١/ ١٩١ ، حيث يقول :

لا تسبنها اذا سقطت يوما — فليس السقوط في النفس سهلا
حاربته فكان فقرا وجوعا — وقنوطا ما أنت تدعوه ذلا
.....
هي طلّ الندى الجميل فلما — سقط الطلّ صار في الترب وحلا
وقليل من الشعاع شعاع ال — حبّ يكفي ليرجع الوحل طلا

كذلك اتجه هذا الاتجاه شعراء جماعة أبولو ، اذ على الرغم من طابعهم الذاتي ، تناولوا حياة البغي وعدوها ضحية مظلومة ، وأن كل من يأتيها ناهب سارق "١" ، ولهذا يعطفون عليها ، حتى ليقول أبو شادي في تعليل سقوطها : ((... لا ترى أمامها ما تتعيش منه ، لأنها معرضة للطرد من أي مكان تؤمه ، وترغب في العمل به ، وليس أمامها ملجأ تأوي اليه صيانة للعفة ، فهل تلام اذا فرطت في عرضها ، وهي لا ترى وسيلة غير ذلك لحفظ حياتها)) "٢"

ولم يكتف صالح جودت أن يرثي لحال المرأة التي ابتذلت جسدها ، كما فعل أبو شادى ، بل وصف تجربة له مع بغي ، هزته مأساتها ، فأنسته كل ما لجسدها من مفاتن ، وكل ما يمكن أن تثيره في نفسه من رغبات ، فراح يدافع عنها في حماس ، ويحمل المجتمع مسئولية الظلم الواقع عليها "٣" ، وقد صوّر موقفه هذا في قصيدة له بعنوان " الهيكل المستباح " :

وقفت في الباب في ثوب رقيق ... تفتح الباب لقطاع الطريق "٤"
كم سروق نال منها جانبا ... ومضى .. ما أعجب اللص الطليق

---

١) جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث ، لعبد العزيز الدسوقي ، المطبعة الثقافية القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩١ - ١٩٧١م ص ٤٦٣ .

٢) قطرة من يراع في الأدب والاجتماع ، تأليف أحمد زكي أبو شادى ، مطبعة الظاهر بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٢٦ هـ ص ٣٧٣ .
وانظر في نفس المرجع ص ٣٧٤ قصيدة لأبي شادى تعاطف فيها مع البغايا ، ومطلعها :
يا أيها النفس ما أرى لك مثوى في ظلال الدنا وكون الفساد

٣) تطور الأدب الحديث ، لأحمد هيكل ص ٣١٥ . وانظر جماعة أبولو ، لعبد العزيز الدسوقي ص ٤٦٣ - ٤٦٤ .

٤) أبولو ، العدد الثامن ، ابريل نيسان ١٩٣٣م ص ٨٧٥ - ٨٧٦

ويبدو أن صالح جودت ، لا يجد غضاضة ولا حرجا من زيارة الساقطات، بل يعلن أنه أتاها ليلا ، فاستقبلته مبتسمة له مرحبة به ، داعية اياه أن يظفر منها باللذات :

جئتها في ليلة فابتسمت
بسمة تفترّ من حرّ الشهيق
ثم قالت : مرحبا يامرحبا
بأخي اللذات أهلا بالعشيق

ويمضي صالح جودت في وصف جسد الغانية العاري الا من ثوب رقيق لا يقيها شرّ البرد ، ويعجب الشاعر من الليالي ، التي اضطرت هذه المرأة أن تجعل من جسدها سلعة ، يستغلها تجار الرقيق ، ويضطرونها الى السير في طريق صعب المسالك ، ويجبرونها أن تعرض مفاتنها على كل مار في الطريق :

زمهرير البرد يضني جسدا
عاريا الا من الثوب الرقيق
جعلت منه الليالي سلعة
ما الليالي غير تجار رقيق
عرضوها في طريق شائك
ترقب المبتاع من أهل الطريق

ويرى حسن الصيرفي أن الأضواء البراقة بما فيها من سحر واغراء وفتنة ، هي السبب في سقوط بعض النساء ، حيث تساهم كؤوس الخمر والغناء والرقص في دفعهن الى البحث عن الهوى والاثم والسخرية من كل ماهو طاهر ، يقول على لسان احداهن ، بعد أن عرفت حقيقة ما أقدمت عليه :

غرتني الأضواء براقة فانسقت في تيارها العارم "١"
أخذت من كف الأسى كأسه وبتّ أسقى من هوآثم

---

(١) صدى ونور ودموع ص ١١٤-١١٦

والواقع أن القصائد التي تعالج حياة هذه الفئة من النساء كثيرة في دواوين الشعراء ، الذين تلوا جيل شوقي وحافظ ، ولكنا نكتفي بالاشارة الى بعضها "١" .

---

١) انظر قصيدة " فتنه " لحسن الصيرفي ، والتي وصف فيها البغي ، بأنها حية رقطاء . صدى ونور ودموع ص ١٠٥ - ١٠٩ .
وانظر قصيدة " الحية الرقطاء " التي وصف فيها محمد علي الحوماني المرأة بأنها أفعى ، خصوصا عندما تتحكم بها الشهوات .
ديوان حواء ، لمحمد علي الحوماني ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، ١٩٤٣م ص ٢٧ .
وانظر قصيدة " فتاة منتصف الليل " للعوضي الوكيل ، ديوان أغاني الربيع ص ٣٢ - ٣٣ ، ومطلعها :
تنامين في حضن من يافتاة ومن منك ينشق عرف الحياة
وانظر قصيدة " تطور " لعبد الرحمن بدوي في ديوانه " مرآة نفسي " ص ٢١ - ٢٥ . وفيها يعلن عن تمرده على أخلاق القوم التي تعد الطهارة أمرا ضروريا ، ويرى أن التمسك بهذه الأخلاق حرمه من المتع في الماضي ، ولكنه بعد أن تخلص من سيطرة القيم على ضميره ، اندفع ملبيا صوت الشهوه ، الذى يزمجر في حنايا ضلوعه ، لا فرق عنده أن يشبعها عن طريق الزواج أو باللجوء الى البغايا ، يقول :
سئمت نفسي من الزهد ومن دعوى الطهاره
لم أدع بنت عفاف لا ولا بنت عهاره
وانظر ديوان أغاني الكوخ لمحمود حسن اسماعيل ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧م ص ١١٨ - ١٢٣ . حيث وصف في قصيدته " ريفية تسقط في المدينة " كيفية وقوع النساء الساذجات اللواتي يفدن من القرى فريسة سهلة في أيدى العابثين الذين يتلاعبون بعواطفهن ، حتى اذا حصلوا على مايريدون دفعوا بهن الى حياة الرذيلة ، يقول :
سرق الأثيم قداستي ومضى ومضيت أندب حظي الكابي
حيرى أروم القبر لي عوضا عن خسة الدنيا وأوضابي
فنزلت . . . ما أقذى وأرجسه بيت الفجور وعش أوزارى
. . . . . .
افترّ فيه لمن يساومني عرضي . . بمايلهي الطوى شبعا
وانظر ديوان صالح الشرنوبي ص ٢٢٨ - ٢٣٥ ، حيث حكى الشاعر في قصيدته " زوج ابليس " قصة امرأة تبيع جسدها من أجل أن تعيل أمها ، ومطلعها :
هذه دارها وتلك رباها نمّ عنها شميمها وسناها

وغني عن القول ، أن هؤلاء جميعا قد تأثروا بالمدنية الغربية وبأدبها الذي عطف على البغي ، ومن ثم عطفوا عليها ، وعدوها ضحية مظلومة لا زانية تتاجر بجسدها ، واعتذروا عنها بالجوع والفقر ، وكلاهما ليس بعذر ، فللكسب وسائل أخرى ، ولا ريب أنهم بموقفهم هذا قد هونوا الأمر على الساقطات ، وروّجوا لانتشار المفاسد ، أضف الى هذا أن أبا شادي وأضرابه اتخذوا من مجلة أبولو ميدانا فسيحا لنشر لوحات فنية لرسامين أوروبيين ، تصور المرأة عارية وفي أوضاع مزرية ، مما حدا ببعض المجلات أن تنتقد هذا التصرف من أبي شادي ، الذي كان يصر على وضع لوحة عارية في كل عدد من أعداد مجلته ، ثم يصف هذه اللوحة بقصيدة له ، حتى أن جريدة الوادي وصفت أبا شادي ، بأنه كان يتغزل في الصور العارية المطبوعة على بطاقات . "١"

ولكن أبا شادي أصر على موقفه هذا باعتباره اتجاها جديدا ، فقال :
((وربما أتيح لنا أن نضع كتابا فنيا مصورا عن جمال المرأة وتحليل عناصر ذلك الجمال ، لأننا نعتقد أن كتابا من هذا الطراز ، مما يساعد على تربية الذوق الفني والنظر الى المرأة نظرة فنية ، وقد لاحظ أصدقاؤنا كيف أن جميع الشعر الذي تناول المرأة ، ونشرناه في هذه المجلة أو في دواوينا الخاصة كان يحوم حول تقديسها ، وحول تربية الذوق الفني المتطلع اليها ، وبعبارة أخرى اننا كنا نحارب بهذا الشعر الخشونة المتوحشة وشعور الاحتقار للمرأة والشذوذ والشهوة السقيمة ، كما نربي الذوق الفني العام ، فاذا لغط بعد ذلك من لا يفهمون شيئا من أصول الفن ... بتفاسير يمجها كل أديب مهذب كالاباحية ، فيجب أن ترتد تفاسيرهم الى نفوسهم ، فانما نحن نعتمد على أرقى النماذج الفنية ..)) "٢"

---

١) أبو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي الحديث ، لكمال نشأت دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

٢) مجلة أبولو ، نوفمبر / تشرين ثاني ١٩٣٤م ، ص ٣٩٢ .

والواقع الذي لا ينكر أن أبا شادي كان مغرما بوصف المرأة عارية ، فكيف نعد ذلك منه محاولة للرقي الفني والارتفاع بالمرأة عن الخشونة والاحتقار ، وكيف نصدق أنه كان يعتمد على أرقى النماذج الفنية ، ومجلة أبولو التي كان يرأس تحريرها حافلة بالصور التي يخجل أى صاحب ذوق أن ينظر اليها لشدة ازرائها بالمرأة .

ولكن الأمر لا يبدو غريبا اذا عرفنا أن أبا شادي كان من المتحمسين لمبادىء الماسونية ، التي كان الترويج لمبادىء الفساد والاباحية والانغماس في حمأة الرذيلة واشباع الشهوات عن غير طريق الزواج من أهم مقوماتها ، هذا الى اعتمادها على نشر الصور الداعرة المتهتكه "١" ، وهي الطريقة التي سار عليها أبو شادي ، وليس هذا تحاملا عليه فقد جعل من شعره بوقا لمبادئها ، كقصيدته التي ألقاها في الاحتفال الذى أقيم في بور سعيد أمام وفد المحفل الأكبر الوطني المصرى ، بمناسبة تثبيت أحد المحافل الماسونية في بور سعيد ، فقال :

باسم الاخاء أحيي كلّ مأثرة
فيكم وانصاف مغبون ومظلوم "٢"
بمثلكم يبلغ "الماسون" غايتهم
من وحدة الناس في بر وتعليم

واحتفل أبو شادي في الذكرى الخمسين لتأسيس أول محفل للماسونية في مصر ، وعدّ الثامن من اكتوبر عيدا أحيى الآمال ، وفجرّ مجد النيل ، فقال :

أضأت بالبرّ والاخلاص ياعيد
في فضل نورك للاحسان تعييد "٣"

---

١) المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها ، للدكتور عبد الرحمن عميره ، ص ٧١ - ٧٤ .
٢) الشفق الباكي ، لأحمد زكي أبو شادى ص ٢٠٣ - ٢٠٥ .
٣) المرجع نفسه ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

فأنت عيد لآمال " مكرسة "
وأنت فجر له وحي وتأييد
وأنت ملهمنا الأسرار نفهمها
حتى يدوم لمجد النيل تمجيد
وما العقائد في ألفاظ سيرتها
ان العقائد تطبيق وتحديد

لكن اذا كان أبو شادي ومن اليه قد دافعوا عن البغي وعدّوها مظلومة ، فان آخرين ممن لم تفسد هم المدنية ، ولم يضعف الوازع الديني عندهم ، قد هاجموا هذه الظاهرة ، وطالبوا بتطبيق الشرع ، ونخص بالذكر منهم محمد صادق عرنوس ، الذى كان من أشد الشعراء هجوما على البغاء ، باعتباره خطرا يهدد الفضائل "١" ، ويكاد يقضي عليها ، يقول :

ما للفضيلة من شعبانها واقي
لم تجد فيه فتيلا نفثة الراقي "٢"
سرى بها السمّ حتى لا وقوف له
يامن لمسمومة مس غير ترياق
من ذا يشاطرني بلوى منيتها
من بعد ما رمي المسعى باخفاق

ولأن القوانين التي وضعتها الحكومة لا تستطيع اقتلاع هذا الداء من جذوره ، ينصح بالرجوع الى تطبيق عقوبة الشرع ، فهي كافية أن تودب كل

---

١) وشارك عرنوس في رأيه هذا شعراء آخرون منهم محمد الأسمر . انظر ديوان الأسمر ص ٤٧٥ - ٤٧٧ . وراجع محمود عماد ١٣٨١هـ - ١٩٦١م ص ٧٠ - ٧٥ ، حيث حذر من خداع الغواني ، وذلك في قصيدة له بعنوان " المتصابية " ، ومطلعها :

ذهب الشباب ولا كلام وفرغت من ذاك المنام

٢) الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٥٠ ، ٦ يونيو / حزيران ١٩٢٩م ص ٤ .

من تسول له نفسه أن يرتكب جريمة الزنا ، ويحمّل عرنوس الحكومة مسئولية انتشار الزنا علنا ، لأن القوانين الموضوعة لا تعاقب من يقدم على هذا المنكر ، مادامت المرأة راغبة في ذلك وغير قاصرة ،

عقوبة الشرع في التأديب كافية
فجدّدوا عهده تحظوا بأخلاق

أوضاعنا سوغت فحل الزنا علنا
مادام آتيه حرا غير منساق

والبنت مالم تكن في السن قاصرة
أو أكرهت منحوها كلّ اطلاق

ثم يحذر من الأخطار التي تهدد المجتمع نتيجة انتشار هذا الداء ، الذى يؤدي الى ضعف النسل وتبديد الأموال في سبيل التخلص من الأمراض ، هذا الى أن شيوع الفسق ينتج عنه اختلاط الأنساب ، وعدم نسبة الأبناء الى آبائهم :

نسل ضعيف ومال ذاهب هدرا
في الطبّ تتبع انفاقا بانفاق

اذا فشا الفسق يدعو الابن أي أب
وأي شخص به أولى بالصاق

وعنده أن باب تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين المسلمين ، هو الذي أدى الى انتشار الفحشاء ، حتى أن الفاسق لا يلاقي مجرد كلمة زجر ، ولم يعد يهتم أحد بكرامة الدين وعزة الدنيا ، ومما يزيده ألما أن مصر التي تدّعي الاسلام قد رضيت أن يكون الفسق علنيا :

باب التناهي الذى أوصى الكتاب به
الناس قد أغلقوه أيّ اغلاق

كرامة الدين والدنيا معا قضتا
لم يبق شيء لديهم منهما باقي

مصر التي تدعي الاسلام قد رضيت
أن يصبح الفسق معروضا بأسواق

على أن الأوروبيين الذين نشروا الدعارة في مصر عن طريق اباحة البغاء، لم يكتفوا بذلك ، بل اتخذوا من المرأة وسيلة لترويج الخمر ، فجعلوها عاملة في الملاهي ، تقدم المشروبات للرواد ، وقد وصف قاسم الهلالي بائعة الخمور ، وحذّر من اغرائها في سياق تحذيره من اتباع هوى الدخلاء والتطبع بأخلاقهم ، فقال :

ارجع الى التاريخ فهو مترجم
يغنيك عن نظمي ورقش مدادى "١"
وهناك تعلم ما المصير لأمة
تبعت هوى الدخلاء والرواد
حتى تطبّع أهلها بطبائع
تدع البلاد بلاقعا وبوادي

....

أو أين بائعة الخمور تميس في
حانوتها بقوامها الميّاد
تغنيك عن أقداحها أحداقها
وبديع نغمة لفظها عن شاد
هذي بلايا مصر لايرجى لها
دفع بلا سعي من الأفراد

ويبدو أن الأوروبيين قد اتخذوا من منطقة " الأزبكية " في القاهرة مركزا لاقامة الملاهي ، فقد وصف محمود خيرت في قصيدة له بعنوان " تلاعب الحسان بعقول الفتيان " كيف يستغل أصحاب الملاهي الفتيات ويسلطونهن على الشباب ، من أجل ابتزاز الأموال ، وذلك في ملهى مزدان بالأضواء ملئ بالفتيات الأوروبيات ، اللواتي يطفن على الرواد ، ويمنينهم بالوصل والغرام :

---

(١) الثريا ، السنة الثالثة، الجزء الثالث ، اكتوبر / تشرين أول ١٨٩٨م ص ٩٩ .

فقصدت نحو " الأزبكية " علنــــي
أمحو بها تلك الهموم وأمحــــق "١"

......

قد زينت بالكهربـــا أرجـــاؤه
حتى كـأن الشمس فيه تشــرق
وأجمع الى هـذا الجمال أوانســا
يبــرزن للقلب الخلي فيعشــق
حتى دنـت من بينهن مليحـــة
روميـة ترمي القلـوب وترشـــق

......

جلست بجانبه فخامره الهـــوى
وأخو الخلاعة بالتهتك أخلـق
ثم انثنت مـن بعدها وبكفهـــا
خمر تذيب بها القلوب وتحـــرق

كذلك اتخذ أصحاب الملاهي من الأوروبيين وغيرهم في محلاتهم راقصات لاغراء الزبائن ، على الرغم من أن التقاليد والعادات في مصر كانـــت تعد هذا العمل مخلا بالآداب العمومية ، حتى أن الحكومة المصرية أمرت رسميا عام ١٨٩٤ م بابطال هذه العادة من المحلات العامة حفظـــا للآداب ، ((ولكن يسوءنا أن هذه الأوامر لم تنفذ على الأجانب ، ولذلك فقد نما الينا أن بعض الراقصات في الأماكن العمومية لا يزلن على ماكن عليه ، لا يعترضهن معترض ، بدعوى أنهن في حماية دولة أجنبية ، وتلك الدولـــة لم توافق على ابطال الرقص ، فياحبذا لو أتت الحكومة المصرية جميلها باقناع تلك الدولة أن هذه العادة ، وان كانت اعتيادية عندهم فهي لدى المشارقة تعد من الخلاعة وقلة الأدب ، يجب ملافاتها ...)) "٢"

---

١) الجامعة ، السنة الرابعة ، الجزء الرابع ، يونيو / حزيران ١٩٠٣م ص ٢٤٨ - ٢٥٠ .

٢) الهلال ، السنة الثانية ، الجزء الثالث والعشرون ، اغسطس / آب ١٨٩٤م ص ٧٢٩ .

وهذا يعني أن الذوق العام في مصر كان يعد الرقص خروجا على الذوق والعادة ومخالفة للدين والتقاليد ، ولكن ما الذى حدث حتى أصبح الرقص فنا من الفنون ، وأضحت الراقصات والمغنيات يستقبلن من قبل الملوك وتعلق عليهن الأوسمة ، ويلاقين من تقدير الشعراء واطرائهم مالا يلاقيه فاتح عظيم أو قائد ملهم ؟ .

في اعتقادنا أن هذا التغير يعود الى الدور الذى لعبته المدارس الأجنبية التي كانت تعد العزف جزءا مهما من المناهج المدرسية التي تقدمها لطالباتها ، يقول محمد عمر في كتابه حاضر المصريين : ((لكنا نراهن لا يتعلمن في مدارس الأجانب سوى فن البيانو واللغات الأجنبية من فرنساوية وانجليزية ...)) "١" ، وتقول مجلة المجلات العربية في نقدها المدارس الأجنبية : ((والواقف على ماهية التعليم في تلك المدارس والعارف بأخلاق خريجاتها ، يرى أن هؤلاء الفتيات لم ينبغن الا بضرب البيانو وعزف الموسيقى ...)) "٢" .

وقد أدى ذلك فيما بعد الى انشاء جمعية مختلطة في الاسكندرية مهمتها ، ((السمر بين الأسر واحياء الحفلات الراقصة)) "٣" ، كما وصل الأمر ببعض محلات السمر أن تكتب على أبوابها : ((هنا تعلم القبائح ، وتعود المعاصي ، هنا المدرسة الابتدائية للآثام والشرور)) "٤" .

ثم أصبح عمل الراقصات والمغنيات في المواخير مادة دسمة يستوحيها الشعراء في قصائدهم ، ويعبرون فيها عن تجاربهم مع هذا الصنف من النساء ، ومن ذلك قصيدة لابراهيم ناجي بعنوان ((قلب راقصة))

---

١) حاضر المصريين ، لمحمد عمر ص ٣٥ .
٢) مجلة المجلات العربية ، السنة السابعة ، يناير / كانون ثاني ١٩٠٧م ، العدد الأول ص ٣٦ .
٣) فتاة الشرق ، السنة الخامسة ، الجزء الثاني ، ١٥ نوفمبر / تشرين ثاني ١٩١٠ م ص ٧٠ .
٤) قطرة من يراع في الأدب والاجتماع ١٠٢/١ .

وصف فيها امرأة تعمل في أحد الملاهي التي حرصت أن تقدم لزبائنها كل ماتستطيع من أنواع اللهو بما فيها النساء كعاملات وراقصات وساقيات ، يقول :

فرأيت فيها أبصرت عيني ملهى أعد ليهج الناسا "١"
يجلون فيه فرائد الحسن ويباع فيه اللهو أجناسا

.....

ودخلته أجتاز مزدحما بالخلق أفواجا وأفواجا
وأخوض بحرا بات ملتطما بالناس أمواجا وأمواجا
فقدوا حجاهم حينما طربوا ودووا دوي البحر صخّابا
فاذا استقروا لحظة صخبوا لا يملكون النفس اعجابا

كذلك وصف عبد الحميد السنوسي مايدور من صخب وطيش في مرقص من المراقص ، حيث اختلط العزف بالغناء والرقص ، وبدت فيه النساء شبه عاريات ، يدرن بالكئوس على الحاضرين ، يقول :

انظر الى الرقص واسمع ما تخلله
من الأغاني التي تنحو مناحيه "٢"
الرقص متسق بالعزف متصل
والعزف مثل الرقص يذكيه
والغيد رافلة تزهى وعارية
والحسن مستوره يغري وعاريه

ولم يكتف بعض الشعراء من الحانات بوصف مايدور فيها من الصخب ، بل اتخذوا منها مقرا لهم يجتمعون فيه ، فقد رسم علي محمود طه صورة للحانة التي يلتقي فيها الشعراء ، ووصف النساء اللواتي يتحلقن حولهم ، فهن بين عازفة على وتر ، وحوراء تقدم لهم كئوس الخمر ، وحلقات الدخان تعلو رؤوسهم ، يقول :

---

١) ديوان ابراهيم ناجي ، دار العوده ، بيروت ص ٤٥ - ٤٩ .
وانظر المقتطف ، الجزء الثالث ، أكتوبر/ تشرين أول ١٩٣٢م ص ٢٨٥ .

٢) المقتطف ، الجزء الثالث ، مارس/ آذار ١٩٣٤م ص ٣١٠ .

منهن عازفة على وتــر   متفجر بأرق احســاس "١"
وغريرة حوراء كالقـمــر   تحنو على شفتيه بالكاس
ان تسأل الخمار قال همو   عشاق فن أهل آداب
لولا دخان التبغ خلتهمو   أنصاف آلهة وأربــاب

وهكذا تحوّل الشعراء من مدح الملوك الى مدح هذه الطبقة مــن النساء ، وعدوا عملهن فنا ساميا يرتفع بالذوق العام ،ولم يتركوا مناسبة تمرّ باحداهن الا اتخذوا من شعرهم وسيلة للتقرب منها ،فقد قدّم أبــو شادي تهانيه لاحدى المغنيات بمناسبة حصولها على وسام من ملك ايطاليا، حيث يقول :

ملكت تقدير أهل الفن فني وطنــن
الفن أعلامه أصحاب تيجــان "٢"

واذا زلت قدم احداهن ، سارع الشعراء اليها بقصائدهم ، يدعون لها بالشفاء ، ويتمنون لو أنهم كانوا فداء لها ، فهذا عزيز فهمي يخاطب واحدة منهن بمناسبة زلة أصابتها ، فيقول :

ياليتها قد مسـبي أنــتـا   زلّت وضلّ ضلالهــا "٣"
وسلمت أنت وزال عــنــن   قدم الحبيب كلالهـــا

واذا سافرت واحدة منهن للاستشفاء أو الاصطياف ثم عادت ، هرول الشعراء نحوها يقدمون تهانيهم ، وقد عدّ العقاد صوت احداهن ثروة لمصر ، وأن عودتها معافاة عيد من أعياد مصر ، حين قال :

---

١) ديوان علي محمود طه ، دار العودة - بيروت ١٩٧٢م ص ٤٧٩ ٤٨٤ . وانظر علي محمود طه شعره ودراسه ، لسهيل أيوب ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ١٩٦٠م ، ص ١٦ - ٢٣ . وانظر قصيدة " راقصة الحانة" لعلي محمود طه ، الديوان ص ٥٠٩ - ٥١٢ .
٢) الشفق الباكي ، لأحمد زكي أبو شادى ص ١٠٥٠ - ١٠٥٢ .
٣) ديوان عزيز ، لعزيز فهمي ص ٦٥ - ٦٦ .

انه ثروة لمصــــر وما أجــزل الثــراء "١"
مهرجان لعيد هـا حيث رفرف اللـــواء
وعلى الجرح ان شكت بلسم ناجع الشفـاء

وعبّر حسن الحطيم عن الألم الذى أصاب الجميع نتيجة لمرضهـا ، وأنهم على استعداد أن يفتدوها ، ويتحملوا أعباء دائها سنين وحقبـا ، حتى تعود اليهم ، وتشفي قلوبهم :

ودّ الجميع لو افتدوك وحمّلوا أعباء دائك حقبة وسنينا "٢"

ثم لم يقف الشعراء عند هذا الحد ، بل رثوا المغنيات عند الموت ، كما يرثى الملوك ، وعدّدوا مناقبهن كما تعدد مناقب الأبطال ، فقـد رثى صالح الشرنوبي احدى المغنيات ، وكانت قد قضت نحبها غرقـا بقولـه :

هات الدموع فأنـت شاعـر مالدموع لديك آخـر "٣"

.....

يكفيك من نار الفجيعـة أنّه تغلي الحناجـر

كما رثاها أبو شادى ، وعدّ موتها جناية على الحسن ، وفاجعـة ألمت بالفن ، فقد كانت بصوتها الشجي عزاء للمحبين ، وتعبيرا عـن لوعة الحب ، يقول :

أينـدثر الفن ؟ ياللقـدر ويجني على الحسن حتى الحذر؟ "٤"
فوالهفة الفن مات العـزاء ويالوعة الحب ، مات القمـر

وحتى يحسن الناس الظن بهذه الطبقة من النساء ، أقبلن على التبرع من ريع حفلاتهن لمساعدة المنكوبين ، وقد كان ذلك في وقت مبكر من القـرن

---

١) ديوان من دواوين للعقاد ص ٢٥١ - ٢٥٣ .
٢) مجلة أبولو ، العدد الأول ، سبتمبر / أيلول ١٩٣٣م ص ٦٠
٣) ديوان صالح الشرنوبي ، ص ١٣٠ .
٤) من السماء ، لأحمد زكي أبو شادى ص ٨٥ - ٨٦ .

العشرين ، فقد تبرعت مغنية بريع حفلاتها الغنائية لصالح منكوبي الحريق ، الذى أصاب الأستانه ، وقد هزت أريحية هذه المغنية شاعر مطران ، فخلّد هذه المناسبة بقوله :

ليلى اجمعي الناس الى محفل
مصغ وكوني القينة الشادية "١"
دعوت للخير فجاءوا له
بأنفس طيبة راضية
ماكلمات الشكر ان نهدها
ببعض ماجدت به وافية
آها لمنكوبين قد أحرقت
ديارهم غائلة جانية

وهذا يظهر أن خليل مطران وغيره من الشعراء شجعوا المرأة أن تعمل في مجالات كلها ريبة وفساد ، ثم تتبرع بما غنمت للمنكوبين والأيتام ، ويبدو أن هذا الأمر أصبح عادة متبعة فيما بعد وأمرا مقررا ومعترفا به ، مع العلم أن مثل هذه المرأة التي تعمل في جو يدعوها الى التفريط في شرفها ، ربما كانت أحوج الى الاحسان والتبرع من المنكوبين .

ولم يكن دور الشعراء مقصورا على تشجيع النساء على الاتجاه في هذا الطريق والاشادة به ، بل انهم مسئولون أيضا عن الفساد الذى أصاب كلمات الأغاني ، فمن يرجع الى المجلات التي صدرت طوال النصف الأول من القرن العشرين ، خصوصا المهتمة منها بشئون الفن ، يجد أن هذه الكلمات ليست سوى نداء لاستثارة الغرائز ونشر الفحش ، ومن ثم كتب محمد صادق عرنوس قصيدة بعنوان ((ألم الشعر من فساد الغناء ، بيّن فيها على لسان الشعر كيف أن الشعراء باسفافهم فيما يكتبون من أغان ردّوا الغناء الى الحضيض ، وجعلوا منه وعاء للفساد مع أنه ينبغي للشاعر أن يتخذ من شعره وسيلة للوعظ والهداية والفضيلة :

---

(١) ديوان الخليل ، لخليل مطران ٢/ ٣٤-٣٥ .

أيها الناس سائلوا الشعـــراء
كيف ردوا الى الحضيض الغناء "١"
أنا مذ كنت للغنـــاء وعـــاء
انما لسـت للفساد وعـــاء
ما دعونا الى الفضيلــــة الا
صار أعداؤهـا لها أصدقـــاء

وكما بيّن أن الشاعر والمغني قد أساءا التصرف ، لأنهمـــا لا يباليان أساءا أم أحسنا ، مادام هذا الأمر يدر عليهما مالا وفيـــرا ، حتى ان اسفافهما قد أثّر على أخلاق النساء في بيوتهن ،لأنهما يتعمدان أن يكون الكلام رخوا بذيئا ، لا يستهدف غير اثارة الغرائز :

شاعـر غير شاعر ومغــــن
لا يبالـي كلاهمـا قبح أسـاء
منذ أن أصبحا رسولي غنــاء
طلّق الذوق جملـة والحيـــاء
تخذا نشره أداة شـــراء
لعن الله مثل هذا شـــراء
قد أسفّا ولم يعفا الـى أن
أسمعا الفحش في البيوت النساء
بكلام رخو وقــول بـــذى
أغريا الهتك والفتى اغـــراء

ويبدو أن اشتغال النساء بالغناء والتمثيل في وقت مبكر من القـــرن العشرين ، لفت انتباه العاملين في ميادين الاصلاح ، فقد أصدر محمد رشيد رضا فتوى حرّم فيها عمل المرأة في التمثيل والرقص بقوله : ((نهى القرآن نهيا صريحا عن ابداء النساء زينتهن لغير بعولتهن وآبائهن وغيرهم

---

١) الفتح ، السنة الرابعة ، العدد ١٥٣ ، ٢٧ يونيو / حزيران ١٩٢٩م ص ٣ .

من المحارم ، فهل يشتبه بعد هذا في ابداء الزينة مع ماهو شرّ منها ، وهو الرقص مع الأجانب ومطارحتهم الغرام وتمثيل معاملتهم معاملة الأزواج تارة والأخدان تارة أخرى ؟ لا محل للتردد في تحريم هذا العمل وتحريم التعاون عليه والمساعدة لأهله ، بل في اقرارهم عليه والسكوت عن انكاره عليهم ، ولا حاجة الى البحث في مفاسده ،فانها بديهية ..)) "١"

كذلك تناولت صحيفة دار العلوم الغناء بالتحليل والنقد ، فرأت أن الغناء في مصر ، أصبح تعبيرا عن أحط النزعات الحيوانية في الانسان ، وتصويرا لها في حالة ضعفها ومرضها وانحلالها ، وقد عدت الصحيفة الشعراء والمغنين والملحنين مسئولين عن هذا الضعف ،لعدم تمكن العواطف الانسانية النبيلة والسامية في نفوسهم ، كما عدتهم مسئولين عن فساد الذوق لدى السامعين . "٢"

وهذا يعني أن المرأة بخروجها من بيتها الى ميادين الحياة المختلفة ،لرغبتها في العمل والانعتاق من السيطرة المزعومة للرجل عليها ، قد خسرت أضعاف ماكانت تتوقع كسبه ، وكانت النتيجة أن سقط كثير من النساء اللواتي تمردن على حياة البيت فريسة سهلة في أيدى تجار الرقيق ، الذين اتخذوا من أجسادهن وسيلة للكسب الحرام ، الذي يحقق أرباحا طائلة ، وأن كثيرا من النساء اللواتي صدّقن دعوى المساواة بين الجنسين لم يجدن فيها غير سراب خادع لاسبيل الى الوصول اليه ، لأن لكل وظيفته واستعداده ، كما لاحظ العقاد حين بيّن طبيعة العلاقة التي ينبغي أن تكون بين الرجل وزوجته في قوله : ((... بل يجب أن تكون علاقة شريكين ، يتوزع بينهما العمل على حسب اختلاف الوظيفة والاستعداد ، وكلاهما خاسر مغبون ، اذا أخلّ بحق شريكه ونازعه في عمله وكفايته ، وكلاهما رابح اذا عرف أين يعطي وأين يأخذ من

---

١) المنار ، المجلد العاشر ، الجزء السابع ، سبتمبر/ أيلول ١٩٠٧م ، ص ٣٩ .

٢) صحيفة دار العلوم ، السنة السابعة ، العدد الأول يوليو / تموز ١٩٤٠م ص ٥٢ - ٥٦ .

قسمة الخلق بين الجنسين ...)) "١" .

وقد رأى الدكتور محمد محمد حسين أن المرأة بنزولها الى ميدان العمل أساءت الى نفسها ، ((فبعد أن كانت ريحانة تشم ، أصبحت مشكلا يتطلب الحل ، وكانت عرضا يصان وأمانة تحفظ ، فأصبحت حملا ثقيلا يضيق به الأب والأخ ، ويتحتم معه على المرأة أن تعمل لتعيش ، نشأ الجيل السابق على أن يكفلها ويكفيها حاجتها ، وكان هذا التقليد عقيدة مركوزة في أعماق كل نفس ، يحرسها الاجماع عليها ، فلما عملت المرأة لنفسها ، وشاع ذلك في المجتمع ماتت هذه العادة ، وماتت معها المروءة التي كانت تدفع اليها ... حتى أصبحت المرأة التي لا تعمل في أيامنا هذه لا تجد اللقمة ، ولا تجد الزوج ...)) "٢" . وبذلك كانت المرأة هي الخاسرة .

---

١) القرن العشرون ماكان وماسيكون ، لعباس محمود العقاد ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ص ٢١٢ - ٢١٣ .

٢) حصوننا مهددة من داخلها ، للدكتور محمد محمد حسين ، مقالة بعنوان الجنس الثالث ص ١١٢ - ١٢٥ .

الفصل الرابع

قضية العلاقات الزوجية

- ١ -

من الأمور التي استرعت انتباه علماء الحملة الفرنسية أثناء وجودهم في مصر ، أن القوانين المدنية التي تحكم علاقات الناس في حياتهم الاجتماعية مستمدة من المبادئ الدينية "١" ،وأن السنة الثانية عشرة هي السن المناسبة لزواج الفتاة ، وأن من النادر أن تبقى واحدة منهن بلا زواج حتى سن السابعة عشرة ، وأن الزواج في مصر والبلاد الاسلامية عموما ليس أمرا بالغ التعقيد ، كما هو الحال في الغرب ، فقد كان يتم في بساطة ويسر ، فهو ليس أكثر من اتفاق خاص ، لا يحتاج الى تصديق ديني أو قانوني ، اذ يتمثل في الارادة التي يعبر عنها الطرفان المتعاقدان ، وتكفي موافقتهما المتبادلة ، ليكون هذا الزواج مشروعا ، وتعطي المرأة موافقتها بنفسها أو من خلال وكيل ، وتحتم الشريعة على الزوج تقديم مهر لزوجته ، والمهر الذى يقدم للزوجات عن طريق أزواجهن عماد أساسي من عقد الزواج ، وهو حق مطلق لهن ، وللرجل الحق في أن يرى تلك التي يعرضون عليه الزواج منها ، فان الشريعة تبيح أن تكشف الفتاة عن وجهها ويديها أمامه بحضور أهلها ."٢"

هذه هي العادات التي كانت شائعة في مصر ، فيما يتعلق بالزواج ، كما لاحظها وسجلها علماء الحملة الفرنسية ، أما عادات الزواج عند الغربيين ، فقد ذكر الشدياق شيئا عنها في كتابه ((الواسطه في أحوال مالطه)) فقال : ((أما عاداتهم في الزواج ، فهو أن يعاشر الرجل المرأة قبل أن يتزوجها مدة طويلة ، وربما أقام على ذلك ثلاث سنين فأكثر .. ولا يخفى أن النساء

---

١) وصف مصر ، ترجمة زهير الشايب ٦٧/١ .

٢) المرجع نفسه ٥٦/١ ، ٧٩- ٨١ .

في بلاد الافرنج هن اللواتي يمهرن الرجال ... لأن رجالهم غالبا مايتحاشون الزواج ، لما يعقبه من التكاليف الشاقة ، لأن مؤونتهم غالية ، ونساؤهم متشبهات بالرجال أخلاقا ، لاستغنائهم عنه بكثرة المؤاجرات ، فوجب على المرأة في هذه الحال أن تساعد الرجل ...)) "١"

ثم كتبت مجلة الهلال عن " الدوطه " "٢" ، فذكرت أنها عادة افرنجية نشأت في أوروبا ، وعزت سبب انتشارها هناك الى قلة عدد الرجال بسبب الحروب ، والى انغماس الباقين منهم في الفواحش واباحة أمر المومسات ، حتى أصبحوا لا يعبأون بأمر الزواج ، لاستغنائهم عنه ، بما أحلوا لأنفسهم من الأمور المحرمة ، فكسد سوق البنات ، واضطر الآباء من أجل تزويج بناتهم ، أن يبذلوا المال للشباب ترغيبا لهم في الزواج ، وترى الهلال أن الأمر كان قاصرا في بدايته على جماعة قليلة ، ليس في بناتهم مايؤهلهن للزواج ، فسدّوا النقص بهذه الطريقة ، ثم امتدت تلك العادة ، حتى جرى عليها أهل أوروبا كافة ، وتبعهم نصارى الشرق بعد الاحتلال الانجليزي لمصر ، واقامة بعض الأوروبيين فيها ، فأخذوا هذه العادة عنهم ، تقول الهلال : ((أما نحن فقد قضت علينا الأيام أن نسير على خطوات أهل تلك البلاد ، ونقتدي بهم في أعمالهم ، شأن الضعيف مع القوي ، فأخذنا عنهم كثيرا من العوائد ، وفي جملتها هذه العادة)) . "٣"

والظاهر أن هذه العادة قد شاعت ، حتى أصبحت تهدد الفتيات الفقيرات بالكساد ، والحاصلين على المال عن هذا الطريق

---

١) الواسطة في أحوال مالطه ، لأحمد فارس الشدياق . ص ٣٧

٢) الدوطه : مايبذله الوالدان من مال للرجل الذي يريد أن يتزوج من ابنتهما ، أو ماتدفعه المرأة نفسها للرجل ، حتى يقبل بها زوجة له .

٣) الهلال ، السنة الأولى ، الجزء الخامس ، يناير / كانون ثاني ، ١٨٩٣ م ص ٢٠٧ .

بالكسل والاسراف "١" ، ناهيك بتهديدها لنظام الأسرة ، كما لاحظت عائشة التيمورية "٢" . وكما ذكرت باحثة البادية ، ((أن دافع الصداق هو المنفرد بالسيادة في البيت ، أما طريقنا الآن فهي معتلة ، ولذلك فالسيادة متنازع عليها بين الزوجين المصريين ، يدفع الرجل الصداق ، فتأتي له المرأة بما يساوي ضعفه أو ضعفيه أو أكثر ، فهو بما أنفق يظن أنه السيد ، وهي بما أنفقت ، تظن كذلك ، فيتنازعان على الرئاسة ..)) "٣"

ومن ذلك ماجاء على لسان احدى النساء ضمن مقال تستصرخ فيه الرجال أن يكفوا عن هذه العادة الظالمة ، حيث تقول : ((اياكم أعني بخطابي أيها الظالمون من رجال الاستبداد و صبيان التقليد ، وأتقدم اليكم مطالبة بحقوقي التي هضمتموها ، وأنتم أوصياء علي ، وبامتيازاتي التي ألغيتموها ، بل عكستموها ، وأنتم قيمون على شئوني ... أيها الرجال ، ان للوجود عليكم حق الايجاد ، فكما أخذتم أعطوا ... فما بالكم تقيمون العقبات ، وتزيدون طين الصعوبات بلة في سبيل الزواج .

---

١) انظر مجلة الجامعة ، السنة الأولى ، الجزء العشرون ، (يناير/ كانون ثاني ١٩٠٠م ص ٤٩٢-٤٩٥ . وانظر كتاب " حاضر المصريين أو سر تأخرهم " ص ١١ . فقد أشار الى أن بعض أغنياء مصر تعود أن يتوغل أول حياته في الآثام ، ويستنزف ملذات الحياة ، حتى اذا سئمت نفسه الملذات ، وأدرك بعض ماكان فيه من الخطأ ، مال الى الزواج بفتاة تكون أكثر منه ثروة وأعرض جاها ، وأرفع منزلة حتى يرقع ما تخرّق من جلباب ثروته .

٢) الحركة النسائية الحديثة ، لاجلال خليفة ص ٣١ - ٣٢ .

٣) فتاة الشرق ، السنة الرابعة ، الجزء التاسع ، يونيو / حزيران ١٩١٠ م ص ٣٣٠ .

رضينا قسمة الجبار فينا   وخولنا الرجال حقوق سلطه
وقلنا فيهم بر وخير   ومعرفة تزيد العيش بسطه
وماندري بقسمتنا وفيها   جرى في اللوح بالتنزيل "دوطه" "١"

وبعد ذلك بشهور كتب جرجس توما الخوري قصيدة عن الدوطه والزواج بعنوان : ((لسان حال أدبية العصر أو فتاة القرن التاسع عشر)) ، وقد عبّر فيها عن الحسرة التي أصابت الفتاة ، بسبب زهد الشباب في الزواج من اللواتي نلن حظا من العلم ، فهم ينظرون اليهن بازدراء ، ولا يريدون الاقتران بواحدة منهن ، لأنها ليست قادرة على دفع المال لهم ، لأن تهذيبها لا يفيدهم في تحقيق أطماعهم المادية ، مما أدى الى بقاء كثير منهن دون زواج ،

دعيني اليوم يا أمي دعيني   أردد في خبابيتي أنيني "٢"
دعيني مابدت شمس بتولا   فلا أرضى قرينا يزدريني

......

أرى شبان عصري لم يرومـوا   بغير غضاضة أن ينظروني
فيأبون الزفاف بغير مال   وعند سماع ذكرى حقروني
وينشدني لسان الحال عنهم   لقد جاوزت حدّ الأربعين
فهذا لا يزال صريع كأس   وذاك يقول ياقوم ارحموني
وغيرهما بزينب ظلّ يلهو   يشبّب بالعيون وبالجبين
فياأماه خلّي عن زفافي   ومن مرآك دوما زوديني
فما ترضين لي رجلا فقيرا   وان يك مثريا لا يرتضيني

ثم يضيف أن كساد سوق الزواج في هذا العصر يعود الى تقليد الشرق للغرب في كثير من عاداته وشئونه غير النافعة ، حتى غدت حياتنا مليئة بالأوحال ، وطغى على شبابنا حب الثروات ، فاذا أراد الواحد منهم الزواج لم يبحث عن ذات الخلق والأدب ، بل عن ذات المال والغنى ،

---

١) الثريا ، السنة الأولى ، الجزء الثاني ، ١٥ يوليو/ تموز ١٨٩٦م ص ٤٢
٢) الثريا ، السنة الأولى ، الجزء الخامس ، ١٥ أكتوبر/تشرين أول ١٨٩٦م ص ٢١٤ - ٢١٦ .

وهذا هو الجنون بعينه :

فديتك ان حال العصر أضحت
شقاء للبنات وللبنين
حبانا الغرب آدابا وعلما
ولكن معهما ضربات هون
تركنا ذاك الا النذر منه
وغصنا في الأخير الى الذقون
فصار المرء يسأل عن نقود
ولو كانت على فرس حرون
جنون أين هذا من سؤال
عن الأخلاق والأدب الثمين

على أن ما أصاب فتيات العصر من بوار وكساد ، قد سرّ بعض الشباب ، فقد ردّ أحد الشعراء على القصيدة السابقة مشطرا اياها ، دون أن يذكر اسمه ، واكتفى أن يرمز اليه بكلمة (الفتح) ، حيث هاجم المرأة ، وتشفّى بما أصابها ، ورأى أن تعليم الفتاة جنى عليها ، وأضاع زهرة شبابها ، وزهّد فيها طالبي الزواج ، لأن شباب العصر لا يرغبون في الزواج من فتيات قضين حياتهن في تحصيل العلوم ، وانما يريدون زوجة تحقق لهم الثراء :

(دعيني اليوم يا أمي دعيني)
الامَ بالنصائح تؤلميني "١"
دعيني اليوم من درس دعاني
(أريد في خبا بيتي أنيني)
(دعيني مابدت شمسي بتولا)
ترى كيف التفنن بالجنون

---

١) الثريا ، السنة الأولى ، الجزء السابع ، ديسمبر / كانون أول ١٨٩٦م ص ٢٥٨ - ٢٦٠ .

محاليل المدارس شمس حسنتي
(فلا أرضى قرينا يزدريني)
(أرى شبان عصرى لم يرومـوا)
علوما قد أضحت بها سنيني
ولم يرضوا على علمي وفهمي
(بغير غضاضة أن ينظروني)

ويبدو أن طرافة الموضوع جذبت الشعراء ، فتفننوا في تناولـه بالمعارضة حينا ، والتشطير حينا آخر ، فقد عارض عبد الله فريـج تشطير (الفتح) الذى أشرنا اليه ، وسخر من الفتاة المتعلمة ، كمـا فعل غيره ، دون اهتمام بمعالجة هذه القضية ، وان كان قد عبّر عن اليأس ، الذى يمسك برقاب الفتيات ، بسبب تحكم آفة (الدوطه) في عقـول الشبان ، يقول :

دعيني اليوم يا أمي دعيني
أنافس في العلوم وفي الفنون "١"
ومن أمر الزواج أظلّ غضبا
أردد في خبا بيتي أنيني
دعيني مابدت شمسي بتسولا
أباهي الغيد بالعرض المصون
أبوا مني الزواج بغير مال
فيا للعار من داء دفين
فكم من فاقتي نفروا ضلالا
وعند سماع ذكري حقّروني
وأنشدني لسان الحال منهم
بدون المال مالكِ من معين

---

١) الثريا ، السنة الأولى ، الجزء الثامن ، يناير/ كانون ثاني ١٨٩٧م
ص ٣٠٤ .

— ٢ —

واذا كانت فكرة الزواج من امرأة غنية قد استهوت البعض ، فان فكرة الزواج من أسرة عريقة النسب قد استهوت آخرين ، منهم الشيخ علي يوسف صاحب جريدة " المؤيد " الذي أثارت قضية زواجه عام ١٩٠٤م ضجة كبرى في الرأي العام ، لم تثرها أية قضية زوجية ، والقضية شخصية بحته ، لكن الظروف السياسية تدخلت فيها ، فانضمت الحكومة المصرية والسلطات الانجليزية الى الزوج . "١"

وتتلخص القضية في أن صاحب " المؤيد " خطب الى عبد الخالق السادات ، وهو من كبار الأشراف في مصر ، وشيخ السادة الوفائية ابنته " صفيه " ، فرضي الوالد ، ورضيت الفتاة ، ولم يبق الا تحديد موعد عقد القران ، ولكن والد الفتاة ماطل في اتمام العقد ، فتولى الوكالة عن الزوجه الشيخ حسن السقا ، وتدخل محمد توفيق البكرى نقيب الأشراف وزوج أخت صفية ، ورضي أن يتم عقد القران في قصره ، وكان ذلك مفاجأة لعبد الخالق السادات ، فثار ثورة شديدة ، ورفع الأمر الى القضاء الشرعي ، طالبا فسخ العقد ، لعدم الكفاءة بين الزوجين في النسب ، فحكمت المحكمة الشرعية ، بأن عقد الشيخ علي يوسف على صفية باطل ، لعدم الكفاءة ، ((اذ ثبت لدى المحكمة بشهادة أهل العرف في البلد واخبارهم ، بأن أبا الزوجة يلحقه العار بزواج صاحب " المؤيد " بىنته ، لأنه مشهور بالشرف ، وصاحب المؤيد غير مشهور به ، ولا هو شريف بالفعل ، اذ ثبت أن نسبه مزور ، ولأنه من أصحاب المجد الموروث ، وصاحب المؤيد حديث عهد بنعمة الدنيا ، ولأن حرفة الصحافة لا تكون شريفة الا اذا كان صاحبها على معارف وصفات فصّلها القاضي في حيثيات الحكم ، وذكر أن صاحب المؤيد عار منها ، بل متصف بضدها ..)) "٢"

---

١) خمسة من شعراء الوطنية ص ١٣ .
٢) المنار ، المجلد السابع ، الجزء الحادى عشر ، اغسطس / آب ١٩٠٤م ص ٤٤٠

وقضت المحكمة بالحيلولة بين الزوجين ، فاحتجت السيدة صفية على ذلك بعريضة أرسلتها الى قاضي قضاة مصر ، وأرسلت صورة منها الى ناظر الحقانيه ، وفيها تقول : ((انها لا يمكن أن تقبل تنفيذ حكم الحيلوله لبلوغها سن الرشد ، ولأنها تزوجت من الشيخ علي يوسف باختيارها وكفاءتها ...)) "١"

ورفضت العودة الى منزل أبيها على الرغم من موافقة زوجها ، وعقدت محكمة مصر الشرعية الكبرى جلسة أخرى لنظر القضية ، انتهت بتأييد الحكم الأول ، أى بفسخ العقد وعدم صحته ، ولكن طموح الشيخ علي يوسف لمنصب شيخ السجادة الوفائية ، جعله يطلب عودة المصاهرة ثانية ، فأعاد كتابة عقد الزواج في بيت عبد الخالق السادات ، وباذن منه ، فأصبح صهرا له ، ثم خلفه على السجادة الوفائية . "٢"

ويظهر أن خصوم صاحب المؤيد قد استغلوا ما أثير حول نسبه من شبهات ، حتى ينتقموا لأنفسهم ، ومن هؤلاء ابراهيم المويلحي وابنه محمد صاحبا جريدة " مصباح الشرق " ، اللذين أغريا الأدباء والشعراء ، كي ينظما في الحادثة تحت عنوان " عام الكفء " "٣" ، وذلك ردا منهما على الحملة التي شنها عليهما علي يوسف في (المؤيد) تحت عنوان " عام الكف " "٤" ، فكان من ذلك قصيدة للشاعر حافظ ابراهيم ، أعلن

---

١) مذكراتي في نصف قرن ، لأحمد شفيق ٢ / ٦٠ - ٦١ .

٢) تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الاسلامي ، لأنور الجندى ص ٣٢٩ .

٣) تراجم الأعلام المعاصرين ص ٣٢٦ - ٣٢٧ . عام الكفء : هو العام الذى أثيرت فيه قضية الزوجية ضد علي يوسف ، واتهم بعدم كفاءته وضعة نسبه .

٤) عام الكف : حدث أن كان محمد المويلحي جالسا على مقهى ، فدخل عليه شخص يدعى محمد نشأت ، فاستقبله المويلحي قائلا : أهلا بالفتان ، فلم يلبث أن صفع المويلحي على وجهه ، وخرج هاربا ، وبسبب المنافسة التي كانت بين المؤيد ومصباح الشرق ، التي كان يصدرها المويلحي ، استغل علي يوسف الحادث ، وأغرى الشعراء بالنظم في الحادثة ، وفتح بابا يوميا في المؤيد سمّاه "عام الكف" . انظر تراجم الاعلام المعاصرين ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

فيها أنه حطّم قلمه ، وكره كتابة الشعر ، لأن مصر لم تعد ذلك البلد الطيب الذى يحنو على الأديب ، ويرجو مصرا ألا تعذله لسكوته ، فقد ضاق ذرعا بتصرفات القوم ، الذين عميت أبصارهم عما تعده الدول الكبرى ضدهم من مؤامرات ، حيث سكتوا سكوت الجماد ، ولهوا كالأطفال ، ولم يلتفتوا الى الاتفاق الذي تم بين انجلترا وفرنسا عام ١٩٠٤ م ، والذي تكون انجلترا بمقتضاه مطلقة اليد في مصر ، مقابل اطلاق يد فرنسا في مراكش ، يقول :

حطمت اليراع فلا تعجبي   وعفت البيان فلا تعتبي "١"
فما أنت يامصر دار الأديب   ولا أنت بالبلد الطيب

......

فلا تعذليني لهذا السكوت   فقد ضاق بي منك ماضاق بي
أيعجبني منك يوم الوفاق   سكوت الجماد ولعب الصبي

لقد يئس من الجيل الناشيء ، كما يئس من الجيل السابق ، لأنهما خطر على مصر أكثر من أعدائها ، فالناشئون يقضون أكثر أوقاتهم في " الأزبكية " بحثا عن اللهو ، بينما يعكف آباؤهم على الاقامة في المساجد ، ويترك الجيلان مصر تعاني من المتاعب :

يقولون في النشء خير لنا
وللنشء شرّ من الأجنبي
أفي (الأزبكية) مثوى البنين
وبين المساجد مثوى الأب
(وكم ذا بمصر من المضحكات)
كما قال فيها " أبو الطيب "

أما الشدة التي أصابت صاحب " المؤيد " بما أثير حول قضيته

---

(١) ديوان حافظ ابراهيم ١/٢٥٦ - ٢٥٩ .

الزوجية ، فهي عند الشاعر نتيجة طمعه الأشعبي ، لأنه أغرم بابنة عبد الخالق السادات الذى ينتسب الى بيت النبوة على الرغم من كبر سنه ، فكان الضجيج الذى كان بين مؤيديه ومعارضيه :

وقالوا " المؤيد " في غمرة — رماه بها الطمع الأشعبي
دعاه الغرام بسن الكهول — فجنّ جنونا ببنت النبي
فضج لها العرش والحاملوه — وضجّ لها القبر في يثرب
ونادى رجال باسقاطه — وقالوا : تلون في المشرب
وعدّوا عليه من السيئات — ألوفا تدور مع الأحقب
وقالوا : لصيق ببيت الرسول — أغار على النسب الأنجب
وزكى " أبو خطوة " قولهم — بحكم أحدّ من المضرب "١"

لكن أين الحقيقة اذا كانت فئة تعد على الشيخ السيئات ، وترميه بالتقلب في الرأي ، وتنكر عليه زواجه ، بينما أخرى تتوافد على داره ، وتزف اليه التهاني قبل معرفة رأي القضاء ، لعلمهم بقوة موقفه ، وبينما الخليفة يقلده وساما ، كان من الأليق أن يحلّق على صدر رجل لا يرضى الدنية ؟ لقد اختلط الأمر علينا :

فما للتهاني على داره — تساقط كالمطر الصيّب
وما للوفود على بابه — تزفّ البشائر في موكب
وما للخليفة أسدى اليه — وساما يليق بصدر الأبي
فيا أمة ضاق عن وصفها — جنان المفوه والأخطب
تضيع الحقيقة مابيننا — ويصلي البريء مع المذنب

وكان نقولا رزق الله من الشعراء الذين تناولوا قضية صاحب " المؤيد " في قصيدة بعنوان ((خلاصة القضية)) ، بدأها باقتراح اليأس على الشيخ ، لأن عمره قد فني ، ولأن الفطن لا يتعلق بالسراب ، ثم ثنى

---

١) أبو خطوه : هو الشيخ أحمد ابو خطوه قاضي المحكمة الذي حكم حكما ابتدائيا بفسخ عقد الزواج .

بالأسف على الشرق ، لتشاغله باللهو والغواني ، بينما الغرب ماض في تقدمه وتدبيره ، ثم ثلّث بالسخرية من مصر لكثرة المضحكات المبكيات فيها ، ولأنها في الواقع سوّدت الجهلاء ، وتجاهلت العقلاء :

اليأس أنجع أيها الرجل ... قد كاد يفني عمرك الأمل "١"
كم يائس أولته جرأته ... مالا ينال مؤمل وكل
لم ألق ربّ عزيمة فطنا ... يسعى بلا ملل ولا يصل
أيظل هذا الغرب مجتهدا ... والشرق آفة أهله الكسل
ولهوا بغانية وشادية ... وتشاغلوا باللهو واشتغلوا
كم حادث في مصر قد ضحكت ... منه ثغور أو بكت مقّل
كم من رجال لا عقول لهم ... لهم السيادة حيثما نزلوا
وإذا أصاب الجهل طائفة ... كان التجاهل حظّ من عقلوا

أما خلاصة القضية ، فهي الحملة على المسلمين ، لأنهم شغلوا ببناتهم وأنسابهم حتى ضيعوا مصر في رأيه ، ولأنهم تنكروا لمبدأ الحرية الشخصية ، بتحكمهم في عواطف المخطوبة بعقدة النسب ، ثم برفضهم رغبتها فيمن خطبها بعد ترددهم في قبوله ، حتى اذا تمّ الزواج برغمهم رفعوا الأمر الى القضاء ، وأبطله في شهر العسل ، واليك قوله عن هذه الخلاصة ، حيث يقول :

عظمت بنات المسلمين بها ... عن كل شاغلة لهم شغل
ولعت صحافتهم بها زمنا ... وتداولتها الكتب والرسل
قامت قيامتهم لها وهمو ... قد ضيّعوا مصرا وما حفلوا
كلّ له أن يستميل وأن ... يصبو ولا عتب ولا عذل
الا ابنة السادات ان خطبت ... يوما فذلك خطبها الجلل
يقضي ويحكم في عواطفها ... نسب بآل البيت متصل

. . . . . .

وأب وقوم لا اختيار لها ... في حبها الا اذا قبلوا

---

١) أنيس الجليس ، السنة السابعة ، الجزء التاسع ، ٣٠ سبتمبر/أيلول ١٩٠٤م ص ١٩٩٥ - ١٩٩٦ .

ولقد أتاها خاطب رغبــــت   فيه وطال بأسره الجدل
ومضى الزمان فكان منتظــرا   يرجو فما قطعوا ولا وصلوا
تركوه يأمل أن يزوجهـــــا   حتى اذا علقت به عدلــوا
فازن ان خطب الخاطبين ولم   تجد الوسائل فيه والحيل
عقد الزواج برغمهم ولقـــد   حسباه عقدا ليس ينفصــل
فكأنما حلــم زواجهمـــا   وكذا الهناء زواجه عجــل

....

فقضى القضاة وربما ظلمــوا   من حيث ظنوا أنهم عدلـــوا
وتفرّق الزوجان وانقطعـــت   صلة الزواج وشهره عســل

وممن شارك في هجاء صاحب المؤيد أحمد شوقي وأحمد نسيم ، أمـــا أحمد شوقي فقد تهكم به ، واتهمه بالغطرسة والغرور والتنكر لماضيــه ، الذى عانى فيه من الفقر ، اذ يقول :

قل للمؤيد : ماد هـــاك   يداك قد صفعت قفـاك "١"
فلم التغطـــرس والغــرو   ر ، ألست تذكر مبتداك ؟
أيام كنـت ولست تملـــ   ك كسوة لتسدّ فـــاك

وأما احمد نسيم فكان من أعنف الشعراء هجوما على صاحب المؤيــد ، لأنه نظم قصائد ومقطوعات كثيرة في عام الكفاءة ، تتسم بالاقذاع والافحاش ، فقد اتهمه في بعضها ، بأنه من أصل قبطـي ، وأنه بطلبه مصاهرة بيـــت السادة الوفائية هتك خدور الغيد ، وفكّ عرى الطهر المعقودة ، وهجم على الفضيلة ، حتى عفّى على آثارها ، على الرغم من انعدام الكفــاءة في شخصه .

---

(١) خمسة من شعراء الوطنية ص ١٣١ . والواقع أننا نستبعد هـــذا الموقف من شوقي ، لأن علي يوسف كان ذا صلة قوية بالخديوى عباس الثاني ، الذى كان شوقي أحد موظفيه ، ولأن الأبيات وردت فـــي جريدة " الظاهر " لصاحبها محمد زكي أبو شادى بتوقيع " ش " مما يشكك في صحة نسبة الأبيات لشوقي .

هتكت من الغيد أخدارها   ومزّقت بالهتك أستارهـا "١"

وكانت عرى الطهر معقودة   ففكك جهلك أزرارهـا

نبذت الفضيلة نبذ النوى   وعفيت في القوم آثارهـا

وفيك الكفاءة معدومة   فخلّ المعالي واصهارهـا

كما أنب صفية السادات بطلة القضية في قصيدة أخرى ، لأنها هامت بوغد جاهل دعي النسب ، حتى شبهها برقاش أخت جذيمه ، التي هامت بساقي أخيها عدي بن نصر "٢" ، اذ يقول :

---

١) خمسة من شعراء الوطنية ص ١٣٣ .

٢) كان عدي بن نصر يعمل ساقيا لملك العراق جذيمة الأبرش ، فشغفت رقاش أخت جذيمة بعدي ، ودعته الى التزوج بها ، وقد احتال عدي على جذيمه ، بأن سقاه شرابا صرفا ، وصبّ للحاضرين شرابا ممزوجا ، وعندما أخذت الخمر منه مأخذها خطبها اليه ، وأشهد عليه الحاضرين في مجلسه ، ثم عاد اليها فأعرس بها ، فلما أصبح جذيمه علم بزواج رقاش من عدي ، فعظم عليه الأمر ، واختفى عدي عن الأنظار ، وخاطب جذيمة أخته بالبيتين اللذين اقتبسهما نسيم . راجع ذلك في تاريخ الرسل والملوك ، للطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبعة دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١ / ٦١٥ . وراجع كذلك مروج الذهب ، للمسعودى ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ، ٢/ ٦٧ .

مالبنت الحسيب هامت بوغد   سافل جاهل ، غوي ، خئون "١"
قل لها عن جذيمة لرقاش   حين باتت والعرض غير مصون
حدثيني وأنت غير كذوب   أبحر شغفت أم بهجين ؟
أم بعبد وأنت أهل لعبد   أم بدون وأنت أهل لدون

— ٣ —

واذا كان من الشبان من آثر يسار الزوجة على فقرها كما قدمنا ، فان من الزوجات كذلك من آثرت يسار الزوج ، ولامته على فقره ، حتى ساءت العلاقة وانفصلا ، مما أدى الى نفور البعض من الزواج ، واشتراط آخرين فيمن يختارونهن مناقب معينة ، وقد صوّر الشعراء كل ذلك ، وأدلوا فيه بآرائهم ، فهذا حوار طريف بين محوم وزوجته في موضوع فقره ، ضمّنه قصيدته " تخيل شاعر " حيث بدأ يكفها عن لومه على الفقر ، لأنها تمادت في ذلك حتى أثارت همومه ، وهيجت أحزانه ، وكادت تذهب بحلمه ، ثم لفتها الى مكارمه الجديرة بتقديرها ، من أنه على فقره أبي مترفع كريم ، متجمل صبور على الضراء ، ثم هو محب لأولاده عطوف عليهم بارّ بهم ، برّ بها في حالي الفقر والغنى ، وذلك قوله لها :

لكِ الخير نامي عن ملوم مسلل
وكفّي والا تستطيعي فاجملي "٢"
أثرتِ هموم النفس من كلّ مكمن
وهيجتِ أحزان الفؤاد المبلبل

---

(١) خمسة من شعراء الوطنية ص ١٢٣ .
(٢) أنيس الجليس ، السنة السادسة ، الجزء الثالث ، ٣١ مارس / آذار ١٩٠٣ م ص ١٣٥٩ - ١٣٦١ .

جهلت على من طال ساوي حلمـــه
والا تكفي غربّ جهلك يجهــــل

تلومين أن أمسي سواي مسـسولا
يسرّك مثواه ولمّا أسـتسـوّل

فاما تريني معدما ذا خصاصة
فانني لم أسأل ولم أتبـذل

أبى ذاك نفس تأنف الضيم حرة
متى ماتكلف خطة الهون تجفل

أقلي ملامي انما اللوم ضلة
واني لا أهوى ملام المضلل

وفيئي الى بعل كريم خلاله
اذا راب صرف الدهر لم يتبدل

يهوّن وقع الخطب والخطب مضلع
ومهما تصبه فاقة يتجمل

ويزجي الليالي ترتمي حادثاتها
بصبر على ضرائها وتوكل

ويثني على أولاده عطف مشفق
ويبدي اليهم بره غير موء تل

يسرك مشتاه معا ومصيفه
لدى مخصب من مثواه وممحل

....

رأيت لئيم القوم واللوم كاسمه
متى مايفته المال يطلب ويسأل

لكن زوجته لم ترض منه بهذه الاطالة عن خلاله ، وطلبت منه أن يعدل عن ذلك الى ذكر حظه من المال ، أو الى طلبه ، لأنها لن تلبس من أحساب قومه ثوبا زاهيا طويل الذيول ، ولأنها تريده كزوج جارتها كثير المال ، وان كان مقلا من المجد والحسب ، فقد أصبح المال خير وسيلة لنيل احترام الناس وتقديرهم :

أطلتَ ومايخفي الفتى عيب نفسه
إذا ما بدا يوما بقول مطوّل
فلا تذكر الأحساب واذكر من الغنى
نصيبك إن كنت امرأً ذا تبتل
أألبس من أحساب قومك يارقسا
واسحب منها ذيل مرط مرجّل
أرى جارتي لا يشتكي الفقر بعلها
وإن كان عن مجد أثيل بمعزل
دع المجد ، إن المجد من يبغ نيله
على نكد الأيام مثلك يهزل
وسر في طلاب المال إنك إن تصب
ثراء تكرّم بعده وتبجّل

فماذا كان موقف الشاعر من هذه الزوجة ، التي تأبى أن تشارك زوجها حياته ، وتريد أن تدفع به الى اجتلاب الثروة من أي طريق ، حتى لو كان في ذلك امتهان لكرامته ؟ لقد طلّقها ، لأنه يرى أن الزوجة التي تسرف في اللوم والعتاب ، حتى تجعل حياة الزوج مرة كالحنظل ، ليست جديرة بالعشرة الزوجية ، وأن أمثالها يحبّبن حياة العزوبة والتبتل الى الرجل :

فقلت لها بيني فإنك طالق
وما أنت الا ترحة المتبعل
أطلت التلاحي والقرينان سوف ن
تلاحيهما يوما يوشك التزيّل
وأسرفتِ في لومي وعتبي معا
فأصبح عيشي طعمه طعم حنظل
لقد ذقت طعم العيش زوجا وأيّما
فأبصرت لذّات الفتى في التبتل
عقلت فما آتي الذي كنت آتيا
ومن يلق ما لاقيت ماوى يعقل

ويبدو أن الشاعر أمين الحداد قد أعجب بقصيدة أحمد محرم ، وبموقفه فيها ، فعارضها بقصيدة وافقه فيها ، على أن هذا الخلق من النساء يغري الرجل بالتبتل ، وصرف النظر عن الزواج ، وقد أغراه بالفعل ، فاختار كصاحبه التبتل على الزواج ، ليبقى له مجده الشمري ، ولتسلم نفسه من شر الجفاء والترمل ، يقول الحداد مخاطبا محرما :

تخيلتَ ماسرّ الغبي وانما
تخيلتَ مايغري الفتى بالتبتـل "١"
وصفت لنا عقبى الزواج كأنما
يصبّ الورى منه مجاجة حنظـل
تظن الغواني انما العيش في الغنى
وما العيش الا في الحجى والتبتل
تود سليمى أنني كنت بعلها
وقد حيل مابين المنى والمؤمـل
ومالي وقاها الله مني حاجة
اليها ، وكان الله دوما لها ولي
ينيل يراعي المجد والمجد باطل
لديها ، وخير منه شقة مغـزل
قد اخترت من لا تبرح الدهر عانسا
وقد أمنت شر الجفا والترمّـل

---

١) أنيس الجليس ، السنة السادسة ، الجزء الرابع ، ٣٠ ابريل /نيسان ١٩٠٣م ص ١٣٩٩ - ١٤٠١ هـ ، وصوّر محمد مصطفى الماحي حيرة الشباب عند البحث عن الزوجة ، وميل بعضهم الى الزهد في الزواج . انظر ديوان الماحي ص ٨٠ ، حيث يقول :

أتراك قد أبصرت ماآلت اليه ... بدع النساء غواية وضلالا
ورأيت أخلاق الحسان تبدلت ... فغدا الحرام متى رغبن حلالا
وغدا الحياء عدوّهن تهـزأ ... فازددن منقصة وزدن ضلالا

أيا سائــرا في سبيل الزواج
رويدك قف قهل نقل القــدم "١"
وحاذر فان وشاق الــزوا ج
محط الشقاء ومهد الألـــم
وليلة عرسك قهــر صبــاك
ويتلو الهشاشة فيهما السأم
وتصبح عبدا وقد كنت حـرا
وفي الرق تذبل زهر الشيــم
وتملك قيدك ذات الخضاب
فتمسي وحالك حال النقــم

واذا كان خليل داود قد استعذب المرارية هربا من الزواج ، فان أحمد الكاشف قد اضطر اليها ، لأنه في قصيدته " اختيار الزوجة " وضع مواصفات للزوجة التي يريد أن تشاركه حياته ، لا يمكن أن تجتمع في امرأة ، فقــال :

....

لابدّ أن يوجــد هــ ذا الملك المطهــر "٢"
هذا الذي أراه في الـ حلم خيالا يبهـــر

....

اني أردت زوجــة بطيفها لا أظفــر
لأجل هــذا لا أزا ل عازبا أنتظــر

وقريب من الكاشف ، يبدو حليم دمّوس الذي انتابته الحيرة فــي الاختيار ، وخشي أن يختار من لا توافقه لأسباب عدّدها ، حين قال :

---

١) الهلال ، السنة السادسة والعشرون ، الجزء العاشر ، يوليو / تموز ١٩١٨م ص ٨١٠ - ٨١١ .

٢) أنيس الجليس ، السنة الرابعة ، الجزء الرابع ، ٣٠ ابريل / نيسان ١٩٠١م ص ٦٢٥ - ٦٢٨ . وقصيدة الكاشف هذه مترجمة عـن الفرنسية .

بين العزوبة والـــزواج　　قلب يصارعه التعـــاج "١"

ويلاه ان هوي الفتـــا　　ة وفي طبائعها اعوجاج

أو راح يطلب كفّ جـــا　　هلة بها سوء انتهـــاج

أو ذات حسن رائـــع　　ماراقه معــــه ازدواج

أو ذات مال تبتغـــي　　من بعلها فتح الرتـاج

أبدا تصبـــح بعـــزة:　　اما الخـروج أو الخراج

تنهى وتأمـــر وهي نبا　　ئمة للطف في المـــزاج

على أن بين الشعراء من عبّر عن رأي المرأة المعتدلة في شريك حياتها ، فمع أنه جعلها توثر علاقة الزواج على غيرها من العلاقات ، جعلها توثر أن يتم بعد اختيار الطرفين وتوافق القلبين على الزواج الذى كان سببـــه حب المال ، ذلك ماصوّره نقولا رزق الله في قصيدة له بعنوان " قبـــل الزواج " حين قال :

من ترى ذاك الذى يقرع بابـي
قبل أن يؤذن ليلـي بذهاب"٢"

أصديق زائر أم مستهـــام
شفّه الوجد فأضناه التصابـــي

وزواج المرء أولى من غـــرام
فيه معنى زلـة أو ارتيـــاب

فالزواج اليوم لا يعقـد مالبنـــ
يك من بعد اختيار وانتخـاب

واتحاد يجمع القلبين حتـــى
يأمنا كل نفـار وانقـــلاب

والهوى الثابت يولي المرء جـدا
وثباتا في سبيل الاكتســـاب

لا رعى الله زواجا كان حبّ المال فيه سبب للاقتراب

---

١) ديوان حليم ١/١٣٥ .

٢) أنيس الجليس ، السنة الثانية ، الجزء الرابع ، ٣٠ ابريل / نيسان ١٨٩٩م ص ١٤٥-١٤٨ .

وبين الزواج الموفق وغير الموفق ، يوازن عبد الرحمن شكري بينهما بالكل من الزوجين عند صاحبه ، فيقول :

انما عقدة الزواج عقال
وإسار أنعم به من اسار "١"
هو ذلك النعيم لو أسلس الحظ
وباب الجحيم عند العثار

---

١) ديوان عبد الرحمن شكري ، لالئ الأفكار ٢/١٢٩ . وانظر ديوان عبد الرحمن شكري ، لالئ الأفكار ٢/١٤١ ، حيث عبّر شكري عن النظرة الجديدة ، التي بدأت تنظر بها المرأة الى نفسها ، فهي لا ترضى أن تكون مجرد عقار يملكه الرجل أو سلعة يتصرف بها كما يحلو له ، وهي ترفض أن تلاقي الاهمال على يديه ، وأن يقتلها الأسى دون أن يشاركها الرجل آمالها ، والزوجة الحديثة ترفض منطق الزوج القاسي ، الذى يدّعي أن زوجته مجرد خادمة أو أمة عنده ، لأن المرأة تريد أن ترى نفسها ندا للرجل ، وأن تكون العلاقة بينهما قائمة على الاحترام المتبادل وتودّ أن يتبدل خوفها من الرجل أنسا به ، يقول :

ليس الجمال عقارا أنت مالكه ... أن الجمال جمال الله والناس
تعتدني سلعة في ملكها رب ... تموت داءً ولا يدنو لها الآسي

....

وتحسب البعل مولى زوجه سفها ... فهل يشايع رأيي رأيك القاسي
وحاجة النفس في ند أخي كرم ... جم ورفق وإعزاز وايناس
لا يطعم البعل منكم حب زوجته ... فليس يعرف فيه غير أرجاس
لا يصحب البعل منكم روح زوجته ... دعم الوداد بأطناب وأساس

وهذا المعنى أورده ولي الدين يكن في قصيدته " بين الوحشين الأب والزوج " انظر ديوان ولي الدين يكن ص ١٢٣ .

وهو مأوى المطلول من حدث الدهـ
ر بشؤبوب ديمة مدرار
انما الزوج موئل حيث لا مو
ئل ينجي من صولة الأقدار
وهي كالنجمة المنيرة في جنـ
ح دجى الخطب للشريد الساري
ولجت في الصميم من حبة القلـ
ب ، وحلّت بموطن الأسرار

وكذلك بيّن علي علي العزبي صورة العلاقة الزوجية الناجحة في قصيدة له بعنوان " الحياة الزوجية أو نعيم الزوجين " ، فذكر أن من دواعي ذلك احترام كل من الزوجين للعقد الذي بينهما ، وحرصهما على بقاء الوئام واقامة المرأة في خدرها ، والتخفيف من نفقات الزواج واظهار الود والثقة مع التعاون والرضى بمتقلبات الأحوال ، حيث يقول :

سعت والوئام على اثرها فمن خدرها والى خدرها "١"
وسارت لمن عاقدت بينه عقودا وهي الدهر عن نثرها

......

أتته وكان الرضى مهرها وقد رخص الدّر في مهرها
فما غلبوه على أسره ولا غلبوها على أمرها
وماكان يهجس في صدره لها كان يهجس في صدرها
تبرّ وتعزو الى بـرّه يبرّ ويعزو الى برها
تروح تعضّد في أزره ويغدو يعضّده في أزرها
فكانت معينا على دهره وكان نصيرا على دهرها
تواسيه حتى تريه المنى لدى أمره ولدى أمرها
فلم يوهن اليأس من حزمه ولم يضعف الهوس من صبرها

---

١) انيس الجليس ، السنة العاشرة ، الجزء الاول ، ٣١ يناير / كانون ثاني ١٩٠٧م ، ص ٢٥ - ٢٦ .

— ٤ —

على أن من الآباء من استبد بالاختيار ، ولم يسمح للأبناء أو البنات ، لحرصه على النسب أو الغنى أو الجاه ، كما رأينا في تزويج بنت السادات ، حيث رفض الأب الزواج لعدم الكفاءة في النسب، وأيد موقفه كثير من الشعراء ، وكموقفه هذا موقف الأغنياء الذين رفضوا أن يزوجوا ابنهم من فقيرة أو ابنتهم لفقير ، على الرغم من تعلق الابن أو البنت ، وهو ماتصدى له الشعراء ، وبينوا خطره كما فعل مطران في قصيدته ((الوردة والزنبقة)) ، حيث حكى قصة فتاة حرمت من الزواج بمن تعلقت به أو تعلق بها ، لأن أهله الأغنياء رفضوا أن يزوجوه منها ، وهي فقيرة ، فكانت النتيجة اصابة كل منهما بداء قاتل ، وهذا قوله على لسان الفتاة :

أبانوه عنّي فابتلوه بقاتل
من الداء والداء الذي بي أقتل "١"
فليس على قرب المزار بعائدي
ومابي أن اسعى اليه فأفعل
حبيبان سرّا ساعة ثم عوقبا
طويلا ، كذاك الدهر يسخو ويبخل

ويبدو أن قصة مطران هذه قد أعجبت خليل شيبوب ، فنظم على منوالها قصته ((سليم وسليمى)) ، حيث جعل سليمى التي تنتمي الى أسرة غنية تحب سليما ، الذي لا يملك غير شبابه وعقله ، دون أن تلتفت الى مابينهما من فروق ، وجعل هو أيضا يحبها حبا عظيما ملك عليه قلبه وتعبيره ، ودفعه الى مضاعفة الجهد ، ليرضيها باعلاء شأنه ، وودعته أن يكون حليلها ، وكانت ممن يصدقون في وعودهم ، ويوثق بكلامهم :

---

(١) ديوان الخليل ١/ ١٣٤- ١٢٧ .

أحبّته ملء الصدر في مرح الصبا
جميل المحيا فاتر اللحظ أصيدا "١"
ولم تستشر فيه النهى انّ حكمها
يعيد لها وجه المحبة أسودا

....

لقد نزلت من قلبه في مكانة
ينمّ عليها خدّه متسوردا
ودلّ على حبّ عظيم مثوله
لديها حبيبا واهيا متجلدا
اذا لحظتها مقلتاه تنهدت
وان لحظته مقلتاها تنهدا
تعشّقها بنت السراة ولم يكن
يضارعها عزا وجاها ومحتدا
وليس له في العصر الا شبابه
وعقل يراه في الأمور مسددا
يكدّ ليرضيها باعلاء شأنه
اذا نال في الدنيا علاء وسؤددا
انّ انحطّ عنها في الحياة فانها
أقامت له مرقاة حب ليصعدا
وقد وعدته أن يكون حليلها
ولم تك ممن ليس يصدق موعدا

لكن الأمر لم يكن منوطا بها وحدها ، بل كان يتطلب موافقة والدها الذي يرى أنه ليس من حق الأبناء أن يتصرفوا دون اذن آبائهم ، ويرفض منطق العصر ، الذي يبيح للأبناء أن يتزوجوا ممن يحبون ، اذ أنه يعد ذلك خلقا فاسدا ونقصا في الأخلاق جلبته معها المدنية الحديثة ،

---

١) الفجر الأول ، لخليل شيبوب ص ١١٨ - ١٢٥ .

ولا شك عنده أن الكمال حليف القديم ، وأن النقص صفة كل جديد ، مثله في ذلك مثل كثيرين ، عدّهم الشاعر جهلاء ، وذلك في قوله :

لها والد لم ينضج العلم رأسه
فما انفك في الطبع القديم مقيّدا
يرى سطوة الآباء حقا مؤيدا
تبيح على الأبناء حقا مؤيدا
ولا يفهم الدنيا الحديثة اذ يرى
تمدين أهل العصر للخلق مفسدا
ولا شك في نقص الجديد وانما
يفوق كمالا للقديم غدا سدى
وانّ أبا سلمى كثير مثاله
يضيقون حصرا في الورى وتعددا

فماذا كان موقف البنت هل استسلمت للتقاليد التي يؤمن بها والدها أم رفضتها ؟ لقد جعلها الشاعر تصارح أباها بموقفها ورغبتها في الزواج من سليم ، على الرغم من فقره ، مادام ذا خلق عال وجد واجتهاد ، وجعل أباها يزجرها وينتهرها ، لأنه كان الأحرى بها أن تخجل من طلبها ، وسليم الفقير خامل الذكر أن لا يتعلق بمثلها :

وجاءت أباها مرة وشكت له
غرام سليم ، وهو ان طال أقصدا
وقالت له : ماضرّ لو زوجت به
وماكان الا كامل الخلق أيّدا
فان يك عنهم قد تدانى مقامه
فمن يتزوج سيدا كان سيدا

ولكن أبوهـا كان صلبا طباعــه
وكان عليها قاسي القلب أصلدا

. . . .

وأوسعها سبا وخلّى نهارهـا
ظلاما بما أرغى عليها وأزبدا

. . . .

أتعشق بنت الشوم ثم تجيئـه
ليسعفها فيمن تحب وينجدا
ولا تستحي فيما تقولـه ومن لـه
مكان سليم أن يزوجها الـردى
أيجرأ أن يهوى فتاة كبنتــه
ويخطب قلها منه أسمى وأبعدا

وهنا أبدى الشاعرسخطه على الأغنياء الذين ظنوا أن الغنى في شدة التشبث بالأحساب والحرص عليها ، مع أن الغنى - في رأيه - حرية القلب والعقل ، ثم تمادوا في هذا الظن ، وقلّد بعضهم بعضا فيه ، حتى توقعوا الضرر في تزويج بناتهم بمن هو أقل منهم رتبة في الغنى ، مع أنه لا ضرر في ذلك ، ولا تقدم للقوم مالم يتجددوا في عاداتهم يقـول :

وأن الغنى حرية القلب في الورى
ومازاد عنها فالحكاية والصدا

. . . .

وماضرّ تزويج الوضيع بغـادة
أجلّ مقاما منه ان كان أغيدا
على أنها الأحساب أكثر ماترى
لتذعر أن يدنس اليها وتنقدا

. . . .

يقلد بعض الناس بعضهم وهـل
يعيش الذى يقضي الحياة مقلدا

ألا انها الحانات سلعة خاسر
ولن يترقى القوم الا تجددا
ولن يلد العقل الكبير نبيرة
اذا لم يجل في حومة القوم مجهدا
فتنسخ عادات وتنشأ غيرها
فان راح بعض أصبح البعض مكسدا

نعم زوجت سليمى - كما يقول - من رجل ينتمي الى طبقة غنية ، تمشيا مع رغبة والدها في الحفاظ على الأحساب ، وقد ورث ثروة طائلة ، لكنه اتخذ ثلاثا من الفواجر خليلات ، وجعل من الحانات مقرا له ، يقضي فيها جلّ وقته ، ويحتسي الخمر ، ويبدد ثروته على منضدات القمار ، وقد نصحته سليمى ، فردّها بعنف ، ولم يكتف بذلك بل أصبح يقص عليها أخبار سفاهاته وطيشه ، ويروي لها مايجري في المقاصف ، وقليلا ماكان يمكث في بيته ، وكثيرا ماكان يخرج منه غاضبا ، مما جعل سليمى تستهون الموت على أن تبقى في هذا الذل المقيم ، وتتنازل عما حولها من عز وجاه ، في سبيل التخلص مما هي فيه من العذاب :

نعم زوّجوها جاهلا غير أنسه
له ثروة طابت كما طاب مولدا
أخو بدوات في الحياة مرافقا
ثلاثا ملاحا في الفواجر خرّدا
فيصرف في الحانات معظم وقته
على منضدات اللعب جنحا ومغتدى
ويغرم بين الكاس والطاس صحة
ويغرم مالا في القمار مبدّدا
فان أخلصت سلمى له النصح ردّها
ثقيلا عليها ناهيا متمردا
يقصّ سفاهات الأ... ـة كلها
ويروي فظاعات المقاصف منشدا

ويضجر أن يأوى الى البيت ساعة
فيخرج غضبانا ويأتي معربدا
فلاقت عذابا هون الموت بعضه
بما وردت من شرعة الذل موردا
وساعة تعذيب تساوي ثراءهنا
وتنسي جميع الجاه والعز والجدى

واذا كان هؤلاء قد صاروا بابنتهم الى عذاب دونه الموت بحرصهم على الثراء وحده ، فان آخرين قد صاروا بابنتهم الى الانتحار ، بحرصهم على الجاه مع الثروة ، ظانين أنهم بذلك يضمنون لبناتهم حياة رغدة ، ويكسبون لأنفسهم ثروات طائلة ، متناسين أنهم حكموا على بناتهم بالسجن وسط القصور الشاهقة ، وتركوهن يبكين الالام الدفينة ، كما يقول عزيز فهمي من قصيدة له بعنوان (الذنب ذنب الوالدين) :

وسط القصور الشاهقات اسمع بكاء الغانيات "١"
الناعسات الموقظات الراميات الفاتنات
يبكين من ألم دفين
....
قد زوجوها من وزير أيامه كذب وزور
في الليل يرتشف الخمور لكن منصبه خطير
والذنب ذنب الوالدين
مازوجوها انما في السوق بيعت كالإما
والوالدان تساوما والشاريان تحكما
والبنت زفت للمنون

لأن من زفت اليه عاد بعد شهور من زواجه الى سابق عهده ، ليعيش بين أحضان الغانيات ، ويرتشف الكؤوس ، ويجلس على منضدة

---

(١) ديوان عزيز ، العزيز فهمي ص ١٤ - ١٦ .

القمار ، حتى خسر كل مالديه من ثروة ، وفقد ضياعه وقصره ، وزجّ به في السجن ، لعدم وفائه بما عليه من ديون ، مخلّفا وراءه الزوجة التي اشتراها بأمواله ، وطفلا لم تجد ماتقدمه اليه ، فحشت مسدس زوجها بالرصاص ، وأطلقت على نفسها النار ، فخارت قواها ، وعجز الطب عن انقاذها ، وحمّل الشاعر والديها مسئولية ما أصابها ، لأن جشعهما هو الذي دفع بها الى هذا المصير :

لعب القمار مع الجياع واللعب ربح أو ضياع
خسر البيوت مع الضياع خسر الأواني والمتاع
والمالك ملك الداثنين
...
قالت : بنيّ ، انظر السيّ تجدن عودا من خلال
غذي جديب مابه لبن وليس لدي مال
أواه مالي من معين
....
أخذت مسدس زوجها حشت الرصاص بنفسها
وتشجعت وحلا لها هجر الحياة فما بها
غثّ يسرّ ولا سمين

وكفقراء الجاه فقراء المال الذين تطلعوا الى الغنى ، فزوّجوا بناتهم من أصحابه ، غير مبالين بالمصير الذى ينتظرهن ، وهذه واحدة من ضحايا هؤلاء الآباء ، يحدثنا عنها عبد الرحمن خليفة في قصيدته " طريق المقبرة " ، انها فتاة نادرة المثال في صفاتها ، فهي حيية خفره ، تفوقت على قريناتها بحديثها العذب وروحها المرحة ، التي تترك أثرها في أعماق النفوس ، لم تر يوما دون صواحبها في جمال المظهر ونظافة الثياب ، كانت متفوقة على زميلاتها في الدراسة ، وكانت خطيبة كاتبة :

عرفتها في سنها المبكرة
حيية بين البنات خفره "(١)

---

(١) أبولو ، العدد الثاني ، اكتوبر / تشرين أول ١٩٣٢م ص ١٣٧ - ١٣٨

حديثها العذب كذوب السكرة
يترك في أعماق نفسي أثره
بين نواعم حسان الهشره
يمشين في سوادع وحبره
لم تر يوما دونهن مقدره
وان تكن حال أبيها معسره
لم تك في واجبها مقصره
أو تك في تربيتها مؤخره
بل هي أولى فصلها المصدره
خطيبة ان دعيت مؤثره
منشئة ان كتبت محرره
فنانة بارعة مصوره
عازفة بنانها مقدره
طاهية ، ألوانها مبتكره
وأحرزت شهادة متبصره
ثم رأى والدها مالم تره

لكن أباها على الرغم من ذلك قرر أن يزوجها لرجل ثري طمعا فيما يملك ، وظنا منه أن هذا الزواج سيكون صفقة مربحة تعود عليه بالنفع ، دون أن يقدر العواقب السيئة ، التي ستجر اليها هذه الزيجة غير المتكافئة ، وازاء اصرار والدها قبلت الفتاة مجبرة ، مع أنها لم تتجاوز الحادية عشرة من عمرها ، ولم تزل تلهو بالكرة كغيرها من الأطفال الى جانب نحولها :

زواجها من جاهل ذي ميسره
اذ ظن فيه ربحه ومتجره
رأي فطير لم يقدر ضرره
وسعد لأي قبلته مجبره
فاعجب لذات هيئة مصغره
ناحلة الجسم لعوب بالكره

ماجاوزت في السن احدى عشره
قد خطبت واحتجبت مستتره
وانقطعت عن درسها معتذره
اذ أمهروها مائة مقدّره
وأزوجوها من غبي نكره
ذي ثروة موروثة وأشره

ان التفاوت الذي لحظه الشاعر هنا ، وعدّ البنت به في طريق المقبرة ، هو ماذكره من خفتها وذكائها ومهارتها وتعلمها ، بينما الزوج جاهل غبي نكره ذو ثروة موروثة ، وليس له عمل معروف ، وقد أشار مع ذلك الى تفاوت آخر ، هو صغر سنها بالقياس الى سنه ، ولكنه لم يصرح به ، ولم يعتمده في انكار الموقف ، كما اعتمده عبد العزيز عتيق في قصيدته ((شقوة الجمال أو خواطر حسناء في ساعاتها الأخيره)) "١" ، أو كما اعتمده ايليا أبو ماضي في قوله على لسان فتاة

---

(١) حكى عبد العزيز عتيق قصة فتاة جميلة زيّن لها أهلها الزواج بشيخ كبير ذي ثروة ، ظنا منهم أن في الثروة متنفسا لها ، وبادروا أنهم ألقوا بها الى شيخ ذهب أفضله ، ومع رضاها بحظها وتأميلها الخير فيه ، فوجئت بأنه صاحب قلب خليع دائم التشبيب بالغواني ، فلم تجد بدا من الانتحار . انظر البلاغ الأسبوعي ، العدد ١٠٩ ، ١٧ ابريل نيسان ١٩٢٩م ص ٢٧ .

ذاك حظي وقسمتي ونصيبي	فعلى الحسن أدمعي ونحيبي
آه ياقلب من عصابة شر	خدعوني بكل قول خلوب
حسبوا القلب يطبى بنضار	انما القلب يطبى بحبيب
فرموا بي أمام هيكل شيخ	أعمل الدهر فيه بالتخريب
وغرهم ماله المطاح ولكن	ليس ذو المال كالنسيب الحسيب
وصبرنا على القضاء وقلنا	ربّ شيخ فتي قلب أريب
فاذا الشيخ ذو فؤاد خليع	واذا الشيخ دائم التشبيب
...	
أقطع الليل نابغيا طويلا	بين دمع وبين صمت رهيب
وبرغمي ورغم ما أتمنى	سألاقي المنون بالترهيب

زوجت من شيخ طاعن ، تنعي على عصرها حب الطمع وعلى أهلها تفريطهم بها ، وأخذهم المال بدلا منها ، فانطق هذه الضحية بما تعاني في سخرية لاذعة ، فقد أرغمت الفتاة من قبل ذويها على الاقتران برجل طاعن في السن ، يظنه الناظر اليه اذا حاذى زوجته أبا لها ، لبعد ما بينهما من الزمن ، حيث عبّر الشاعر عن رغبة الغواني بالاقتران من شباب يماثلونهن في الحيوية والصبا ، ونعى على الأهل تفريطهم بهذا الجمال ، الذي يسومونه كما تسام السلعة ، ولو قدّر الأهل ما تقاسيه بناتهم من ألم ، وما يلاقي صباهن من ازدراء ، لعدلوا عن ضلالهم ، ولكن حبّ الذهب أعماهم عن روءية الحقيقة ، يقول ايليا أبو ماضي :

لي بعل ظنّه الناس أبي
صدّقوني انه غير أبي "١"
زعموا أن الغواني لعب
انما اللعبة طبعا للصبي
وأنا مازلت في شرخ الصبا
فلماذا فرّط الأهلون بي ؟
لي قدّ وجمال يزدري
ذاك بالغصن وذا بالكوكب
أخذوا الدينار مني بدلا
أتراني سلعة للمكسب ؟
لا ، ولكن راعهم عصرّ بنه
ساد في الفتيات حب الذهب

وهذا محمد الأسمر يعد زواج الفتاة بالشيخ مأتما في شكل عرس ، وبيعا بخسا لا زواجا ، وذلك في قوله :

---

(١) ديوان أبي ماضي ، دار العودة ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

ما زفاف الفتاة للشـــيخ الا
مأتـم هيئـوه في شكل عرس "١"
ضلّ من زوّجوا الفتــاة بشيخ
أي ليسل ضموا لا ية شمـــس
ان بيـــع الفتاة للشيخ بالما
ل علـى وفره لبيعـــة بخس

وقد ألف " محمد فريد عين شوكه " مسرحية شعرية بعنوان " سعاد " أجرى في آخر مشهد من الفصل الثالث حوارا بين الفتاة وعمها ووالدهـــا - بعد شكوى لعمها من والدها الذي حاول تزويجها لشيخ طاعن ،ووعد من العم بانقاذها من هذه الزيجة ،وقد دارت أحداث هذا المشهد في بيت الوالد ، عندما زاره أخوه الكبير ، وبعد أن شربا القهوة معـــا ، أخذا يتحدّثان في موضوع هذه الزيجة ، وأعلن الأخ الأكبر أنه غيـــر راض عن أخيه ، لأنه لم يستمع الى صوت العقل في موافقته على زواج سعاد ممن اختاره لها ، ولأنه اغترّ بما لديه من أموال ، وغض النظر عن كبـــر سنه ، ولأنه ذكر أنها راضية ، والواقع أنها غير راضية :

عم سعاد لأخيه :

ألا انني غير راض عليـــك ... ولست أراك شقيقا ليـــه "٢"

والد سعاد : لماذا

عمها : لأنك لم تستمـــع ... الى الرشد في حكمتي الهادية
وغرّك ماترتجي من غنـــى ... فأوقعت بنتك في الهاويـــة

والدها : تمهّل أخي وأبن ماتريد :

---

١) ديوان الأسمر ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .
٢) أبولو ، العدد السادس ،فبراير / شباط ١٩٣٣م ص ٦٨٤ - ٦٨٧

عمهـــا : اذن سأجيبك عما بيــــه

لقد جئتني مرة زائــــرا ونفسك جذلانة هانيـــــه

وقلت : أتاني يرجو (سعا د) غنيٌّ ومن أسرة راقيـــه

وماكان الا مسنا قضـــــى زمان الفتوة والعافيـــــه

وقد ضعضعته حياة السقا م وكانت على نفسه قاضيــه

فرجل الى القبـر ممدودة وأخرى تمدّ الى الهاويـه

خيال كأسطورة الهازليـن أو الطيف من حفرة خاليه

وقلت بأنك شاورتهـــــا فكانت بخطبتـه راضيــــه

ولو صحّ أن الرضى كالابـــاء فذاك رضى مهجة آبيــــه

وخادعتني بأرقّ الحديـــ ـث ، ولكنها خدعة واهيـه

فقد جاءت البنت تشكو الىّ اعتسافك في لوعة باكيــه

ولو أنصفتْ محضتك العقوق وثارت على روحك الطاغيـه

والدها (في دهشة) ، أحقا تقول

عمها : وهل افتـــــرى عليك؟ وهل ذاك من شانيه ؟

والدها : كذلك حالي ؟

عمهـــا : (في تهكم) : أتحسب يجدى عليك خداعك لي ثانيـــه ؟

وينادى العم سعاد ، ليسمع رأيها أمام والدها ، ولكنها تصمت خشية غضبه ، ولكن عمها يشجعها على الكلام ،

أدلي برأيك في مصيرك واعلمي أن ليس في قول الصراحة عار

سعاد : ماذا أقول وأنتما أدرى بما فيه لنفسي ذلـــة وبوار

ويحاول والدها أن يقنعها بصواب اختياره ، وبالخطيبها من مزايا ، فهو سيد وقور ، ومن أغنياء المالكين ، وعيشه رغد ، ولهذا كله ينصحهـا أن ترضى به ،

أسعاد مهلا ؟ ذاخطيبك سيد شهم له بين الرجال وقار

من أغنياء المالكين ، وعيشـــه رغد وعزّ دائم ويســـار

فارضي بحكمي ،انني لك ناصـح وأصغي لرأيي ليس فيه ضرار

ويسأل عمها والدها ، ماذا تقول ؟

والدها (في عنف) : أقول مهددا

لابد أن ترضي بمن أختار

أتكون آمرة وتلك بنيتي ؟

وتحاول أخت سعاد أن تتدخل الى جانب والدها ، وتعنّف سعاد لعدم استجابتها لرغبة والدها ، وتتهمها بأنها لم تراع لوالدها حرمة ، ولم تكن مؤدبة في حديثها معه ، وأنها باصرارها على رفض هذه الزيجة ، أخطأت خطأ كبيرا ، وزلّت بها القدم ، تقول مخاطبة سعاد :

أسعاد انك لم تراعي حرمة

لأبيك أو تهدي التأدب في الجدل

وعصيته فيما أراد وما ارتضى

ولو أنه لك خادم لم يحتمل

حقا لقد أخطأتِ كلّ خطيئة

ووقعتِ فيما قد وقعتِ من الزلل

ولكن سعاد ترفض منطق أختها ولا ترى في موقفها هذا ما يدل على خطأ أو عصيان ، وانما تحاول بذلك أن تدافع عن حقها في الحياة ، في اختيار شريك حياتها ، تقول :

أنا لست مخطئة ولست عصية

بل ذاك حقي في الحياة ونظرتي

ويثور الأب عندما يسمع رأي سعاد ، ويصيح بأعلى صوته : بل أنت غاشمة .

ولكن عمها يمسك بوالدها ويعنفه ويتهمه بالحمق ،

عمها : لا تعجلن بالسخط

ان الحمق شرّ بليق

أشفق على هذي الفتاة فانها

في القول لم تخطئ ولم تتعنت

بل حقها ترعى ، لأنك بعتهما
بيع السوائم ، دون أية رغبة

ولكن والدها يصر على موقفه ، ويعد رفض سعاد لهذه الزيجة غير منطقي ، لأنه قائم على العاطفة ، وهكذا استطاع " محمد فريد عين شوكه " في هذا المشهد أن يعبر عن رأيه ، وأن يتخذ موقفا واضحا من زواج الفتاة بالرجل الطاعن في السن ، فهو ينحي على الآباء جشعهم وتعصبهم لآرائهم ، منتهيا الى أن للفتاة الحق في رفض رأي والدها ، اذا كان هذا الاختيار ضد مصلحتها .

وهذا يعني أن المسرحية الشعرية والقصة الشعرية ، قد اتخذتا بعض موضوعا تهما من قضايا الزواج ، التي أصبحت تثير جدلا عنيفا بين فئات المجتمع المختلفة .

— ٥ —

واذا كان من ذكرنا قد خصوا الآباء باللوم على هذا الزواج غير المتكافيء ، فان آخرين قد لاموا هؤلاء الشيوخ المتصابين ، فهذا شوقي يتناول الموضوع ، فينكر على الشيخ ذى السبعين سفاهة رأيه وصغر همته وغايته حين يكتم شيبه ، ويحاول الزواج مرة أخرى من بكر ، تكون سببا في شغله عن برّ أهله وأولاده وعن التوبة الى الله قبل الممات ، لقد بذل المال لوالديها ، حتى قبلوا ، وليتهم ماقبلوا ، لأنهم بهذا دفعوا ابنتهم لأشأم مضجع ، بل باعوها بالمال ، وما زوجوها ، مادموا لم يراعوا الكفاءة بين الزوجين في السن ، وهي أهم كفاءة في رأي شوقي ، حيث يقول :

من كلّ ذي سبعين يكتم شيبه
والشيب في فوديه ضوء نهار "[١]

---

(١) الشوقيات ١ / ١٢٠ - ١٢١ .

يأبى له في الشيب غير سفاهة
قلب صغير الهمّ والأوطار
ماحلّه عطف ، ولا رفق ولا
برّ بأهل ، أو هوى لديار
كم ناهد في اللاعبات صغيرة
ألهته عن حفظ بمصر صغار
مهما غدا أو راح في جولاته
دفعته خاطبة الى سمسار
شغل المشايخ بالمتاب ، وشغله
بتبدل الأزواج والأصهار
في كلّ عام همّه في طفلة
كالشمس ، ان خطبت فللأقمار
يرشو عليها الوالدين ثلاثة
لم أدر أيهم الخليط الضاري
المال حلّل غير كلّ محلل
حتى زواج الشيب بالأبكار

وحمّل شوقي الأم القسط الأكبر من المسئولية ، لأنها بقبولها هذا الزواج ، دفعت بابنتها الى أشأم مصير ، فان تحللت بالشرع كذّبها في ذلك ، لأن شرع الله لا يجيز الظلم ، وأن الذي حدث لم يكن زواجا ، وانما هو بيع للصبا بالمال ، مما جعل شوقي يميل الى اعتبار هذا الزواج أقرب الى الزنا والاسترقاق :

دفعت بنيتها لأشأم مضجع
ورمت بها في غربة واسار
وتعللت بالشرع ، قلت : كذبته
ماكان شرع الله بالجزار
مازوجت تلك الفتاة ، وانما
بيع الصبا والحسن بالدينار

بعض الزواج مذمم ، مابالزنـــا والرّق ان قيسـا به من عـــــار

فتشت لم أر في الـــزواج كفـــاءة ككفــاءة الأزواج في الأعمـــــار

وهذا أحمد محرم في قصيدة من قصائده ، يسوق قصة رجل متقدم فـي السن ، تعلّق بفتاة سلبت لبه ، وافقدته القدرة على السداد فـــي التفكير ، حتى اختلط الأمر عليه ، ولم يعد قادرا على التمييز بيـــن السقيم والصحيح ، فأصبح يقابل تحية أبنائه بالازدراء ، ويبدي سأمه مـن تصرفاتهم ، وكلما حاولت زوجته الأولى أن تعرف سر تصرفاته ، لعلهـــا تخفف عنه ، انهال عليها بالضرب ، ولولا أن أبناءها كانوا يحولـــون بينهما ، لأصبحت حطاما ، ولم يهدأ له بال ، حتى تزوج من كانت في سن بنيه ، دون أن يفكر في العدل بين زوجتيه :

صبا ربّ البنين الى فتـــاة سبته اللبّ والرأي السليما "١"
فأصبح أمره أعيى عليـــــه فما يدري صحيحا أم سقيمـا
يحييه البنون فيزدريهـــم ويلوي عنهم وجها سؤومـــا
وتسأل أمهم ماذا دهـــاه فيحسبها جنت ذنبا عظيمـــا
فيضربها ، فيدركها بنوهـــا فلولا هم غدت عظما رميمـــا
تزوّجها فلم يعدل فأمســى رهينا في حبالتها مقيمـــا

وقد جعل علي الجندي من شخصية الشيخ المتصابي مادة طريفـــة لاحدى قصائده ، فطالبه وأمثاله أن يكفوا عن ملاحقة الحسان ، وقد بلغـوا أرذل العمر ، اذ الأولى بهم وقد شارفوا على الموت أن يصونوا شيخوختهم عن هذا العبث ، لأن من يخطب ودّ الملاح ، لابدّ أن يكون فـــي ميعة الصبا وملاحة الشباب ، فان الشمس لا تحبو وصالها لغير البدر ، حيث يقـول :

---

(١) ديوان محرم ، ، مطبعة الجريدة بمصر ، الطبعة الأولى ، ١/١١٦ .

يا أيها الشيخ الـــذي ... أولى به سكنى القبــور "١"
مالي أراك على الحســا ... ن تحوم مشبوب الزفيــر ؟
......
ياخاطبا ودّ المهـــا ... والرأس يغمره القتير
ان المــلاح مهورهـــنّ ... ملاحـة وصبـا غريــر
هيهات أن تحبو الشمـو ... س وصالها غير البـدور

وكما هاجم علي الجندى الشيخ المتصابي ، وجّه محمود عماد نقده اللاذع للنساء اللواتي ذوى صباهن . "٢"

---

١) الحان الأصيل ، لعلي الجندى ص ٣٤٥ - ٣٤٨ .
٢) انظر ديوان عماد ، لمحمود عماد ص ٧٠ - ٧٥ .

حذّر محمود عماد العجائز اللواتي يحاولن أن يغطين آثـــار الكبر باستعمال الخضاب والطلاء ، كوسيلة للخداع من أجل أن يبقين قادرات على لفت الأنظار ، وقد نصح الشاعر هـــذه الفئة من النساء أن تتقبل وضعها ، وأن تستبدل هـــذا الضلال بالوقار والحشمة والتجمل بالصمت ، وذلك في قوله :

واريت شيبك بالخضا ... ب ، فما خضابك للسقــام ؟
ورفوت جلدك بالطـلاء ... فما طلاؤك للعظــام ؟
ضللتهم بظـلام شعــر ... ك ، فاهتدوا بعد الظلام
هذا ختــام أن يسـوّ ... ك ، فانه حتـم لـــزام
فتقبّليــه في وقـــا ... ر مستحـب واحتشـــام
وتجملي بالصمت فهـو ... معبرّ مشـل الكـــلام

— ٦ —

ولم يقف الشعراء عند حد مهاجمة زواج المسنين بالأبكار ، لأنه جناية على المرأة ، بل تعدى الأمر الى اظهار سخطهم على فكرة تعدد الزوجات ، التي عدّها قاسم أمين من العادات القديمة ، حيث لا تكون في الأمة الا عند ما تكون المرأة منحطة الشأن - على حد زعمه - وتقلّ أو تزول عند ما تكون حالها مرتقية"(١)".

ويبدو أن آراء قاسم هذه وجدت آذانا صاغية لدى بعض الشعراء، ومنهم اسماعيل صبرى باشا ، الذي ذمّ التعدد ، ورأى أن العدل بين الضرتين غير ممكن ، وأن الذي يقدم على ذلك ، انما يلقي بنفسه الى الهاوية ، يقول :

يامن تزوّج باثنتين ألا اتئد
ألقيت نفسك ظالما في الهاوية "٢"
ما العدل بين الضرتين بممكن
لو كنت تعدل ما أخذت الثانيه

كذلك عاب شوقي فكرة التعدد ، لأنه لم يجد لدى أكثر من عددوا سببا مقنعا ، بل وجد انتقاصا منهم لزوجاتهم اللواتي شاطرنهم حياة الشباب ، وبذلن ما استطعن في سبيل اسعادهم ، وولدن لهم البنين والبنات مع المحافظة على الأعراض ، فكان جزاؤهن عندهم ، أن يأتوا لهن بالضرائر :

يتزوجون على نساء تحتهم لا صاحبات بغى ولا بشرار "٣"

---

١) تحرير المرأة ، قاسم أمين ص ١٥١ - ١٥٣ ، ١٥٧ .
٢) ديوان اسماعيل صبرى باشا ص ١٤٤ .
٣) الشوقيات ١/٢٩ - ١٣٠ . وراجع قصيدة محمد عثمان جلال ((الشيخ الذي تزوج مرتين)) في ديوانه العيون اليواقظ في الأمثال والحكم والمواعظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، ١٩٧٨ ص ١٥٨ . حيث سخر جلال ممن يتزوج باثنتين ، لأنهما ستحيلان حياته الى جحيم لا يطاق .

شاطرنهم نعم الصبا وسقينهم دهرا بكأس للسرور عقار
الوالدات بنيهم وبناتهم الحائطات العرض كالأسوار
الصابرات لضرّة ومضـرّة المحييات الليل بالأذكار

وكما عاب شوقي المتزوج على امرأته ، عاب المزواجة التي تتنقل من زوج الى آخر ، فقد نظم مسرحيته الشعرية ((الست هدى)) في عجوز متصابية ثرية ، كلما ذهب عنها زوج اقترنت بآخر ، وقد طمعت في مالهم - كما طمعوا في مالها - وكان الظفر لها ، لأنها ورثتهم جميعا واحدا بعد واحد ، مما جعلها مضغة على الالسنة ، فلما سمعت بما يقولون أخذت تدافع عن نفسها ، بأنها ليست السبب في موتهم ، وبأنها أنفقت على زيجاتها من مالها ، يقول شوقي على لسانها :

يقولون في أمريّ الكثير وشغلهم
حديث زواجي أو حديث طلاقي "١"
يقولون : اني قد تزوجت تسعة
واني واريت التراب رفاقي
وما أنا "عزريل" ، وليس بمالهم
تزوجت ، لكن كان ذاك بمالي
وتلك فداديني الثلاثون كلها
تولى رجال جئنني برجال
فما أكثر عشاقي
وما أكثر خطابي
ولولا المال ماجاءوا
أذلاء الى بابي

---

١) الفن المسرحي في الأدب العربي الحديث ، لمحمود حامد شوكت ، مطبعة عابدين ، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٠م ص ١٤٥ ومابعدها . وانظر مسرحيات شوقي لمحمد مندور ، مكتبة النهضة المصرية ومطبعتها ، دار الهنا للطباعة ، الطبعة الثالثة ص ١٠٥ - ١٠٦ . مسرحية الست هدى ، لأحمد شوقي ، مطابع دار الكاتب العربي - بيروت ، الناشر المكتبة التجارية الكبرى ، ص ١٤ .

ثم مضت تحتج لزيجاتها مبينة عيوب كل واحد من أزواجها ، ومعترفة بغايتها من الزواج بكل واحد منهم في أسلوب ساخر ، وقد وصفت زوجها الرابع ، بأنه كان أديبا على غير ماتهوى في الرجال ، فقد اختارته بعد أن زينوه في عينيها ، لكنها اكتشفت فيه رجلا ضائعا ، يغدو ويروح على الصحف ، فيكتب مرة في " اللواء " وأخرى في " المؤيد " دون أن يجني أية فائدة ، ومع ذلك كان كثير المباهاة بعمله :

ولست أنسى زوجي الرابعا لا نافعا كان ولا شافعا "١"
قالوا : أديب لم يروا مثله ولقّبوه الكاتب البارعا
قد زيّنوه لي فاخترته ما اخترت الا عاطلا ضائعا
رائح أكثر الزمان على الصّحف مغتدى
يكتب اليوم في " اللوا " وغدا في " المؤيد "
ليله أو نهاره فارغ الجيب واليد
ويعجبني عند المباهاة قوله : بنيت فلانا أو هدمت فلانا
وقد يصبح المبني أوضع منزلا وقد يصبح المهدوم أرفع شأنا

وهكذا تستمر في تبرير كل زيجة من زيجاتها ، وتعديد عيوب كل واحد من أزواجها ، والمتأمل في هذه الملهاة يلاحظ أن شوقيا أبدى استياءه من تصرفات بعض نساء عصره ، اللواتي اتخذن من أموالهن وسيلة لاصطياد الأزواج .

- ٧ -

ومن الموضوعات التي جذبت الشعراء ، وتناولوها (فساد الحياة الزوجية) ، وذلك عندما يهجر الزوج زوجته التي قضى وطره منها ، أو تجذبه الحانات عنها ، وعندما تغدر الزوجة أو تجذبها المظاهر ،

---

(١) الست هدى ، لأحمد شوقي ، ص ١٦ - ١٧ .

ومن ذلك قصيدة لعبد الرحمن شكري بعنوان " الزوجة المهجورة تعالج السحر " ، وصف فيها امرأة تحاول أن تستعيد زوجها الذي هجرها بممارسة السحر ، وذكر ما تشعر به من وحشة في ظلمة الليل ، حيث امتلأت عيناها بالشرر ، وتقرّح جفناها لكثرة ما ذرفت من دموع ، دون أن تجد من تشكو اليه خلاعة زوجها وتهتكه غير النجوم ، وكان زهده فيها سببا لشكواها ، فبعد أن كان يبكي رغبة في وصالها ، صار يعبس في وجهها كراهية لها ، وقد فركها قلبه بعد أن اصطادها بنظراته الفاترة :

أيها الليل أفض من ظلمة ... تشعل النار بجفن ساهر "١"

---

(١) ديوان عبد الرحمن شكري ، لالئ الأفكار ٢/١٥٦-١٥٧ . ومثل قصيدة عبد الرحمن شكري هذه ، قصيدة لعبد العزيز عطية بعنوان " البائسة " التي حكى فيها قصة فتاة قادها الحظ الى الاقتران برجل غرّها منه ما أبدى من مروءة وكبرياء ، حتى اذا وثقت به ، واتخذها زوجة له ، وقضى منها وطره ، ونال بغيته ، أبدى لها العبوس ، وحبسها في بيت مظلم ، وأحال حياتها جحيما لا يطاق ، مما جعلها تتمنى أن تعود الى حياتها السابقة ، حيث يقول :

غرها منه كبرة أوقعتها ... في شباك الردى تذوق العذابا
ونما الحب طفرة فتناهت ... في هواها وأوشكت أن تميلا
دخلت دارها تريد المقاما ... بعدما هيئت وباتت عروسا
ورأته يحنو لها اعظاما ... بعد أن كان جامحا وشموسا
ظل يبدى السرور حتى اذا ما ... نال منها المرام أمسى عبوسا
ساقها نحو حجرة أدخلها ... في ظلام الدجا تحاكي القبابا

وتداعت أحلامها وذوى عودها ، واضمحل جسمها لكثرة ما سامها من الذل والخسف ، حتى بدت لها الحياة هوانا ، وصدمت أحلامها في الزواج ، فبعد أن كانت تظن الزواج نعمة ، وجدته نقمة ، ولم يقف الأمر بالزوج عند هذا الحد ، بل ضاعف أحزانها ، بعد أن باع ماتملك من حلي ومتاع ، وأصبح ينظر اليها نظرة استخفاف ، يريد بذلك أن ينهي ما بينهما من علاقة زوجية ، فأحست أن الخطوب مقبلة عليها ، مما جعلها تبكي شبابها :

وتداعت وأسقطت من ذراها ... وغدا الجسم ذاويا مضمحلا
سيمت الخسف واستبيح حماها ... ورأت في الحياة هونا وذلا
ظنّت الزوج منحة منحتها ... فرأته بعد الزواج عقابا =

ونشرت مجلة الفتح قصيدة بعنوان : ((زوجة تشكو)) ، حيث وصف الشاعر فيها حال الزوج الطائش ، الذي يحاول أن يغالط الناس حين يظهر أمامهم بمظهر الرجل الكريم ، ولكنه لم يستطع أن يخفي حقيقته أمام زوجته ، بعد أن أمعن في الخلاعة والفجور ، وصار للراقصات عليه سلطان مبين ، حتى سلبته من زوجته وأبنائه :

عبثا تحاول أن تُعدّ من الرجال الأكرمين "١"
عبثا تغالط من يراك بعين نقاد أمين
أولستَ قد أوغلت سرا في الخلاعة والمجون
فاخترت بنتَ الحان في كاساتها صبت خدين
وغدا لبعض الراقصات عليك سلطان مبين
قد سيرتك كما تشاء بكيدها وهو المتين

== ورأت دارها وقد دخلتها   تشبه القفر اليباب خرابا
ضاعف الزوج حزنها فتجافى   بعد ما باع حليها والمتاعا
ورأته يرنو لها استخفافا   ولأصل الزواج يبغي اقتلاعا
فتردّت في غمرة أفقدتها   في دجى الليل عقلها والصوابا

وهذا يعني أن الحب لم يكن هو الدافع الى الزواج ، وانما اتخذه وسيلة للايقاع بمن وهبته ثقتها ، ولم يقف به الأمر عند حد ، بل انه بعد أن قضى منها مأربه ، أراد أن يجردها من كل ماتملك ، وعاملها بقسوة ، حتى تضطر الى الخلاص منه وتترك له كل مالديها ، وقد رفض الشاعر مثل هذا السلوك ، لأنه يرى أن رباط الزوجية يجب أن يسمو به الناس عن الأطماع المادية ، وألا ينظروا اليه نظرة شهوانية فقط .
انظر السياسة الأسبوعية ، السنة الخامسة ، العدد ٢٤٤ ، ٨ نوفمبر / تشرين ثاني ١٩٣٠م ، ص ٢٣ .

١) الفتح ، السنة العاشرة ، العدد ٤٦١ ، ٧ جمادى الآخرة ١٣٥٤ هـ ص ١٩ ، ولم تنسب المجلة هذه القصيدة لشاعر بعينه . وراجع في معنى هذه القصيدة قصيدة أخرى لمحمد البزم بعنوان (الأسيره) تناول فيها نفس الموضوع ، فدعا الزوج الى ضرورة رعاية حقوق زوجته والوفاء لها ، وعدم قضاء الوقت في الحانات وبين الراقصات . ==

وينعي الشاعر على هذا النوع من الأزواج سعيه وراء الخلاعة في الحانات ، وملاحقته الراقصات مع اهماله لزوجته التي صانت عرضها ، ورعت أبناءها ، وحاولت أن تعوضهم بحنانها وعطفها ، عما افتقدوه من عطف أبيهم ، فكانت تقضي نهارها مشغولة بأعباء البيت والأطفال ، وتقضي ليلها ساهمة حزينة نادبة حظها عند هذا الزوج ، الذي قابل متاعبها ووفاءها بالخيانة ، ثم تتساءل عمن أباح له هذا ، وكيف يرفع رأسه بعد كل مافعله :

وهناك عقر الدار فيه ربّة العرض المصون
من حولها الأطفال بين بكا وضحك يلعبون
كل يحاول أن ينال مناه من أم حنون
فيصيبهم من عطفها أصناف مايستوهبون
هي في انشغال بالنهار ، وبالعشية في شجون
تلقي الجزاء على المتاعب والوفا زوجا خئون
من ذا أباح لك انطلاقك في سبيل المسرفين ؟
أيكون هذا منك ، ثم تعيش مرفوع الجبين ؟

وقد أجاد الشاعر أيما اجادة في التعبير عن مشاعر المرأة ، التي يبتليها الدهر بزوج لا يقدر الروابط الأسرية حق قدرها ، فمهما عظمت المصائب فان خسارة القرين هي أعظم رزء تصاب به المرأة ، وعلى الرغم مما تعانيه الزوجة من مرارة لا تزال تكن لزوجها الحنين والاخلاص ، وترجو له السعادة والخير ، وتناشده ان كانت لديه بقية من رحمة أن يعود الى ماكانت تعهده فيه من الخلق ، وتذكره بأن العودة الى طريق الحق خير من التمادي في الباطل :

== عاهدتها فوفت ، فرحت محاولا اعناتها ، فتمنعت في اصرها
غادرتها نضو الجوى بيد الهوى تشكو النوى متلذذا في حصرها
خاصرت راقصة المجامع ساررا والعهر يقطر سائلا من خصرها
وجعلت همك كل خود مومس وتركتها ترب الأسى في قصرها

للدهر أرزاء ، فمنها مايجلّ ومايهون
لكنّ رزئي فيك رزء فوق ندب النادبين
ان الخسار اذا تفاقم كان خسران القرين
ان كنت تعرف ماتكن الزوج لحوك من حنين
أو كنت تعلم أنها لك من كبار المخلصين
ترجو لك الخيرات والاسعاد حينا بعد حين
فارجع الى الخلق الذى عرفتك صاحبه سنين
واذكر بأن الخير كلّ الخير في دنيا ودين
أن تستقيم على الطريقة في صفوف المصلحين

هكذا كان الرجل سبب فساد الحياة الزوجية عندما تفسد نفسه ، ويتطلع الى غير حليلته ، وكذلك كانت الزوجة اذا غدرت وفسدت طباعها ، وقد صوّر عبد الرحمن شكرى غدر الزوجة في قصة شعرية يصل عدد أبياتها الى ثمانين بيتا بعنوان " الزوجة الغادرة " ، بدأها بسؤال من صديق الى بطل القصة عن سبب زهده في وصل الغواني ، فكان السبب - كما قال - أنه تعلق بفتاة أصابت قلبه ، كما أصاب قلبها ، حتى حددت موعدا لاقترانهما ، ولكنه فوجيء بأخيه يطرق بابه بلهفة ، ليبلغه أن " أسماء " لا تحبه ، وأن عليه أن يستقبل هذه النازلة بحزم وجلد ، وأنه - أي أخاه - يريد الزواج منها ، لاعتقاده أنها روحه التي يعيش بها ، ومأواه الذي يلجأ اليه عندما يشتد عليه الدهر ، ومنجاه من موت محقق ، وازاء هذا الحب الجارف الذي يكنه أخوه لأسماء ، طالبها أن تقبل على أخيه ، وأن تمنحه حبا طهورا ، وأعلمها أنه تخلّص من أسر حسنها ، ونفض عنه غبار حبها ، يقول :

كنت في صحة من العيش دهرا
أتمنى زيادة المستزيد "١"

١) ديوان عبد الرحمن شكرى ٢/١٨٠ - ١٨٤ . وانظر أيضا قصيدة عبد الرحمن شكرى " قبلة الزوجة الخائنة " ٢/١٥٩

فألاحت لي الخطوب لحيفي
بفتاة كبغية المستجيد "١"
ولجت في الصميم مني ونالت
ما يشاء الهوى بدل غرير
وتمادى بي الغرور فيا لهـ
فى على نشوة الهوى والغرور
عينت موعدا فبتّ أناجيـ
ـه السوى أن دعا نذير الوفود
فاذا طارقي أخي صنو نفسي
وتصيري على المنى وعقيدي
جاء يسعى سعي اللهيف ويهتز
اهتزاز المحموم والمقرور
قال والدمع ملء عينيه واللحـ
ـظ شريد في اثر دمع شريد
انّ أسماء لا تحبك فاستقـ
ـبل بحزم فواقر المقدور "٢"
هي روحي التي أعيش بها ود
ي الذي به زهو عودي
......
قلت والدمع كاشف ما أداريه
وصوتي صوت القوي الجليد
فاستبيني "أسماء" رأيا رجيحا
وأعيني أخي بحب طهور
واعلمي أنني خلصت خلوص الـ
حرّ من أسر حسنك المعبود

---

١) ألاح بالشيء : أشار به .
٢) الفواقر : المصائب التي تقصم الظهر .

فماذا كان موقف أسماء ؟ سددت اليه نظرة كالسهم أصابت قلبه ، ثم قالت والدموع تنهلّ على خديها متلاحقة كقطرات المطر : هل تحسبان العروس أمة تشترى من السوق بصرر المال ؟ ثم هتفت قائلة : ماذا سيجني أخوك من زواجه بفتاة لا تكنّ له غير النفور ؟ وازاء ذلك انسحب الأخ راجيا منه أن يقيله من عثاره وأن يغفر له ذنبه ، الذي لا يدل على غير اللؤم والحسد ، وأعلن أنه من السفاهة أن يروم من لا ترغب فيه ، فعقد قرانه عليها ، وتوثقت عرى المحبة بينه وبين زوجته ، وساد الاستقرار والنعيم حياتهما :

فرمتني بلحظة هي كالسهـ
م اذا ما استوى بقلب المصيد
ثم قالت والدمع يطرد الدمـ
مع على خدها طمراد المغير:
تحسبان العروس مثل اماء الـ
سوق تشرى بصرة من نقود
أيّ شيء يجني أخوك اذا ز
وّج من لا تقربه غير النفور "١"
فدعاني أخي ، وقال : أقلني
انّ ذنبي ذنب اللئيم الحسود
وعقدنا عقد الزواج وثيقا
ونعمنا بيومه المشكور

وتمرّ الأيام ويجيء أخوه زائرا ، فيستقبله بالترحيب والبشاشة ، ويفيض عليه من كرم العيش ، لكنّ خادمه يسرّ اليه أن زوجته وأخاه قد عادا الى حبهما من جديد ، وتعاقدا أن يدسا له السم ، وأن الزوجة لم تعد قادرة على مقاومة الحبّ ، الذي ثار في نفسها لأخي زوجها :

---

(١) تقربه : تعطيه .

ربّة البيت في يديها سقاء ال
سمّ والضيف خلفها كالعقيد
قالت اهدأ دعني أدوف له السـ
مّ وأبغي غفران ربّ غفور "١"
قد أتاني هواك في غفلة عنـ
ك ، فلم يعقبه له مجلودي
أنت روحي التي أعيش بها فاسـ
تبق روحي محبي وكن لي أميرى

وعندما تأكد الزوج مما سمعه من الخادم ، وعلم أنهما سينفذان ما اتفقا عليه أبدى تجاهله وقرر في نفسه أمرا ، وانتظر حتى وضع الطعام على المائدة ، وأفرغت له زوجته السمّ في الكأس ، ثم غافلها بأن أفرغ كوبه في كوبها ، دون أن تدري بما فعله ، فنامت نومتها الأبدية ،

نحن حول الخوان ننتظر الطعـ مة مما قد هيأت في القدور
وهي قد أفرغت لي السمّ في كـو بي ، وقامت تمرّ غير بعيد
ثم غافلتها وأفرغت كوبي فوق ماء بكوبها منزور
ثم نلنا من الطعام بلاغا وشربنا برأ من التصريد
ثم جاء اليوم الجديد فنامت زوجي الرود نومة المقبور

والظاهر أن المدنية الحديثة قد هيأت المرأة لكثير من ألوان الغدر والخيانة ، لأننا نلتقي بغير صورة شعرية في ذلك عند عدد من الشعراء ، وهذا أبو شادي في قصيدته " الزوجة الطائشة " يعيب على المرأة جموحها ، وطيشها وحبها للمظاهر الخادعة وسيطرة حب المال والسلطان على نفسها ، حتى جفت زوجها ، وعبست في وجهه ونغّصت حياته ، وخرجت الى الملاهي غير ملقية بالا لما يبذله في سبيل اسعادها ، وكان باستطاعتها أن تصون نعيمه ، وأن تسعد وتسعده لو كانت عاقلة ، يقول أبو شادي :

---

(١) أدوف : أمزج .

ماذا دهى ذاك الغرام فلم تعد
أزهاره تحييه أو تحييك "(١)"

وطلبت مانثر "المعز" وان يكن
أولى بإبقاء لعهد بنيك

وهدمته بينا هو الساعي لما
يبنيك أو يغنيك أو يهنيك
.....

وبخلت بالبسمات فهي عزيزة
لفتاك ، وهي رخيصة لذويك

فاذا العبوس أرق مايحظى به
أكذا يكون جزاء من يفديك

يشقى سعيدا في سبيلك ناظرا
لسعادة الأحلام من ماضيك
......

فاذا الحقيقة مرة وأليمة
من يحسب العصيان مايهديك

ولكم هجرت المنزل الباكي الى
ملهى وبيتك مثل عرش مليك

وتخذت عذرك للفساد زيارة
لأبيك حتى ضاع رشد أبيك

أو صنت كل شكاية وعرضتها
لتنغص الزوج الذي يحميك

فيظل محروما من النعمى ومن
سلوى الحياة لعامل منهوك

لو كنت عاقلة لصنت نعيمه
بجنانك المطبوع والمملوك

---

(١) الشفق الباكي ، لأحمد زكي أبو شادي ص ١٢٧ - ١٣١ .

— ٨ —

لكن الشعراء الذين صوّروا ذلك ، ونفروا منه وعابوه لم يخفوا اعجابهم بالمرأة التي تصون عرضها ، وتضن به أن يبتذل ، وعدّوا ذلك فضيلة للمرأة ، خصوصا بعد أن ساءت أخلاق كثير من النساء والرجال ، لمّا أتيح للمرأة والرجل أن يلتقيا معا في الميادين العامة والطرقات والسهرات المختلطة ، فقد أشاد بعض الشعراء بالنساء اللواتي حافظن على طهارتهن ، ومن ذلك قصيدة ((آية العفاف)) لاسماعيل صبري باشا ، التي وصف فيها امرأة كانت تعيش مع زوجها في راحة واستقرار ، فحاول أحد ضعاف النفوس أن يستدرجها ، ولكنها رفضت أن تحادثه ، أو تستجيب لرغبته ، فاحتال على زوجها حتى وثّق صلته به ، وأصبح يزوره في بيته ، ثم حاول أن يعتدي على عرضه أثناء غيابه ، وهدّد زوجته بالقتل ان لم تستجب له ، فاحتالت عليه ، بأنها تريد أن تنيم طفلها ، ثم عادت اليه ، وهي تحمل في يدها مسدس زوجها ، وأعلمته أنها ترفض أن تلوث عرضها ، وتخون زوجها ، فلما رأته مصرا على ارتكاب حماقته ، مزّقت أحشاءه برصاصة أطلقتها عليه ، فأردته قتيلا :

وافى اللئيم لسلب عرض صديقه
ولسلب عرض المرء شرّ بلاء "١"

وافى وقال الوغد هيت لك أنعمي
اني أتيت لريبة وخلاء

فتمايلت عن ردعه برجائه
لرجوعه عن ذاك خير رجاء

فاستلّ مديته وقال بجفوة
وخشونة ووقاحة وجفاء

---

(١) العمران ، السنة الأولى ، العدد الحادي عشر ، ٢ ديسمبر/ كانون أول ١٩٢٥م ص ٦ - ٧ .

ان لم تجيبي ما أردت فانني
أقضي عليك بطعنة نجلاء
.....
ورجته تمضي كي تنوّم طفلها
في غرفة أخرى بحسن دهاء
ونجت به وبعرضها وتنفست
بعد النجاة تنفس الصعداء
حملت له نار القضاء وأقبلت
وعيونها كالجمرة الحمراء
جاءت وفي يدها مسدس زوجها
وحشته سهم منية وقضاء

واذا كانت هذه الزوجة قد استطاعت أن تنتصر لعرضها ، وتنتقم لشرفها بقتل المعتدي ، فان امرأة أخرى قتلت نفسها ، لتنجو بشرفها ، كما صوّر مختار الوكيل في قصة له بعنوان ((الدخيل المعتدى)) ، حيث أتى فيها على حكاية فتاة أراد بعض الدخلاء أن يعتدي عليها في عقر دارها ، فلم تجد وسيلة للتخلص من العار ، سوى أن تقتل نفسها بخنجر، مفضلة الموت على أن تمكنه من نفسها :

أمسكت احسان بالخنجر وارتاحت اليه "١"
وضعته بين نهديها وقد مالت عليه
هتفت والموت قد قرّب منها ملكيه
مرحبا بالموت صينت روعة المجد لديه

ويبدو أن الأمر لم يعد مقصورا على اغتصاب الأعراض بالقوة ، بل ان فريقا من ضعيفي النفوس حاول أن يستغل سذاجة الفتيات وبساطة تفكيرهن من أجل اشباع رغباته الدنيئة ، وذلك بعد أن زحف تأثير الحضارة الغربية الى عقول الفتيات ، وصدّقن دعاوى الداعين الى ضرورة توثيق عرى المحبة

---

١) أبولو ، العدد التاسع ، مايو/ أيار ١٩٣٤م ص ٨٤٢ - ٨٤٥ .

بين الشاب والفتاة قبل الزواج ، وتعميق فهم كل منهما للآخر تشبههـا بالفريسين ، مما أدى الى وقوع بعض الفتيات فريسة سهلة في أيدي شبـاب لا يهمهم غير اشباع رغباتهم بأية طريقة ممكنة ، ومن ذلك قصيدة للشاعـر " محمد برهام " بعنوان " المنتحرة " حكى فيها ماجرى لفتاة كانـت تعيش حياة طهر في ظل أسرتها ، حتى أعجب بها فتى خسيس الطبع ، فراح ينصب شراكه حولها ، مدعيا أنها سحرته ، وأنه يريد أن يتخذهـا زوجا له ، حتى سلمت اليه زمام أمرها ، فلما نال منها بغيته ناصبهـا العداء ، وتخلى عنها ، فلم تجد أمامها وسيلة تغسل بها العار الـذى لحقها سوى النيل :

أمسى يبادلها زور الكلام علـى
زعم الزواج فأغواها وأغراهـا "١"
ألقت اليه زمام القلب وانخدعـت
حتى اذا انتهبت ألفته خلاهـا
فيا شراهة ذئب مارأى حمـلا
حتى انثنى وهو غاد منضحاياها
ترى أيسمع أنات لمولهـة
وتلك شهوته للنفس أداهـا
خلت الى نفسها تشكو ظلامتهـا
لما رأت خدنها بالأمس عاداهـا
طافت بها الذكريات السود فاندفعت
للنيل تغسل من عار خطاياهـا

---

(١) صحيفة دار العلوم ، العدد الرابع ، ابريل / نيسان ١٩٣٥م ، ص ٥٤ - ٥٦ ، وراجع قصيدة " صفقة خاسرة " لخليل مطـران ديوان الخليل ١/١٢٦ - ١٢٧ . وانظر قصيدة " الجنين الشهيد " لخليل مطران أيضا ١/٢٢٣ - ٢٤٥ .

على أن الشعراء المحدثين الذين عالجوا المشاكل الاجتماعية التي تواجهها المرأة في حياتها قبل الزواج وأثناءه ، لم يغضوا أبصارهم عما تلاقيه المرأة من عناء وآلام عندما يصاب أحد أبنائها بمرض أو عاهة ، فصوّروا جزعها عليه "١" ، ووصفوا جزع المرأة عندما يتوفى عنها زوجها "٢" ، وتتوفى

---

١) انظر قصيدة " ولدي " لجليله رضا في ديوانها اللحن الباكي ، دار مصر للطباعة ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ص ٤٦ . حيث وصفت ماتعانيه من حرقة وألم وجزع ، وصوّرت حبها للبقاء على قيد الحياة من أجل أن تظل الى جانبه ترعاه ، وذلك في قولها :

بني فديت بالعمر القصير ... فخذ ماشئت من عهد السرور
لقد حكم الاله عليك حكماً ... ومالك غير ربك من نصير
...
ومالك يابني بما نراه ... ولم نوغيف زيف أو غرور
فرب صنيعة فتنت عيوناً ... وأقبلنا عليها بالصدور
...
بني جعلتني أهوى بقائي ... فعشت لغصنك الغض النضير
وجرّعني الزمان كؤوس هم ... وضنّ عليّ بالعيش القرير
ولكني سقيتك ماء قلبي ... وجدت عليك بالحب الوفير

٢) انظر ديوان أحلام النخيل ، لعبد العزيز عتيق ، دار مصر للطباعة ، مكتبة مصر ص ٢٣٩ - ٢٤٣ . نظم الشاعر قصيدة بعنوان " غرفة الأحزان " صوّر فيها أرملة مات عنها زوجها ، وقد جلس أطفالها السبعة الأيتام حولها ليلة العيد في غرفتهم العابسة ، وهم يسألونها متى سيعود والدهم ، ويرجونها أن تطلق سراحهم صبيحة العيد ، حتى يشاركوا الأولاد فرحتهم ، يقول :

سبعة خيمّ الشقاء عليهم ... فتراهم بما بهم في انزواء
وجثوا حول أمهم وهي تخفي ... عنهم دمعها بطرف الرداء
كلّما ضجّ بالبشائر طفل ... خارج الكوخ أجهشوا بالبكاء
ثم صاحوا بأمهم أطلقينا ... بعض وقت في زمرة السعداء
يالها صيحة تمزّق منها ... قلب أم لم تستطع أن تجيبا
كتب اليتم والشقاء عليهم ... وسواهم يقضي الحياة طروبا
...
شهد الله لا يبينون الا ... أوشك القلب منهم أن يذوبا

==

تاركة وراءها أبناءها "١" ، فأفردوا القصائد التي تعالج آلام النساء بعد الثكل ، فقد صوّر خليل مطران مشاعر أيم حزينة فقدت زوجها ، ولم تجد غير النجوم تبثها أحزانها ، وتجعلها شريكة لها في مصابها ، بعد أن أقفرت حياتها من أليفها ، وتناثرت أمنياتها ، ولم يبق لها غير الدموع ، لقد كانت هذه المرأة غافلة عما يدبر لها الدهر ، فلم تكن تعرف للحياة غير طعم السرور والفها الى جانبها ، فلما افتقدته أظلمت الدنيا في عينيها ، يقول مطران :

طال ليلي والثريا في سهاد
وكلانا في ظلام وحداد "٢"
ايه يا أختيّ في الوحشة هل
لك إلف مثل من أبكيه مات ؟
فتناثرتِ ولم يبقَ الأسى
منك الا دمعات ذاكيات
كنت لا أعلم والالف معي
غير أني في سرور ونعيم
كنت أنظرك في جنح دجى
لا أرى فيك سوى درّ وسيم

== ويبدو أن بعض الشعراء قد تعاطفوا مع هؤلاء النسوة اللواتي فقدن أزواجهن ، فبرروا عملهن بالبغاء على أنه ضرورة دفعتهن لها الحاجة ، والفقر ، ومن هؤلاء الشعراء طانيوس عبده ، انظر قصيدته " الرئبال الزائف " في ديوانه ص ٤١ . وانظر ديوان الغلاييني ص ٢٠١ - ٢٠٦ . وقد تعاطف مع فتاة باعت عرضها ، بحجة تقديم الطعام لأخوانها الذين مات عنهم الأبوان ، وذلك في قصيدته " لأجل الرغيف أو احدى بلايا الحرب العامة " ، وذلك في قوله :

الفقر أسقمني ، والجوع أنحلني ... واخوة لي صغار خطبهم عمم
. . . .
" قد بعت نفسي لأحيي صبية هلكوا ... واحر قلباه ممن قلبه شبم "
تبا لمن يشتري عرضا بدرهمه ... عن الدنية ، تعلو نورها الظلم

١) انظر ديوان همام للشاعر محمد مصطفى همام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٤م ، ص ٧٥ . وانظر قصيدته " من وحي عيد الأم " على لسان أب يخاطب أبناءه ، ويذكرهم بأمهم المتوفاة .

٢) ديوان الخليل ٢/ ١٨٤ - ١٨٥

وكانت ورده اليازجي اسبق من خليل مطران في التعبير عن المصيبة التي تحلّ بالمرأة عند فقد زوجها ، لأنها عاشت هذه التجربة ، ورأت أن الزوج بالنسبة الى المرأة انسان العين ، والأليف في الشدة والرخاء ، والنصير في النوائب ، اذا فقدته أصبحت مهيضة الجناح ، وذلك في قولها ترثي زوجها :

سلبتني المنون انسان عيني
ورفيقي وعدتي وعمادي "١"
يا أليفي في شدتي ورخائي
ونصيري في النائبات الشداد
كيف غادرتني بقلب جريح
يتلظّى في مثل جمر القتاد
شتّت الدهر شملنا وافترقنا
وكذا الدهر مولع بالعناد
فسأبكيك ماحييت الى أن
نلتقي في جوار ربّ العباد

وعند ما نعيد النظر في الشعر الذي تناول قضية العلاقات الزوجية ، نجد أنه حاول أن يواكب التغيرات التي طرأت على الحياة الاجتماعية في العصر الحديث ، فتعرّض بعض الشعراء لعادة " الدوطه " ، التي كان لها تأثير سلبي على الزواج مع أن الأسباب التي أدت الى انتشارها في أوروبا لم تكن قائمة في مصر ، وانما انتشرت لمجرد الرغبة في التقليد ، واستنكر الشعراء تصرفات بعض الشباب ، الذين أرادوا أن يتخذوا من زواجهم وسيلة للاثراء ، أو الوصول الى الجاه والمجد عن طريق مصاهرة أسر عريقة النسب .

كما هاجم آخرون العادات التي تحول بين الشاب أو الشابة وبين الاختيار ، ورأوا أن الغنى والفقر يجب ألا يحولا بين الشاب والزواج ممن يرتضيها لنفسه أو ترتضيه لنفسها .

---

(١) حديقة الورد ، لورده ناصيف اليازجي ، ص ٨٠ - ٨١ .

وعبّر الشعراء عن سخطهم على الأغنياء وذوي المناصب ، الذين يتخذون من ثرواتهم الطائلة أو مناصبهم الرفيعة وسيلة لاصطياد الفتيات الصغيرات ذوات الجمال ، واللواتي ينتمين الى أسر فقيرة ، مع كبر سنهم وعجزهم عن القيام بواجب الزوجية ، وأبدوا احتقارهم للآباء الذين يتخذون من بناتهم وسيلة للغنى والثروة .

وطالب الشعراء في قصائدهم الزوجات بمراعاة التقاليد .

وهاجم بعض الشعراء الرجال الذين يعدون المرأة وسيلة للمتعة ، حتى اذا قضوا منها مآربهم أهملوها ، فوصفوا أخلاقهم بالدناءة ، ودعا بعضهم الرجال أن ينظروا الى المرأة على أنها مساوية لهم وأهل لتقديرهم ، وأنها تستحق منهم ألا ينظروا اليها نظرتهم الى سلعة .

وأظهر شعراء آخرون سخطهم على الرجال الذين أخذوا بنظام تعدد الزوجات ، واتهموهم بخيانة زوجاتهم اللواتي شاركنهم مرّ الحياة وحلوها ، وأنهم يقدمون على هذا الأمر من أجل اشباع شهواتهم ، ولكن الشعراء الذين انتقدوا هذه العادة كانوا منساقين وراء عواطفهم ، ومتأثرين بسوء استغلال بعض الرجال للتعدد ، ونسوا أنه لا يمكن أن يكون شرا كله ، وأنه على سوئه - حسب زعمهم - يعصم الرجل عن الزنى ، ويبدو أنهم بموقفهم هذا كانوا متأثرين بالتقاليد الغربية ، التي تستهجن التعدد ولا تجيزه .

وتناولوا قضية الخيانات الزوجية من قبل الزوجين ، وعدّوها من أهم العوامل التي تعمل على تقويض الأسر ، ولكنهم لم يشيروا الى أن التساهل في الاختلاط بين الجنسين وطغيان الحياة المادية وسوء التربية وعدم تطبيق الحدود الشرعية ، هي التي تسوءدي غالبا الى قيام علاقات غير شرعية بين كل من الرجل والمرأة ، وناقش شعراء آخرون مسألة الاعتداء على الأعراض ، وتناسوا أن خروج المرأة من بيتها على غير هدى ، وسهولة احتكاكها بالرجال في الميادين والطرقات والمتنزهات وغيرها يعرضها للفتنة والخديعة .

ولعلنا بعد ذلك نستطيع القول أن الشعراء فيما كتبوا من شعر ، وعالجوا من قضايا تتعلق بالعلاقات الزوجية يمثلون اتجاهات متعددة ، فبعضهم تأثر بالفكر الغربي وصدر عنه ، خصوصا النصارى منهم ، وبعضهم صدر عن دينه وأخلاق أمته ، وحاول فريق ثالث أن يوفق بين التقاليد الموروثة وبين ماقدمته الحضارة الغربية من عادات لم تكن معروفة .

الفصل الخامس

القيمة الانسانية للمرأة
عند الشعراء المحدثين في مصر

- ١ -

عرضنا في الفصول السابقة أهم القضايا التي تمس حياة المرأة في العصر الحديث ، وحاولنا مع ذلك أن نبين وجهات نظر الشعراء المختلفة منها ، فرأينا مواقفهم تتراوح بين المعارضة والتأييد ، حيث وقف بعضهم موقف المدافع عن الحجاب ، وعدّه رمزا للفضيلة وحائلا دون اختلاط النساء بالرجال ، بينما دعا آخرون الى تمزيقه ، لأنه يبقي على عزلة المرأة ، ويسد في وجهها فرص الحياة الكريمة - على حد زعمهم - ولاحظنا أن المعركة بين الطرفين تمثل معركة بين التقاليد الموروثة والتقاليد المستوردة ، فمثلا عندما أثيرت قضية تعليم المرأة ، اتفق الفريقان على ضرورة تعليمها ، وأنه حق لا يعترض عليه عاقل ، ولكن الفريق الأول أصر على أن يكون التعليم مرتبطا بالقيم الدينية والخلقية للمجتمع المصري ، وبطبيعة المرأة التي ستكون أما وزوجة ، بينما دعا الفريق الثاني الى تعليمها من أجل اعدادها للعمل في جميع ميادين الحياة العامة ، وكانت النتيجة أن تركت منزلها وخرجت لتقوم ببعض الوظائف والأعمال التي أسندت اليها .

لكن ذلك لم يلغ الدور الرئيسي الذى أسندته الحياة الى المرأة بحكم فطرتها ، وظل كثير من الشعراء يذكرها بهذا الدور في مناسبات عديدة ، فأشادوا بها أما وزوجة ، ورأوا أن أثرها على الرجل ليس مقصورا على مدة محددة من حياته ، بل ان هذا الأثر يبدأ منذ ولادته ، ويستمر حتى وفاته ، فهي التي تملأ عليه حياته بأمومتها ، عندما يكون

طفلا ، لا يعرف ممن حوله غيرها ؛ ثم تملك عليه قلبه ووجدانه عندما يميل اليها باحثا عن نصفه الآخر ؛ وفي مرحلة ثالثة يجعل منها زوجته التي تشاركه حياته ، فينجب منها كي يكون أبا ؛ وقد عبّر مصطفى صادق الرافعي عن هذه العلاقة الوثيقة والدائمة بين المرأة والرجل في قصيدة له بعنوان "الشعر والحسان" :

الطفل أول مايفكر في التي
هي أمه حتى يشب ويكبرا "١"
وتراه يفكر بعد ذلك في التي
هي قلبه حتى يحب ويشعرا
ويظل يفكر بعد ذلك في التي
هي زوجه حتى يزيد ويكثرا
ويعود يفكر بعد ذلك في التي
هي روحه حتى يموت ويقبرا
ياهذه حسب النساء فهن أو
ل من رأى رجل وآخر من يرى

كذلك عبّر عبد الرحمن شكري عن الهامها للرجل في فنه وتعزيتها له في أساه ، حين قال من قصيدته " حواء الخالدة " :

أنت يامن أُلِّفت بين الفنون
وهي لولا ماجنت منك ظنون "٢"
دوحة الفن التي تحبو الورى
بجناها من قطوف القاطفين

---

١) فتاة الشرق ، السنة الثانية ، الجزء التاسع ، ١٥ / يونيو / حزيران ١٩٠٨م ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

٢) ديوان عبد الرحمن شكري ص ٦٥١ - ٦٥٢ .

كنت أما كنت أختا كنت زوجا
كنت في البؤس عزاء البائسين
فعلى صدرك يبكي همه
وأساه موجع القلب حزين
كم نفوس وقلوب بسطت
لك ما تضمر في ماضي السنين

ومثل شكري في ذلك محمد طاهر الجبلاوي الذي عدّ المرأة رسول الجمال ومعلمته ، بما صيغت عليه من حنان ولطف ، فلولاها لأصبحت قلوب الرجال كالصخور ، ولفدت نفوسهم قفرا ودورهم غابا ، وعلى الرغم من ذلك لم ينصفوها ، بل تركوها تسبح في دموعها ، وتعاني البؤس في حياتها ، مع أن مرآها يثير البهجة في القلوب والعيون :

يارسول الجمال في كل أرض
أرشدينا اذا ضللنا السبيلا "١"
علمينا معنى الجمال ، فانـا
ما عرفنا لولاك شيئا جميلا
صاغك الله من حنان ولطف
فهبينا مما رزقت قليلا
ياحياة القلوب ، من لم يلقّن
منك درس الحياة عاش جهولا
لا تزال القلوب كالصخر حتى
تملئيها تلطفا وقبولا
أى نفس لولاك لم تك قفرا
أى دار لولاك لم تك غيلا

---

(١) ديوان ملتقى العبرات ، لمحمد طاهر الجبلاوي ، مطبعة الشعراني بمصر ١٩٢٥م ص ١٢ - ١٦ .

نعم الناس منك في هذه الدنيـــا
ولكن ما أنصفوك فتيـــلا
أنت يابهجة العيون ومرعى القلـب
تسمين للدموع مسيـــلا
أنت يازينة الحياة وأنس الدهـــر
تسمين للعنا دليـــلا
أنت أنشودة السعادة والسلوة
من أغني بها الندى ترتيـــلا

والظاهر أن المحدثين ـ على هذا ـ كانوا أقدر على تمجيد العلاقة الزوجية ، لأنهم من خلال قصائد الرثاء التي رثوا بها زوجاتهم ، صوّروا ما يتركه رحيل الزوجة من أسى ، وما يخلّفه من فراغ ، فقد رثوا في الزوجـــة شريكة الحياة وأم الأبناء ، والمعينة على نوائب الدهر ، ولهذا عدّوا موتهـــا مصيبة مشتركة بين الزوج والأبناء ، حتى أن الزوج يشارك الأطفال فقدهـــم لأمهم ، وربما كان صالح مجدى تلميذ رفاعه الطهطاوي من أوائل الشعـــراء المحدثين الذين أتوا على هذه المعاني في رثائه لزوجته ، حين صوّر المصيبة التي مني بها ، والدمار الذى حلّ ببيته بعد رحيل زوجته عنه ، يقول :

أعائش ، لولا أنني لحميـــد
ولىّ وأخشى أن يضيع سفاهـــا "١"
لشيّع نعشي قبل نعشك صـــارم
يبلغ نفسي سؤلها ومناهـــا
أعائش ، لو تفدى ببعل حليلـــة
لكان لنفسي في الفداء رضاهـــا
أأطمع في الدنيا ولست معي بهـــا ؟
وأنت لعيني نورها وضياهـــا

---

(١) ديوان صالح مجدى ص ٢٤٧ - ٢٤٩ .

أعائش ، أمي حين ماتت تخربت
دیار أبي قبل انقضاء عزاهــا
وعاش قليلا بعدها بين أهلهـا
عليلا حليف الحزن ثم تلاهــا

وكان محمود سامي البارودى من الشعراء الذين أبانوا عن دور المرأة في حياة زوجها وأسرتها ، فقد ورد اليه نعي زوجته وهو منفي بسرنديب (سيلان) ؛ وكان قد خلفها مع بناتها الأربعة في مصر ، فكان موتها فجيعة عظيمة مني بها ، فرثاها بعاطفة صادقة وقلب ممزق ، مما جعل النقاد يعدون قصيدته في رثاء زوجته من عيون قصائد الرثاء في العصر الحديث ، يقول :

لا لوعتي تدع الفؤاد ولا يدي
تقوى على رد الحبيب الغادي "١"
يادهر فيم فجعتني بحليلــة ؟
كانت خلاصة عدتي وعتــادي
ان كنت لم ترحم ضناى لبعدها
أفلا رحمت من الأسى أولادي
أفردتهن فلم ينمن توجعـــا
قرحى العيون رواجف الأكباد
......
يبكين من وله فــراق حفيـــة
كانت لهن كثيرة الاسعــاد
أسليلة القمرين أي فجيعـة
حلت لفقدك بين هذا النادي
أعزز علي بأن أراك رهينـــة
في جوف أغبر قاتم الاسداد

---

(١) ديوان محمود سامي البارودي ١/٢٢٧

وكشف الحملاوي في رثائه لزوجته ، عما تعانيه الزوجات من آلام أثناء الحمل والولادة ، وتمنى لو أنها كانت عقيما فسلمت من الموت ، لأن موتها أفقده طعم الحياة الحلوة ، وأحال بهاءها الى ظلمات :

ان يك الوضع والمخاض سقاها
كأس حتف فربّ عقم مسلّم "١"
أن عيشي بقربها كان حلوا
وغدا الآن مثل صاب وعلقم
وكان حالي وحالتي في بهاء
وأرى الآن أن ذاك تصرّم

- ٢ -

على أن من الشعراء من لم يكتف بقصيدة أو قصائد في رثاء زوجته ، بل وصل الأمر ببعضهم أن رثى زوجته بديوان كامل ، ومن هؤلاء عزيز أباظه ، الذي كان أول شاعر عربي في العصر الحديث يخصص ديوانا بأكمله ، لوصف ماكان بينه وبين زوجته من مودة ومحبة ، منذ عرفها وفكر في خطبتها ، حتى آخر لحظة من حياتها ، وهذا يعني أن الديوان - مع كونه

---

(١) ديوان الشاعر احمد بن محمد الحملاوى ، تصحيح مصطفى السقا ، الطبعة الأولى ١٣٧٦ - ١٩٥٧ م ، ١/ ٢٢٦ . وراجع قصيدة احمد شوقي في وصف ماعانته زوجته من آلام الوضع ٤/ ٩٧ . وانظر قصيدة حفني ناصف التي وصف فيها ماتتركه الأم من فراغ بعد موتها (شعر حفني ناصف جمع مجد الدين حفني ناصف ، دار المعارف بمصر ١٩٥٧ م - ص ٦٨ - ٦٩ . وراجع رثاء اسماعيل صبرى أبو اميه لزوجته ، ص ١٥٦ - ١٥٧ . تحقيق محمد القصاص وآخرون ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر . وراجع قصيدة " رثاء زوجتي " لاحمد زكي أبو شادى في ديوانه من السماء ص ٨٩ - ٩٤ .

في الرثاء - تصوير للحياة الزوجية في أرفع صورها وأجلّها ، ومن هذا الجانب نستطيع القول ان عزيز أباظة استطاع بديوانه أن يرسم صورة مثالية للحياة الزوجية ، حيث أبرز في ديوانه دور المرأة زوجة تشارك الرجل حياته وأفكاره وآماله وهمومه ، ووصفها أما تحنو على أبنائها وترعاهم ، فكان ديوان " أنات حائرة " مثلا فريدا من نوعه في الشعر الحديث ، فقد ضمّ أكثر من ثلاثين قصيدة ومقطوعة تدور جميعها حول غرض واحد ، وهو الرثاء لمن كانت أنسه وربة بيته وأم بنيه ، حتى ليصح أن نقول : ان العربية لم تعرف لشعرائها هذا المنحى في رثاء الحلائل وبكاء الأحبة الا عند عزيز أباظه ، الذى لم ير في فقيدته زوجة فقط ، بل رأى فيها حبيبة تكاد تغنيه عن الماء والزاد ، وموئلا يجد عنده الأمن والرعاية والرأي الهادي في غمرة الأحداث ، لكنّ الزمان غلبه على أمره واختطفها منه ، يقول عزيز :

فقدتها خلة للنفس كافية
تكاد تغني غناء الماء والزاد "١"
وموئلا أجد الأمن الكريم به
اذا تعاورني بالبغي حسادي
تحنو عليّ وترعاني وتبسط لي
في غمرة الرأي رأي الناصح الهادي
مال الزمان بنا لما أحيط بها
في ساعة لا فدى يغني ولا فادي
. . . .
يا أخت ذي الرونق الموشي من عمري
وعدل نفسي من الدنيا وأولادي
قد ذقت بعدك يتماً حزّ في كبدي
وذاقه في ربيع العمر أكبادي

---

(١) ديوان أنات حائرة ، لعزيز أباظه ، الطبعة الثالثة ص ١٣ - ١٤ .

ان هذا اليتم الذي ذاقه أولاده خاصة ، يذكره باللحظات الأخيرة من حياة زوجته ، وقد تهاوت بين يديه ترجوه أن يرعى الأطفال بعد موتها ، وأن يبقى على محبته ورعايته لهم ، فيقول :

وأشارت لطفلة تشهد الهـــول
بقلب دام وجفن غريـــــق "١"
قالت : ارع الأولاد ، وابقَ كما كنت
مثال الأب المحب الرفيـــق .

أما يتمه هو ، فلأنه فقد ملاذه الدائم وصديقه الذي لا يتنكر لـــه حين فقدها ، ومن ثم راح يسأل في أسى : لماذا خلّفته وراءها يصطلـــي عذاب الفراق ؟ فمن الذى سيواري مافيه من نقص ، بعد أن كانت تحـــاول اصلاح نقصه بحزمها الرفيق ؟ ومن يسرّي عنه اذا اعترته الهموم وأسقمـــت جسمه ؟ ومن يحرص على هدايته الى الطريق القويم اذا ضلّ ؟ ومن الـــذى سيحفز همته ، ويعينه على تخطي اليأس ، ويدفعه الى طريق اليقين ؟ ومن سيناجي من النار اذا ألمّت به ضائقة ، أو ريع صدره بخطب ؟ هـــذه تساؤلات يطرحها الشاعر على نفسه ، فلا يجد جوابا ، يقول :

ياملاذي اذا افتقدت مـــلاذي
وصديقي اذا تجنّى صديقـــي "٢"
كيف خلّفتني وقد كنت روحـــا
وسلاها أصلى عذاب الحريـــق ؟
من يوارى نقصي ويعمل ما استطا
ع على حسمه بحزم رفيـــق ؟
من يسرّي عنّي اذا شفّني الهـــمّ
ويشفي نفسي ويهدي طريقـــي ؟

---

١) المرجع نفسه ص ٣٠
٢) المرجع نفسه ص ٣١

وأرى وجهه الصبيح فألفـــي
في تقاسيمه سنى التوفيـــــق
من يقيني مصارع اليأس بالتشجيع
يزجيه فـــي يقين عميـــــق ؟
من اليه نجواي ان ربع صــدري
بملم مـــن الخطوب محيـــق ؟

وفي قصيدة لهعنوان " ذكريات " يحاول عزيز أباظه أن يستذكـــر حياته مع زوجته في كل مكان وكل حين ، ويبكيها عند كل أمر عظيم ويسير ، فهي لا تفارق روحه ، وأنه ليراها بخياله ، في روعة شبابها ماثلة أمامه ، يقول :

ذكرتك عند كلّ جليل أمـــر
وكلِّ يسيره فبكيـــت نفســـي "١"
اذا سكب الصباح فأنت همـــي
وان سكن المساء فأنت أنســـي
. . . . . .
دعاك الله مافارقت روحـــي
وان فارقت بعض الوقت حســـي
أراك كما رأيتك يوم كنـــــا
على حرم الصبا نضحـــي ونمســـي

وعندما توضع مائدة الطعام ، ويجتمع حولها أبناؤه ، لتنـــــاول طعامهم مساء أو نهارا ، ويرى مقعدها خاليا ، لا يتمالك نفسه من البكاء ، ومما يزيد فؤاده ألما ويفريه ، أنه ينظر حوله ، فلا يجد غير أطفال حيـــارى نكبوا بموت أمهم ، يقول :

تذكرنـــي بك الصور التوالـــي
فينشطر الفؤاد بها انشـــطارا "٢"

---

١) المرجع نفسه ص ٣٢ - ٣٧ .
٢) المرجع نفسه ص ٣٣

اذا قمنا لمائدة مساء

وان قمنا لمائدة نهارا

يطالعنا مكانك وهو خال

فتبتدر الدموع لها ابتدارا

....

ومايفري فؤاد أب حزين

كأطفال له نكبوا صغارا

نأتْ كالشمس أمهم فأمسوا

- وان كنت الحفي بهم - حيارى

على أنه لم يغفل الجانب الروحي في حياتها ، بل استطاع في قصائد ، متعددة أن يرسم لزوجته صورة وضيئة تمثّلت فيها الفضيلة ، والحرص على تأدية الشعائر الدينية ، كحرصها على فريضة الحج التي ذكر حوارها معه بشأنها في قوله :

وذكرت عزمك غير وانية	والعزم لم يعطل من الأجر "١"
فجعلت أستأنيك معتذرا	بمموّه رثّ من العذر
لم أنس قولك جدّ عاتبة	في أدمع تنهلّ كالقطر
عبني انتظرت لقابل أترى	يطوي الزمان لقابل عمري

ثم يذكر هذه الرغبة أثناء زيارته يثرب ، فتمنى لو أنه كان أجابها ، لأنها دعته الى تأدية فريضة الحج أول مرة فلم يجبها ، وعندما رجته ثانية ، ولم تجد لديه رغبة عاتبته ، وكان عتابها بكاء ، فوعدها أن يحجا في السنة التالية ، فتهللت أساريرها ، لكن الموت لم يمهلها ، يقول من قصيدة له بعنوان " من وحي يثرب " :

ذكرت التي كانت تمنّى لو أنها

تناهت الى روض الرسول ركابها "٢"

---

١) المرجع نفسه ص ٥٤ .

٢) المرجع نفسه ص ٧١ .

دعتني فلم أطلب ، وثنّت فلم أجب
فكان بكاء القانتـات عتـابهـا "١"
وقلت لها في قابل فتهللـت
فما ان دنا حتى دعانا ذهابهـا
وددت بعيني لو أجبت طلابهـا
وكان يسيرا أن يجاب طلابهـا

— ٣ —

وتبع عبد الرحمن صدقي عزيزا ، فنظم هو الآخر ديوانا في رثـاء زوجته على اثر وفاتها ، هو ديوانه " من وحي المرأة " الذي صوّر فيه قصة ذلك الحب العميق الذى ربط بين قلبه وقلب جارته الفتاة الايطالية ، التي كانت تستعير الكتب منه ، والتي أصبحت زوجته فيما بعد ، فكانا يقرآن معا ، ويجلسان الى الطبيعة معا ، ويتطلعان الى الحياة في اشراق ، وفجأة تمرض الزوجة ، ثم ينقطع خيط الحياة ، وينظر صدقي فاذا هو قد سلب أعز ماكان له في حياته ، فتضطرب نفسه وتهتز ، وتبدو الحياة في نظره شبحا مخيفا ، فتنفجر عاطفته في شعر حزين مكلوم ، يتدفق على لسانه تدفق السيل ، حيث كتب أكثر قصائد الديوان خلال مدة وجيزة ، بعد أن كان قد انقطع عن نظم الشعر سنوات طويلة ، يقول : ((وهذه القصائد نظمت جميعها تقريبا في شهر واحد على أثر الوفاة ، فهي الحصاد المشئوم لشهر وبعض شهر ، واني لا أدري كيف نظمت ، وكيف كان النظم على هذه السرعة ، وأنا لست من أهلها ، ولكن الذي أدريه أنني ليس لي فيها شيء ، وانها هي لصاحبتها ، فهي التي حفزتني منذ حين الى التوفر على اخراج ما أخرجت من كتب ، وهي الآن التي تملي عليّ ما أنظم من قصيد بعد أن انقطعت

---

١) لم أطلب : لم أجب طلبها .

عن قوله سنوات وسنوات .... وأخيرا يكتب لي أن أعود اليه ، وأن يكون العود غير أحمد)) "١" .

ولكنه كان عودا أحمد في الحقيقة عندما صار بنا الى ظاهرة جديدة تسجل في الأدب العربي للمرة الثانية ، وذلك مالاحظه العقاد حين قال : ((... ان الزوجة شريكة الحياة تمثلت في شعرنا العصرى تمثلا واضحا بليغا صادق المدلول ، لأننا قرأنا في سنوات متقاربات دواوين كاملين في رثاء الزوجة الفقيدة ...)) "٢" .

وصف عبد الرحمن صدقي حياته قبل الزواج ، فذكر أنه كان ميالا الى الضحك ، وقلبه في ظلام دامس ، لانه كاد يجاوز مرحلة الشباب الى وهن الكبر ، حتى منحه الله زوجة طيبة ، أصبحت مهجة نفسه وأنسها ، فاستساغ قلبه الهوى ، وعاش حياة راضية معها ، مما جعله يشكر ربّه على التوفيق ، الذي حالفه في زواجه ، ولكنه ماكاد يطمئن الى هذا الزواج ، ويقطف بعض ثمراته ، حتى بادره سهم الموت فأردى زوجته ، وهدم مابنى من أحلام وآمال ، يقول :

ضحوكا وفي القلب تقطيبة
تفوق ظلام الدجى في العكر "٣"
وكدت أجاوز شرخ الصبا
وتدركني وهنة من كبر
فسقتَ الى مهجتي أختها
كمهدك من حيث لا ينتظر
فمالي وقد صار لي مؤنس
كغيري من عُرض هذا البشر
وأشعر قلبي الهوى والرضى
وغضّ خيالي بأحلى الصور

---

١) من وحي المرأة ، لعبد الرحمن صدقي ، الدار القومية للطباعة والنشر ص ٦٠ ، من رسالة لعبد الرحمن صدقي بعث بها الى عزيز أباظه .
٢) من وحي المرأة ص ١٢٩
٣) المرجع نفسه ص ١٣ - ١٤ .

وبت على الشكـر مستكفيـا
وحق المزيـد لعبد شكـر
يبادر سهم الردى زوجتـي
وتهدم بيتي عوادي الغيـر

وعندما بكى عبد الرحمن صدقي زوجته ، كان يبكي فيها نفسه ، وما آل اليه أمره بعد موتها ، فهو يعد السنوات الأربعة التي قضاها معها حلما ، ويتمنى لو أن عشرته لها طالت ، لأنها صنو نفسه ، الـذى لانظير له عنده ، حيث لم تظهر نقمتها على أي نقص لديه ، ولم ينقم عليها أى خلة سيئة ، فقد توحدت مشاعرهما ، حتى أصبحت همومهما واحدة وتفكيرهما واحدا ، ومما زاد في ألم الشاعر أنه لم يكن يطلب من زوجته المتعة المحدودة ، بل انه كان يحس بجانبها اللذة الفنية التي سمت بهما ، فقد كانت رفيقه الذي يبادله الشعور ، ويعنى معه بالدراسة ، ويشاركه متعة الفهم ، فلم تترك فراغا في حياته ، الى أنها نظمتها بعطفها وحنانها وعقلها ، فارتضى منها ذلك كله ، وشعر أنها عوّضته عما عانى من الحرمان في السنوات التي سبقت اقترانه بها ، لكن هذه الحياة المنظمة المفعمة بالحيوية والتفكير والفهم المشترك لم تدم الا لحظات ، لأن الدهر هدم كل ما بنياه ، وعفى على آثاره ، يقول :

كان لي في أخريـات الـ ... عمر بيت فعدمتـه "١"
سنوات أربـع ؟ أم ... كان ذا حلما حلمتـه
ليته طال ، ولـو طـا ... ل لما كنت سئمتـه
زوجتي صنوي ومالـي ... غيرها صنو علمتـه
هي لم تنقم علـى نقـ ... ص ، ولا شيء نقمته
همّها همّي ، فلا تعـز ... م الا ما عزمتـه
همّنا الدرس ، ومـا ... تفهمه منه فهمتـه

---

١) المرجع نفسه ص ١٧ .

وارتضيتنا من لقائنا　　عوضا عما حرمته
برهة واتبته الدهـ　　ر فعفّى مارسمته

وينظر صدقي حوله بعد موتها بأيام ، فيرى أن فقدها ، وهي في ريعان الشباب أصاب منه مقتلا ، وأثار من حوله المشاكل ، فقد كانت تغنيه عن التورط في كثير من الأمور ، التي تسبب له القلاقل والاضطرابات ، وكانت تسد كل حاجاته سواء كانت نفسية أو حسية أو عقلية ، وهذا يعني أنها لم تهمل أي جانب في حياته ، فجمعت له كل لذة ، وأكملت كل نقص ، وقدّمت له ماحرم منه ، وعند ما يذكر كل ذلك ولا يجدها الى جانبه يتصور نفسه كالشريد ، الذي حرم هواه ، وفقد منزله ، لأن المنزل والهوى كانا يتحققان بها ، ويقارن صدقي بينها وبين الغواني ، فلا يجد فيهن غير ميل الى اللهو والمظهر ، أما هي فقد تمثّلت فيها رقة الاحساس ، وعفة النظرة وجمال اللفظ وسمو التفكير ، فكأنها محفل للفضائل :

مماتك في الريعان أصمى مقاتلي
وفقدك من عيشي مثير مشاكلي [١]
وكنت الغنى من مشكل بعد مشكل
وعقدات نفس تستديم قلاقلي
مشاكل شتّى : حاجة النفس للهوى
وحاجة ذي حس ، وحاجة عاقل
جمعت لي الدنيا ، فأغنيت معدمي
واتممت محرومي ، وزينت عاطلي
أدور بعيني كالشريد بلا هوى
ولا منزل مثل الهوى والمنازل
ومامنزلي الا الذي أنت ملؤه
وما من هوى الاك بين العقائل

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٧ - ٢٩ .

رأيت الغواني وهي لهو ومظهـــر
وأنت مزاج من جميل وكامـــل
ورقة احساس وعفـــة نظـــرة
ولفظ وتفكيـــر وحفل فضائـــل
.....
خيالك في التابوت غير مفارقـــي
يطالعني في وحدتـي والمفاحـل
لمحتك فيه لمحة ثلجت د مـــي
وأودت بأعصابي ، وهدّت مفاصلي

ولم يكن تحرّقه على فقد زوجته ناجما عن مجرد اعجابه بثقافتهـــا ومشاركتها له في المطالعة ، بل لأنها لا تغفل عن شأن من شئون الـــزوج ، فقد كانت تهتم بمواعيده ، فتوقظه في الصباح ، وتذكره بمواعيد خروجـــه ، وتهتم بطعامه ، وتنتقي له ملابسه ، وتشاركه الجلوس على المائدة ، وكانـت تلقاه بكامل زينتها حرصا منها على ارضائه ، يقول :

لقد كنت يازوجي لدى الصبح موقظـــي
وكنت حسيبي في خروجـــي وأوبتـــي "١"
.....
ألا تسأليني كيف أصبحت في الضحـــى
وترجين لي طيب الكرى في العشيـــة
عهدتك لا ألقاك حتى تزينـــــي
ألم تفرغي لـــي من حلى وزينـــة
شريكة عيشي ، أسفر الصبح فاطلعـــي
أعدّي فطوري وانتقي لي حلتـــي

وفي قصيدته " حيرة " صوّر العيش الهاني ، الذى كانت توفره لـــه زوجته بتدبيرها أمور المنزل وحرصها على ماله ، وكانت الى ذلك تصون شرفه ، وتخلص له في حبه ، وتتقرب اليه شأن الزوجة المروب التي تتقرب الـــى

---

(١) المرجع نفسه ص ٥٥ - ٥٦ .

الى زوجها ، يقول :

ويا زوجتي ، كنت المدبّر عيشتي
فعيشي أهنأ العيش طرا وأطيب "١"
حرصت على مالي ، وصنت مضيعي
وأخلصت لي في الحبّ والحب قلّب
تقومين في شأني ، وثمة خادمي
وحبٌّ من الزوج الغروب التصرّب

وتمر الذكرى العشرون على زواجه ، فيشعر بالأسى والحزن ، ولا يجد أمامه سوى أن يترحم عليها ، ويهجر داره ، ليزور قبرها ، فطول الزمن لم ينتزعها من فكره ، لأن ذكرياتها مازالت تجري في عروقه ، وعلى الرغم من زواجه بعد وفاتها ، مايزال قلبه وقفا عليها :

شقيقة روحي ، حلّ عيد زواجنا
وقد حال عيدا للأسى والترحم "٢"
أتى فهجرت الدار فيها أنيسنا
وجئت على أعتاب قبرك أرتمي
. . . . . .
شقيقة روحي ، لا تخالي شريكة
تشارك في قدس المكان المعظم
لأقسمت : حبّي مايزال كعهده
وقلبي ، وان أعرست غير مقسم

---

١) المرجع نفسه ص ٦٧ .
٢) حواء والشاعر ، لعبد الرحمن صدقي ص ١٤٣ .

— ٤ —

ولكن هذا الثناء على المرأة من قبل كثير من الشعراء المحدثين ، لم يمنع بعضهم أن ينظر اليها بعين الشك والريبة ، كالعقاد الذى اتهم المرأة بالغدر ، وعدّ وفاءها شكلا لا أصل له في نفسها ، كما أنه لا يوجد بين النساء امرأة تخلص لالفها ، ومانراه من طاعة بعض النساء واخلاصهن ، ليس طبعا لهن أو خلقا ، وانما يخلصن مضطرات ، فان من طبعهن ألا يفين بعهد ، أو يتمسكن بقسم ، يقول :

وفاء بنات حواء قيود
تصاغ لهنّ من طبع وعرف "١"
فما فيهن مخلصة لأخرى
ومافيهن مخلصة لالف
تطيع على اضطرار كل أنثى
ولا تصغي لعهد أو لحلف

على أنه لم يتهمها بعدم الوفاء فقط ، بل اتهمها كذلك بالخداع ، فهو يرى أن المرأة جبلت على حب الخداع ، تتخذ منه رياضة وستارا لنفسها ، وسلاحا تستعمله للكيد بكل من يعاديها أو يصطفيها لنفسه ، لا فرق عندها بين عدو وصديق ، لأنها تريد أن تنتقم لضعفها الذي يسبب لها الشقاء ، ويحذّر العقاد من مغبة الثقة بالمرأة ، لأن الطبيعة جبلتها على الخيانة ، وينصح بخيانتها وعدم الاخلاص لها ، وبهذه الطريقة فقط يستطيع أن يسوسها ، وأن يسبر غورها ، ويصل الى أعماقها ، يقول :

خلّ الملام فليس يثنيها — حب الخداع طبيعة فيها "٢"
هو سترها وطلاء زينتها — ورياضة للنفس تحييها

---

١) ديوان العقاد ، المجلد الثاني ، بعد الأعاصير ٢٧٢/٩ .
٢) ديوان من دواوين ، لعباس محمود العقاد ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ص ١١٨ .

وسلاحها فيما تكيد بـــه ... من يصطفيها أو يعاديها
وهو انتقام الضعف ينقذها ... من طول بات يشقيها
أنت الملوم إذا أردت لها ... مالم يرده قضاء باريها
خنها ولا تخلص لها أبدا ... تخلص الى أغلى غواليها

والواقع أن تحامل العقاد على المرأة واتهامه لها بالغدر والخيانة ناجم عن شقائه في علاقته بالمرأة ، التي نغّصت حياته ، فقد حاول أن ينعم منها بالحب مرات عديدة ، لكنه فشل في كل مرة ، مما جعله يتحامل على جنس المرأة ، ويعلن كراهيته لها "١" ، ويبدو أن هذه النظرة من قبل العقاد للمرأة نتجت عن معاشرته لها خليلة ، وهذا الصنف من النساء ، لا يهمه في الحياة سوى البحث عن اللذة والمال ، ولو ارتبط العقاد بالمرأة زوجة ، واتخذها سكنا وأما للأبناء لتغير رأيه ، وذاق طعم الراحة في ظل المرأة ، ولكنه اثر ألا يرتبط بها .

وكالعقاد في تحامله على المرأة علي محمود طه ، الذي آثر العزوبة على الزواج وقضى حياته يتنقل بين الغواني في مصر وأوروبا ، فلم تعرف روحه للاستقرار طعما ، ولم يعرف من النساء الا اللذة الجسدية ، ومن قراءة سريعة لشعره في المرأة ، نرى أنها في معظم قصائده من راقصات الحان أو الفنانات ، أو بائعات اللذة "٢" ، وهذا يعني أنه حرم كما حرم العقاد من التعرف على حقيقة المرأة ، لأنه لم يعاشرها زوجة ، مما جعله يحكم على المرأة ، بأنها ثعبان في آهلاكها لصاحبها ، وشيطان في اغوائها له ، بل هي عنده ساحرة تتحدى سطوة الجن بسحرها ، وصاحبة كيد لا يقدر عليه الشيطان ، فالشيطان عاجز عن ادراك ماتتمناه المرأة ويقرّ بضعفه أمامها ، ولذا قال على لسانه :

أأراني عاجزا عن درك مـــا
تتمنى امرأة ؟ عزّت مناهـــا "٣"

---

١) المرأة في حياة العقاد ، للدكتور عبد الحميد دياب ، مطبوعات دار الشعب بالقاهرة .
٢) علي محمود طه شعر ودراسة ، لسهيل أيوب ، المقدمة "ص : أ س" .
٣) الشوق العائد : لعلي محمود طه ، دار احياء الكتب ، الطبعة الاولى ١٩٤٥م ص ١٨ - ٣٤ .

آه : ما أضعف سلطاني ، ومنا
كنت الا بغسروري أتباهى
قالت : الآن سلاما زائري
ورضى نفسي ان رمت رضاها
أيها الشيطان ، ما أعظم ما
قلته ، ماقلت لغوا أو سفاها

ولم يكتف بذلك ، بل وصف المرأة بأنها ثعبان ، وذلك في قصيدة له بعنوان ((الحية الخالدة)) "١" ، وفي قصيدته " الكيد العظيم " "٢" ، وصف قدرة المرأة على الكيد للرجل ، واستغلال كل الوسائل المتاحة ، من أجل أن توقعه في الغواية .

---

١) انظر قصيدة الحية الخالدة في كتاب علي محمود طه شعر ودراسة ص ٦٤٢ ومابعدها ، وتدور القصيدة حول فكرة الفن بين المرأة والرجل ، وأثر الغريزة فيه ، وحول فتاة اتخذها فنان نموذجا حيا لفنه ، فأغوته بمفاتن جسدها ، وجعلته يهجر فنه ، وينغمس في غمار الملذات ، يقول الشاعر :

ولفت ذراعين كالحيتين علي وبي نشوة لم تطر
وقد قربت فمها من فمي كشقين من قبس مستعر
أشمّ بأنفاسها رغبة ويهتف بي جفنها المنكسر

٢) وانظر قصيدة " الكيد العظيم " في ديوان علي محمود طه ، دار العودة بيروت (أرواح وأشباح) ص ٤١٧ - ٤١٨ . حيث ذكر أن لدى المرأة حيلا كثيرة وفنونا عجيبة ، تستطيع بها أن تسيطر على الرجل لو خذلتها قوتها ، يقول :

لنا الكيد ان خذلتنا القوى أحابيل شتى وفن عجاب
نلقّاه عن ملكات الزمان أقاصيص لم يروعنها كتاب
وقد نستعير صفاء النمير وقد نستمدّ صراع العباب
وقد نسحب الليل فوق القلوب ونغري العيون بقوس السحاب

والواقع أنه ليس هناك تناقض بين موقف الشعراء المحدثين الذين أشادوا بالمرأة ، ورأوا أنها انسانة تستحق التقدير ، وبين الشعراء الذين اتهموا المرأة بالغواية والضلال والتحايل ، وأنها ثعبان أو شيطان ، لأن كلا من الفريقين صدر عن تجربة له مع المرأة ، فعزيز أباظه وعبد الرحمن صدقي سموا بالمرأة الزوجة ، وأعليا من شأنها ، وأسفا على فقدانها ، بل وبكياها بكاء حارا ، لأنهما عرفا النعيم بجانبها ، أما العقاد وعلي محمود طه ، فلم يعرفا من المرأة سوى أنها بائعة جسد ، وهذا النوع لا يقيم وزنا للفضيلة ، ولا يعبأ بالوفاء ، على أنهما فيما يبدو قد تأثرا بما قرآ عنها في الآداب الأجنبية .

الباب الثالث

الخصائص الفنية لشعر قضايا المرأة

الفصل الأول : خصائص النماذج الغنائية
الفصل الثاني : خصائص النماذج القصصية
الفصل الثالث : خصائص النماذج التمثيلية

الفصـــل الأول

خصائص النماذج الغنائيـــــة

مما عرضنا في الباب السابق يبدو أن الشعر العربي الـــذى تناول قضايا المرأة كان ابان النهضة الشعرية ، ولم يكن قبلا ، لأنـــه ليس فيه مانظم قبل البارودي حامل لواء هذه النهضة ، كما يبدو أن هـــذا الشعر انتظم الأنواع الثلاثة التي عرفها الأدب الحديث من غنائـــي وقصصي وتمثيلي "١" ، على كثرة في الأول واضحة .

والشعر الغنائي كما عرّفه بعضهم ، هو الشعر الذي يتحـدث فيه الشاعر عن نفسه ووجدانه ونزعاته ، وهذا النوع من الشعر يتناول جانبـا كبيرا من الحياة ، ابتداء من تلك النواحي الذاتية الضيقة الى النواحـــي الانسانية العامة ، ويمتاز الى ذلك بأنه يصوّر العاطفة الشخصية ، ويعتمد على الخيال الى حد كبير ، وقد تزداد فيه النواحي التأمليـــة والفكرية أحيانا ، فتتغلب على النواحي الشخصية . "٢"

---

١) انظر أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصريـة ، الطبعة السابعة ١٩٦٤ ص ٣٠٩ . حيث يرى أن النقاد جروا علـى تقسيم الشعر أقساما رئيسية ثلاثة قصصي (EPIC) وغنائـــي (LYRIC) وتمثيلي (DRAMATIC) ، ويذكر أن بعـض النقاد قد أضاف الى الأقسام الثلاثة الأولى قسمين آخرين ، وهما الشعر التعليمي ، والشعر الهجائي الذي يهاجم الرذائل ، ولكنه يـرى أن بالامكان رد هذين القسمين الى الشعر الغنائي . وانظر النقـد الأدبي . أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٤ ، ١٩٧٢م ، ٧٦/١ - ٩٠ . ومن هؤلاء الدكتور شوقي ضيف في كتابه الأدب العربي المعاصر في مصر ، حينما تحدّث عن الشعر التمثيلي عند شوقي وأشار الى مسرحياته ص ٧٩ - ٨٢ ، وحينما تحدّث عن مطران في محاكاته للغربيين في الاتجاه القصصي ص ١٢٧ - ١٢٨ .

٢) النقد الأدبي ، أحمد أمين ١/ ٧٧ - ٨٤ . وانظر أصول النقد الأدبي لأحمد الشايب ص ٣١٣ .

لكن ما الخصائص الفنية لما ندرس من هذا الشعر ؟ وهل هي تلك الخصائص العامة التي أجملناها في الباب الأول ، أو أنهما تزيد وتنقص تبعا لطبيعة الموضوع ؟

ذلك مانحاول تبينه هنا من ناحية الشكل أولا والمضمون ثانيا ، مع علمنا أن الشكل والمضمون في العمل الأدبي لا ينفصلان ، لأنهما في الحقيقة وجهان لشيء واحد .

— ١ —

ولعل أول مايسترعي النظر في هذه النماذج أن دوافعهما في الغالب اجتماعية ، لأن أصحابها لم ينظموها لأنفسهم انما نظموها في مناسبات اقتضتها ودعت اليها "١" ، ولو تصفحنا ديوان شوقي مثلا لوجدنا أنه أوضح موقفه من القضايا المتعلقة بالمرأة في قصائد دعي الى القائها في مناسبات عامة ، أو عرض فيها لقضية اجتماعية معينة ، فقد ألقى قصيدته " مصر تجدد نفسها بنسائها المتجددات " في حفل أقامته السيدات المصريات ، وعبّر عن موقفه من الحجاب والسفور في قصيدته التي رثى فيها قاسما "٣" ، وطالب بضرورة افساح المجال للفتاة المصرية ، كي تدخل الجامعة عن طريق تأسيس جامعة خاصة بها ، وذلك في معرض رثائه للأميرة فاطمة اسماعيل . "٤"

ولم يكن مطران أقلّ من شوقي احتفاء بالمناسبات العامة أو الخاصة ، فدعا الى تأييد آراء قاسم عندما اشترك في حفلة التأبين التي أقامتها

---

١) الشعر العراقي الحديث مراحله وتطوره ، جلال الخياط ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م ، ص ٧٤ - ٧٥ .

٢) الشوقيات ١/١٠٢ .

٣) المرجع نفسه ٣/٧٦

٤) المرجع نفسه ٣/٨٩

نخبة من رجال الأدب والعلم "١" ، ودعا مطران النساء الى الاقبال على التمريض واقامة الجمعيات النسائية من خلال قصيدة هنأ فيها احدى الأوانس بمناسبة عقد قرانها "٢" ، وكانت ممن لهنّ نشاط في هذا المضمار، وفي ثنايا قصيدته التي رثى بها احدى النساء العاملات في الصحافة عبّر عن اعجابه بالمرأة العاملة "٣" ، وألقى عبد الحليم المصري قصيدة في احتفال مدرسة البنات الأمريكية "٤" ، ونظمت نبوية موسى قصيدة استقبلت بها "أم المصريين" حين عادت مع سعد من المنفى "٥" ، ونظم عبد الرحمن شكرى قصيدتين رثى بهما قاسما . "٦"

ولا نستطيع الاستمرار في ذكر القصائد التي قيلت في مناسبات عامة أو خاصة ، ويكفينا أن ندلل بما ذكرنا على أن شعر المناسبات اتسع اتساعا ملموسا ، حتى شمل كل القضايا المتعلقة بالمرأة ، وليس أدل على ذلك من القصائد التي استشهدنا بأطراف منها في مختلف فصول الباب الثاني من هذا البحث ، على أن شعر المناسبات هذا لم يقتصر على جيل دون آخر ، مع كثرة هذا الشعر عند بعضهم وقلته عند آخرين ، فجيل شوقي وحافظ ومطران كثرت في شعرهم قصائد المناسبات ، بينما قلّت الى حد ما عند جماعة الديوان وجماعة أبولو ومن جاءوا بعدهم ، وهذا يدفعنا أن نعد بعض ما نظموا من شعر يتعلق بالمرأة سواء في المناسبات العامة أو الخاصة شعرا غنائيا ، لأنهم كانوا يصدرون فيه عن مشاعرهم الذاتية ويعبّرون عنها مباشرة ، وهذا يعني أنهم لم يخرجوا في شعرهم هذا على نهج من سبقوهم من الشعراء العرب القدماء ، الذين نظموا كثيرا من شعرهم في ظلّ مناسبات خاصة بهم أو بقبائلهم أو ممدوحيهم .

---

١) ديوان الخليل ، لخليل مطران ٢/٢

٢) المرجع نفسه ٢/٢١٣

٣) المرجع نفسه ٣/١٥٤

٤) ديوان عبد الحليم المصرى ٣/٢١

٥) ديوان نبويه موسى ١/٢١

٦) ديوان عبد الرحمن شكرى ١/٥٣ - ٥٤ .

— ٢ —

ومما يستلفت النظر أيضا من خصائص الشكل ذلك الاهتمام بالعنوان ، حيث نجد كثيرا من الشعراء الذين نظموا في قضايا المرأة ، يحاولون عنونة قصائدهم بما يدلّ على الموضوع الذى تضمنته دلالة دقيقة ، وقد تأثروا في ذلك بصنع القدماء من الشعراء والرواة ، حين عنونوا القصائد بما يدل على موضوعها أو وصفها دلالة عامة ، فمما يدل على الموضوع : قال يصف أو قال يمدح أو قال يرثي .. ومما يدل على الصفة : الحوليات والمعلقات والمفضليات ... كذلك تأثروا بصنع الغربيين الذين قرأوا شعرهم وترجموا بعضه بعناوينه كما سنرى بعد قليل .

لكنهم في هذا الاهتمام كانوا طرائق ، فمنهم من تابع القدماء كنجيب الحداد الذي عنون قصيدة قالها في وصف النساء وهنّ يتنزهن في العربات هكذا " وقال يصف سيدات هذا العصر في المركبات " "١" ، وكمصطفى صادق الرافعي الذي عنون قصيدة قالها في وصف ما آل اليه الشباب من ميوعة وتخنث وتشبه بالنساء هكذا " وقال في وصف شبان اليوم " "٢" ، كذلك وضع حسن القاياتي هذا العنوان لقصيدة له عن التبرج : " قال يذكر تبرج النساء في مصر ويعيب ذلك " "٣" .

ومنهم من تأنّق في العنوان ، فجعله مسجوعا جريا على طريقة العصر في اصطناع السجع ، كما فعل جورج ابراهيم الذي عنون قصيدة وصف فيها لبس النساء للقبعات بقوله : " برانيط فتيات الحضر في أواخر الجيل التاسع عشر " "٤" ، ومنهم من كرر العنوان لعدم دقته في الدلالة أو لعدم اخباره الفرض بواحد ، كما فعل جرجس توما الخوري الذي نظم قصيدة بعنوان " الدوطه والزواج " ، ثم وضع لها عنوانا آخر بدت عليه آثار الصنعة

---

١) ديوان تذكار الصبا ، نجيب الحداد ، ص ٤٠
٢) ديوان الرافعي ١/١٧
٣) ديوان حسن القاياتي ١/٥
٤) الثريا ، السنة الثانية ، الجزء الرابع ، سبتمبر/أيلول ١٨٩٧ ، ص ١٣٩

وهو : " لسان حال أديبة العصر ، أو فتاة القرن التاسع عشر " "١" ،
ومثله في تكرار العنوان علي علي الحزبي في قصيدته " الحياة الزوجية أو نعيم الزوجين " "٢" ، ثم عبد الحميد السنوسي في قصيدته " في مرقص أو الشاعر والغاوية " "٣" .

ومنهم من عنون القصيدة عنوانا رمزيا عند نظمها ، ثم عاد الى العنوان الصريح بعد حين ، كما فعل شوقي في قصيدته " صدّاح ياملك الكنار " ، حيث نشرها أول الأمر بعنوان (الرق والعبودية والضعف والقوة) "٤" ، ثم عاد عند طبع الديوان بعد سنوات فعنونها بهذا العنوان : " بين الحجاب والسفور " "٥" ، كأنما خشي اعلان رأيه عند نظمها .

ومنهم من وضع العنوان دقيقا مركزا صريحا ، كما فعل محمد صادق عرنوس في قصائده " التبرج " "٦" و " الهناء " "٧" ، و " ملكة الجمال المصرية " "٨" .

— ٣ —

ومن مظاهر الشكل التي نلاحظها أيضا حرص بعض الشعراء على التشطير والمعارضة في تناولهم لقضايا المرأة ، لكنهم في تشطيرهم ، لم

---

١) الثريا ، الجزء الخامس ، ١٥ اكتوبر/تشرين أول ١٨٩٦م ص ٢١٤
٢) أنيس الجليس ، السنة العاشرة ، الجزء الأول ، ٣١/كانون ثاني /يناير ١٩٠٧م ، ص ٢٥ .
٣) المقتطف ، ج ٣ ، اكتوبر/تشرين ثاني ١٩٣٢ ص ٢٨٥ .
٤) فتاة الشرق ، يونيو/ حزيران ١٩١٠م ص ٣٤١ - ٣٤٤ .
٥) الشوقيات ١/١٧٦ - ١٨٠
٦) الفتح ، العدد ١٤٤ ، ١٨ ابريل/نيسان ١٩٢٩م ص ٥
٧) الفتح ، العدد ١٥٠ ، ٦ يونيو/حزيران ١٩٢٩م ص ٧١٤
٨) الفتح ، العدد ٤٦٨ ، ٢٦ رجب ١٣٥٤هـ ، ص ١٩ .

يقتصروا على القصائد القديمة المشهورة ، كما فعل سابقوهم ، بل شطّروا قصائد معاصريهم ، من ذلك قصيدة جرجس توما الخوري الذي تناول فيها عادة " الدوطة " ، ومطلعها :

دعيني اليوم يا أمي دعيني أردد في خبا بيتي أنيني "١"

وقد شطّرها شاعر آخر بعد أن صرف معناها الى وجهة أخرى ، فهاجم المرأة ورمز الى اسمه " بالفتح " وقال على نفس الوزن والروي :

(دعيني اليوم ياأمي دعيني) الام بالنصائح تولميني ؟ "٢"

دعيني اليوم من درس عنانسي (أردد في خبا بيتي أنيني)

كذلك نظم اسماعيل صبري باشا قصيدة أثنى فيها على جمال المرأة ، ودعاها الى صيانته حتى لا يكون فتنة للناظرين ، ومطلعها :

يالواء الحسن أحزاب الهوى أيقظوا الفتنة في ظلّ اللواء "٣"

فأعجب بها علي الجارم ، وشطرها في قصيدة من نظمه بعنوان " غزل شاعرين " فقال :

(يالواء الحسن أحزاب الهوى) أججوا في الحب نيران الجفاء "٤"

مذ رأوا طرفك يبدو ناعسا (أيقظوا الفتنة في ظلّ اللواء)

أما المعارضات فهي من فنون الشعر التي التفت اليها البارودي في بداية رحلته مع الشعر ، وسار شوقي وأضرابه على نفس الطريق ، حيث اتخذوا من الشعر القديم مثلا أعلى لهم ، فعارضوا كثيرا من القصائد القديمة ، وكانوا في معارضتهم للقديم يتقيدون بالوزن والقافيه ، ويقتربون من موضوعات القصائد التي يعارضونها ، وقد ظل أثر المعارضة واضحا في الشعر الحديث حتى بداية القرن العشرين ، لكن الشعراء الذين عالجوا قضايا المرأة لم

---

١) الثريا ، الجزء الخامس ، ١٥ أكتوبر/ تشرين أول ١٨٩٦م ص ٢١٤

٢) الثريا ، الجزء السابع ، ديسمبر/ كانون أول ١٨٩٦م ص ٢٥٨ .

٣) ديوان اسماعيل صبرى باشا ص ١٠٧ .

٤) سبحات الخيال ، علي الجارم ص ٢٠٣ .

لم يكونوا يتخذون من الشعر القديم ميدانا للمعارضة ، وانما استعاضوا عنه بمعارضة قصائد معاصريهم ، فقد عارض عبد الله فريج تشطير الفتح الذي نشرته مجلة الثريا ، وأشرنا اليه قبل قليل بقصيدة أخرى مطلعها :

دعيني اليوم يا أمي دعيني أنافس في العلوم وفي الفنون "١"

وقد اتفقت القصيدتان في الوزن والروي والموضوع ، حيث كانت وجهات نظرهما واحدة ، كذلك نظم أحمد محرم قصيدة بعنوان " تخيل شاعر " من بحر الطويل ورويها اللام المكسورة ، حيث حمل فيها على الزوجة التي تقدّر الرجل بما لديه من مال ، ومطلعها :

لك الخير نامي عن ملوم معذّل وكفّي والا تستطيعي فأجملي "٢"

فعارضه أمين الحداد بقصيدة على نفس الوزن والقافيه ، عبّر فيها عن تأييده له فيما ذهب اليه ، ومطلعها :

تخيلت ماسرّ الغبيّ وانما تخيلت مايغري الفتى بالتبتّل "٣"

ونشر أحمد شوقي في صحيفة " الجريدة " قصيدته التي أهداها الى باحثة البادية ، والتي مطلعها :

صدّاح يا ملك الكنا ر ويا أمير البلبل "٤"

فظنّ بعض القراء أنه ينعي حالة المرأة ، ويأسف لاقامتها في البيت ، ويعتذر عن الرجال بالخوف من تطاول السفهاء عليها ، فكتب اليه في " الجريدة " على لسان الباحثة قصيدة عارض فيها قصيدته موافقا له في الوزن - مجزوء الكامل - والروى - اللام المكسورة - ، حيث قال :

سميتني ملك الكنا ر وأنت ربّ المنزل "٥"

---

١) الثريا ، الجزء الثامن ، فبراير/ كانون ثاني ١٨٩٧م ص ٣٠٤
٢) أنيس الجليس ، الجزء الثالث ، ٣١ مارس / آذار ١٩٠٣م ، ص ١٣٥٩
٣) أنيس الجليس ، الجزء الرابع ، ٣٠ ابريل / نيسان ١٩٠٣م ص ١٣٩٩
٤) الشوقيات ١/١٧٦ - ١٧٨ .
٥) النسائيات ، باحثة البادية ، ص ١٤٧ .

لكن باحثة البادية أرادت أن تقطع كل المقولات حول قصيدة شوقي ، فنظمت قصيدة عارضت فيها قصيدة شوقي ! ومطلعها :

ياهذه لا تعذلي   واذا أبيت فقللي "١"

وهذا يعني أن المجلات التي كانت تصدر في مطلع القرن العشرين أو قبله بقليل أفسحت صدر صفحاتها للمعارضات الشعرية بعد أن صبغتها بصبغة جديدة ، وجعلتها تتخذ من الموضوعات العصرية مادة لها .

- ٤ -

وكما أفسحت المجلات صدرها لهذه الظاهرة ، أفسحت صدرها لظاهرة أخرى ، وهي الخروج على القافية التي حافظ القدماء على وحدتها ، فالتزموها في أبيات القصيدة كلها ، ولم يكتف بعضهم بالتزام الحرف الأخير في القافية وهو الروي ، بل التزم تقفيه أبيات القصيدة كلها بأكثر من حرف ، وهذا يدل على أن القافية في الشعر العربي ذات سلطان يفوق ما لنظائرها في اللغات الأخرى ، حتى أصبح مفهوم الشعر عند العرب ، هو الكلام الموزون المقفى الذى يدل على معنى "٢" ، واذا كان شعراء الموشحات منذ نشأتها في الأندلس قد خرجوا على القافية ، حيث لم يلتزموا بوحدتها ، فان خروج المحدثين لم يكن من هذا النوع ، لأنه لم يكن في موشحات ، ولعله لذلك كان سببا في اثارة معركة حامية شارك فيها النقاد والأدباء ، فانطلق المجددون يدافعون عن تجديدهم ، ويهاجمون القوالب التقليدية في الشعر ، لأنها - حسب زعمهم - تحدّ من حرية الشاعر ، لكن المحافظين من الأدباء والنقاد أصروا على تقاليد الشعر الموروثة ،

---

١) المرجع نفسه ص ١٤٧ .

٢) النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، مطابع المتنبي ، دار الثقافة والعودة - بيروت- ١٩٧٣م ، ص ٤٦١ - ٤٦٩ .
وانظر موسيقى الشعر ، ابراهيم أنيس ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٣م ، ص ١٢

ورأوا أن الشعر الجديربالاعتبار هو الشعر الذي احتفظ بموسيقى الوزن والقافية الواحدة ؛ فاتهموا الخارجين عليها بالعجز والتقصير ."[1]

وعند ما نتتبع محاولات هؤلاء الخارجين على الوزن والقافية في الشعر الذى تناول قضايا المرأة ، نلاحظ أن أولى هذه المحاولات كانت على يدى محمد عثمان جلال "[2]" تلميذ رفاعه ، والذى قام بترجمة بعض المؤلفات الفرنسية ذات الشهرة ؛ فترجم خرافات " لافونتين " الى شعر سهل لا رهق فيه ولا تصنع "[3]" ؛ ومن قصائده التي ترجمها قصيدة بعنوان " قبيح الزوجة " "[4]" في ثلاثة عشر بيتا ،استعمل فيها ثلاث عشرة قافية .

وقد كان لهذه المحاولة أثرها فيما يبدو ؛ لأن المتصفح للمجلات التي صدرت في أواخر القرن التاسع عشر يجد رغبة لدى بعض الشعراء في تنويع القوافي ، فقد نشرت مجلة الهلال قصيدة بعنوان " واجبات الزوجة" "[5]" تتألف من أربعة وعشرين بيتا ، وقد رتبها الشاعر في ست مجموعات على شكل رباعيات ، التزم فيها جميعا بوزن الخفيف ، ولم يلتزم بقافية معينة بل خص كل مجموعة بقافية ، فاستعمل في الأولى اللام ، وفي الثانية الكاف، وفي الثالثة الميم ، وفي الرابعة الراء ، وفي الخامسة الهاء ، وفي السادسة الراء .

---

١) أنظر التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ؛ بدوى طبانة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط ١ ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م ص ٢٧٤ .
وانظر النقد الأدبي الحديث . محمد غنيمي هلال ص ٤٧٠ - ٤٧١ .
وانظر تطور الشعر العربي الحديث ، ماهر حسن فهمي ص ١١٧ .

٢) عاش محمد عثمان جلال بين سنتي ١٨٢٩م - ١٨٩٨م .

٣) دراسات في حضارة الاسلام ، هاملتون جب ، ص ٣٢١ .

٤) العيون اليواقظ ، محمد عثمان جلال ، تحقيق عامر محمد بحيرى مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨م ، ص ٣٢٧ .

٥) الهلال ، السنة السادسة ، جزء الحادى عشر ، فبراير/ شباط ١٨٩٨م ، ص ٤١٢ .

ثم كان شكري والمازني والعقاد الذين صارت اليهم راية التجديد ، والذين يسميهم بعض الباحثين جماعة الديوان ، فقد كان للثقافة الغربية التي نهلوا منها ، وخصوصا الانجليزية أثرها الكبير في توجيه تيار الشعر والنقد لديهم ، حيث أجادوا الانجليزية ، وتأثروا بالمدرسة الرومانسية في أوروبا "١" ، وعلى ضوء تأثرهم بما رأوا من الشعر الانجليزى ، قاموا بمحاولات عديدة للخروج على قيد القافية ، فمثلا نجد عند شكري قصائد لا يتبع فيها قافية واحدة ، وانما يجعل لكل بيت قافية مستقلة ، ونجده في أحيان أخرى يعتمد على القافية المزدوجة ، كما في بعض قصصه وسيأتي ، وفي قصيدته " النساء في الحياة والموت " "٢" التي نظمها في عشرة أبيات ، التزمت الأبيات الخمسة الأولى قافية الدال ، والتزم الهمزة في الأبيات الخمسة الأخيرة .

وحاول المازني أن يحذو حذو شكرى ، فجدد في شكل القصيدة وخرج عما اعتاده عمود الشعر العربي من السير على قافية واحدة ، فاعتمد في قصيدته " حواء والمرآة " "٣" التي ترجمها عن الفردوس المفقود لملتون على القافية المرسلة ، وعلى اثر موت زوجته نظم قصيدة بعنوان " أين أمك محاورة مع ابني محمد " "٤" لم يلتزم فيها قافية واحدة ، حيث جعل القصيدة تتكون من خمس وحدات ، كل واحدة بيت من الرمل ، كتبه في ثلاثة أسطر هكذا :

قلت لما مسحت وجهي يداه	فاعلاتن فعلاتن فاعلاتن
أترى تلك حيله	فعلاتن فعلاتن
أي حيله	فاعلاتن

وكان العقاد أكثر حماسا من غيره ، حيث رأى أن المذهب الذي

---

١) مقومات الشعر العربي الحديث ، محمود شوكت ورجاء عيد ، دار الجيل للطباعة ، الناشر دار الفكر العربي ، ص ١٥٠ .
٢) ديوان عبد الرحمن شكري (لالئ الأفكار) ٢/١٣٢ - ١٣٣ .
٣) ديوان المازني ٢/١٢٦ .
٤) المرجع نفسه ٣/٢٤٨ .

ينادي بالقافية المرسلة لم تكن العرب تذكره كما نتوهم "١" ، لكنه تراجع عن هذا الرأى فيما بعد ، لأنه رأى أن سليقة الشعر تنفر من الغاء القافية كل الالغاء "٢" ،

وقد حاول قبل تراجعه أن ينظم الشعر دون الالتزام بقافية واحدة في نماذج محدودة من شعره ، ومن ذلك قصيدته " آه من التراب " "٣" ، التي رش فيها مي زيادة ، ونظمها في خماسيات تتشكل كل مجموعة من خمسة أبيات لها قافية مستقلة ، وقد جعلها في ثماني عشرة مجموعة .

ويبدو أن التجديد في القوافي انتقل بعد ذلك الى شعراء أبولو ، الذين حاولوا التجديد في شكل القصيدة ، وكان أبو شادي الذي عاش مدة في انجلترا ، واطلع على الأدب الانجليزي ، وتأثر بمطران ، ممن كانت لهم محاولات عديدة في هذا الشأن ، فقد نظم قصيدة ((يا أم)) "٤" في ثنائيات ، لكل بيتين قافية ،

ومن يتفحص شعر أبي شادى يلاحظ أنه لم يكن يلتزم في بعض قصائده بحرا عروضيا واحدا ، على الرغم من التزامه قافية واحدة ، ففي قصيدة له يشجع فيها على الرقص خلط بين تفعيلات المديد والرجز ، يقول :

فاعلاتن فاعلن	ارقصي ياغادتي	ارقصي يافاتنه "٥"	فاعلاتن فاعلن
فاعلاتن فاعلن	ارقصي في حسن احـ	سان وعطف المحسنه	مستفعلن مستفعلن
فاعلاتن فاعلن	وانشري الاحلام تف	ن الحسرات المزمنه	مستفعلن مستفعلن
فاعلاتن فاعلن	ارقصي يامهجتي	ماشئت لا مستأذنه	مستعلن مستفعلن
مستفعلن مستفعلن	الا من القلب الذي	ناجاك قبل الألسنه	مستفعلن مستفعلن

ولحسن الصيرفي مع تنويع القافية محاولة تجديد في الشكل ، لأنه

---

١) مطالعات في الكتب والحياة ، عباس محمود العقاد ص ٤١٧ .
٢) فصول من النقد عند العقاد ، تقديم محمد خليفة التونسي ، مطبعة دار الهنا ، القاهرة ص ٨٠٢ .
٣) ديوان العقاد ، المجلد الثاني ٨/٧١٤-٧١٩ .
٤) أشعة وظلال ، أحمد زكي أبو شادى ص ١٢٨ .
٥) الشفق الباكي ، لأبي شادى ص ١٧٤

في قصيدته " فتنه " التي نظمها في مجزوء البسيط ، لم يلتزم بقافية واحدة ، وقسّم البيت الى ثلاث وحدات ، وكتب الثالثة على سطر مستقل هكذا :

بالله ياحواء   لا تخرجيني آدم "١"
من عدنه الهاني
فالسحر والاغراء   قد دفعا العالم
في كفّ شيطان
الحية الرقطاء   تنساب في دربي
والحيسة الفتنة
بالله ياحواء   لا تشغلي قلبي
عن رحمة الجنة

والواقع أن ترتيب التفاعيل بهذه الطريقة يدل على مدى رغبة الشعراء في التصرف في ترتيب القصيدة وشكلها .

ولو حاولنا أن نستمر في عرض الامثلة التي تدل على مدى التغيير الذي أصاب القافية على أيدي الشعراء المحدثين في مصر ممن اهتموا بالمرأة ، لما استطعنا أن نستوفيها لكثرتها وتنوعها ، ونكتفي بها عرضناه لانه يعطي صورة واضحة عن التغيير الذي لحق بالقوافي ، ويغني عن عرض بقية الامثلة .

— ٥ —

ومع هذا الميل الى تنويع القوافي كان الميل الى الأوزان القصيرة أو الأقصر من قبل كثيرين على الرغم من اختلاف الزمن والاتجاهات والمؤثرات.

---

(١) صدى ونور ودموع ، لحسن الصيرفي ص ١٠٥ - ١٠٦

فلو نظرنا الى الأوزان التي اعتمد عليها شوقي في صياغة شعره المتعلق بقضايا المرأة ، لوجدنا أنها تميل الى القصر ، فقد تناول موضوع المرأة في ست قصائد ، منها اثنتان على مجزوء الرجز "١" ، واثنتان على مجزوء الكامل "٢" ، واثنتان على الكامل "٣" .

وكذلك الحال بالنسبة لحافظ ابراهيم ، فشعره الذي تناول فيه المرأة كان أكثره من البحور ذات التفاعيل القليلة العدد أو البحور المجزوءة ، وقد تعرضنا أثناء دراستنا لقضايا المرأة لست من قصائده ، فكانت واحدة من عروض المتقارب "٤" ، وأخرى من عروض الخفيف "٥" واثنتان

---

١) راجع الشوقيات ٢ / ٢٨ - ٢٩ ، قسيدة المرأة العثمانية ، ومطلعها :
يامَلَكًا تعبَّدا   مصليا - موحدا
وانظر الشوقيات ٣ / ٨٨ ، قصيدة شوقي في رثاء الأميرة فاطمة اسماعيل ومطلعها :
حلفت بالمستّرة   والروضة المعطرة

٢) راجع الشوقيات ١ / ١٧٦ ، قصيدة شوقي " بين الحجاب والسفور " ، ومطلعها :
صدّاح يامَلِك الكنا   ر ويا أمير البلبل
وانظر الشوقيات ١ / ١٠٢ ، قصيدة " مصر تجدد نفسها بنسائها المتجددات " ، ومطلعها :
قم حيّ هذى النيرات   حيّ الحسان الخيرات

٣) راجع الشوقيات ١ / ١٢٩ ، قصيدة " عهد الشيب " ، ومطلعها :
ظلم الرجال نساءهم وتعسفوا   هل للنساء بمصر من أنصار
وانظر الشوقيات ٣ / ٧٦ . رثاء شوقي لقاسم أمين ، ومطلعها :
يا أيها الدمع الوفي بدار   نقضي حقوق الرفقة الأخيار

٤) راجع ديوان حافظ ابراهيم ١ / ٢٥٦ ، قصيدة " زواج الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد " ، ومطلعها :
حطمت اليراع فلا تعجبي   وعفت البيان فلا تعتبي

٥) راجع ديوان حافظ ١ / ٣١٢ ، قصيدة " كلية البنات الأمريكية " ، ومطلعها :
أي رجال الدنيا الجديدة مهلا   قد شأوتم بالمعجزات الرجالا .

من مجزوء الكامل "١" ، واثنتان من عروض الكامل "٢" .

واعتمد محمد عبد المطلب على موسيقى مجزوء الكامل "٣" في قصيدته التي هاجم بها السفور :

ولم يقتصر استعمال الأوزان القصيرة على كبار الشعراء ، بل استعملها أيضا من دونهم ، ومن هؤلاء الكاشف الذي نظم قصيدة بعنوان " اختيار الزوجة " على مجزوء الرجز "٤" ، ونظم مرسي شاكر طنطاوى قصيدة على مجزوء الرجز "٥" أيضا ، ونظم علي علي العزبي قصيدة بعنوان " الحياة الزوجية " على المتقارب "٦" ، ونظم محمد عبد الغني حسن على المتقارب "٧" أيضا قصيدة هنأ فيها أول عميدة في الجامعة المصرية .

---

١) انظر ديوان حافظ ٢/٨٧ ، قصيدة " مظاهرة السيدات " ، ومطلعها :
خرج الغواني يحتججـ ن ، ورحت أرقب جمعهـنه
وراجع ديوان حافظ ٢/٢٩٣ ، قصيدة " رثاء باحثة البادية " ، ومطلعها :
ملك النهى لا تبعدي فالخلق في الدنيا سير

٢) انظر ديوان حافظ ١/٢٩٧ ، " مدرسة البنات ببور سعيد " ، ومطلعها :
كم ذا يكابد عاشق ويلاقي في حب مصر كثيرة العشاق
وراجع ديوان حافظ ٢/١٥٦ " رثاء قاسم أمين " ، ومطلعها :
لله درك كنت من رجل لو أمهلتك غوائل الأجل

٣) انظر ديوان عبد المطلب ص ١٨٤ ، ومطلع لاميته هو :
مالي وللربع المحيـل أبكيه بالدمع الهطـول

٤) أنيس الجليس ، الجزء الرابع ، ٣٠ ابريل/نيسان ١٩٠١ ص ٦١٥ ، ومطلعها :
وددت لو أني تـزو جت وبيتي يعمـر

٥) الهلال ، الجزء الثامن ، مايو/أيار ١٩٢٥م ص ٨٧٦ ، ومطلعها :
بنيتـي بنيتـي أنت حياة المجتمـع

٦) أنيس الجليس ، الجزء الأول ، ٣١ كانون ثاني / يناير ١٩٠٧م ص ٢٥ ، ومطلع القصيدة :
سمت والوئام على اثرها فمن خدرها والى خدرهـا

٧) المقتطف ، الجزء الخامس ، ١ ديسمبر/ كانون أول ١٩٣٠م ، ص ٥٩٠ ، ومطلعها :
نجاح يسـر الملا طيب وفتح من الله يا زينـب

وكان عباس محمود العقاد من الشعراء الذين استهوتهم الأوزان القصيرة ، فنظم كثيرا من قصائده التي تعرض فيها للمرأة على البحور المجزوءة ، ومن ذلك قصيدة الثوب الأزرق التي جاءت على مشطور الرجز "١" ، وقصيدة " خليج استانلي " التي جاءت على مجزوء الكامل "٢" ، وقصيدتان أخريان على مجزوء الرمل ومشطوره "٣" .

ونظم عبد الرحمن شكري بعض قصائده التي تناول فيها المرأة على وزن قصير ، فاعتمد على موسيقى مجزوء الرجز في قصيدته " حمام الكازينو بالاسكندرية " "٤" .

واتجه أبو شادي أكثر شعراء أبولو انتاجا الى استعمال الأوزان القصيرة في كثير من قصائده التي تناول فيها المرأة ، خصوصا تلك التي تتعلق بالمناسبات الاجتماعية ، أو المجاملات ، ومن ذلك قصيدته " فتاة العصر " التي نظمها على مجزوء الوافر "٥" ، ونظم مجموعة من القصائد على

---

١) انظر ديوان العقاد ٥/٤٩٠ ، ومطلعها :
الأزرق الساحر بالصفاء

٢) أنظر المرجع السابق ٥/٤٢٥ ، ومطلعها :
ياويح قلبك من هدف ... صال المسدد أم صدف

٣) وانظر المرجع السابق ٨/٧١٤ ، قصيدة " آه من التراب " في رثاء مي زيادة ، ومطلعها :
أين في المحفل ميّ ياصحاب
وانظر المرجع السابق ١/١١٨ ، قصيدة " حسناء عمياء " ، ومطلعها :
قرّة العين عزاء ... لك في الكون المنير

٤) ديوان عبد الرحمن شكري ١/٢٧ ، ومطلع القصيدة :
ماذا دهى القلب من ال ... أشجان يوم الأحد

٥) الشفق الباكي لأبي شادي ص ٤٢٨ ، ومطلعها :
بروحي الصبّ ماتبدى ... وبعض العطف كالصد

مجزوء الرمل "١" ، ونظم على عروض المتقارب "٢" .

واعتمد عزيز فهمي في معظم قصائده التي تحدّث فيها عن المرأة على مجزوء الكامل "٣" .

---

١) من السماء لأبي شادى ص ٨٥ ، " غرام وانتقام " في رثاء احدى المغنيات ، ومطلعها :

أيندثر الفن ؟ ياللقدر ويجني على الحسن حتى النظر

وانظر المرجع نفسه ص ٦١ ، قصيدة " بسمة الأرض " وقد أهداها الى ابنته ، ومطلعها :

بسمة الأرض لوجدانـي في محان كم أراهـا

وانظر الينبوع ، لأبي شادى ، ص ١٣٠ " تهنئة لاحدى الفتيات بمناسبة فوزها في مسابقة للطيران " :

أنت زين السابقات في التسامي بالحياة .

٢) أنظر أشعة وظلال ، لأبي شادى ص ٥٢ ، قصيدة " المرأة العصرية " ومطلعها :

زمان تبوأ فيه الجمال عروش النهي وعروش العلا

٣) أنظر ديوان عزيز فهمي ص ١٤ ، قصيدة " الذنب ذنب الوالدين " ، ومطلعها :

وسط القصور الشاهقات اسمع بكاء الغانيـات

وانظر ديوانه ص ٦٥ ، حيث جغامل مغنية اصيبت بمرض في قصيدة مطلعها :

أوحى اليك جمالهـا وسطا عليك دلالهـا

وانظر ديوانه ص ١٠٩ في قصيدة " نون النسوة " ومطلعها :

هل أتاك حديثهنـه النون ليست نونهنـه

على أن كثرة القصائد التي اتخذ الشعراء من البحور ذات الأوزان القصيرة أو البحور المجزوءة عروضا لها تشغلنا من الاستمرار في عرضها ، وما أتينا عليه يكفي للتدليل على ماذهبنا اليه .

فان قلت : لماذا اختار الشعراء المحدثون هذا النوع من الأوزان لكثير من قصائدهم التي تتعلق بالمرأة ، قلت : الجواب ليس سهلا ، لأن الأمر لا يتعلق بموضوع القصيدة فقط ، وانما يرتبط كذلك بالحالة النفسية التي كان عليها الشاعر عندما نظم هذه القصيدة أو تلك ، ثم انه يتعلق بمدى جدية الشاعر في نظرته ، ومن المهم القول بأنه ليست هناك قواعد معينة تحكم الشاعر أو تفرض عليه استعمال وزن دون آخر ، فالمسألة متعلقة به وحده ، هذا الى أن بعض الشعراء قد لا يخطر على بالهم أن يختاروا وزنا معينا ، بل ان منهم من لا يعرفون عن علمي العروض والقافية شيئا ، ولكننا نميل الى القول ، ان العامل النفسي ربما كان أقوى مؤثر وموح بالموسيقى ، فاذا كان الشاعر مجاملا - وكثيرا ماكان الشعراء يجاملون النساء في أشعارهم - فان الأوزان القصيرة تناسبهم حينئذ ، هذا الى أن كثيرين كانوا ينظرون الى المرأة نظرتهم الى انسان يحتاج الى الرعاية ورقة المعاملة ، ولا يخفى أن البحور الطويلة تحتاج الى طول نفس وصبر وثروة هائلة من الكلمات ، وهذا مالم يكن لدى عدد منهم .

— ٦ —

أما الصياغة فلم يكن بد للناظمين في هذه الأوزان القصيرة من ايثار الكلمات المألوفة والجمل القصيرة ، لأنها هي المناسبة لطبيعة تلك الأوزان ولطبيعة العصر ، وطبيعة المرأة المقصودة بهذا النظم ، هذا الى أن ثقافة بعضهم اللغوية ، خصوصا الذين تصدوا للنظم في الربع الثاني من القرن العشرين ، كانت ضئيلة اذا قيست بثقافة جيل شوقي وحافظ والعقاد ، أما الذين نظموا في الأوزان الطويلة أو الأطول ، وخاصة المحافظين منهم ، ففي ألفاظهم جزالة ، وفي تراكيبهم متانة تناسب

طبيعة الموقف الذي وقفوه ، خذ مثلا أحمد محرم في قصيدته التي ردّ فيها على قاسم أمين وحذّر المرأة من دعوته ، فقد استعمل فيها كلمات وجملا تلائم هذا الموقف منها : ((الأعراض ، المحارم ، الأخلاق ، أقيمي وراء الخدر ، تضيقين ذرعا بالحجاب ؟ سلام على الأخلاق في الشرق ، استبيحت في الخدور الكرائم ، رمي الحجاب ، تلك خطة سوء ، كيف السلامة والأخلاق واهية ؟ تعدو الذئاب به ...)) "١"

واستعمل حسن القاياتي مثل هذه الكلمات والجمل في صياغته لقصيدته التي نعى فيها على النساء تبرجهن ، وحذّر من العواقب الوخيمة التي تترتب على هذا التصرف ، ومنها : ((مسلوب العزاء حزين ، معنّى ضنين ، انبرت له لوعة ، تحرّق أحشائي ، وسواس حلي ، صوت الحجل ، شرت حسنها زورا ، لا تعذلاها في قناع مهلهل ، انّ تحته قناعا من الصبغات ، أوليكم نصيحة مخلص غير خئون ، حذار حذار أن تصاد ظباؤكم ، العرض كالماء طاهر ، تلاقي به الأعراض كل مهين ، رأيت الخسر في صفّ غيدكم ، ألا فاخزنوا الدرّ البديد ...)) "٢"

وعلى الرغم من اعتماد عبد المطلب على الأوزان القصيرة في قصائده التي عالج فيها قضايا المرأة ، ومع أنه عاش في الثلث الأول من القرن العشرين آثر أن يصوغ شعره على طريقة الأقدمين ، حتى عند تناوله موضوعا عصريا مثل الحجاب والسفور ، وربما يعود ذلك الى حفظه للقرآن الكريم ، وتمكنه من العربية ، فقد كان يميل الى الالفاظ التي تتسم بالقوة والجزالة ، والتي تميل الى البداوة ، هذا الى اعتماده على متانة التراكيب ، انظر الى لاميته التي عرض فيها أحوال المرأة ، تجده استعمل كلمات وعبارات ليس لها مثيل الا عند الأقدمين ، منها قوله :

((مالي وللربع المحيل ، المعاهد والطلول ، حومل والدخول ، ابن حجر ، الظعائن ، الهوادج ، نجب السرى ، المتالع ، أغن ذى

---

١) ديوان محرم ٢ / ٦٣ - ٦٥ . وانظر ص ١٧٥ من هذا البحث.

٢) ديوان حسن القاياتي ١ / ٥ - ١١ . وانظر ص ١٧٨ - ١٧٩ من هذا البحث.

طرف كحيل ، الحبرات ، ومن الخنى قصر الذيول ، لهنّ معاهد في كلّ غيل ، المجد الأثيل ، شفيف نقابها ، جيب القميص ، خيلع ، شبا الأسنة والفصول ، مرح الأفيل ، الحواز ، الفصيل ...)) "١"

واذا كان محرم والقاياتي وعبد المطلب وغيرهم قد مالوا الى استعمال الألفاظ الجزلة والتراكيب المتينة ، فان شعراء آخرين أمثال ابراهيم ناجي وعلى محمود طه وأحمد رامي وغيرهم ، قد مالوا الى استعمال الألفاظ الرقيقة ، بل وتأنقوا في اختيارها ، ويبدو أن سيطرة النزعة الغنائية على شعرهم قد دفعتهم الى ذلك دفعا ، خصوصا وأنهم كانوا ينظمون بعض قصائدهم من أجل أن تغنى ، انظر الى الألفاظ والعبارات التي نسج منها علي محمود طه قصيدته " راقصة الحانة " تلاحظ أنه استوحاها من جو الحانة ، وجعلها تقطر رقة وعذوبة ، ومنها : ((سرت كالخيال ، تعانق الجلال ، هوى وامتثال ، نشوة حلوة ، الوصال ، جلاها الصبا ، زهاها الدلال ، اختيال ، اعتدال ، الطيف ، مائج النور ، حورية النبع ، زنبقة ، وثوب الغزال ، ذراعان منسابتان ، مفتونه ، قمرية ، ترائب ....)) "٢"

وانظر قصيدة ابراهيم ناجي " نفرتيتي الجديدة " وتأمل ألفاظها تجد أن الشاعر بذل كثيرا من الجهد والوقت في سبيل اختيار ألفاظ تتصف بالرقة والحيوية والعذوبة ألقت على القصيدة ظلالا من الرومانسية ، ومن هذه الالفاظ والعبارات : ((الأعين الساحرة ، المرح القدسي ، الضحكة الطاهرة ، الحنان العميم ، الموجة الساخرة ، الصهج الشاعرة ، مجد الجمال ، الجنة الناضرة ، ياقوتة مطهرة ، الرحمة الزائرة ، المهجة الفافرة ...)) "٣"

---

١) ديوان عبد المطلب ص ١٨٤ - ١٨٨ . وانظر ص ١٧٩ - ١٨٢ من هذا البحث . وراجع في الأدب الحديث ، عمر الدسوقي ، ٣٥٢/٢ .
٢) ديوان علي محمود طه ، ص ٥٠٩ - ٥١٢ .
٣) ديوان ابراهيم ناجي ص ١٨٤ - ١٨٨ .

لكن الجدير بالذكر أن قاموس الناظمين في قضايا المرأة كان ينمو ويتطور ، وتجدّ فيه ألفاظ وعبارات لم تكن حتى عند المحافظين بسبب التطور الذي غزا حياة المرأة ، وغزا الناظمين في قضاياها ،وتأمل ان شئت الدليل على ذلك في قصيدتي شوقي ((صدّاح ياملك الكنار)) "١" ، و ((قم حيّ هذي النيرات)) ، حيث نظم الأولى عام ١٩١٤م والثانية عام ١٩٢١م ، لقد اختلف موقف الشاعر من الاشفاق على المرأة اذا تركت خدرها الى تحيتها وقد تركته ، فاختلفت ألفاظه وعباراته تبعا لذلك ، فقد وجد في الثانية ما أدى اليه تجدد المرأة من نحو : " حيّ النيرات ، الحسان الخرّد المتحفزات ، لا تكن خطبا على مصر الفتاة ، رضن التجارة ، اتحاد الغانيات ، يبنين المنائر ، عقائل الوادى ، يمشين في سوق الثواب مساومات ، نساؤها المتجددات ، النافرات من الجمود ، الموصيات ، حضنّ القضية ... "٢" .

وانظر مع ذلك قصيدة " الملاك الساقط " لعبد الرحمن بدوي التي ظهرت فيها كلمات وعبارات لم تكن مستعملة من قبل ، لكن التطور الذي غزا حياة بعض النساء لم يقف عند حد ، مما دعا الى تطور آخر في الفاظ الشعراء ، ومما استعمله عبد الرحمن بدوي في قصيدته : ((ذهبت تنشد الغذاء على قبر الهوى ، زيفت نفسها تناغي بالغرام الموهوم ، أقامت سوقا تبيع بها الحب ، ترسل النظرة الشهية ، الى جنبها شيوخ تصابوا ، كلم زائف يردده الثغر ، شفاه من النفاق هزيله ، الشراب القتال يسلبها الروح ، يصبّ لها الساقي سموما ، يتهاوى الرجال بين يديها ...)) "٣"

وكما دخلت هذه الألفاظ والتراكيب ، دخلت بعض الكلمات الأجنبية الى الشعر الذي تناول قضايا المرأة ، بسبب التأثر بالثقافة الغربية ، فمثلا استعمل علي محمود طه كلمة " الافريز " في قصيدته " سارية الفجر " ،

---

١) الشوقيات ١/١٧٦ - ١٨٠ . انظر ص ١٨٨ - ١٩٠ من هذا البحث.
٢) الشوقيات ١/١٠٢ - ١٠٣ . وانظر ص ١٩١ من هذا البحث .
٣) مرآة نفسي ،عبد الرحمن بدوى ص ٢٧ - ٣١ .

فقـــال :

تقطع "الافريز" من ناحيتي   كأسير هارب من آســـر "١"

ووردت كلمة " الدوطه " في أبيات شعر على لسان امرأة تستنكر هـذه العادة في قولها :

وماندري بقسمتنا وفيهـــا   جرى في اللوح بالتنزيل "دوطه" "٢"

واستعمل أبو أحمد الأزهري في قصيدة له ، وصف فيها "رقصـــة قدمها فريق - رقص ايطالي كلمة " ألبا " ، وهي اسم لرقصـــــة بعينها ، فقال :

رقص رقصة " البا "   حتى فضحن الألبـــا "٣"

وفي قصيدة ((تلاعب الحسان بعقول الفتيان)) التي وصـــف فيها محمود خيرت أحد ملاهي " الأزبكية " ، استعمل كلمتين غيـــر عربيتين في قوله :

قالت له ماذا تريد ؟ " أبيرة " ؟
فأجاب لا ، " كنياك " ذلك أوفق "٤"

ونشرت مجلة فتاة الشرق قصيدة بعنوان " العقد " انتقد فيهـــا الشاعر اقبال النساء على كثير من العادات والكلمات الأجنبية الوافدة ، حيث يقول :

" وكود مورننغ وبون جور " في حديث   وألعاب القمار وطول سهد "٥"
فقد حكت النســـاء مذنبـــات   بقهوة" وبلرين " ونــــرد

---

١) ديوان علي محمود طه ص ٤٨٦ .
٢) الثريا ، السنة الأولى ، الجزء الثاني ، ١٥ يوليو/ تموز ١٨٩٦م ص ٤١
٣) الثريا ، السنة الثانية ، الجزء التاسع ، ١٥ يونيو/ ١٩٠٨ ص ٣٤١ .
٤) الجامعة ، السنة الرابعة ، الجزء الرابع ، يونيو / حزيران ١٩٠٣ ، ص ٢٤٩ .
٥) فتاة الشرق ، السنة الثانية ، الجزء التاسع ، ١٥ يونيو ١٩٠٨م ص ٣٤١ .

ونظم أبو شادي قصيدة أثنى فيها على منيرة ثابت التي أنشأت مجلة باسم " الأمل " ، وأخرى فرنسية باسم " لسبوار " ، فقال :

على أمل زانة " لسبوار " "١"

وضمّن بعض الشعراء قصائدهم كلمات عامية متداولة في الحياة اليومية ، يقول فليب عطا الله من قصيدة له بعنوان " الهصهصة " .

اترك الحسناء تمشي يا "جدع"	انها تستاء من هذا الدلع "٢"
حسبها منك انتقاما انهـــا	كلما قلت : "احم" قالت : "وجع"

- ٧ -

واذا كان الشعراء منذ نهاية القرن التاسع عشر قد حاولوا أن يتخففوا من أغلال البديع والمحسنات التي كانت تغص بها القصيدة العربية ، ولم تعد القيود اللفظية التي قيدت الشعر تمثل غاية عندهم ، فانهم مع ذلك لم يروا غضاضة في استغلال فنون البلاغة المختلفة ، سواء كانوا من جيل حافظ وشوقي ، أو من جماعة الديوان أو أبولو ، لكنهم تفاوتوا في ذلك ، فمثلا استعمل شوقي وحافظ هذه الفنون أكثر من استعمال الجيل الذي تلاهم ، وهكذا عاد الشعراء المحدثون مرة أخرى ، ليجعلوا من فنون البلاغة وسيلة لتجويد المعاني ، وخادمة لها بعد أن كانت سيادتها لا تنازع .

وقد تتبعت فنون البلاغة في معظم نصوص الشعر التي استشهدت بها أو منها في الباب الثاني ، فلاحظت أنهم قليلا ما كانوا . يستعملون المحسنات اللفظية من سجع واقتباس وجناس ، أما بالنسبة للسجع ، فقد هجره الشعراء الذين تناولوا قضايا المرأة ، وكأنهم عدّوه عيبا من العيوب

---

١) الشفق الباكي ، ص ١٣١ .
٢) مجلة سركيس ، السنة التاسعة ، العدد ٣ - ٤ ، ١٥ فبراير/شباط ١٩١٦ م ، ص ١٠٦ .

التي ينبغي على الشاعر ألا يتورط فيها ، هذا الى أن السجع ألزم في النثر منه في الشعر .

وأما الاقتباس ، فلم يقبلوا عليه الا في حالات قليلة ، وكان اقتباسهم ينسجم مع جود القصيدة التي نظموها ، كما فعل أحمد نسيم ، الذى شبّه قبول " صفية السادات " الزواج بعلي يوسف صاحب " المؤيد " بقبول " رقاش " أخت جذيمة الأبرش ، الزواج بخادمه عدي بن نصر ، فاقتبس نسيم بيتي جذيمة اللذين خاطب بهما أخته ، وهما :

حدثيني وأنت غير كذوب أبحر شففت أم بهجين "١"

أم بعبد وأنت أهل لعبد أم بدون وأنت أهل لدون

كما اقتبس محمود عماد جزءًا من بيت للنابغة الذبياني جرى مجرى الأمثال ، وضمنه بيتا من قصيدته " المتصابية " حيث يقول :

وفد المشيب فسائليه " ماذا وراءك ياعصام " "٢"

واقتبس علي الجندى في قصيدته " عروس الهجر " بيتين ينسبان لمجنون ليلى ، وهما :

بربك هل ضممت اليك ليلى بعيد الصبح أو قبلت فاها "٣"

وهل رفّت عليك قرون ليلى رفيف الأقحوانة في شذاها

واقتبس آخرون من الشعر العباسي ، كحافظ ابراهيم الذي اقتبس في قصيدته " زواج الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد " جزءًا من بيت للمتنبي ، وذلك في قوله :

---

١) خمسة من شعراء الوطنية ص ١٣٣ . وانظر مروج الذهب للمسعودى ٦٧/٢ . وانظر تاريخ الرسل والملوك ، للطبرى ٦١٥/١ .

٢) ديوان عماد ص ٧٢ . وعصام هذا حاجب الملك النعمان بن المنذر على الحيره . انظر ثمار القلوب للثعالبي ص ١٣٦ - ١٣٧ . وانظر مجمع الأمثال للميداني ٢٢١/٢ ، حيث جعل الميداني عصاما هذا امرأة أرسلها ملك كندة لخطبة ابنة عوف بن محلم له .

٣) أغاريد السحر لعلي الجندى ص ٢٣٣ .

"وكم ذا بمصر من المضحكات" كما قال فيها أبو الطيب "١"

وأما الجناس فقليل أيضا ، لأنه لابد للشاعر اذا أراد هذا الضرب من المحسنات اللفظية أن يجهد نفسه ، وأن يتوقف بعض الوقت ، وهذا مالم يكن كثير من الشعراء على استعداد أن يفعلوه ، ومن الامثلة عليه قول صالح مجدي من قصيدة له رثى فيها زينب بنت الخديوي اسماعيل ، وقد جانس في هذا البيت بين كلمتي " بحور " التي مفردها بحر ، و"بحور" الثانية التي جاءت فيها الباء حرف جر ، ويقصد ب " حور " النساء البيض ومفردها حوراء ، وذلك في قوله :

جفون العلا منها كبار بحور جرت لفتاة زهر لا تقاس بحور "٢"

وجانس أمين الحداد بين كلمتي "جد " التي هي بمعنى والد الأب أو الأم " وجد " التي هي بمعنى الاجتهاد ، وذلك في قوله :

مامن يفوز بجدّه بطلا بل من يفوز بجده البطل "٣"

وجانس حافظ ابراهيم بين كلمتي " تعجبي وتعتبي " وذلك في قوله :

حطمت اليراع فلا تعجبي وعفت البيان فلا تعتبي "٤"

هذا عن المحسنات اللفظية ، أما المحسنات المعنوية التي يمكن حصر أهمها في الطباق بنوعيه والمقابلة وحسن التعليل وتأكيد المدح بما يشبه الذم وأسلوب الحكيم ، فانه يمكن القول بعد استقصاء النصوص الشعرية المتعلقة بقضايا المرأة أن الشعراء المحدثين أهملوا أكثرها ، ولم يعنوا منها بغير الطباق والمقابلة ، ربما لأثرهما في توضيح المعاني ، ولأن الاشياء - كما قيل - تعرف بأضدادها ، والحق أنه لايكاد الكثير من قصائدهم يخلو من الطباق والمقابلة ، فقد طابقوا بين الألوان والجهات والمسافات

---

١) ديوان حافظ ابراهيم ١/ ٢٥٧ . أشار حافظ الى قول أبي الطيب المتنبي من قصيدة له في هجاء كافور :

" وكم ذا بمصر من المضحكات " ولكنه ضحك كالبكا

٢) ديوان صالح مجدي ص ١٤٠ .

٣) أنيس الجليس ، السنة السابعة ، الجزء التاسع ، ٣٠ سبتمبر/ايلول ١٩٠٤ ص ١٩٩٥ - ١٩٩٦ .

٤) ديوان حافظ ابراهيم ١/ ٢٥٦

والحركات ، وبين المعنويات والمحسوسات والحركات وغيرها ، ولو نظرنا الى بعض القصائد التي نظمها شوقي ، لوجدنا أنه استغل الطباق والمقابلة استغلالا حسنا ، ومن ذلك قصيدته ، التي رثى فيها الأميرة فاطمة بنت الخديوي اسماعيل ، فقال :

يابنت اسماعيل في الـ	ميت لحمي تبصره "١"
أكان عند بيتكم	لهذه الدنيا تذكره
هلا وصفتها لنا	مقبلة ومدبره
ولونها صافية	وطعمها مكدّره

....

فاطم من يولد يمت	المهد جسر المقبره
وانه من يعمل الـ	خير أو الشر يره
وانما ينبه الـ	غافل عند الغرغره
يلفظها حنظلة	كانت بغيضه سكره

فقد طابق شوقي في هذه الأبيات بين ميت وحي ، ومقبلة ومدبره ، ويولد ويمت ، وبين المهد والمقبره ، وحنظاله وسكره ، هذا الى مقابلته في البيت الرابع بين لونها صافية ، وطعمها مكدّره .

وكذلك فعل حافظ في قصيدته " زواج الشيخ علي يوسف " حيث يقول :

تضيع الحقيقة مابيننا	ويصلى البرئ مع المذنب "٢"
ويهضم فينا الامام الحكيم	ويكرم فينا الجهول الغبي
على الشرق مني سلام الودود	وان طأطأ الشرق للمغرب

فطابق بين البرئ والمذنب في الأول ، والشرق والغرب في الثالث مع المقابلة في البيت الثاني .

---

١) الشوقيات ٣/٨٩ .
٢) ديوان حافظ ابراهيم ١/٢٥٩ .

ولم يقتصر الأمر على حافظ وشوقي ، بل ان خليل مطران تابعهما في استغلال الطباق والمقابلة ، ولو نظرنا الى قصيدته التي رثى فيها " ميا " لوجدناه يقول :

ويود الحياة عزا وجهدا ... لا يود الحياة خسفا ولينا "١"

......

قدرته لفظا ولحظا وايما ... ء بما ودت المنى أن يكونا

......

ذاك في العيش ماشغلت به والغيد تلهو وأنت لا تلهينا

......

فهو يرعى به لمي حقوقا ... وهو يقضي عن البلاد ديونا

وهذا يعني أن الشاعر قد قابل في البيت الثالث بين شطري البيت ، بين الغيد تلهو ، وأنت لا تلهينا ، وطابق في البيت الأول بين يود ولا يود ، وفي الرابع بين حقوق وديون .

وحتى العقاد الذي كان يمثل في شعره الثورة على التقاليد لم يهجر الطباق ، بل ظهر في كثير من قصائده ، ومن ذلك قصيدته التي وصف فيها النساء على الشاطيء ، حيث يقول :

سمر كما اسمر الجنى ... بيض كما ابيض الصدف "٢"

......

تلقى الطويلة كالقصير ... ة والسماحة ، كالصلف

......

ان تعلما أو تجهلا ... فلأنت تعلم ما التلف

......

مابين شرقي جفا ... أو بين غربي عطف

فقد طابق العقاد بين سمر وبيض ، واسمر وابيض ، والطويلة والقصيرة ، والسماحة والصلف ، ثم قابل في البيت الثالث بين " تعلما وتجهلا " ، وبين شطري البيت الرابع .

---

١) ديوان الخليل ، لمطران ٢٨/٤ - ٢٨١ .
٢) ديوان العقاد ، المجلد الثاني ٤٢٥/٥ - ٤٢٧ .

وفي قصيدة أخرى للعقاد سمّاها " شطور " طابق بين ذكـــور واناث ، وجسم وروح ، وذلك في قوله :

دليل على أنّ الكلام مجرم　　اناث خلقنا بينها وذكور "١"

فما المرء في جسم وروح بكامل　　ولكن كلّ العالمين شطـور

وفي مقطوعته " عجز أو قدره " والتي تتألف من خمسة أبيات ، استعمل الطباق في ثلاثة أبيات منها ، يقول :

علميني كيف لم تضطربـــي　　بين أسماء الأقاصي والأداني "٢"

. . . . .

الغواني في حجاب دائم　　عبث كل سفور للغوانـــي

قدرة فيهنّ أم عجز طفـى　　أم هما في لحظة مجتمعـــان

فطابق بين الأقاصي والأداني في البيت الأول ، وبين حجاب وسفور في الثاني ، وبين قدرة وعجز في الثالث .

وكذلك نجد أبا شادي الذي كانت ثقافته الانجليزية غالبة على شعـــره قد استعمل الطباق في قوله :

وهدمته بينا هو الساعي لما　　يبنيك أو يغنيك أو يهنيـــك "٣"

. . . . .

وبخلت بالبسمات فهي عزيزة　　لفتاك وهي رخيصة لذويك

فطابق بين هدم ويبني ، وبين عزيزة ورخيصة .

وطابق في قصيدته (الأنثى والمرأة) بين كلمتي الدين والدنيا فـــي قولـــه :

كوني لمصر الدين والدنيا معا　　واعطي لمصر من السمو خصالا "٤"

ونظرة الى ما أوردنا من أمثلة مختلفة على الطباق والمقابلة ، نخـــرج بنتيجة مفادها أن الشعراء لم يبدعوا جديدا في هذا المجال ، وان كانـــوا قد اقتصدوا في استعمال الطباق بالنسبة لمن سبقوهم من الشعراء .

---

١) ديوان من دواوين ، العقاد ، ص ١٢
٢) ديوان العقاد ، المجلد الثاني ٨/٢٢٦ .
٣) الشفق الباكي ، لأبي شادى ص ١٢٨
٤) المرجع نفسه ص ١٩٠ .

— ٨ —

فاذا تجاوزنا صور البديع الى صور البيان تشبيهات ومجازات ، واستعارات وكنايات ، وجدنا المامهم بها أكثر ، وحرصهم على ابراز الخواطر والمشاعر في معارض حسية واضحا ، يستمدون في ذلك من ثقافتهم وبيئتهم ، ومن ثم تراوحت صورهم بين قديمة موروثة وأخرى منتزعة من البيئة وثالثة متأثرة بالثقافة الغربية والأساطير القديمة ، لكنها في الغالب عفوية وقوية ، حتى ما استمدوه من سابقيهم لا نجده على صورته ، بل نجده عند أكثرهم في معارض جديدة .

فمن الصور البيانية التي ورثها المحدثون عمن سبقوهم تشبيه الباكي أو النائح بالثكلى التي فقدت ابنها ، فأخذ صالح مجدي هذه الصورة ، وتوسع فيها ، ليستطيع أن يعبّر بها عن شدة الأحزان التي لحقته بعد وفاة زوجته ، فهو ليس كثكلى فقدت وحيدها فقط ، ولكنه كثكلى أحاطت بها المصائب من كلّ جانب ، وفقدت ولدها وزوجها وأخاها وباقي قومها ، وذلك في قوله :

وغادرني من بعد شرخ شبابها
أنوح كثكلى جفّ ماء بكائها "١"

أنوح كثكلى عند فقد وحيدها
قضى بعلها فورا وخاب رجاها

أنوح كثكلى مات بعد حليلها
أخوها وباقي قومها وفتاها

وعرف عن القدماء أنهم شبهوا المرأة بالشمس والبدر والظبي والتمثال ، وشبهوا الرجل بالأسد والقمر ، وشبهوا الزمان بر اشق السهام ، فجاء المحدثون وحاكوهم في ذلك ، فقد وصف صالح مجدي زوجته بأنها شمس العلا في الاستعارة التالية :

---

١) ديوان صالح مجدي ، ص ٣٤٧ .

وهيهات ألا أموت بحسرة   سريها على شمس العلا وضحاها "١"

كذلك شبّه شوقي الصبية التي يخطبها رجل مسن بالشمس ، لا تستحق خطبتها الا الأقمار في قوله :

في كلّ عام همّه في طفلة   كالشمس ان خطبت فللأقمار "٢"

وصوّر العقاد جبين فتاة هيفاء بأنه ناصع وصاف كالنهار المشمس ، حيث قال :

هيفاء من أوانس الأندلس   ذات جبين كالنهار المشمس "٣"

وعجب شوقي بالنساء التركيات اللواتي يتزوجن بمصريين ، ويأتين معهم للعيش في مصر ، فشبّه وجوههن بالأهلة ، يقول :

وعلى وجوه كالأهلة روّعت   بعد السفور ببرقع وخمار "٤"

ووصف حسن القاياتي الفتيات اللواتي يخرجن الى التنزه بأنهن ظباء يتعرضن لمطاردة الصيادين من الشباب ، يقول :

حذار حذار أن تصاد ظباؤكم   بكل منير البدر ضوء جبينه "٥"

ووصف أحمد محرم جيوش الانجليز وهي تحيط بمصر من كل جانب بالأسد المغيرة في وضح النهار ، ووصف مايقوم به قاسم وأمثاله من اغارة على عقيدة الأمة وتقاليدها خفية ، بأنه أشبه مايكون بلدغ الأفاعي في الظلام ، وهاتان الصورتان معروفتان عند القدماء ، يقول محرم :

أحاطت بنا الأسد المغيرة جهرة

ودبت الينا في الظلام الأراقم "٦"

وصور حسن القاياتي الفتيات السافرات خارج بيوتهن بالدرّ المنثور الذي يجب خزنه ، وذلك على عادة الشعراء العرب ، حيث يقول :

---

١) المرجع نفسه ٣٤٧

٢) الشوقيات ١/١٣٠

٣) ديوان من دواوين ، للعقاد ص ١٦٩

٤) الشوقيات ١/١٣١

٥) ديوان حسن القاياتي ص ٩٠ .

٦) ديوان احمد محرم ٢/٦٣ - ٦٥ .

ألا فاخزنوا الدرّ الهديد يسرّكم   فلم أرقط الدرّ غير خزين "١"

ومن ذلك أيضا تصوير حافظ ابراهيم لنفسه يتأمل فتاة شاحبة بالعابد يرنو الى تمثال في الهيكل ، وهذا التشبيه سبقه اليه الأقدمون ، وذلك في قوله من قصيدة له بعنوان " رعاية الأطفال " :

وقفت أنظرها كأنّي عابد   في هيكل يرنو الى تمثال "٢"

وشبهت أوليفيا عويضه المرأة الحديثة التي فقدت حياءها بالعيس التي تسير في الصحراء دون زمام يوقفها ، تقول :

أصبحت كالعيس في البيداء سائرة
بلا حياء كأظعان بلا خطم "٣"

ومن ذلك أيضا استغلال عزيز أباظه بعض المجازات والتشبيهات القديمة ، كي يرسم صورة بيانية للمأساة التي روّعته بموت زوجته ، فقد صوّر الزمان بأنه رائش للسهام ، وأنه يحدّها ليرمي بها زوجته ، حيث يقول :

راش الزمان سهامه وأحدّها   فرماك ثم رماك ، ثم رماك "٤"

وهكذا نلاحظ أنه من الصعب علينا أن ندّعي بأن هذه الصور البيانية قديمة ومنقولة بحرفيتها عن الشعراء القدماء ، ذلك أن المحدثين أضافوا الى الصورة القديمة لمسات جديدة أضفت عليها حيوية ، فظهرت بثوب جديد وان كان الفضل في ايحاء هذه الصور يعود الى القدماء .

لكن الصورة البيانية التي أوردنا أمثلة منها ، والتي تدلّ على ارتباط الشعراء المحدثين بالتراث واستفادتهم منه ، ليست هي الصور الوحيدة التي يمكن الوقوع عليها في الشعر الذي تناول قضايا المرأة ، بل انّ هناك صورا بيانية أخرى تبدو فيها الطرافة والجدة ، وان مازجها شيء من القدم أيضا ، ومن ذلك أن الشعراء العرب تعودوا أن يشبهوا المتقلب بالحرباء ،

---

١) ديوان حسن القاياتي ص ١١
٢) ديوان حافظ ابراهيم ١/٢٧٦ .
٣) فتاة الشرق ، السنة السابعة ، الجزء الثامن ، مايو/أيار ١٩١٤م ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .
٤) أنات حائرة ، عزيز أباظة ص ٩٥ .

ولكن الياس الغضبان نقل هذه الصورة نقلة جديدة ، اذ شبه النســاء في محاولتهن جذب الأبصار بالكهرباء ، وذلك في قوله :

للخود زي ليس يثبت فهو كـا لحرباء يبصر دائما متقلبـا "١"
يحتلن فيما يجذب الابصار اذ يودون لو أصبحن مثل الكهربا

وأبدع عبد الرحمن صدقي صورة جديدة للمرأة المتحققة من التقاليـد المتمردة على البيت ، حين شبهها وقد انطلقت من خدرها بحيـوان مفترس موضوع تحت الحراسة المشددة ، وقد أفلت من حرّاسه :

حواء هذي قد طلعـت كالضاري أفلته حرسته "٢"
ثائرة الحسن كأنّ بهـا مارد بركان تحتبسه

ووصف أبو شادي بيت الزوجية بالنسبة للمرأة بأنه مثل العرش الملكي ، حيث يقول :

ولكم هجرت المنزل الباكي الى ملهى وبيتك مثل عرش مليك "٣"

وشبّه علي علي العزبي شاطيء رأس البر بمسرح للغزلان لكثرة ماعليه من فتيات ، لاهم لهن سوى عرض مفاتنهن وذلك في قوله :

يامسرّح الغزلان والخرّد وملعب الأبيض والأسـود "٤"

ومن الصور الجديدة صورة رسمها محمود حسن اسماعيل للفضيلة ، وهي تمشي ذليلة الى جانب الكواعب اللواتي فضحت الملابس الشفافة والضيقة ، أجسامهن ، مثلما فضحت حبائل الصياد شباكه ، يقول على لسان ريفية زلت:

---

١) الضياء ، السنة السابعة ، الجزء الخامس عشر ، ١٥ مايو/ أيار ١٩٠٥ ، ص ٤٦٧ - ٤٦٩ .
٢) هواء والشاعر ، عبد الرحمن صدقي ص ٧٩ .
٣) الشفق الباكي ص ١٢٨ .
٤) أنيس الجليس ، السنة السابعة ، الجزء الثامن ، ٣١ يوليو/ تموز ١٩٠٥ ص ١٩٨ .

ونزلت في بلد شهدت بسه | قدس الحجاب ممزق السّتر "١"
مشت الفضيلة من كواعبسه | مشي الذليل بربقة الأسر
يسرين والأجسام عاريسة | تغرى بحسن القدّ والقامسة
فضحت معاطفهنّ أرديسة | كحبائل الصياد نمّامسه

وصوّر الأسمر احدى النساء ، وهي تطوف بين المدعوين في حفلة من الحفلات بأنها تتهادى كالطاووس :

تتهادى في الحفل أشبه بالطساو
ووس يمشي من الدلال الهوينى "٢"

وصوّر النساء اللواتي يبحثن عن المال بخداع الرجال واستعمال كل حيلة بأنهن مثل المناشير :

فاحذر غواني ان صدت وان وصلت
فهنّ أشبه شيء بالمناشسير "٣"

وصوّر حسن الصيرفي فتاة وهي تسبح على صفحة الماء ، والبحر يداعبها بأمواجه أنها أشبه برقصة تؤدى على خشبة المسرح ، وذلك في قوله :

أنت في الماء رقصسة | حرة فوق مسسرح "٤"

وصوّر عبد المطلب العفاف مقتالا والحجاب يبكي عليه ، حيث يقول :

من غادة غال البغاة عفافها | فبكى الحجاب عفافها المقتالا "٥"

ثم لم يقف الشعراء المحدثون في مصر عند حدّ الأخذ من القديم الموروث ، أو الجديد النابع من البيئة المصرية ، بل حاولوا الاستفادة من الثقافة الغربية والأساطير الاغريقية التي اطلعوا عليها ، فظهرت في شعرهم صور متناثرة هنا وهناك تدل على ثقافتهم هذه ، فمثلا شبّه محمد الأسمر هدى شعراوي ب (جان دارك) تلك الفتاة الفرنسية التي قادت بلادها على طريق النصر في احدى المعارك ، يقول :

---

١) أغاني الكوخ ، محمود حسن اسماعيل ص ١٢٠
٢) ديوان الأسمر ص ٣٥١ .
٣) المرجع نفسه ص ٤٧٥
٤) صدى ونور ودموع ، حسن الصيرفي ص ٨٩ .
٥) ديوان عبد المطلب ص ٩٥ .

" جان دارك " وادى النيل ان ريع الحمى

صانت حماها ؛ ربّها يصونهــا "١"

وشبّه حسن كامل الصيرفي البحر للسابحة فية " بشمشون " تلك الشخصية الأسطورية ، وذلك في قوله :

ضجة البحر عندما تتهاديـن تمحـــي "٢"

هو شمشون فاهزئـي في هـواه المبـرّج

بالقوى منه واسبحـي كالخيال المجنـح

وشبّه أبو شادى السابحات على شاطي " استانلي " ب " فينوس الـه الجمال عند اليونان " ، وب " كيوبيد " اله الحب ، أثناء ملاحقة " أبولو " اله الشعر عند اليونان له ، وذلك في قوله :

" فينوس " تمرح فيه بين مفاتـن

ويلي "كيوبيد " العزيز " أبولو " "٣"

ووصف أبو شادي احدى الجميلات التي رآهن على شاطي " ستانلي " في قصيدته " ديمقراطية الجمال " بأنها بنت " أفروديت " لما فيهــا من جمال ، يقول :

يابنت " افروديت " حسبك ماشبل

في جسمك المتمسوج المسحـور "٤"

وكذلك فعل عبد الرحمن شكري في قصيدته " حواء الخالدة " عندمـا صوّر حواء في دهائها بشخصيات نسائية اغريقية وفارسية وورومية منتزعـة من الأساطير القديمة ، وذلك في قوله :

---

١) ديوان الأسمر ص ٢٧٥ .

٢) صدى ونور ودموع ، حسن الصيرفي ص ٨٩ .

٣) أطياف الربيع لأبي شادى ص ٣ .
فينوس : اله الجمال عند اليونان .

٤) الينبوع لأبي شادى ص٢ ؛ . أفروديت : اله الحب والخصـب والجمال عند اليونان .

كنت " هيلين " التي من أجلها خربت طروادة ذات الحصون "١"
كنت " شيرين " التي قد ذللت عنق كسرى ،وهو ذو الملك المكين "٢"
كنت " تاييس " اذا ما خطرت خطر القلب كطيرفي وكون "٣"
كنت " سيفو " اذا رمت بالشعر كالجمر تذكي لقطه للسامعين "٤"
كنت " اسبزيا " التي قد فتنت باقتران الحسن والفهم الفطين "٥"

ومن دراستنا للصور البيانية في الشعر الذي تناول قضايا المرأة ، نستطيع القول أن الشعراء المحدثين على الرغم من تجنبهم الصنعة وبعدهم عن التكلف ، كانت لهم صور بيانية لم تأت عفو الخاطر ، وانما جاءت عن حرص شديد وقصد الى ذلك ، ولكن مثل هذه الصور قليل ، وقد زادتها الصنعة جمالا وتأنقا ، ومن ذلك أبيات شوقي التي وصف فيها النساء سافرات ومبرقعات ، وقد خرجن الى ماء " جكسو " بقصد التنزه وذلك في قصيدته " كوك صو " حيث يقول :

تأمّل هل ترى الا جلالا تحسّ النفس منه ما تحس "٦"
كأنّ الخود مريم في سفور ورائيها حواري وقسّ
.....
حملن اللؤلؤ المنثور عينا كما حملت حباب الراح كاس
كأنّ سوافر الغادات فيها ملائك همّها نظر وهمس
كأنّ براقع الغادات تهفو على وجناتها غيم وشمس
كأنّ مآزر العين انتسابا زهور لا تشمّ ولا تمسّ
اذا نشرت فريحان وورد وان طويت فنسرين وورس
عجبت لهنّ يجمعهن حسن ولكن ليس يجمعهن لبس

---

١) ديوان عبد الرحمن شكري ص ٦٥٢ - ٦٥٣ . هيلين : حسناء اغريقية كانت سببا في حرب طروادة .
٢) شيرين : حسناء فارسية .
٣) تاييس : ممثلة اغريقية بارعة .
٤) سيفو : شاعرة اغريقية اشتهرت بالغزل .
٥) اسبزيا : حسناء اغريقية اشتهرت في عهد بركليز أحد زعماء أثينا .
٦) الشوقيات ٢/٥٢ - ٥٤ .

لكن الجدير بالذكر أنّ هناك صورا بيانية على الرغم من جدتها تبدو غريبة وباهتة بعض الشيء ، ويكاد القارئ لا يستسيغها ، ويمكن أن نمثل لذلك بالصورة التي رسمها صالح الشرنوبي لامرأة مستلقية على الشاطئ ، يقول :

تجردت كالحلم العاطفي أو الفكرة الحرة الثائرة "١"

فزاد الصورة غموضا ، وأحالها من صورة محسوسة الى صورة معنوية بعيدة عن الذهن والواقع .

ومن الصور الغريبة الغامضة أيضا تشبيه أبي شادى وعد المحبوبة بالخيال ، والتي وعدها خيال بالشعر ، فقال :

الى التي وعدها في الحبّ أخيلة
كالشعر لكنها ما انضرت أملا "٢"

ونحس غرابة التشبيه أيضا في الصورة التي رسمها أبو شادي للنساء اللواتي يسبحن في الماء ، حيث أحال صورة المشبه التي هي " الأجسام العارية " بما فيها من حركة وحيوية الى صورة هيكل لا حياة فيه في المشبه به على الرغم أنه وصف الهيكل بأنه يشع نورا ونارا ، يقول :

هذي الجسوم العاريات هياكل للحبّ بين النار والأنوار "٣"

وهناك صور بيانية ولدت باهتة ، لا تهزّ وجدان القارئ ولا تثير فيه انفعالا ، فقد شبّه أحد الشعراء المحدثين المرأة بصحة الشعر الذي يخلو من الأقواء ، فغلب عليها الجانب العقلي :

هي صحة الشعر التي لو لم تكن معنا لأفسد شعرنا الاقواء "٤"

ومن ذلك أيضا تشبيه الأم بأنها صخرة الوادى ، فعلى الرغم من تقبل العقل لمثل هذه الصورة الا أن أنها لا تثير في القارئ انفعالا :

---

١) ديوان صالح الشرنوبي ص ٣١٥ .
٢) أشعة وظلال لأبي شادى ص ٥١ .
٣) من السماء ، لأبي شادى ص ٦٥ .
٤) أنيس الجليس ، السنة الثانية ، الجزء السابع ، يوليو/ تموز ١٨٩٩م ص ٢٧٥ .

هي صخرة الوادي اذا مازوحمت
في الشرّ وهي البانة الميلاء "١"

ويبدو أن حافظ ابراهيم أراد في بعض صوره أن يراعي الجو الذى يلقي فيه قصيدته ، ففي قصيدته التي ألقاها في حفل افتتاح مدرسة البنات ببور سعيد وصف الأم بأنها مدرسة وأستاذ للأساتذة ، وعلى الرغم من تقبل العقل لهذه الصور ، الا أنها كانت خالية من الحيوية ، وذلك في قوله :

الأم مدرسة اذا أعددتها أعددت شعبا طيّب الأعراق "٢"
الأم أستاذ الأساتذة الألى شغلت مآثرهم مدى الآفاق

على أن تشبيه الأم بأستاذ الأساتذة أو أستاذ الفلاسفة أو الصخرة كثرت في الشعر الحديث وشاعت ، فقد صوّرت أوليفيا عويضة الأم بأنها استاذ الفلاسفة وبأنها صخر دافع للرزيه في قولها :

الأم أستاذ الفلاسفة الأولى بقيت معارفهم ومنها النور "٣"
الأم صخر للرزية دافع بالمكرمات كما تشاء تسير

ومن الصور البيانية غير المستساغة تشبيه عبد الرحمن شكرى الحسناء بالعظام العارية من البهاء في قوله :

كلّ حسناء في لحاظي عظام عاريات من البهاء المنير "٤"

ومن التشبيهات الغامضة التي استعملها أبو شادى ، أنه شبّه فرح الطبيعة بفرح طفلته ، وبكاءها ببكاء الطفولة ، فزاد الصورة غموضا ، على الرغم من جدة التشبيه ، يقول من قصيدة له بعنوان " خلف الطبيعة " :

فرحت كفرحة طفلتي بأبوتي وبكت كما بكت الطفولة للهوى "٥"

---

١) أنيس الجليس ، السنة الثانية ، الجزء السابع ، يوليو/ تموز ١٨٩٩م ص ٢٧٦ .
٢) ديوان حافظ ابراهيم ١/٢٨٢ .
٣) فتاة الشرق ، السنة السابعة الجزء الأول ، ١٥ اكتوبر/تشرين أول ١٩١٢ ، ص ٢
٤) ديوان عبد الرحمن شكري ٢/١٨٠ .
٥) أطياف الربيع لأبي شادي ص ٢٧ .

واذا كان بعض الشعراء قد استعمل صورا باهتة أو غامضة بعض الشيء فان آخرين خرجوا في صورهم على المشاعر الدينية ارضاء للمدوحين ومبالغة في تمجيدهم ، ومن هؤلاء محمود ابو الوفا الذي وصف هدى شعراوي في معرض رثائه لها ، بأنها " سينا الهدى " وبأنه موسى ـ عليه السلام ـ وهو يناجي الله ، يقول :

وكأنها " سينا الهدى " وكأنني فيها " الكليم " غدا يناجي الله "١"

ومن ذلك أيضا أن أبا شادى شبه سعدا بما لاقى من مشاق بالنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وشبه زوجته صفية زغلول بأم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ وذلك في قوله :

أنت النبي شقيت وهي خديجة وكذا نجل مثيلة ومثيلا "٢"

على أن هناك شعراء آخرين انحرفوا في صورهم عن الذوق العام ، فقد جرت العادة عند الشعراء أن يشبهوا النساء بنساء مثلهن سواء في الجود أو رفعة المنزلة ، ولكن بعض الشعراء المحدثين آثروا أن يخلعوا على بعض النساء في عصرهم صورا كانت مقصورة على الرجال ، ومن ذلك أن محمد الأسمر شبه هدى شعراوى بهارون الرشيد وبيتها ببغداد ، وذلك في قوله :

بغداد عادت فهي دار هدى شعرا ونثرا وهدى هارونها "٣"

ويبدو أن شعور الأسمر بما طرأ من تغيير على المرأة السافرة وميلها الى تقليد الرجل فيما لا يحسن تقليده فيه ، فبعد أن كان الشعراء يشبهون الرجل بالأسد ، دفع الأسمر الى تشبيه هدى شعراوي بأسد الغابة الذي يذود عن أشباله ، وذلك في قوله :

فكنت أمام الظلم ضيغم غابة
يذود عن الأشبال من جاء عاديا "٤"

---

١) شعري ، محمود أبو الوفا ص ١٨٤ .
٢) مصريات ، لأبي شادى ص ٤٧ .
٣) ديوان الأسمر ص ٢٧٦ .
٤) المرجع نفسه ٦٤٨

وليس هذا كل مايؤخذ على صور الشعراء المحدثين ، بل ان هناك صورا عندهم اتسمت بعدم الدقة ، ومن ذلك أن الأسمر شبّه النساء بالأغصان في قوله :

مشت غانيات اليوم فوق رؤوسها
على الشعر المقصوص بيض العمائم "١"
خطرن بها مثل الغصون تمايلت
بأزهارها من كلّ أبيض ناعم

فقد شبّه الغانيات المتبخترات وفوق رؤوسهن على الشعر المقصوص بيض العمائم بأغصان تمايلت بأزهارها البيضاء الناعمة ، وعدم الدقة واضح من أن الأزهار لا تكون في رأس الغصن وانما قد تكون على جانبي الغصن أو قبل الرأس .

على أن بعض الصور البيانية في الشعر الذي تناول قضايا المرأة لم تخل من اسفاف ، ومن ذلك الصورة التي رسمها علي الجندي لنفسه ، وتمنى فيها أن يكون كلبا عند فتاة افرنجية اعجب بها ، وقد صوّر نفسه " جرو هراش " يسعى اليها ، يقول :

ياليتني كنت ياصحابي " كلبها "
عند رود ريّا المخلام كعاب "٢"
من بنات الفرنجة الغيد يحلو
في هوى مثلها الصّبا والتصابي
......
جاء يسعى اليك " جرو هراش "
وهو - لو تعلمين - ضرغام غاب

وعلى الرغم من الأمثلة التي عرضناها ، نلاحظ أنه كلما ابتعد الشاعر عن المواقف الخطابية والمناسبات العامة ، وخلا الى نفسه يتأمل ، كثرت

---

١) المرجع نفسه ٣٥٣
٢) أغاريد السحر ، علي الجندي ص ٢٥٦ - ٢٥٨ .

الصور البيانية في شعره ، وازدادت جمالا ، خذ مثلا شعر شوقي وحافظ ، ففي قصائدهما التي ألقياها أمام الجماهير نلاحظ أن الصور البيانية قليلة ، أما القصائد التي نظماها بعيدا عن هذا الجو فقد أبدعا فيها صورا جميلة وجديدة ؛

والى جانب ما أبدعه المحدثون الذين تناولوا قضايا المرأة من تشبيهات واستعارات ومجازات ، نلاحظ أنهم أبدعوا كنايات جديدة لم تكن معروفة من قبل ، حيث انتزعوا هذه الكنايات من واقع عصرهم وبيئاتهم ، ومن ذلك أنّ أبا شادي كنى عن المال بقوله : ((مانثر المعزّ)) والمعروف أن المعزّ لدين الله الفاطمي نثر الذهب على رؤوس الناس عندما دخل مصر ، وقد أشار أبو شادي الى ذلك في قصيدته " الزوجة الطائشة " ، يقول :

وطلبت " مانثر المعزّ " وان يكن أولى بأبقاء لعهد بنيك "١"

وكنى محمد عبد المطلب في سخرية عن الانجليز بـ " أبناء الحضارة " ، وهذه الكناية لم تكن معروفة من قبل ، يقول :

مابال " أبناء الحضارة " أوغلوا في أرض مصر نكاية ونكالا "٢"

وكنى حافظ عن السافرة " بحاسرة اللثام " في قصيدته التي هنّأ فيها عبد الحميد الثاني بعيد جلوسه ، فقال :

أهلا " بحاسرة اللثام " ومن اذا سفرت عنا لجمالها القمران "٣"

وكنى حافظ أيضا عن سنة ١٩١٩م " بالسنة السوداء " لكثرة ماذاق فيها المصريون من مشاق على أيدي الانجليز ، فقال :

وفي " السنة السوداء " كنتنّ قدوة
لنا حين هال الموت بالمهجات "٤"

---

١) الشفق الباكي ، لأبي شادى ص ١٢٧ .
٢) ديوان عبد المطلب ص ١٩٣
٣) ديوان حافظ ١/ ٤٨
٤) المرجع نفسه ١/ ١٣٢

وأكثر حافظ من الكنايات في قصيدته التي استقبل بها " الامبراطورة أوجيني " عندما زارت مصر للمرة الثانية متنكرة ، وكانت قد زارتها في المرة الأولى عندما دعاها الخديوي اسماعيل ، لحضور حفلة افتتاح قناة السويس التي أقامها على شرفها ، وكانت زوجة للامبراطور نابليون الثالث الذي طلقها فيما بعد ، فكنى حافظ عن يوم الافتتاح " بيوم القنال " ، وكنى عن الامبراطورة أوجيني " بربة التاج وشمس المهرجان " وكنى عن اسماعيل بكنايات عديدة ، أكثرها جديدة ، يقول :

أين يوم القنال ياربّة التاج
ويا شمس ذلك المهرجان ؟
أين مجري القنال أين مميت ال
مال أين العزيز ذو السلطان ؟
أين هارون مصر ، أين أبو الاشـ
بال ، أين العزيز ذو السلطان ؟
أين ليث الجزيرة " ابن علي "
واهب الألف مكرم الضيفان ؟

— ٩ —

ومن الظواهر التي يلاحظها الدارس في القصيدة الحديثة التي تناولت قضايا المرأة ، أن الشعراء المحدثين استعملوا صيغ القسم ، وأكثروا من الاستفهام والتعجب ، وكثرت في شعرهم صيغ الأمر والنهي والنداء ، حتى أصبحت تلفت النظر ، وهذا يعني أن الشعراء المحدثين أصبحوا يميلون الى استعمال الجملة الانشائية الى جانب الجملة الخبرية .

أما بالنسبة لصيغ القسم ، فمع استعمالهم للصيغ المعروفة منها عند القدماء الا أنّ بعضهم أبدع صيغا لم تكن معروفة من قبل ، وتدل هذه

---

١) المرجع نفسه ٢/ ١٤ - ١٦

الصيغ على عدم اهتمامهم بمخالفة هذه الأيمان للقيم الدينية ، فقد أقسم علي محمود طه بالخمر والنساء ومجلس الشعر ورحلته الى أوربا ، وذلك في قوله :

حلفت بالخمر والنساء ... ومجلس الشعر والغناء "١"
ورحلة الصيف في أوربا ... وسحر أيامها الوضاء

وأقسم محمود أبو الوفا بوجه هدى شعراوى وحسن طلعتها وبهائها ، لأنه لا مثيل لها على حد تعبيره ، يقول :

أهدى ومن كهدى حلفت بوجهها ... وبحسن طلعتها ونور بهاها "٢"

وأما صيغ الاستفهام المختلفة فقد استعملها شوقي مرات عديدة في أبيات قليلة ، حيث يقول من قصيدة له بعنوان " زينب المتطوعة في معركة " :

فقلت : من الحامي ؟ أليث غضنفر
من الترك ضار ، أم غزال مربب ؟ "٣"
أم الملك الغازي المجاهد قد بدا
أم النجم في الآرام ، أم أنت زينب ؟

ولو اطلع القارئ على ديوانه ، لوجد أنه أكثر من صيغ الاستفهام والنداء في معظم قصائده ، التي تتناول فيها المرأة ، أنظر الى قصيدته عبث المشيب :

ظلم الرجال نساءهم وتعسفوا ... هل للنساء بمصر من أنصار ؟ "٤"
يامعشر الكتّاب ، أين بلاؤكم ؟ ... أين البيان وصائب الأفكار ؟
أيهمكم عبث وليس يهمكم ... بنيان أخلاق بغير جدار ؟

كما أكثر شوقي من استعمال صيغ الأمر والنهي ، انظر الى قصيدته " مصر تجدد نفسها بنسائها المتجددات " ، تجد أن القصيدة لا تزيد

---

١) ديوان علي محمود طه ص ٣١٩ .
٢) شعرى ، محمود أبو الوفا ص ١٨٣ .
٣) الشوقيات ٤٨/١ .
٤) المرجع نفسه ١٢٩/١ ، وانظر ١٧٦/١ .

عن كونها أوامر ونواه وتقريرات ، يقول :

قم حيّ هذي النيـــرات   حيّ الحسان الخيرات "١"

واخفض جبينك هيبـــــة   للخـــرّد المتخفرات

لا تلغ فيه ، ولا تقـــل   غير الفواصل محكمات

ولم يختلف شعر حافظ عن شعر شوقي في هذا المجال ، فقد أكثـــر حافظ من صيغ الاستفهام أيضا ، حيث كان يبدأ بعض قصائده بهـــذه الصيغ ، انظر الى قصيدته " رعاية الأطفال " تراه يبدأها بسلسلة مـــن صيغ الاستفهام والتعجب ، فيقول :

شبحا أرى أم ذاك طيف خيـــال

لا بل فتاة في العراء حيالي ؟ "٢"

ماخطبها ، عجبا وماخطبي بهـــا

مالي أشاطرها الفجيعة مالـــي ؟

وسألتها : من أنت ؟ وهي كأنها

رسم على طلل مـن الأطلا ل ؟

وكما اعتمد شوقي على صيغ الأمر والنهي اعتمد حافظ أيضا ، يقـــول في قصيدته " مدرسة البنات ببورسعيد " :

فتوسطوا في الحالتين وأنصفــــوا

فالشرّ فـي التقييد والاطـــلاق "٣"

ربّوا البنات على الفضيلة انهـــا

في الموقفين لهنّ خير وثـــاق

وعليكم أن تستبين بناتكـــــم

نور الهدى وعلى الحياء الباقـي

---

١) المرجع نفسه ١/١٠٢ .

٢) ديوان حافظ ١/٢٧٥ . وانظر بعض صيغ النداء في قصيدة حافظ التي رثى فيها باحثة البادية ، ديوان حافظ ٢/١٩٥ .

٣) المرجع نفسه ١/٢٨٣

ولم يكن الاكثار من هذه الصيغ حكرا على شوقي وحافظ ، بل ان جماعة الديوان الذين حاولوا الخروج على الطريقة التقليدية في نظم القصيدة ، لم تخل قصائدهم من هذه الصيغ ، فقد أكثر عبد الرحمن شكري من صيغ الاستفهام والأمر والنداء في القصائد التي تناول فيها المرأة ، يقول في قصيدته " الزوجة الغادرة " :

لا تعد لي ذكر الغواني فانسي
لم أكن عند ذكرها بجليد "١"

أي شيء أصمى صباك بسهم
فأراك الجديد غير جديد

......

عش بخير ولا يضرّك يأسي
انّ يأسي على الحياة نصيرى

يا ابن أمي ، ومن أرجّي له عيـ
ـشة مستجمع الهوى مجدود

وعلى الرغم من أن العقاد وشكري لم ينظما الشعر كي يلقى أمام جمهور من الناس أو في احتفالات ومناسبات عامة ، كما فعل شوقي وحافظ ، كثرت صيغ الأمر والنهي والاستفهام والنداء في شعرهما ، يقول العقاد في وصف السابحات من النساء على " شاطيء استانلي " :

ياويح قلبك من هدف بين الأناقة والطرف "٢"
قف في عبورك غير مأمو ر ومن يحبر وقف
حيّ الجمال كما بدا أولا ، فدونك والجيف
ياويح قلبك من هدف بين التعلل واللهف

وكما كثرت هذه الصيغ عند جماعة الديوان ، كثرت كذلك عند جماعة أبولو ، وكان أبو شادي أشهر شعراء أبولو وأغزرهم انتاجا ، يكثر من استعمال هذه الصيغ في شعره الذي يتحدّث فيه عن المرأة ، ففي قصيدته " القلب المتفجر"

---

١) ديوان عبد الرحمن شكري (لآلىء الأفكار) ٢ / ١٨٠

٢) ديوان العقاد ٥ / ٤٢٦ - ٤٢٨

التي خاطب فيها احدى العاملات في التمثيل استعمل صيغ الاستفهام والنداء والأمر والتوكيد ، حيث يقول :

سمعت ثكاتك ياغانيــــــة ... وضحكتك الحلوة العانيــــة "١"
فهل كنت الا فؤادي الكليم ... تفجّر بالأدمع القانيــــة ؟
أعيدي عليّ حديث الشجون ... وقصّي مصارعها الباقيــــة
أعيدي أعيدي الهوى والعذاب ... عليّ فأحياهما ثانيــــة

وأحيانا تتوالى عنده بعض صيغ الاستفهام ، كقوله من قصيدته التـــي رثى فيها زوجته :

أين ابتسامتك الشذية بالمنى ... والنور حين أهيم في الظلماء ؟ "٢"
أين ابتداعك للحديث تفنننــا ... وتسلسلا يغني عن الندمــاء ؟
أين اغتباطك بالمروءة والندى ... والعطف والغفران والاسداء ؟

هكذا تبدو الروح الخطابية واضحة وضوحا تاما في الشعر الذي تحدّث عن المرأة ، لأن الشعراء كانوا يوجهون قصائدهم الى جمهور الحاضريـن مباشرة من خلال المناسبات الاجتماعية ، أو من خلال الصحف والمجلات، وهذا يعني أن الشاعر عندما كان ينظم قصيدته ، كان يضع في حسبانـــه من يقرأون شعره ، أو يستمعون اليه ، ولو كان الشعراء معنيين بالتعبيـــر عن مشاعرهم الذاتية فقط ، دون أن يتأثروا بمن حولهم لما شاعت مثل هذه الصيغ في شعرهم بهذه الكثرة .

— ١٠ —

بعد هذا العرض لخصائص الشكل ننظر في خصائص المضمون مـــن معان وعواطف ، أما المعاني فيبدو من استقرائها أنها تنوعت الى دينيــة وغير دينية ، قديمة وجديدة ، سامية ومبتذلة ، صادقة وكاذبة ، وغنـــي

---

١) الينبوع ، لأبي شادى ص ٦٠ .
٢) من السماء ، لأبي شادى ص ٨٩

عن القول أن اصطراع الفكر بين القديم والجديد كان من وراء هذا التنوع الى حد كبير .

أما المعاني الدينية فكانت من أكثر المعاني بروزا في شعر الشعراء المحافظين ، فأحمد محرم حين هاجم دعوة قاسم أمين عدّها خروجا على القيم الاسلامية ، وأنها دعوة لاستباحة خدور النساء وهدم لأركان الاسلام وأخلاق معتنقيه ، يقول :

سلام على الأخلاق في الشرق كلــــه
اذا ما استبيحت في الخدور الكرائم "١"
أقاسم ، لا تقذف بجيشك تبتغــــي
بقومك والاسلام ما الله عالــــم
لنا من بناء الأولين بقيـــــــة
تلوذ بها أعراضنا والمحــارم

واتخذ محمد عبد المطلب من الدين دليلا على صحة ماذهب اليه من محاربة للسفور وابقاء للحجاب ، حيث عدّ السفور خروجا على ماورد في القرآن والسنة من حض على التمسك بالفضيلة وعدم اظهار المفاتن ،

أهي التي فرض الحجـــا ب لصونها شرع الرســول "٢"
جعل الحجاب معاذهـــا من ذلك الداء الوبيـــل
يامنزل القــرآن نـــو را للبصائر والعقـــول

وظهر أثر الدين واضحا في قصيدة شوقي ، التي حثّ فيها النســاء أن يحذرن التقليد الأعمى للغرب ، وأن يتخذن من الكتاب والحديث وسيرة السلف الصالح ونساء المسلمين نبراسا لهن يهتدين به في نهضتهن النسائية ، يقــول :

---

١) ديوان أحمد محرم ٢ / ٦٣ - ٦٤ .
٢) ديوان عبد المطلب ص ١٨٦ .

خذ بالكتاب وبالحديث وسيرة السلف الثقات "١"

....

هذا رسول الله ، لم ينقص حقوق المؤمنات

العلم كان شريعة لنسائه المتفقهات

كانت سكينة تملأ الدنيا ، وتهزأ بالرواة

روت الحديث وفسّرت آي الكتاب البينات

وحضارة الاسلام تنطق عن مكان المسلمات

وهذه باحثة البادية ترجع في الحكم على السفور الى رأي الأئمة السابقين ، حيث تقول :

أما السفور فحكمه في الشرع ليس بمعضل "٢"

ذهب الأئمة فيه بين محرم ومحلل

ويجوز بالاجماع منهم عند قصد تأهّل

واتخذ القاياتي من المعاني الدينية التي يؤمن بها المجتمع المصري وسيلة لتذكيرهم بضرورة منع الفتيات من الاختلاط بالشباب في المتنزهات ، لما يجرّ عليهن ذلك من خسران وخزي ، وقد دفعه الى ذلك شعوره بأن الدين النصيحة :

ألا فاخزنوا الدرّ الهديد يسرّكم

فلم أر قطّ الدّر غير خزين "٣"

....

جدير بكم أن تتبعوا الدين انّه

قمين بصح الدّاء أيّ قمين

لكم دين نصح قد مددت به يدا

قضيت بهذا النصح كل ديوني

وكان محمد صادق عرنوس من أكثر الشعراء المحدثين في مصر تمسكا بالقيم الدينية ، ولو تتبعنا شعره ، لوجدنا أن أكثر معانيه نابعة من الدين ،

---

١) الشوقيات ١/٣٠١

٢) النسائيات ، باحثة البادية ١/١٤٩

٣) ديوان حسن القاياتي ١/١١

فمثلا عندما يتعرض لقضية البغاء ، لا يقف منها موقف شعراء أبولو ، ولا يبرر سلوك البغي ، ولا يكتفي بأن يجعلها ثعبانا يلدغ الفضيلة ، بل يرى أن القوانين المدنية المعمول بها هي التي تتيح لها أن تتاجر بجسدها ، وأن الحلّ الأمثل لهذه المعضلة لا يكون الا بالعودة الى تطبيق الحدود الشرعية ، وينعي على المسئولين اغلاقهم باب الأمر بالمعروف ، مما أدى الى انحطاط كرامة الدين في مصر التي تدّعي الاسلام :

....

عقوبة الشرع في التأديب كافيــة

فجدّدوا عهده تحظوا بأخـــلاق "١"

.....

الله أعلم منا حين حرّمـــــــه

وحين أوعد نارا ذات احـــراق

قد ضيقوا حكمة للـه واسعـــــة

عن الزنا وأحاطوها بأطــــوا ق

.....

باب التناهي الذي أوصى الكتاب به

الناس قد أغلقوه أيّ اغــــلا ق

.....

مصر التي تدّعي الاسلام قد رضيت

أن يصبح الفسق معروضا بأسوا ق

على أن هناك شعراء آخرين خالفوا هذه القيم ، وسعوا الى احلال غيرها محلها ، فمثلا دعا صالح الشرنوبي الى عدم التقيد بحدود الدين في نهضة المرأة المصرية ، وعدّ من يضعون قيودا على حرية المرأة جهلاء ، لأن الحياة في رأيه انطلاق من كل قيد ، وعنده أن من يتخذ حجته من الدين جاهل ، يقول :

أقيودا والكائنات انطلاق ؟ أم ركودا والعالمون اضطرام ؟ "٢"

أم يقولون : ان للدين حدا تحطم الحرب دونه ـ والخصام

---

١) الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٥٠ ، ٦ يونيو/حزيران ١٩٢٩ ص ٤

٢) ديوان صالح الشرنوبي ص ٥٥٢ .

وهو الدين حجة الجهل ان خا ر ... وأعيا بيانه الافهام

ورأى محمود أبو الوفا في الدين عقبة تحول بين المحبين ، ولهذا طالب النصارى والمسلمين أن يعودوا الى رشدهم ، وأن يتزاوجوا معا ، وألا يبقى النصارى والمسلمون منعزلين بعضهم عن بعض ، هؤلاء في كنائسهم ، وهؤلاء في مساجدهم ، لأنهم جميعا من آدم ، وهو يرفض أن تفرّق العقائد بين القلوب ، ويرفض تحكيم قواعد الدين في الحياة الاجتماعية ، يقول من قصيدة له بعنوان " من الأعماق " :

ماللنصارى في كنا ئس والحنائف في مساجد "١"

ما للرواشد مالهم لا يصهرون مع الرواشد

أو ليس آدم واحدا أو ليس دين الله واحد

لم لا يكون الحبّ وهو الأصل رائد كل رائد

من فكّ بين عرى القلوب وشدّ من عقد العقائد

....

جعلوا قواعد للحياة ، هل الحياة لها قواعد

وانظر الى عبد الرحمن بدوي ، وهو يصور رفضه لحياة الطهارة ، ويحاول أن يشبع غريزته الجنسية من أي طريق كان ، ولا يهمه بعد ذلك أن يكون مسلكه مخالفا للدين والقيم أو موافقا لها ، يقول في وصف بهيميته التي قادته الى طرق الشّر :

سئمت نفسي من الزهد ومن دعوى الطهارة "٢"

......

فتشوقت الى الشرّ وفي الروح مراره

......

لم أدع بنت عفاف لا ولا بنت عهاره

لي على كل فتاة بالمنى والعين غاره

والى الشهوة أسعى باذلا كلّ مهاره

وعبّر طانيوس عبده عن عدم اقتناعه بما جاء في الكتب السماوية حين

---

١) شعري ، محمود أبو الوفا ص ٥٦ - ٥٧ .

٢) مرآة نفسي ، عبد الرحمن بدوى ص ٢٤ - ٢٥ .

جعلت الأزواج قوامين على نسائهم وادّعى أن لهذه السلطة التي أقرتها الأديان معنى آخر ، لكنه لم يبينه ، حيث يقول :

الله صيّر كل زوج حليلة ورأسا لها في معظم الا... "١"
يا أيها الأزواج لا تغرركم هذي الرياسة فهي بنت ثوان
لا تأخذوا قول الكتاب بنصه فلسلطة الأزواج معنى ثاني

على أن اعتناق بعض الشعراء لمذاهب أدبية جديدة جعلهم يعدون المرأة رمزا للألوهية ، ويدعون في شعرهم الى تقديسها وعبادتها ، وكان أبو شادي على رأس هذا الرهط من الشعراء ، يقول :

المرأة الدنيا بحال واحد في صورة الاحسان والحرمان "٢"
أخذت عن الأبد القصي ألوهة وتعيش مفصحة عن الديـ...ن

ويبدو أن أبا شادي كان يؤمن بمذهب وحدة الوجود ، ويرى في المرأة مظهرا من مظاهر هذه الوحدة :

ومثّلت لي أنت الحياة جميعها فشاهدت فيك الله روحا ...بدا "٣"

ثم لم تكن المعاني الدينية وحدها مجال الصراع بين المؤيدين والمعارضين ، بل كانت المعاني الخلقية كذلك ، لأننا نجد كثيرا من الشعراء يلتزمون بالقيم الخلقية والاجتماعية التي سادت المجتمع المصري ، ويدافعون عنها ... الحرص على بقاء المرأة في البيت ، لتقوم بواجبها نحو أسرتها وبيتها ، وكانت باحثة البادية ممن دافعوا عن هذه القيم في قولها :

مجد الفتاة مقامها في البيت لا في المعمل "٤"
كم خدمة يقضي نظام البيت ان لم تعملي
من للوليد يعينه في لبسه والمأكل

---

١) ديوان طانيوس عبده ص ٢٩ .
٢) أطياف الربيع ص ٤٦
٣) الكائن الثاني ، لأبي شادى ص ٨
٤) النسائيات ، باحثة البادية ١/ ١٤٨ .

وكان الحفاظ على الحجاب من القيم التي يحافظ عليها المجتمع ، ويعترض على أية محاولة لا زالته ، وكانت عائشة التيمورية من أوائل الذين دعوا الى المحافظة عليه ، وافتخرت به ، ورفضت زعم القائلين بأنه يعيق تقدم المرأة ، وذلك في قولها :

بيد العفاف أصون عزّ حجابي وبعصمتي أسمو على أترابي "١"

.....

ماعاقني حجلي عن العلياولا سدل الخمار بلمتي ونقابي

وكانت المحافظة على العرض والحرص على ألا يمس بسوء من أهم القيم الخلقية ، التي كان التفريط فيها يعدّ جريمة كبيرة ، ولم يكن المجتمع يعترف باقامة علاقات ودّ قبل الزواج ، يقول نقولا رزق الله على لسان فتاة أراد مغرم أن يتصباها ، فأجابته :

غير مطرود تجنبني واذكر مغنما قد فزت منه بالا ياب "٢"

أنت تبغي قرب عذراء ترى من دون ماترجوه ضربا للرقاب

وزواج المرء أولى من غرام فيه معنى زلة أو ارتياب

وكانت مراعاة القيم الخلقية والاجتماعية من أهم الأمور التي حرص الشعراء على مطالبة المرأة بها ، فقد كان ستر الرأس وغض البصر ، وطاعة الزوج من أهم صفات المرأة في نهاية القرن التاسع عشر ، يقول نجيب لانقاني :

يا ابنة الفضل ان خرجت لحي فاستري الرأس كشفه كان عارا "٣"

واذا مرة مررت بقوم فاكففي اللحظ حشمة ووقارا

ولكي تحسني بأعين زوج وتحوزي ثناه والاعتبارا

لا تروم رضاء شخص سواه فرضاء القرين يكفي افتخارا

وكان الشعراء يعدون الرقص خروجا على القيم الخلقية والاجتماعية المرعية في تلك الحقبة ، فحاربوا هذه البدعة الجديدة ، وحذّروا من مغبة الانجراف

---

١) حلية الطراز ، عائشة التيمورية ، ص ٢٦٥ .

٢) أنيس الجليس ، السنة الثانية ، الجزء الرابع ، ٣٠ ابريل/نيسان ١٨٩٩م ، ص ١٤٧ .

٣) الهلال ، السنة السادسة ، الجزء الحادي عشر ، فبراير/ شباط ١٨٩٨م ص ٤١١ - ٤١٢ .

وراء مظاهر التقليد الأعمى التي أدخلها الأوروبيون معهم ، ومن هؤلاء الياس فرحات :

يا أيها الناس ان كانت ضمائركم
تأبى الخداع وماترضى بتسخير "١"
قولوا لكلّ أب في الشرق محتشم
أنّ المراقص أبواب المواخير

لكن هذه القيم الخلقية القديمة لم تعد تراعى من قبل الشعراء جميعا ، بل أنّ بعضهم حض على اهمالها ، وتشبث بقيم جديدة مستوردة ، فاذا كان بعض الشعراء يعد كشف الرأس أو النظرة الخاطفة من قبل الفتاة أمرا يجرح كرامتها ، فان آخرين من دعاة التقليد لم يروا بأسا في عري النساء على الشواطيء ، بل رأوا فيه معنى ساميا يجلّ عن الوصف ، يقول علي علي الغربي في وصف مصيف رأس البرّ ، وقد أعجبه منظر السابحين والسابحات ، وقد جلسوا معا ، أو انفرد كل شاب بفتاة :

وان يجيء ذاك الأصيل الذي	يشرحنا من وقته الأسعد "٢"
اذن ترى الجنسين في مشهد	تجلّه في الشكل عن مشهد
فأغيد يرنو الى غادة	وغادة ترنمو الى أغيد
تروح هذي مع رفيقاتها	وذاك مع اخوانه يغتدي
وتلك مع هذا جلوس وذا	يسير مع تلك يدا في يد
للشاطيء الأقرب هذا مشى	وهذه للشاطيء الأبعد
مرأى يزيد النفس من أنسها	وأمس مثل اليوم مثل الغد

ويبدو أن تقبل بعضهم لمثل هذه القيم الجديدة ، قد أداهم الى الخروج على أهم قيمة اجتماعية في تلك الحقبة ونعني بها الزواج ، فقد دعا داود حبيب الشباب الى العزوبة ، وحذّر من مغبة الاقدام على الزواج ، يقول :

---

١) الفتح ، السنة الثانية ، العدد ٥٥ ، ٢٨ يوليو/ تموز ١٩٢٧ ص ٤

٢) أنيس الجليس ، السنة الثامنة ، الجزء السابع ، ٢١ يوليو/ تموز ١٩٠٥ ص ١٩٨ - ١٩٩ .

أيا سائرا في سبيل الـــزواج رويدك قف قبل نقل القدم "١"
وحاذر فان وثاق الــــزواج محط الشقاء ومهد الألـــم

مما اضطر المرأة أن تكون طالبة بعد أن كانت مطلوبة ، يقول الماحي :

ويحي من الغيد ان حدثني كرمـــا
فما يردن سوى القربى لأبنائـــــي "٢"

على أن انتشار القيم المتأثرة بالحضارة الغربية أتاح للشعراء أن يعبّروا في شعرهم عن معان جديدة ، فبعد أن كان مجرد التلفظ باســـم امرأة في نهاية القرن التاسع عشر يسبب لها متاعب لا حصر لها ،أصبحـــت تتقبل التهاني من الشعراء في مناسبات مختلفة وتجزل لهم العطاء ، خصوصا النساء اللواتي كان لهنّ نشاط ملموس في الحياة الاجتماعية ، حيث أسبغـــوا عليهن صفات تدل على أنهن بدأن ينافسن الرجال في قيادة المجتمـــــع وتوجيهه ، وجعلوا منهن مثلا أعلى للرجال ، عليهم أن يقتدوا بـــه ، ومدحوهن بصفات كانت تختص بالرجال وحدهم ، والواقع أن هذه المناقب لو مدحت بها النساء من قبل لعدت ذما لهن ونقيصة في حقهن وجرحـــا لأنوثتهن ، وهذا يعني أن الشعراء عبّروا في مديحهم للنساء عن معانـــي جديدة ، يمكن أن نطلق عليها ((ظاهرة استرجال المرأة)) ، فهـــي أسد مرة ، وأب أخرى ، وقلبها قلب فحل ثالثة ، وهمتها همة فتيان ، وحزمها حزم رجال .

---

١) الهلال ، السنة السادسة والعشرون ، الجزء العاشر ، يوليو/ تموز ١٩١٨م ص ٨١١ .

٢) ديوان الماحي ص ٢٥٤ . وراجع في نفس المعنى قصيدة عبد الله بكري التي يصف فيها محاولة الفتيات التقرب للشباب أثناء السباحة . أبولو ، سبتمبر / ايلول ١٩٣٢م ، العدد الأول ص ١٩ .
وانظر قصيدة حسن الصيرفي التي يصف فيها امرأة ترجو هاجرهـــا أن يفتح لها الباب ، بعد أن أغلقه في وجهها ، صدى ونور ودموع ص ١١١ .

أثنى علي الجندي على صفية زغلول ، ورأى أنها نجحت في قيادة الأمة بعد نفي سعد أكثر من الرجال ، ولهذا فهو يدعو المصريين أن يقيموا لها مراسم وداع ، وهكذا أصبحت المرأة تستقبل وتودع ، يقول :

قف فودّع أم الكنانة فالتو   ديع فرض عليك مثل الصيام "١"
قمت بالأمر من بعد سعد على الرغ   م من العاديات حقّ القيام
وشأوت الرجال في حلبة السب   ق وجلّيت في مجال الصدام

وأثارت شخصية صفية زغلول معاني جديدة لدى نهوية موسى ، فجعلتها كعبة للمعالي ، ومثلا أعلى يفتديه المصريون بأنفسهم ، تقول :

فابق فينا للمعالي كعبة   وجعلنا من أذى الدهر فداك "٢"

ووصفها أبو شادي بالاقدام ، وأنها ملهمة ، ولهذا فهي أحق الناس بالسعي لتوحيد الصفوف :

يا أم مصر ويا صفية سعدها   من ذا سواك أحقّ بالاقدام "٣"
ولديك منبعها السليم وحسبنا   أن نستقي من ذلك الالهام

ووصف محمد الأسمر هدى شعراوي بأنها رجل ، بل أسد ، وبأنها تبني الرجال ، وغيرها من النساء يبنيها الرجال ، يقول :

ان صحت المرأة كانت رجلا   بل أسدا وخدرها عرينها "٤"
تلك التي كم أنشأت من رجل   وغيرها الرجال ينشئونها

وعبّر العوضي الوكيل عن اعجابه باحدى النساء ، لأنها أعطيت قلب فتى فهل يروم المشاق ، فهل يعني قبول المرأة بمثل هذا الاطراء أنها تخلت عن أنوثتها ؟

أعطى لها الرحمن قلب فتى   فهل يروم المركب المسرا "٥"

---

١) أغاريد السحر ، علي الجندي ص ١٥٥ - ١٥٦
٢) ديوان نهوية موسى ١ / ٣١
٣) فوق العباب ، لأبي شادي ص ٧٠ - ٧١
٤) ديوان الأسمر ص ٢٧٥ - ٢٧٦
٥) أبولو ، العدد السادس ، فبراير/ شباط ١٩٣٤م ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

ولم يكتف الشعراء بذلك ، بل أصبح بعضهم يقدّم ديوانه للمرأة هدية متواضعة ، فقد رفض نجيب الحداد أن يقدم ديوانه لأحد من الرجال ، لأنهم لا يمثلون الرجولة الحقة ، وقدّمه لصاحبة مجلة أنيس الجليس " الكسندرا افرينوه " لأن لديها همم الرجال وحزمهم ، يقول :

هم الرجال لهم شكل الرجال اذا
بدوا ، وان نطقوا أقوال صبيان "١"
وأنت غادة خدر قد جمعت لنسا
حسن الفتاة الى همات فتيان
.....
أهديك شعري فأهدى في مجانسة
غصن البيان الى غصن من البان

ومثله في هذا الافراط محمود أبو الوفا في قصيدته " الزعيمة الأولى " التي رثى بها هدى شعراوي ، حيث ذكر توسل الكثيرين بها ، ووصولهم عن طريقها الى أكثر مما كانوا يتمنون ، وهؤلاء لو قضوا حياتهم صائمين مصلين لما استطاعوا أن يؤدوا لها حقا ، ولم يكتف بذلك ، بل جعلها ملكا من الملائكة النورانيين ، وأنّ لها قصرا مشيدا في أعلى عليين ، يقول :

فقوم بها نالوا أمورا بعيدة — وقوم بها طالوا الذي كان أبعدا "٢"
هم اليوم لو صاموا وصلّوا وبالغوا — فمدّوا لها سبّابتيهم تشهّدا
لما خلتهم أدوا عليهم حقوقها — ولا بلغوا معابهم بلغت مدى
الى الأرض لا ، لا تنسبوها فانها — من النور كانت كالملائك مولدا
اذا لم تشيدوا أيها قبرها — على قمة الأهرام حجا ومسجدا
فانّ لها في الخلد قصرا مشيدا — بقمة عليين درّا وعسجدا

على هذا النحو كان بعض الشعراء أبواق دعاية للمرأة ، أو متحمسين بلا هدف نحو دفعها الى تقليد المرأة الغربية ، دون أن يحددوا ماهو صالح للاقتباس ، وماينبغي تنحيته جانبا ، ويبدو أنهم فعلوا ذلك مجاملة لبعض

---

١) ديوان تذكار الصبا ، نجيب الحداد ص ٢ - ٣ .
٢) شعري ، محمود أبو الوفا ص ١٧٧ - ١٧٨

النساء اللواتي قدنّ الحركة النسائية ، أو لشعور بالنقص ، فقد عجّز بعض الشعراء عن استعدادهم لتلقف كل جديد صادر عن الغرب من غير تمحيص، حتى ينفوا عن الشرق تهمة التعصب للقديم أو الاقتباس منه ، لأنّ هذه التهمة أصبحت تؤرقهم ، يقول محمد عبد الغني حسن :

رمي الشرق متهم بالقديم يسلم فهات جديدك يامغرب "١"

وتصوّر آخرون أن الغرب لا يرضى منهم أن يتخلوا عن قديمهم الموروث فقط، بل يطالبهم أن يثبتوا له أنهم ماضون على نهجه ، ورأوا أنهم اذا فعلوا ذلك ، فسيعترف لهم الغرب ، بأنهم يسيرون على طريق الرقي ، يقول حسن الحطيم مادحا هدى شعراوي :

هيا اعلي أنت الرئيـ ـسة ياهدى أنت الامامه "٢"

هيا أثبتي للغـرب أنّ الشرق يستقصي نظامه

يجرى على سنن الرقيّ ليستردّ به مقامه

ورأى محمد الهراوى أن تصرفات نساء الغرب لم تعد مجرد مثل أعلى تطمح نشاء مصر في تقليده ، بل أصبحت أدلة دامغة على صحة ماذهبت اليه نساء مصر في خروجهنّ على التقاليد :

ومن عاتب في حبّ مصر عقائلا طرحن قليلا للبلاد التحجبا "٣"

وقامت نساء الغرب يغلون في المنى فما قيل شططت في الأماني مذهبا

أكان عجيبا أن يقوم نساؤنا ولوهنّ لا زمن الخبا كان أعجبا

على أن روح المجاملة سادت كثيرا من القصائد التي كان الشعراء يطرون فيها على الممثلات والمغنيات ، أو يمدحون فيها الأميرات ، أو القائمات على النشاطات النسائية .

لكن على الرغم من هذا الهوس الذي أفسد المرأة ، وقف آخرون

---

١) من نبع الحياة ، محمد عبد الغني حسن ، ص ١٦١ - ١٦٢

٢) المصرية ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، ابريل /نيسان ١٩٣٧ م ص ٥

٣) المعرفة ، السنة الثانية ، يونيو/ حزيران ١٩٣٢ ، العدد ١٤ ص ١٩٢

في تقديرها عند حد الاعتدال ، وجاءت معانيهم تبعاً لاعتدالهم انسانية سامية ، ومن هذه المعاني الانسانية التي تستحق الخلود ، والتي لا تبلى مع طول العهد ، تلك المعاني التي عبّر عنها عزيز اباظة في رثائه زوجته ، من نحو قوله يعتذر لابنته عن اسرافه في البكاء ، في قصيدة له بعنوان - " نجوى " :

تقول ابنتي : أسرفت في البث والبكا
وأنت لنا اليوم الرجاء المخلّف "١"
فقلت : وهل باك على عدل نفسه
وقرّة عينه من المنهد مسرف
فقدت نعيم العيش لما فقدتها
وكنا معاً والعيش فينان مورق
. . . . . .
بنيّ اصبروا للخطب انّ شبابكم
يرقّه من قدح الجوى ويكفكف
لئن مدّ في عمري أمنتم ، وان أمت
فربكم أحنى عليكم وأرأف
أخاف عليكم ريب دهر يسوءكم
واني من اغفاءة الأهل أخوف

— ١١ —

وأما العواطف فتزداد أهمية في الشعر الغنائي والوجداني منه خاصة ، ذلك أن العاطفة هي التي تمنح الشعر صفة الخلود ، فالعلم الذي كان في زمن ابي الطيب مات وبقي شعره ، لأن العلم خاضع للعقل ، والعقل سريع التغير حتى في الانسان الواحد من صباه الى كهولته ، فقد يرى اليوم رأياً ثم يرجع عنه في غده ، أما العواطف فلا تتغير الا قليلاً ، وهي ثابتة في جوهرها عند جميع الأمم "٢" ، فعاطفة الحب مثلاً موجودة عند

---

١) أنات حائرة ، عزيز أباظه ، ص ٦٥ - ٦٧ .
٢) النقد الأدبي ، أحمد أمين ، ٢٢/١ - ٢٣

الأمم المختلفة ، وفي كل العصور ، وان اختلفت طرق التعبير عنها .

واذا كانت العواطف أساسا من أسس الشعر ، فما هي المقاييس التي يمكن أن نقدرها بها ؟ رأى بعض النقاد ان هذه المقاييس تتمثل في صدق العاطفة وقوتها واستمرارها وتنوعها وانسانيتها " تساميها أو ضعتها . "١"

وسنحاول في ضوء ذلك أن نتبين انفعالات الشعراء المحدثين وعواطفهم المختلفة نحو المرأة ، وما أثارت لديهم من مشاعر عندما تناولوا قضاياها .

والواقع أن أول مايلفت انتباهنا في الشعر الذي تناول قضايا المرأة ، هو أن بعض هؤلاء الشعراء كان صادقا في التعبير عن رأيه ، لأنه كان مدفوعا بدافع الحرص على المرأة ، بحكم غيرته عليها ، وشعوره بالمسئولية نحوها ، ومن هنا كانت صيحات كثير منهم صادرة عن قلب متألم ، بسبب خروج المرأة عن جادة الصواب في لباسها وزينتها ، خصوصا وأنه يرى ماتفعله تمردا على القيم الدينية والخلقية ، التي كان يحترمها ويعمل على بقائها ، ومن هؤلاء باحثة البادية ، التي عبّرت عن مشاعرها بصراحة متناهية ، وكانت صادقة مع نفسها ، حين وقفت تعترض على من دعوا الى سفور المرأة ، دون أن تنال قسطا من العلم والأدب ، تستطيع بهما أن تواجه مصاعب الحياة ، وعدّت من يدعون الى السفور طغمة متملقين ، ويحاولون التسلق بالخديعة ، وأن مشاعر الحرص التي يبدونها نحوها ليست نابعة من قلوبهم ، ولهذا عبّرت في قصيدتها " رأي في الحجاب " عن خيبة أملها من هذا الصنف من الرجال :

---

(١) انظر النقد الأدبي لأحمد أمين ، ١/٣٠-٣٤ ، وانظر النقد التطبيقي والموازنات ، محمد الصادق عفيفي ، مكتبة الوحدة العربية ، الدار البيضاء ١٩٧٢م ص ٢٩ - ٣٠ . وانظر خليل مطران ، لجمال الدين الرمادي ص ١٧٤ - ١٧٥ .

أعملت أقلامي وحينا منطقـــي ... في النصح والمأمول لم يتحقق "١"

وظننت اخلاصي يفيد وهمتـــي ... تفضي بمن أشقى لهن الى الرقي

أكبرت نفسي أن يقال تملقـــت ... لا كان عيش يرتجـى بتملـــق

واذا تسلق بالخديعة كاتـــب ... يبغي بها العلياء لم أتملـــق

. . . . . .

هل تطلبون من الفتاة سفورها ؟ ... حسن ولكن أين بينكم التقي ؟

. . . . . .

لا تتقي الفتيات كشف وجوهها ... ولكن فساد الطبع منكم تتقـــي

. . . . . .

أرضيتمو عن كل شيء عندنـــا ... وخشيتمو أمر القناع اذا بقـي ؟

وهكذا وصفت الباحثة مشاعر الخوف والقلق التي ساورتها ، من جـــراء المحاولات الدائبة التي كان يقوم بها أنصار السفور .

وكان أحمد محرم من الشعراء القلائل الذين التزموا الصدق في التعبير عن عواطفهم ، بدون أن ينساق وراء المضللين والجهال - على حد تعبيره - اذ كيف لعقله أن يصدق دعاواهم ، ولقلبه أن يطمئن الى مايروجون له ، ويحاول أن يطمئن الى مايقولون ، فيجد أن كل ماحوله يدعوه الى التشبث برأيه ، فالرجال لم يصبحوا ملائكة ، ولم يتخلوا عن نزعاتهم ، يقول :

لتلك خطة سوء لست أحمدها ... منه ، وان رضي الجهال أوحمدوا "٢"

كيف السلامة والأخلاق واهيـــة ... والجهل منتشر والشرّ متقـــد

انا نعيش بواد غير مؤتمـــن ... تنزوا القلوب به ذعرا وترتعـــد

لو كان من شعبنا قوم ملائكـــة ... قلنا : أصبت ، فلا لوم ولا حرج

كان محرم صريحا مع نفسه ولم يحاول أن يتملق أحدا ، كما فعل غيره ، فجاءت عواطفه صادقة ومعبرة عن فطرة سليمة .

وعبّر عبد الله فريج عن مشاعر الحزن والأسى ، التي تعتمل في نفسه ، بسبب ما آل اليه معاصروه من سقوط ذريع في أحضان الحضارة الغربية المادية ومما زاد في أرقه ، أن اقبال الناس على المادة أحال حياتهم شقاء ، ومما

---

١) آثار باحثة البادية ، ص ٣٠٧ .
٢) ديوان أحمد محرم ، ٢ / ٦٤

يعجب له أنهم أخذوا عن الغرب القشور ، وأهملوا ماكان لديهم من فضائل ، فأصبح هم الشاب من الزواج أن يدرّ عليه المال ، ولا يهمه بعد ذلك أن تكون زوجته صاحبة فضل ونسب أو فرساً حروناً ، وهذا هو الجنون في رأيه ، يقول :

فديتك ان حال العصر أضحت ... تكدّر كلّ ذي رأي فطين "١"
فواويلاه من حال تبدت ... شقاءً للبنات وللبنين
حبانا الغرب آدابا وعلما ... لبعض منافع أقوى ضمين
تركنا ذاك الا الندر منه ... كأنواع الملاعق والصحون
ولم نحصل على مافيه نفع ... وخضنا في الأخير الى الذقون
فصار المرء يسأل عن نقود ... وأملاك وأمتعة وصيني
ويطمع في الحلى طمع الغواني ... ولو كانت على فرس حرون
جنون ، أين هذا من سؤال ... عن الأنساب والفضل المبين ؟

لقد كان الشاعر على حق عندما حذّر معاصريه مما هم فيه ، وكانت عواطفه صادقة نحوهم ، لأنه حريص عليهم ، وراغب في الابقاء على مالديهم من فضائل ، ومتخوف مما ينتظرهم من مستقبل مظلم ، اذا هم استمروا في التقليد الأعمى ، وهكذا صدر عن احساس صادق وشعور لاكذب فيه ولا رياء .

وانظر الى قصيدة خليل مردم " الرقص " التي وصف فيها حركات الراقصين وصفا دقيقا يدل على معرفة بها ، الا أنه آثر الصدق مع نفسه ومع الآخرين ، فرفض مزاعم القائلين أنه رياضة وفن ، وانه يورث الجسم نشاطا ، وعدّه لهوا وعبثا وصراعا بين الأهواء والغرائز ، وانه يهون كل صعب ، يقول :

زعموه يورث الجسم اضطلاعا ... ونشاطا وهو لهو ودد "٢"
وأراه بين أهواء صراعا ... ريضت النفس به والجسد

* * *

كل صعب فهو بالرقص يهون ... وعسير الأمر فيه كاليسير
ربّ جدّ كامن طيّ مجون ... وكبير مبتداه من صغير

---

١) الثريا ، الجزء الثامن ، يناير/ كانون ثاني ١٨٩٧م ص ٣٠٥ .
٢) ديوان خليل مردم ص ٢٣ .

على أن العاطفة لا يعني أن تكون قوية دفّاقة ، فالشعراء الذين عرضنا لأطراف من قصائدهم صدروا في عواطفهم عن قيم روحية واجتماعية وخلقية يؤمنون بها ، وتحتل من نفوسهم ومشاعرهم درجة سامية ، وقد يكون اهتمام بعضهم بأفكارهم سببا في عدم تدفق عواطفهم ومشاعرهم ، ولكنّ الاسباب التي أثارتها تبقى صحيحة .

ومن الشعراء من غلبت قوة مشاعرهم ، فعبّروا عن مواقفهم بحماس منقطع النظير ، ومن هؤلاء أحمد شوقي الذي وقف موقفا حازما وقويا من الرجال الذين شابوا ، أو تقدمت بهم السن ، وهم حريصون على الزواج من الصغيرات ، مع العلم أن زواج الرجل ممن أهي أصغر منه سنا ليس محرما شرعا ، مادامت قد قبلت هذا الأمر ، ولكن شوقيا اشتدّ عليهم وعنّفهم ، وأثار ضدهم عواطف الكراهية والاشمئزاز ، يقول :

من كل ذي سبعين يكتم شيبه	والشيب في فوديه ضوء نهار "١"
يأبى له في الشيب غير سفاهة	قلب صغير الهمّ والأوطار
ماحلّه عطف ولا رفق ، ولا	برّ بأهل أو هوى لديار
كم ناهد في اللاعبات صغيرة	ألهته عن حقد بمصر صغار
شغل المشايخ بالمتاب وشغله	بتبدّل الأزواج والأصهار

وربما كان حافظ ابراهيم من أوائل الشعراء الذين اندفعوا وراء قاسم يؤيدون دعوته ، ولكنه أصيب بخيبة أمل شديدة من ردود الفعل السلبية التي جوبهت بها ، فلم يجد غير السخرية وسيلة يهاجم بها المعارضين في قوله :

أقاسم انّ القوم ماتت قلوبهم	ولم يفقهوا في السفر ماأنت كاتبه "٢"
الى اليوم لم يرفع حجاب نسائهم	فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه
فلوأن شخصا قام يدعو رجالهم	لوضع حجاب لاستقامت رغائبه

على أن السخرية من تصرفات النساء السافرات المتبرجات أصبحت طابعا

---

١) الشوقيات ١٠/ ١٣٠
٢) الجامعة العثمانية ، السنة الثانية ، الجزء العاشر ، يناير / فبراير / ١٩٠١ ص ٦٤٠

مميزا عند بعض الشعراء ، بعد أن نفد صبرهم ، ولم يعودوا قادرين على تحمل كثير من المظاهر ، التي تعد خروجا على الحشمة والوقار .

ومن هؤلاء محمد صادق عرنوس ، الذي سخر من يحتفلون بملكة جمال مصر ، كأنهم باحتفالهم هذا يتصورون أن مصر تقدمت ، وأصبحت أهلا لنيل استقلالها ، ولم يدروا أن تاج الجمال لا يفيد في رفع عزة مصر ، بل على العكس من ذلك ، يدل على خنوع واستسلام للاعداء ، فقال :

مصر قد أثبتت بملك الجمال … ملك أبنائها للاستقلال "١"

ولذا استقبلوا التي منحتهم … ذلك الفخر أحسن استقبال

. . . . .

يالتاج مزيف لم يفد نسا … عزة الملك بل خنوع الموالي

وفي قصيدته " التبرج " سخر من النساء اللواتي يتبرجن بطلاء الوجوه ولبس الضيق من الملابس والتهتك في المشية ، وتساءل عمن يكون زوجا لمثل هذه الدمية التي تبرجت ، كأنها تستعد لدخول مزاد علني ، ثم يطالب الآباء أو الأقارب أن يقفوا في وجه هذا الفساد ، فيمنعوا بناتهم من الخروج على هذه الحال :

هذي فتاة حسنها رائع … قد أبرزته فتنة للعباد "٢"

. . . . .

من منكم بالله زوجا لها … تلفه اشهارها في المزاد

في معرض الحسن غدت زوجه … يذكرها في كلّ ناد يشاد

. . . . . .

ان لم يكن زوج فهل من أب … أو من أخ أو محرم ذي رشاد

وسخر شاعر آخر من النساء اللواتي قصصن شعورهنّ ، ولبسن لباس الولدان ، وكشفن عن سيقانهن ونحورهنّ ، ثم خرجن بعد ذلك يطالبن بالسفور ، حيث يسأل ، هل بقي شيء لم يسفرن عنه ؟ واذا لم يكن مافعلنه سفورا ، فكيف يكون السفور ؟

---

١) - الفتح ، السنة العاشرة ، ٢ رجب ١٣٥٤هـ ، العدد ٤٦٨ص ١١

٢) الفتح ، السنة الثالثة ، ١٨ ابريل /نيسان/ ١٩٢٩م العدد ١٤٤ ، ص ٥ .

فخرجن في هذا التهـر ج بحد تضميخ العطـور "١"
وذهبن للشكوى لمـن لهم مقاليد الأمـور
يبغين اذنا بالسفو ر أعن بطون أم صدور ؟
ان لم يكن هذا السفو ر فكيف تعريف السفور ؟
قد كان في الحسبان هذا مذ غدون بلا شعور

وسخر عزيز فهمي من النساء اللواتي طالبن بمساواة المرأة بالرجل سخرية لاذعة ، وذلك على أثر مطالبتهن بحذف نون النسوة في اللغة تحقيقا لمساواتهن بالرجال ، والواقع أنه بسخريته يرفض ماوصلت اليه النساء من تبذل وخروج على التقاليد ، فهو حريص على أن تؤدي النساء رسالتهن وألا يضيعين أوقاتهن في أمور لا تجدي ، يقول :

هل أتاك حديثهنه النون ليست نونهنه
هذا القرار وثيقة أفصح وذكّر جمعهنه
.....
النون فرض كفاية يكفي النساء فروضهنه
.....
برىء النساء من الأنوثة مذ ملكن قيادهنه
ماللغواني والرضا عة انّ هذا الفرض سنه

ولم يقف الشعراء عند هذا الحد في التعبير عن عواطفهم ، بل مضى بعضهم يصور في شعره كثيرا من المشاعر الانسانية السامية ، التي لا تتقيد بحدود زمانية أو مكانية أو عرقية ، ومن أسمى هذه العواطف حبّ الوالدين لمن ولدا ، على أن عدم انتظار الآباء أن يرد الأبناء الجميل ، هو الذي يرفع من قيمة هذه العواطف ويسمو بها ، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة " ولدي " للشاعرة جليلة رضا ، التي عبّرت في قصيدتها هذه عن مشاعر الأمومة نحو ابنها المريض ، الذي جعلها تتمنى الهناء الى جانبه مع زهدها في الحياة ، من أجل أن ترعاه ، وتحنو عليه ، وهي الى ذلك راضية بحكم القدر مستسلمة لمشيئته :

---

١) الفتح ، السنة الثالثة ،العدد ١٤ ، ٢٥ ابريل/نيسان ١٩٢٩م ص ٣
٢) الرسالة ،السنة الثالثة عشرة ، العدد ٦٠٢ ، ١٥ يناير/ كانون ثاني ١٩٤٥م ، ص ٧٢ ، وانظر ديوان عزيز ص ١٠٩ .

بنّي ، فدّيت بالعمر القصير فخذ ماشئت من عهد السرور "١"
لقد حكم الاله عليك حكمـا ومالك غير ربك من نصير
فحكم الله أعدل كل حكم يشعّ عليك نورا فوق نور
.....
بني جعلتني أهوى بقائي فعشت لغصنك الغض النضير
وجرّعني الزمان كئوس هم وضنّ عليّ بالعيش القرير
ولكنّي سقيتك ماء قلبي وجدت عليك بالحبّ الوفير
وكان الشوك في الدنيا نصيبي وكان لك الزهور مع العبير
أخاف على خطاك حصاة أرض وقد أعلو الهضاب مع الصخور

انها عواطف أم نحو ابنها ، فيها الحبّ له والاشفاق عليه ، وفيها شعور بالقلق والاضطراب ، ولكن الايمان بعدالة الله والصبر على ما ابتلاها به ، زاد مشاعرها رفعة وسموا .

على أن المشاعر الانسانية اذا سيطرت على الانسان ، جعلت في قلبه مكانا لجميع الناس ، ومن أحقّ بالعطف والرحمة من فتاة امتلأت حيوية وجمالا ، لكنها فقدت نعمة البصر ، فهذا العقاد الذي تحامل على المرأة له قصيدة بعنوان " حسناء عمياء " تمنى فيها لو استطاع أن يعيرها نور عينيه ، يقول :

قرّة العين عـزاء لك في الكون المنير "٢"
ان طرفا يأسر النـا س هو الآن أسير
ان سحرا غاض في عيـ نيك هيهات يحور
صدت الشمس ضياها عنك يا أخت البدور
ليت نور العين مصبا ح معار فنعير
ليس أولى ببكا العيـ ن من الحسن الضرير
وجمال عن جمال الـ كون مكفوف حسير

---

١) - اللحن الباكي ، جليلة رضا ، ص ٤٦ .
٢) ديوان العقاد ، المجلد الأول ١/١١٨ .

وانما نعدّ مثل هذه العواطف سامية ، لأنّ الدافع اليها لم يكن الحصول على مغنم أو عرض ، ولهذا استحقت الخلود ، على أن هناك من الشعراء المحدثين الذين تناولوا المرأة في شعرهم من باعوا عواطفهم بثمن رخيص ، فاضطروا من أجل ذلك أن يبالغوا ، أو قل أن يكذبوا حتى يخفوا مشاعرهم الحقيقية ، ومن ذلك هذه الأبيات التي مدح بها محمد الأسمر هدى شعراوي ، وعدّها الرجل الوحيد ، الذي ظفر به بعد بحث جاد ، يقول :

مازلت أبحث كل البحث عن رجل — فما ظفرت به حتى وجدت هدى "١"
هدى هي المثل الاعلى لأمتها — حتى الرجالات لا مستثنيا أحدا
روض يرفّ على الوادي فان عصفت — به العواصف كانت فوقه الأسدا

فهل نبالغ اذا قلنا ان الشاعر كذب على نفسه وعلينا ، عندما لم يستثن أحدا من الرجال ، ثم ان الأمر تجاوز المبالغة عند بعضهم ، حين عبّروا عن عواطف يمكن أن توصف بأنها مريضة ، ونعني بذلك روح العطف على الخاطئات ، التي روّج لها شعراء أبولو وغيرهم ، لأنهم لم يروا في تصرفاتهن مايشين ، ولم يروهنّ الا مضطرات الى السير في هذا الطريق ، فهذا طانيوس عبده في قصيدته " الريال الزائف " يرى أن يأس المرأة من الحصول على قوتها وقوت طفلها هو الذي سوّغ لها مثل هذا التصرف ، وكأنه بذلك يخفف من وقع الجريمة ، ويسهّل الأمر على كل معوزه ، يقول :

وقد لقيت فتاها فاشرأبت — الى وجه السماء كمستجير "٢"
وقالت: ربّ انت عرفت مابي — من البلوى فكن فيها عذيري
وأنت غضضت عني الطرف حتى — يئست وكان من يأسي فجوري
أجلّك عن معاقبتي بذنب — أموت به لكي يحيى صغيري

ولم يكتف صالح جودت بالدفاع عن الخاطئات والعطف عليهن ، بل جعل من نفسه صديقا لهن ، في قوله :

---

١) ديوان الأسمر ص ٢٨١ .
٢) ديوان طانيوس عبده ص ٤١ .

قلت: لا أبغي متاعاً ليس لي جنيه ما أنا الا صديق "١"

على أن هذا الصديق هو الذي دعا المرأة في قصيدته " الثوب البنفسجي "٢" الى التبرج والتعطر زيادة في الفتنة ، فهل نستطيع أن نصف هذه العواطف بشيء آخر غير المرض ؟

وكان ظهور الشاعرات في مصر منذ نهاية القرن التاسع عشر من الظواهر الجديدة ، التي ميّزت الشعر المصري الحديث الذي عني بالمرأة ، فكانت عائشة التيمورية في مقدمة هؤلاء الشاعرات ، ثم تلتها باحثة البادية ، ونبوية موسى ، وجليلة رضا وغيرهن كثيرات ؛ وان كنا نلاحظ أن الشاعرات كنّ أقل حماساً من الشعراء في الدفاع عن قضاياهن وكنّ أميل الى الهدوء والتعقل في معالجة هذه الأمور .

ومن أهم الظواهر الفنية التي يمكن للدارس أن يميزها في الشعر الحديث الذي تناول قضايا المرأة ، أن وحدة الموضوع غلبت على أكثر قصائده ، حيث انتقل الشعراء من وحدة البيت الى وحدة القصيدة ، لا سيما عند شعراء جماعة الديوان وأبولو ، بحيث أصبحت القصيدة لديهم تشكل في مجموعها وحدة موضوعية متكاملة ، وغدا من الصعب حذف بعض أجزائها ، لشدة الترابط بين أبياتها "٣" ، وربما كان ذلك ناجماً عن تأثر الشعراء بما استوعبوه من نماذج الأدب الغربي ، هذا الى أن موضوع المرأة كان من الموضوعات العصرية التي تقتضي وحدة الموضوع وترابطه ، ولهذا بدت الوحدة الموضوعية في الشعر الاجتماعي واضحة أكثر من وضوحها في أي غرض آخر ، وقد نجم عن ظاهرة وحدة الموضوع في القصيدة التي

---

١) أبولو ، ابريل / نيسان ١٩٣٢ ، العدد الثامن ص ٨٧٥ .
٢) ليالي الهرم ، صالح جودت ، ص ١٤ .
٣) انظر الشعر المصري بعد شوقي " الحلقة الأولى " مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، ص ٣ - ٢٤ . وانظر النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، ص ٣٩٤ - ٤٠٧ . وانظر النقد التطبيقي والموازنات لمحمد الصادق عفيفي ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

تناولت قضايا المرأة ظاهرة أشمل ، ونعني بها وحدة الديوان ، حيث ظهرت دواوين كاملة ، تضمها وحدة نفسية وموضوعية تمثلت في ديوان "أنات حائرة" لعزيز أباظه ، وديوان "من وحي المرأة" لعبد الرحمن صدقي "١"

ومن الظواهر التي لفتت انتباهنا أن الشعراء الذين تناولوا قضايا المرأة في أوائل القرن العشرين كانوا يهتمون بمجتمعهم ، ويوجهون حديثهم اليه مباشرة ، بينما عبّر شعراء جماعة الديوان وأبولو عن موقفهم من هذه القضايا من خلال مواقف شخصية غير مرتبطة باحداث عامة الا في حالات قليلة ، مما يدل على أن الطابع الشخصي بدأ يظهر عند هؤلاء الشعراء ومن بعدهم ، متأثرين في ذلك بما قرأوا في الآداب الأوروبية ، ولم يقف الأمر ببعضهم عند الأخذ برومانسية الغرب ، بل أغرق في غموضه ، فمال الى رمزية مغرقة في الرؤى والأحلام كما فعل أبو شادي في بعض قصائده .

---

(١) انظر مقدمة ديوان " من وحي المرأة " التي كتبها عباس محمود العقاد ص ٥ - ١٢ . وانظر ديوان "أنات حائرة" ص ١٣٢ .
وانظر خصائص الشعر الحديث ، نعمات أحمد فؤاد ، مطبعة مخيمر ، الناشر دار الفكر العربي ص ٢٨ .

الفصل الثانـــي
خصائص النماذج القصصـــية

— ١ —

تدور القصيدة القصصية في الغالب حول حكاية تاريخية أواجتماعية عن شخصية رئيسية معها شخصية أو شخصيات ثانوية ، ويختلف الشعـــر القصصي عن الغنائي في أنه شعر موضوعي لا يعبر فيه الشاعر عـــــن عواطفه الشخصية مباشرة كما يحدث في الشعر الغنائي ، ولكنه يختفـــي خلف الشخصية أو الشخصيات التي يقيم عليها قصته "١" ، وقد كانـــت المشكلات الاجتماعية من أنسب الموضوعات للشعر القصصي بدليل أننـــي وجدت فيما تناول قضايا المرأة سبعة نماذج قصصية : هي : "وفـــاء" "٢"

---

١) انظر النقد الأدبي ، أحمد أمين ١/٨٠-٨١ .
وعرّف أحمد الشايب الشعر القصصي ، بأنه : فن روائي موضوعـــي يتناول الشاعر فيه الأحداث التاريخية أو الخرافية للأمة ، فينظمها ملاحم طويلة تنشد أو توقع على الرباب ، وذكر أنه أسبق أنواع الشعر الى الوجود ، ورأى أن الشعر القصصي يعنى بتسجيل ألـــوان البطولة للجماعة على لسان الشاعر ، ثم تزداد مابته بتوالي الأيام ، وقد يتوارد عليه الشعراء يضاعفون فيه ، حتى ينمو ويطول بمـــا يضاف اليه من أساطير ووقائع ، فكان لذلك أثر أمة لا فرد ومجهود عصور لا عصر ، تكاد تختفي فيه شخصية الفرد وان ظهرت عليه آثار براعة من نقحوه وهذبوه ، ويظهر أن القصص فن العصور الماضية ، لأنه يعتمد على أعمال خارقة تستخلص من ركام الحوادث السابقـــة ثم تصاغ صياغة جميلة . انظر اصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ص ٣٠٩ - ٣١٠ .
ورأى أحمد أمين أن الشعر القصصي صنف عام والملحمة نوع منه ، فكل قصيدة تقص قصة يكون الغرض الظاهر منها حكاية هذه القصـــة تسمى شعرا قصصيا ، فاذا كانت القصيدة تتناول الرجال المشهورين والأعمال المشهورة في التاريخ فتلك ملحمة . انظر النقد الأدبي ، أحمد أمين ١/٨٠ ، وانظر الأدب المقارن ، محمد غنيمي هلال مـــن ١٤٣ - ١٥٩ .

٢) انظر ديوان الخليل ١/١٠٥ - ١١٠ .

و " الجنين الشهيد " "١" لخليل مطران ، و " الزوجة الغادرة " لعبد الرحمن شكرى "٢" ، و " سليم وسلمى " لخليل شيبوب "٣" ، و " البائسة " "٤" لعبد العزيز عطية ، و " غرفة الأحزان " "٥" لعبد العزيز عتيق ، و " الدخيل المعتدى " "٦" لمختار الوكيل ، و " ريفية تسقط في المدينة " "٧" لمحمود حسن اسماعيل .

وبهذا الترتيب نفسه كان نظمها وظهورها في مطلع القرن العشرين ، فقد نشر مطران قصتيه اللتين أشرنا اليهما عام ١٩٠٨ "٨" ، ونشر عبد الرحمن قصته " الزوجة الغادرة " عام ١٩١٢م "٩" ، بينما نظم خليل شيبوب قصته " سليم وسلمى " عام ١٩١٧م ونشرها في ديوانه " الفجر الأول " الذى أصدره في الاسكندرية عام ١٩٢١م ، ونشر عبد العزيزعطية قصته " غرفة الأحزان " عام ١٩٣٤م ، ونشر مختار الوكيل قصته " الدخيل المعتدى " عام ١٩٣٤م ،بينما نشر محمود حسن اسماعيل قصته " ريفية تسقط في المدينة " في ديوانه أغاني الكوخ الذى أصدره عام ١٩٣٥م .

---

١) المرجع نفسه ١/٢٢٣ - ٢٤٥ .
٢) ديوان عبد الرحمن شكرى ٢/١٨٠ - ١٨٤ . وانظر ص ٤٠١ - ٤٠٤ من هذا البحث .
٣) الفجر الأول ص ١١٧ - ١٢٥ . وانظر من هذا البحث ص ٣٧٨ - ٣٨٢ .
٤) السياسة الأسبوعية ، ٨ نوفمبر ١٩٣٠م ، السنة الخامسة ، العدد ٢٤٤ ص ٢٣ ، وانظر من هذا البحث هامش ص ٣٩٨ - ٣٩٩ .
٥) أحلام النخيل ،عبد العزيز عتيق ص ٢٣٩- ٢٤٣ . وانظر هامش ص ٤٠٩ من هذا البحث .
٦) أبولو ، مايو ١٩٣٤م ، العدد التاسع ص ٨٤٢ - ٨٤٥ . وانظر هامش ص ٤٠٧ من هذا البحث .
٧) أغاني الكوخ ص ١١٨ - ١٢٣ . وانظر هامش ص ٣٤٢ من هذا البحث .
٨) انظر خليل مطران ، جمال الدين الرمادى ص ٥٨ .
٩) انظر الأدب العربي المعاصر ، شوقي ضيف ص ١٣٠ .

وهذا يعني أن مطران كان من أوائل الشعراء العرب الذين اتجهوا الى نظم القصيدة ، حيث حاكى الغربيين في هذا الاتجاه ، ونظم قصصه في أسلوب درامي لاعهد للعربية به "١" ، وقد اتضح ذلك في قصته " الجنين الشهيد " "٢" التي كانت موضع تقدير كثيرين ، حتى لقد عدّها بعضهم البادئة العصر الحديث لطولها وقيمتها الأدبية ، ومما يتصل بتقدير قصته عند المعاصرين أنهم نسجوا على منوالها ، واعترفوا بريادته لهم فيها ، كما فعل خليل شيبوب الذى نظم قصته "سليم وسلمى" وأهداها الى خليل مطران ، وأشاد في معرض اهدائه بفضله في ادخال هذا اللون من الشعر الى العربية ، ودعاه أن يعير قصته شيئاً من اهتمامه ، يقول شيبوب في مقدمة قصته : " الى نادرة العصر وعلم النظم والنثر مجدد الصناعتين ، ونابغة القطرين :

هذه قصة قلبين قضى كل شهيدا

صغتها في قالب لولاه ماكان جديدا

فغدا في ذاك عندى مبدىء الفضل معيدا "٣"

وقريب من مطران في السبق الى نظم القصة ، والتأثر بالغربيين في ذلك عبد الرحمن شكرى في قصته " الزوجة الغادرة " في ديوانه الذى أصدره عام ١٩١٢م ، بعد عودته من بعثة دراسية الى انجلترا .

— ٢ —

وبالتأمل في موضوعات القصص التي أشرنا اليها ، نلاحظ أنها جزء من الواقع ، فقد تناول مطران في قصته " وفاء " حكاية فتاة أوروبية قدمت الى مصر بقصد العمل ، فرآها أحد الأثرياء ، فأغرم بها وتزوجها ، لكن الموت لم يمهلها فمات أسفا عليها ، وتناول في قصته " الجنين الشهيد "

---

١) المرجع نفسه ص ١٢٧ .

٢) خليل مطران ، جمال الدين الرمادى ص ١٤٩ .

٣) الفجر الأول ، خليل شيبوب ص ١١٧ .

حكاية فتاة عملت في ملهى ، وغرر بها أحد الشباب ، فلما تخلى عنهـا أسقطت جنينها ، وحكى خليل شيبوب في قصته " سليم وسلمى " قصة سلمى التي أحبت سليما وأبى والدها أن يزوجها به ، كما حكى عبد الرحمن شكـري في " الزوجة الغادرة " قصة رجل غدرت به زوجته ، وأرادت أن تضـع له السم في الماء ، حتى تتخلص منه وتتزوج بأخيه ، وحكى عبد العزيـز عطية قصة فتاة تزوجت من رجل لا يقيم وزنا للرابطة الزوجية ، أما مختـار الوكيل فقد صوّر في قصته محاولة قام بها شخص ضعيف النفس للاعتـداء على عرض فتاة ، وأما محمود حسن اسماعيل فقد وصف في قصته مشاعر فتاة فقدت عرضها ، بينما حكى عبد العزيز عتيق في " غرفة الأحزان " قصة زوجة وأطفال ستة فقدوا والدهم ، فحرموا من مشاركة أمثالهم في العيد .

وغني عن القول أن الشعراء قد دلّوا على موضوعاتهم دلالة قويـة بما اختاروا لها من عناوين دقيقة ، وانهم وان أخذوا من الواقع قد اختلفوا فيما صوروه منه ، حيث كان التصوير في القصة الأولى لوفاة الزوج وصدق تعلقه ، وفي الثانية لتغرير وغدر أديا بالمغدور بها الى قتل جنينهـا وفي الثالث لحب حرم طرفاه من الزواج بسبب التقاليد ، وفي الرابعة لغـدر الزوجة الطامحة وموتها بالسم الذى أعدته لزوجها . . . بينما كان التصوير في الخامسة لمعاناة المتزوجة ممن لا يقيم لرابطة الزواج وزنا ، وفي السادسة لحفاظ فتاة قتلت نفسها نجاة بعرضها ، وفي السابعة لندم أخرى كانـت ضحية التغرير ، وفي الثامنة لحرمان أرملة ذات أولاد . .

— ٣ —

أما الشخصيات التي قامت عليها هذه القصص فمن الواقع أيضا ـ كالموضوعات ـ لكنها تختلف في طبيعتها ودرجة أهميتها من قصة الى أخرى ، فمثلا فـي " ريفية تسقط في المدينة " قامت القصة على شخصية وحيدة هي تلك الريفيـة الساذجة التي خدعت بمظاهر المدنية فسقطت ، وفي " البائسة " نجـد الزوجة الحريصة على سلامة بيتها هي الشخصية الرئيسية ، بينما زوجها الضائع في الملاهي في الدرجة الثانية ، أما باقي القصص فقد كانت علـى

شخصيتين رئيسيتين هما في " وفاء " فتاة أوروبية فقيرة وشاب مصرى ثرى ، وفي " الجنين الشهيد " هما ليلى فتاة الملهى وجميل أحمد رواد ه ، ومن ورائهما شخصيتين ثانويتين هما والد الفتاة ووالدتها ؛ وفي " سليم وسلمى " نجد سليما النابه الفقير وسلمى الجميلة الفتية شخصيتي القصة ، ومن ورائهما ابو الفتاة وشخص آخر ثرى أجبرت على الزواج منه ، وفي " الزوجة الغادرة " قامت القصة على الزوجة الخادعة وزوجها المخدوع ، يحيط بهما شخصيات ثانوية هي صديق الزوج وخادمه وشقيقه ، وفي " الدخيل المعتدى " خاطب يستغل ظروف الآخرين ومخطوبة رفضت أن تسام ، ومعها والدها الحريص على سلامتها ، أما غرفة الأحزان فتقوم على أم وأطفالها الستة بعد أن فقدوا عائلهم .

وكما اختلف أصحاب هذه القصص في طبيعة الموضوعات والشخصيات ، اختلفوا في طريقة الحكاية ، فمنهم من اعتمد على سرد أحداث القصة سردا ، كما فعل خليل مطران في قصته " وفاء " وفي قصته " الجنين الشهيد " ، حيث لم يفسح مجالا لنقل الحوار بين الشخصيات ، وانما اعتمد على وصف هذا الحوار باستعمال صيغ معينة مثل : قالت له ، قال لها نحو :

وقالت له : اني فتاة عليلة ... على موعد من طارئ متوقع "١"

....

فقال لها : بل يشهد اللهبيننا ... وأسقام قلبي الواله المتوجع

....

فقالت لهمسرورةوهي قد جثت ... لديه بذل العاشق المتعبد

وكذلك اعتمد خليل شيبوب في قصته " سليم وسلمى " على وصف الأحداث والمشاعر ، ولم يسمح للشخصيات أن تعبر عن وجهات نظرها مباشرة ، انظر اليه وهو يجمل الحوار الذى دار بين سلمى ووالدها في قوله :

وجاءت أباها مرة وشكت له ... غرام سليم وهو ان طال أقصدا "٢"

وقالت له ماضرّ لو زوجت به ... وماكان الا كامل الخلق أيّدا

فان يك عنهم قد تدانى مقامه ... فمن يتزوج سيدا كان سيدا

....

أتعشق بنت الشوم ثم تجيئه ... ليسعفها فيمن تحبّ وينجدا

ولا تستحي فيما تقول ومن له ... مكان سليم أن يزوجها الردى

---

١) ديوان الخليل ١/ ١٠٧ - ١١٠

٢) الفجر الأول ص ١٢٠ .

بينما حاول عبد الرحمن شكرى في قصته " الزوجة الغادرة " أن يعتمد على عنصرى السرد والحوار معا ، مما أتاح للشخصيات أن تعبر عن نفسها وللقارئ أن يراها وهي ممتلئة حيوية ونشاطا ، فقد بدأ قصته بحوار أجراه بين الزوج الذى اكتشف خيانة زوجته وبين صديق له أراد أن يعرف السبب في عزوفه عن الفواني ، ومن خلال هذا الحوار أبان عن السبب الذى جعل الزوج يعزف عن التفكير في وصل الفواني ،

أى شيء يهفو بلبك عن وصـــل الفواني وعيش أهل الجدود "١"
قائما في النعيم مثل مقـــام طالب الرىّ في جوار الغدير ؟

* * *

لا تعد لي ذكر الفواني فاني لم أكن عند ذكرها بجليـــد
كل حسناء في لحاظي عظـــام عاريات من البهاء المنيـــر

ومما يلاحظ على قصة عبد الرحمن شكرى أيضا أنه لم يعتمد على الحوار فقط، بل سمح لشخصيات قصته أن تروى الأحداث بنفسها دون أن يشعرنا بأنه حاول أن يتدخل فيما يجرى حولها ، مما ساعد على توضيح الحالة النفسية لهذه الشخصيات وأضفى عليها مزيدا من الحيوية ، فجعلنا نصغى الى حديثها ، يقول على لسان الزوج المخدوع وهو يروى قصة تعرّفه على الزوجة الغادرة :

كنت في صحة من العيش دهـرا أتمنى زيـادة المستزيـــد "٢"
....
فألاحت لي الخطوب لحينـــي بفتاة كبغيـة المستجيـــد
ولجت في الصميم مني ونالـــت مايشاء الهوى بدل غريـــر
فرأيت الحياة بغية من يهـــ وى ، وان الهوى قرين الخلود
وتمادى بي الغرور فيا لهـــ في على نشوة الهوى والغـــرور
عينت موعدا فبتّ أنا جيــــ ـه الى أن دعا نذير الوفـــود

— ٥ —

وتبعا لتفاوتهم في ترتيب الحكاية كان تفاوتهم في ترتيب الأجـــزاء وتسلسلها ونموها من جهة أخرى ، أما الذين لم ينجحوا في اجراء الحـوار

---

١) ديوان عبد الرحمن شكرى ٢/١٨٠ .
٢) المرجع نفسه ٢/١٨١ .

واكتفوا بوصفه بالتعبير المباشر لم تسلم موضوعيتهم من غنائيتهم ، وعندما حاول بعضهم ترتيبها وتسلسلها في سياق نام ،كمطران في " الجنين الشهيد " لم يتم له ما أراد بسبب غنائيته التي قطعت السياق في غير موضع ، كقوله ناقدا بعد أن ذكر احتيال العشاق على فتاة قصته :

أعدلا يباهي عصرنا زمنا خلا
وقد عوّد الأطفال فيه التسولا "(١)"
وسيمت به الابكار سوما محللا
وباعت نساء ولدها واشترت حلى
وربي طفل البيت تربية السخل

ويبدو أن عبد الرحمن شكرى في قصته " الزوجة الغادرة " كان أقدر الجميع على نظم القصة الشعرية وأعرف بخصائصها ، حيث بدأ قصته بحوار مهّد به للدخول في القصة ، ثم ترك الأحداث تنمو وتتابع بتسلسل منطقي ، فكل حدث من الأحداث التي أتى عليها يكون نتيجة لما قبله وسببا لما بعده ،فمثلا جعل حدث عقد الزواج على " أسماء " منوطا بحدث آخر سبقه وهو موافقتها على الاقتران به ، ثم مهّد لأهم حدث في القصة وهو محاولة الزوجة الغدر بزوجها ، بحدث سبقه وهو زيارة شقيق الزوج المتيم بالزوجة واتفاقهما معا على التخلص من الزوج ، وجعل حدث اتفاقهما ممهدا لحدث آخر وهو وضع السم من قبل الزوجة في كأس زوجها ، وجعل وضع السم في الكأس واكتشاف الزوج للمؤامرة سببا للحدث الأخير وهو استبدال الزوج بالكأس المسموم الذى وضع أمامه كأس الزوجة الذى كان أمامها ، دون أن تدرى ما أدى الى موتها ، وعليه يكون النجاح الذى حققه شكرى في قصته راجعا في الحقيقة الى تتابع الأحداث ، وتوزيع الأدوار على الشخصيات ، وعدم السماح لعواطفه الشخصية بالظهور بطريقة مباشرة ، هذا الى جانب استعانته بعنصر الحوار ، واعتماده على المفاجآت التي كان لها دور في تأجيل نهاية القصة مرات عديدة ،فالمفاجأة الأولى كانت

---

(١) ديوان الخليل ١/ ٢٣١ .
(٢)

في حضور أخيه الذى جاء يبلغه أن أسماء التي ينتظر أن يعقد قرانه عليها لا تحبه .

فاذا طارقي أخي صنو نفسي ونصيرى على المنى وعقيدى "١"
جاء يسعى سعي اللهيف ويهتزّ اهتزاز المحموم والمقرور
قال والدمع ملء عينيه واللحـ ـظ شريد في اثر دمع شريد
ان أسماء لا تحبك فاستقـ بل بحزم فواقر المقدور

وكنا نتوقع أن تنتهي القصة بعد ذلك ، ولكن الشاعر استمر في قصته وأتى أثناءها على مفاجآت أخرى ، ليوقفنا في نهاية القصة عند مفاجأته الكبيرة ،

نحن حول الخوان ننتظر الطعـ مة مما قد هيأت في القدور "٢"
وهي قد أفرغت لي السم في كو بي وقامت تمرّ غير بعيد
ثم غافلتها وأفرغت كوبي فوق ماء بكوبها منزور

وقد حاول شكرى أن يجعل من المفاجأة الأخيرة عقدة القصة ، لكن كثرة المفاجآت التي أتى عليها في قصيدته أضعفت عقدة القصة أو المفاجأة الكبيرة على الرغم من نجاحه في اختيار النهاية المناسبة لقصته ، على أنه يمكننا القول ان العقدة ليست واضحة تماما في القصيدة القصصية ، وربما كانت أوضح في القصص النثرية منها في الشعرية ، لأنها تعتمد في ظهورها على عناصر متعددة منها كثرة الشخصيات وتحديد أبعادها النفسية وتقديمها الى القارىء بشكل واضح ، وكل هذه الأمور لا تتيحها طبيعة القصة الشعرية التي اتسمت بالسذاجة في أغلب الأحيان .

وقد حاول ناظمو القصة الشعرية أن ينطقوا كل شخصية بما يناسبها فمثلا عبّر محمود حسن اسماعيل في قصته " ريفية تسقط في المدينة " عن ندم هذه الريفية وأسفها لما آلت اليه حالها ،وأفسح لها المجال كي تدافع عن سقوطها ، وتعبر عن رأيها في شباب العصر الذين جعلوا من اللهو غاية لهم ، اذ يقول على لسانها :

---

١) ديوان عبد الرحمن شكرى ٢/١٨١ .
٢) المرجع نفسه ٢/١٨٤ .

واها على دنياى ما صنعت ... بالحسن في كنف الصبا الفاني "١"
فتكت بعصمته ولو عدلت ... فتكت بقلب الآثم الجاني
.....
ونزلت في بلد شهدت به ... قدس الحجاب ممزّق الستر
.....
وشبابه غاو قصاراه ... من عيشه لهو وتجميل
سلب الأنوثة من عذاراه ... ومشى عليه العار مسدول

وأيضا أفسح مطران في قصته " وفاء " للفتاة التي اتخذت من الضرب على العود مهنة لها ،كي تعبّر عن مشاعرها وتكشف عن حقيقتها للشاب الذى أغرم بها ، وأراد أن يتزوجها ،حتى يكون على بينة من أمره ، وكأن الشاعر أراد أن يعطيها فرصة للتعبير عن مخاوفها ، لأنها تشعر أن زواجا يتم بين فتاة فقيرة مريضة وشاب ثرى ينتمي الى أسرة عريقة هو زواج غير متكافيء ، يقول مطران على لسان هذه الفتاة :

وقالت له : اني فتاة عليلة ... على موعد من طارىء متوقع "٢"
تناوبني جوع وبرد فأقلقا ... دعائم صدرى الخائر المتصدع
وبي صعة في الحال حاذ رقصاصها ... ومثلك ان يقرن بمثلي يوضع
واياك حبا دونه كل شقوة ... تعاني به دائي وتفجع مفجعي
لك الجاه فاختر كل ناضرة الصبى ... ربيبة مجد ذات قدر مرفّع

وكما عبّر مطران عن مشاعر الخوف التي انتابت هذه الفتاة ووصف حالتها النفسية ، نجح مختار الويكيل في التعبير عن موقف الرفض الذى أبدته احسان احدى شخصيات قصته عندما طلب الدخيل المعتدى من والدها أن يتزوج بها ثمنا لانقاذه من مرضه ، لأنها لا تسمح أن تكون موضوع مساومة من قبل أحد :

---

١) أغاني الكوخ ص ١١٨ - ١٢٠ .
٢) ديوان الخليل ١/١٠٧ .

قال : كل ما أرجوه احسان الفتاة الناعمه "١"
زوجة لي في ضفاف النيل تمشي حالمه
صرخت احسان : ياجور الحياة الظالمه
كيف ترضى يا أبي أن اغتدى كالسائمه ؟

— ٦ —

على أن الشعراء الذين نظموا النماذج القصصية وعالجوا فيها قضية العلاقات الزوجية قد حاولوا في قصصهم أن يعبروا عن المعاني الجديدة ، التي شاعت بين أفراد المجتمع في القرن العشرين ، فمثلا عبّر خليل مطران عن سوء ظنه في شباب عصره ، الذين ليس لهم عمل غير الاعتناء بمظهرهم والحصول على المال بالطرق غير الشريفة ، يقول من قصته " الجنين الشهيد ":

وكان جميل كالنساء له حلى ويكسى جلابيب الحرير تبدّلا "٢"
....
فيأخذ مال السحت والعيب رشوة ويسخو كما لو كان يملك ثروة

ووصف عبد العزيز عتيق الدور الذى يقوم به الوالد في حياة الأسرة ، ورأى أن أى انسان آخر لا يمكن أن يملأ الفراغ الذى يخلفه رحيله ، وذلك على لسان طفل افتقد أباه :

فاستعض عن أبيك خالك خالي أين خالي من والدى اليوم أينا "٣"

وعبّر خليل شيبوب عن سخطه على العادات القديمة ورغبته في احلال عادات جديدة محلها ، لأن التقليد القديم في رأيه يفضي بالمجتمع الى الهلاك ، حيث يقول :

يقلد بعض الناس بعضهم وهل يعيش الذى يقضي الحياة مقلدا "٤"
ألا انها العادات سلعة خاسر ولن يترقى القوم الا تجددا

وعبّر مختار الوكيل عن رغبته أن تعامل الفتاة المصرية معاملة انسانية ،

---

١) أبولو ، مايو ١٩٣٤م ، العدد التاسع ص ٨٤٤ .
٢) ديوان الخليل ١/ ٢٤٠ .
٣) احلام النخيل ص ٢٤٣ .
٤) الفجر الاول ص ١٢١

وأن ينظر الرجل اليها نظرة تكريم واحترام ، وألا يعدها من سقط المتاع:

ومتى كانت فتاة النيل تشرى وتباع "١"
ومتى احسان كانت تقتني مثل المتاع

لكن خليل مطران في قصته " الجنين الشهيد " أتى على بعض المعاني التي لم يأت عليها شاعر غيره ، حيث وصف قدرة النساء اللواتي يعملن في الملاهي على تصيد الرجال والوصول الى أسرارهم وكشفها واستغلالها في سبيل كسب المزيد من المال ، يقول مطران :

يحدثها كل بأمر تجددا ويفشي لها أسراره متوددا "٢"
ومايكشف البدر الظلام اذا بدا كما تكشف الأسرار ليلي وما الصدى
بأسرع منها في الحكاية والنقل

وعلى الرغم من أن هذه النماذج القصصية واقعية كما أسلفنا ، يبدو أن خيال الشعراء تدخل في نهاياتها أحيانا كما في قصة " وفاء " التي نظمها مطران ، والتي اختار لها نهاية قد تكون أقرب الى الخيال ومن الصعب حدوثها في الواقع ، فقد جعل الزوج يقضي نحبه في نفس اللحظة التي فارقت فيها الزوجة الحياة ، يقول :

ولما أجابت داعي البين موهنا أجاب كما شاء الوفاء ومادعي "٣"
أصابت سهام اليأس مقتل قلبه فما نعيت حتى على اثرها نعي

وأنهى شيبوب حياة سلمى بطلة قصته بالموت ، وجعل سليما بطل القصة يقضي نحبه قتلا ،

فماتت وغصّات الأسى في فؤادها
ومقلتها في الأفق ترقب فرقدا "٤"
.....
فلزّ الى أضلاعه النصل خارقا
وغيّب في العظم الحديد وأغمدا

---

١) أبولو ، مايو ١٩٣٤ ، العدد التاسع ص ٨٤٤ .
٢) ديوان الخليل ١/٢٣٣ .
٣) المرجع نفسه ١/١١٠ .
٤) الفجر الأول ص ١٢٣ - ١٢٤ .

ومال صريعا كالمنارة اذ هــوت
وكالجذع ملقيا طريحــا ممــدّدا

وكذلك فعل عبد العزيز عطية عندما أنهى قصته بأن جعــل " البائسة " تفارق الحياة حزنا :

واستراحت في حفرة غيّبتها يمطر المزن تربها والسحابا "١"

ولا يبعد في هذا الموقف أن يكونوا متأثرين بالأدب الغربي الذى كان طابع الحزن والرومانسية غالبا عليه في القرن التاسع عشر ، لأنهــم اطلعوا على هذا الأدب اما في لغته الأصلية ، كما فعل مطران وشكـرى واما مترجما الى العربية كما فعل غيرهما .

ومع هذا التجديد نجد لهم بعض الصور الجزئية التي تأثروا فيهــا بما ورثوه عن الشعر القديم ، أو بما حولهم على قلة هذه الصور ، لأن ناظم القصة في الحقيقة يصــب كل اهتمامه على الأحداث والشخصيــات من ذلك تشبيه عبد العزيز عطية البيت الذى نزلت فيه بطلة قصته بالقفــر والبياب حيث يقول :

ورأت داره وقد دخلتها تشبه القفر والبياب خرابا "٢"

ومن الصور الجديدة المتأثرة بالبيئة تشبيه مطران للتربية التي يلاقيهــا الطفل المتسول بتربية السخل ، يقول :

وربّي طفل البيت تربية السخل "٣"

- ٨ -

أما اللغة التي عبّر بها الشعراء عن شخصيات قصصهم ، فقــد اختاروها مما يناسب هذه الشخصيات ، ويدل على بيئاتها ويصور الحقبــة الزمنية التي كتب فيها القصة ، فمثلا استعمل محمود حسن اسماعيل كلمات

---

١) السياسة الأسبوعية ، العدد ٢٤٤ ، ص ٢٣ .
٢) المرجع نفسه ص ٢٣ .
٣) ديوان الخليل ١/ ٢٣١ .

وجملا تناسب طبيعة وبيئة الريفية التي زلّت قدمها في المدينة ، ومن هذه الكلمات والجمل : " واها على دنياي ، الآثم الجاني ، عذراء ، العفاف السامي ، عصفت بي الأرزاق ، قدس الحجاب ممزق الستر ، تفرى بحسن القدّ والقامة ، العار مسدول ، يساوم ، ألقاه مبتذلا ، سقطت ... " .

وعبّر عبد العزيز عتيق في قصته " غرفة الأحزان " عن مشاعر الأطفال الذين فقدوا والدهم بلغة تناسب سنهم وتصور مشاعرهم ، دون أن يلجأ الى التأنق في اختيار الألفاظ ؛ ومن ذلك : ((جثوا حول أمهم ، أين يا أم والدي ؟ ناشديه بأن يعود ، ألا يعود قريبا ؟ أين خالي من والدي ، سرى النوم في الجفون ، ثغور أطفأ اليتم حسنها ..)) .

— ٩ —

واذا كان شعراء النماذج الغنائية قد استفادوا من تنويع القافية ، فان شعراء النماذج القصصية لم يكونوا أقل استفادة ، لأننا لانجد لهم على قافية واحدة الا " وفاء " و " سليم وسلمى " .

أما الجنين الشهيد فقد قسّمها مطران الى خمس عشرة ومائة مقطوعة كل مقطوعة من بيتين وشطر خامس ، ولكل منها عدا الشطر الخامس قافية أما الخامس فعلى اللام في القصيدة كلها .

وأما " الزوجة الغادرة " لشكرى فقد استعمل قافية الدال في البيت الأول والراء في البيت الثاني ، ثم كرّر هاتين القافيتين في كل أبيات القصيدة .

وأما " البائسة " لعبد العزيز عطية فقد جعلها مقطوعات ، ونظم كل مقطوعة من خمسة أبيات ، التزم في البيتين الأولين من كل مقطوعة قافية واحدة ، ثم التزم في الأبيات الثلاثة الأخرى التي تليها قافية أخرى تختلف عن التي قبلها .

وأما " غرفة الأحزان " لعتيق فقد نظمها على شكل مقطوعات تتكون كل مقطوعة من ستة أبيات تضمها قافية واحدة تختلف عن قافية السداسيات الأخرى .

وأما " الدخيل المعتدى ، فعلى شكل رباعيات ، وصل عددها الى ثماني عشرة مجموعة ، لكل مجموعة قافية واحدة تختلف عن قافية المجموعة التي قبلها .

وأما " ريفية تسقط " لمحمود حسن اسماعيل ،فعلى شكل ثنائيات، جعل لكل بيتين قافية تختلف عن قافيتي البيتين اللذين سبقا .

لكن شعراء النماذج القصصية وان شاركوا شعراء النماذج الغنائية ميلهم الى تنويع القافية قد خالفوا في الميل الى البحور الكثيرة التفاعيل ، حيث نجد من هذه النماذج ثلاثة منظومة على الطويل "١" ، وواحدة على الكامل "٢" وثلاثة على الخفيف "٣" وواحدة فقط على مجزوء الكامل . "٤"

---

١) راجع ديوان الخليل ١/٢٢٣ ، قصة " الجنين الشهيد " ،ومطلعها :
أتت مصر تستعطي بأعينها النجل وعرض جمال لا يقاس الى مثل
وانظر ديوان الخليل ١/١٠٥ ، قصة " وفاء " ومطلعها :
أشيرى الى عاصي الهوى يتطوع ونادى المنى تقبل عليك وتسرع
وانظر الفجر الأول قصة " سليم وسلمى " ص ١١٧ ، ومطلعها :

يعاتبها فيه الفؤاد مفندا فتغريه حتى ينثني متوددا

٢) راجع ديوان أغاني الكوخ ص ١١٨ ، قصة " فتاة ريفية " ومطلعها :
واها على دنياى ماصنعت بالحسن في كنف الصبا الفاني

٣) راجع ديوان عبد الرحمن شكرى ٢/١٨٠ ، قصة " الزوجة الغادرة " ومطلعها :
أى شيء يهفو بلبك عن وصل الغواني وعيش أهل الجدود
وراجع أحلام النخيل ، عبد العزيز عتيق ص ٢٣٩ ، قصة " غرفة الأحزان " ومطلعها :
مالت الشمس في طريق المغيب ومشى النور خلفها للمغيب
وراجع السياسة الأسبوعية ، ٨ نوفمبر ١٩٣٠م ، العدد ٢٤٤ ، ص ٢٣ ،قصة عبد العزيز عطية " البائسة " ومطلعها :
مزّق القلب طعنة آلمتها ورماها القضاء سهما فصابا

٤) راجع أبولو ، مايو ١٩٣٤م ، العدد التاسع ، ص ٨٤٢ ، قصة مختار الوكيل " الدخيل المعتدى " ومطلعها :
أرسل الأنّات من قلب أمضته السنون

الفصل الثالث
خصائص النماذج التمثيلية

- ١ -

الشعر التمثيلي أدب موضوعي "١" يعد الحوار من أهم عناصره ، وهو الذي يميزه عن الشعر القصصي ، على الرغم من اتفاقهما في أمور كثيرة ، ذلك أن القصة لا تحتاج الى مسرح تستعين به في أدائها ، بينما تفتقر التمثيلية الى مسرح يبرزها ، فالمسرح مكمل لها ، ولا يمكن أن تنهض بدونه ، والمسرحية تكتب أولا ثم تمثل ، أى أنها عمل أدبي يسمع بينما يرى ، وهو عمل لا يسمعه شخص أو أشخاص وانما يسمعه ويراه جمهور غفير من المتفرجين"٢"

على أن هذا اللون من الشعر لم يكن معروفا عند العرب من قبل ، وهو أثر من آثار اتصال الشرق بأوروبا . ولدينا من هذا الشعر فيما يعالج قضايا المرأة نموذجان : ملهاة الست هدى لأحمد شوقي ، والفصل الثالث من مسرحية "سعاد" لمحمد فريد عين شوكه .

أما أحمد شوقي فأبرز رواد الشعر التمثيلي وممهدي سبيله في الأدب العربي الحديث "٣" ، بعد أن كان هذا الأفق حلما ذهبيا لكل من

---

١) أنظر النقد الأدبي ، احمد أمين ص ٧٩ ، ٨١ .

٢) أنظر في النقد الأدبي ، شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط ٣ ، ص ٢١٦ . وانظر أصول النقد الأدبي ، احمد الشايب ص ٣١٢ . حيث ذكر أن الشعر التمثيلي يمتاز بأنه حوار علي يصور الشخصيات المختلفة ويخضع لوحدة القصة وخطتها العامة ، فيجمع بذلك بين خاصتي القصص الموضوعية والغناء الذاتية ، ويتطلب من مؤلفه جهدا خطيرا وتجارب واسعة ، واتصالا بجميع البيئات والطبقات ، حتى يتيسر له عرضها بتقاليدها ولغتها وأسلوب فهمها الحياة وآلامها وآمالها وغرائزها وأخلاقها .

٣) انظر في الأدب الحديث ، عمر الدسوقي ٢/٢٨٤ . حيث ذكر ==

تحدثوا عن التجديد ، فقد ألف مسرحيات أعجب بها معاصروه ، وكان الجو خاليا الا من محاولات ضعيفة ، وكانت اللغة العامية تطغى على المسرح في مصر ، ولا تعرض على الجمهور سوى حكايات مضحكة تتخللها الأغاني والالحان ، فلما أخرج شوقي مسرحياته الفصيحة عدّوا ذلك منه عملا جديدا ، وقد ترك شوقي بعد رحيله ومسرحيات سبعه ، ست مآس وملهاة واحدة ، حيث بدأ منذ سنة ١٩٢٧م في اخراج مسرحياته تباعا ،فكانت ثلاث من مآسيه تسترضي العاطفة الوطنية لدى المصريين ، وهي : مصرع كليوبترا ، وقمبيز ، وعلي بك الكبير ، وكانت ثلاث أخرى تسترضي العواطف العربية والاسلامية ، وهي : مجنون ليلى ، وعنتره ، وأميرة الأندلس ،أما الملهاة فقد اتخذ موضوعها من الحياة المصرية الشعبية ."١"

وأهم مايميز الشعر التمثيلي أن الشاعر يجد فيه سعة في التعبير المستفيض عن آمال النفوس وآلامها وشرح أحوال المجتمع واستخلاص العبر منها بسبب تعدد الشخصيات في التمثيلية الشعرية ، ونظم مايتصور الشاعر أنه يجري على ألسنتها ،على أن طبيعة هذا الشعر تسمح بتعدد الأوزان في الموقف الواحد أو المواقف المتعددة ، وهذا ماكان بعض الشعراء والنقاد يعدونه عيبا ، ويرون فيه علامة عجز . "٢"

ومع أن شوقيا قد أبدى اهتماما بالحوادث التاريخية في أول الأمر"٣"

== أن خليل اليازجي سبق شوقي ،فنظم تمثيلية " المروءة والوفاء " عام ١٨٧٦ في ألف بيت من الشعر ، ونظم محمد عبد المطلب عام ١٩٠٩ عددا من المشاهد المسرحية . وذكر أيضا أن شوقيا الذي بدأ عام ١٩٢٧م في تأليف عدة مسرحيات شعرية كان قد بدأ محاولاته في فترة مبكرة تعود الى أيام دراسته في باريس من سنة ١٨٨٧ - ١٨٩١م فاختار مأساة علي بك الكبير موضوعا لمسرحية شعرية ،لكنه تراجع عن المضي في هذا الطريق الى أن عاد اليه في أخريات حياته ، وراجع مقدمة مسرحية الست هدى التي كتبها أحمد زكي ص ٨ - ٩ . وذكر عبد المحسن عاطف سلام في كتابه مسرحيات عزيز أباظه أن الشيخ عبد الله البستاني كان من نظموا المسرحية الشعرية قبل شوقي انظر ص ٥٧ .

١) شوقي شاعر العصر الحديث ، شوقي ضيف ،دار المعارف بمصر ص ١٧٤ .
٢) التيارات المعاصرة في النقد الحديث ، بدوي طبانه ص ١٤ .
٣) المسرح ،محمد مندور ،مطابع دار المعارف بمصر ، ط ٢ ١٩٦٣ ص ٧٢

نجده ينظم قبل موته بقليل ملهاة " الست هدى " التي استقى موضوعها من الحياة المعاصرة له في الحي الذي كان يسكن ، حيث كان يشاهد عن قرب علاقات الرجال بالنساء ، وماكانوا يتبعون من عادات وتقاليد ، والمسرحية الى ذلك تعالج مشكلة اجتماعية حية وهي مشكلة طمع الأزواج في مال زوجاتهم .

والواقع أن مسرحيته هذه تعطينا فكرة دقيقة عن الحياة الاجتماعية التي سادت مصر في نهاية القرن التاسع عشر ، فقد اختار شوقي عام ١٨٩٠ وقتا للأحداث التي تناولها ، ولم يكتف بذلك بل جعل حيّ الحنفي الذي سكنه مكانا لأحداث مسرحيته .

أما أشخاص المسرحية فانهم يمثلون قطاعات مختلفة من المجتمع المصري ، فالست هدى الشخصية الرئيسية في المسرحية ، والتي سمّى المسرحية باسمها ، والتي تمثّل نمطا من النساء كان موجودا حتى تلك الفترة ، فهي على علاقة طيبة بجاراتها وبنساء الطبقة الراقية ، وهي امرأة ثرية يطمع الرجال في مالها ، فلا تكاد تدفن أحد أزواجها أو يطلقها أو تطلقه ، حتى يقبل عليها زوج آخر ، لا حبا فيها ولا رغبة في جمالها ، بل طمعا في مالها وأرضها وحليها ، وقد ظلت تتزوج وتطلق حتى بلغ عدد من تزوجتهم عشرة رجال .

أما الشخصيات الأخرى ، فهي زينب جارة الست هدى وصديقتها ، وخديجة وأسماء وبهية واقبال من بنات الجيران ، وعبد المنعم المحامي زوج الست هدى التاسع ، وكاتبه حلمي ، والسيد العجيزى زوجها العاشر وهو آخر الأزواج ومن أعيان الريف ، ومحمد وأحمد وعامر والشيخ الحلبي ومصطفى النشاشقي ، وهم من أصدقاء السيد العجيزى ، وألماظ وهو أغا حريم القصر ، ورضوان خادم الست هدى ، وسلمان المرابي .

وجميع هذه الشخصيات التي ذكرناها أظهرها شوقي على المسرح ، ولكن أدوارها كانت جانبية "١" .

---

١) الست هدى ص ١١ ، حيث ذكر شوقي في التمهيد زمن المسرحية ومكانها وأشخاصها .

— ٢ —

قسّم شوقي مسرحيته الى فصول ثلاثة ، جعل الفصل الأول منها في أربعة مشاهد ، كان المشهد الأول عبارة عن حوار بين الست هدى وجارتها زينب حول مايقوله الناس عن كثرة الأزواج الذين اقترنت بهم ، فحاولت أن تدافع عن نفسها بأنها انما تزوجت بمالها ، وبأن الفدادين الثلاثين التي لديها هي التي كانت سببا في اقبال الرجال عليها ، وكأنها بذلك تعترف بأنها لم تكن على حظ من الجمال ، على أن ذلك لا ينبغي أن يمنعها حقها في الحياة الزوجية ، وهي لهذلك لا ترى مانعا من التلويح بثروتها في سبيل اغراء الرجال واستدراجهم ، وقد عبّرت عن ذلك في حديث لها مع صديقتها وجارتها زينب .

الست هدى :

يقولون في أمري الكثير وشغلهم	حديث زواجي أو حديث طلاقي "١"
يقولون اني قد تزوجت تسعة	واني واريت التراب رفاقي
وما أنا "عزريل" وليس بمالهم	تزوجت ، لكن كان ذاك بمالي
وتلك فدادينى الثلاثون كلما	تولى رجال جئنني برجال

وتبدأ الست هدى في ذكر أسماء من تزوجت بهم ، وتتوقف عند كل واحد منهم لتقول رأيها فيه ، وتصف حياتها معه ، ويبدو أن ذكرى الزواج الأول ظلت عالقة في ذهنها ، فعلى الرغم من بعد عهدها به ، لم تنسه ، ومازالت تذكره بخير ، وهذا يعني أن الزوج الأول في حياة المرأة يظل الحدث الأهم في حياتها ، والدليل على ذلك أنها جزعت لموته أكثر من جزعها على أي زوج آخر ، تقول :

لست ماعشت ناسيه	لست أسلو حياتيه
وأول البخت "مصطفى"	"مصطفى" كان ساريه
.....	
مات فكدت أموت حزنا	وكان عمري عشرين عاما

---

١) الست هدى ص ١٤ .

أما الزوج الثاني ، فقد اعترفت هدى أنها لم تختره حبا فيه ،أو رغبة في حياة مستقرة ، وانما كان طمعها في ماله هو الذي رجّح عندها هذا الاختيار ، كما كانت رغبته في مالها سببا في زواجه منها :

ذاك لمالي اختارني واخترته لماله "١"
ماكان الا مفلسا وقعت في حباله

أما زوجها الرابع فقد كان كاتبا في اللواء تارة وفي المؤيد أخرى ، وعلى الرغم من ذلك ظلّ مفلسا ، وقد بيّن شوقي أن مهنة الصحافة لم تكن ذات تأثير قوى في تلك الحقبة ، وأن المجتمع كان ينظر الى الصحفي نظرته الى العاطل عن العمل .

رائج أكثر الزمان على الصحف مفتدى "٢"
يكتب اليوم في " اللوا " وغدا في " المؤيد "
ليله أو نهاره فارغ الجيب واليد

أما زوجها الخامس ،فقد كان ضابطا في الجيش ، جميل المحيا ، تمنت لو أنها بقيت على عصمته ، فقد كان ينهى ويأمر ، وهذا يعني أنها أعجبت بقوة شخصيته ،لكن" زواجها منه لم يدم ، لأنه أراد حليها ، حتى يقامر بثمنه ، ويشرب الخمر ، وعندما لم تسلّم له بما أراد طلقها ،تقول :

لحاه الله كان منى فؤادى وفاكهتي وريحاني وراحي "٣"
وكنت أحبه ويحب لينني ويحلم بالقلادة والوشاح
وكان مقامرا شرّيب خمر يجيء البيت في ضوء الصباح

أما الزوج السادس ، فقد تزوجته في العشرين من عمرها - على حد زعمها - وهو موظف ،ماكانت تدري أجبيه أم قفاه أنظف ، ومع ذلك كان " جخاخا " يدعو الى بيتها في كل يوم وزيرا أو رئيسا ، لكنه لم يصبح واحدا منهم ، بل ظلّ موظفا صغيرا يطمع في خواتمها ، ويحدّث نفسه بسرقتها ، مما اضطرها عند وفاته أن تنفق على مأتمه من مالها :

---

١) المرجع نفسه ص ١٥ .
٢) المرجع السابق ص ١٧ .
٣) المرجع السابق ص ١٨ .

ماكان في وجنتي يقبّلني — بل همّه في يدى يقبّلها "١"
وعينه في خواتمي أبدا — يحدّث النفس كيف ينشلها

أما زوجها السابع ، فقد جعله شوقي فقيها " كهلا أخا خمسين لكن في نشاط الأمرد " ، وكان سلوكه يختلف عن سلوك الأزواج السابقين ، فقد كان كثير الغيرة عليها ، وكان يحاسبها على أية التفاتة أو حركة ، وكان يستعمل معها القوة ، فقد أدبها " بيده ورجله والعصا " ، وكان ذلك منه أول تجربة لها مع رجل غيور :

رأى غبارا عالقا بجبهتي — ولم أكن أعلم من أين أتى ؟ "٢"
فقال : هذا الترب من نافذة — من كنت منها تنظرين ياترى ؟
وهاج حتى خفت أن يقتلني — وشمّر الذيل وجرّد العصا
وجاء بالنّجار من ساعته — سدّ الشبابيك وسمّر الكوى
فقلت يهواني وتلك غيرة — ياحبذا الزوج الغيور حبّذا
وقبله لم أر من غيارولا — من ظنّ في قلبي لغيره هوى

أما زوجها الثامن ، فهو مهدي المقاول ، الذي جاءت به صاحبتها زينب ، والذي كان على ثرائه وكثرة ماله ، يطمع في فدادينها ، ويأكل من مالها ، وهو يمثل جشع أصحاب هذه المهنة ، وحرصهم على الكسب ، تقول :

لم ينس أن يذكر " أبعاديتي " — ماللغبي ، ولطيني ماله ؟ "٣"
ولم يكن عند الطعام يستحي — يأكل مالي ويعدّ ماله

وظلت بعد مهدي عامين دون زوج ، ومايزال عمرها عشرين عاما ، ثم تزوجت غيره ، فهل فعلت سوءا ؟

ظللت عامين في بلا — وكان عمرى عشرين عاما "٤"
ومات مهدى فاعتضت عنه — من ذا يرى فعلتي حراما ؟

---

١) المرجع السابق ص ٢٠ .
٢) المرجع السابق ص ٢١ .
٣) المرجع السابق ص ٢٣ .
٤) المرجع السابق ص ٢٤ .

تزوجت بعدهما بزوجها التاسع عبد المنعم المحامي العاطل السكير ، وهنا ينهي شوقي المشهد الأول بعد أن أعطى الفرصة لهدى كي تتكلم عن زيجاتها السابقة ، دون أن يضطر الى عرضهم على خشبة المسرح .

ويبدأ المشهد الثاني بدخول عبد المنعم وهو ينادى على زوجته :

هدى ضلال أين أنت ياهدى   أين العجوز أين جدتي هدى ؟

وتسمعه هدى وصاحبتها وهو يسب ويشتم ، وتتحدث معها عن مجونه وخمره ، ويقترب مترنحا وفي يمينه العصا وفي الشمال المكنسة ، فتهرب مع صاحبتها الى غرفة نومها ، وبعد أن يهذى بذكر أطيانها وحليها ، يغلبه النوم فيستلقي في القاعة .

ويبدأ المشهد الثالث في صباح اليوم التالي ، فتسمع جلبة على السلم ، وتدخل أربع فتيات من بنات الجيران ، جئن يحيين هدى تحية الصباح ، وهنّ خديجة وأسماء وبهية واقبال ، وبعد ترحيبها بهن ، يستطردن معها في حديث عن زواجهن ، فيخبرنها أن أسماء خطبت لعمدة في الصعيد ، أما بهية فخطبت لضابط في الجيش ، فتظهر هدى اعجابها باختيار بهية ، وتحذر أسماء من الموافقة على الزواج بالعمدة ، وهنا يوضح شوقي على لسان بهية بعض عادات الزواج المعمول بها في مصر ، وينتقد هذه العادات ، يقول :

اقبال	:	أسماء ياعمة مخطوبة (١)
الست هدى	:	لمن ؟
اقبال	:	لشيخ عمدة في الصعيد
الست هدى	:	قولي له العمدة جربته
أسماء	:	أقول ؟ من يسمع أو من يعني ؟
		ان أبي صعب ولا أجترى
الست هدى	:	اذن دعيني أنا أفعل دعي
الست هدى لبهية	:	وأنت يا ابنتي ؟
بهية	:	طبت من زمن

---

(١) المرجع السابق ص ٣١ - ٣٢ .

الست هدى : من زمن ؟ تبارك الله لمن ؟

بهية : لضابط في الجيش

الست هدى : ضابط ؟

بهية : أجل ؟

الست هدى : أحسنت أحسنت تخيرت الرجل

بهية : ما اخترت ياعمتي ولكن

أبي وأمي تخيّرا لي

بنات مصر يخطبن

لكن لا يتناقشن في الرجال

نباع ياعمتي ونشترى

مانحن الا عروض مال

ويبدأ المشهد الرابع بحضور "الأغا" وهو خادم الباشا " ليستدعي هدى لحرم الباشا ، وهنا يكشف شوقي عن العادات التي كانت سائدة حتى نهاية القرن التاسع عشر ، حيث كان من عادة الحكام الأتراك في مصر أن يختاروا لنسائهم خدما من الرجال فقدوا ذكورتهم ،ولهذا لا نعجب عندما نرى الأغا يدخل على هدى ويشرب القهوة عندها دون احراج ، وقد وضّح شوقي الموقف نفسه ، عندما جعل عبد المنعم زوج هدى يصفه " بالطواشي " ، كذلك كشف شوقي عن حرص هدى ومباهاتها أمام الجيران بعلاقاتها بزوجات الباشا ، لأنها تريد بذلك أن تكشف عن رفعة شأنها ، ثم يصف العربات المقفلة ،التي كانت تستعملها نساء الطبقة الراقية ، ويذكر بعد ذلك الزيّ النسوي الذي كان سائدا ،واهتمام النساء بالروائح والمراوح ، التي تعد من علامات الترف والبذخ عند نساء الباشا وحاشيتهن :

الأغا : أرسلتني حرم الباشا "١"

الست هدى : أعد ؟

الأغا : أرسلتني حرم الباشا اليك

---

١) المرجع السابق ص ٣٤ - ٣٥ .

الست هدى : بالله " الماز " الا جلست بالقرب منّـــي
تحب بنّي فجـــرب بنّ السراى وبنّـــي
كاللهوانم " ألماز " ليس يسألـن عنّـــي ؟
الأغا : نسـيت ياسيدتسي أمس أما كـنّ هنـا
واليوم ياسـيدتسي أرسلنني بالمركبـة
الست هدى : أيتهن يا أغـا
الأغا : " فيكتوريا " المقفلـة
ذات الرفارف الخفا ف والستـور المسدلـة

وهنا تستعد الست هدى للخروج مع " الأغا " ، فتطلب مـن الفتيات مساعدتها في ارتداء ملابسها واستكمال زينتها :

الست هدى : الجوانتي هناك " أسماء " انظريـه
أنظري " ياخديجة " الفرجيـه
انظري " اقبال " ما أجمل هذي الفرجيا
انظري شالي " أسما " كيف حلّى كتفيا
ثم انظـرا هناك يا بنتيّ فوق الكنبـه
مروحة من النعـام بيـد مذهبـه
أسماء : ماتصنعين خالتي بهذه المـراوح ؟
الست هدى : أنا ابنتي مولعـة بها وبالروائـح !

وفي الفصل الثاني يصور شوقي الست هدى غاضبة ، بسبب استمـرار زوجها عبد المنعم في الادمان على الخمر ، ويحاول زوجها مع كاتبه حلمي أن يبحثا عن حيلة يستطيعان بها أن يسلبا بعض مالها ، ويطلب منها الزوج أن تساعده حتى يتخلص من بعض ديونه ، ويعرض عليها أن تبيع أرضها ، فتخاطب نفسها قائلة :

لولا فداديني وغّلاتهـا ماطاف انسان على بابـي "١"
بها تزوجت وفي قطنها كفنت أزواجي وخطّابـي

---

١) المرجع السابق ص ٤٩ .

ويغضب زوجها ويصارحها ، بأنه لم يتزوجها لفرط حسنها ولا لصغر سنها ، وانما طمعا في أرضها ، ويطلب حليها ، ولكنها تردّه ، فيقول لها : ألست زوجك ؟ فتقول له : لا ما أنت زوج ، وتصفه بأنه طفيلي ، وتستنجد هدى بجاراتها فيحضرن وفي أيديهن المكانس والمغارف ، ويهجمن على المحامي ، وعندئذ تخرج هدى عقد زواجها من جيبها ، وتذكّره أن عصمتها بيدها ، وتطرده من البيت قائلة :

عصمتي منك في يدى شهدت لي الوثائق "١"

امض يانذل لا تعد انك اليوم طالق

أما الفصل الثالث فيخصصه شوقي للحديث عن آخر الأزواج وهو " السيد المجيزي " أحد أعيان الريف الذي جلس بعد موتها فرحا مبتهجا بما تركته له زوجته ، فقد أصبح البيت والمال ملكا له ، بعد أن فشل تسعة من الرجال قبله في الحصول على شيء مما تملك ، يقول المجيزي :

المال صار ياعجوز مالي وأصبح البيت وما حوى لي "٢"

من بعد عشرة من الرجال

نعم رجال كثير ماتوا بحسرة مالك

كنت الموفق وحدي لما ظفرت بذلك

ويتوافد عليه أصدقاؤه ، فيلاحظون أنه ارتدى الحرير ، ولكنه يفاجأ بأن زوجته المتوفاة تركت وصية عند الباشا من عام ، وأشهدت عليها مفتى القطر وقاضي الاسلام ، وعندما أتى أغا الباشا وقرأ الوصية تبيّن أنها أوصت بمصاغها :

لعشر من نساء الحاره من كلّ جارة وبنت جاره "٣"

وأما البيت والأثاث :

وقفته لبنت أول زوج ان هذا قضاء حقّ قديم

وأما الفدادين فقد جعلتها وقفا :

لبيت الله والروضة قبر المصطفى

---

١) المرجع السابق ص ٥٦ .
٢) المرجع السابق ص ٥٧ .
٣) المرجع السابق ص ٧٩ - ٨١ .

وفي هذا الفصل تناول شوقي موقف المجتمع واستهجانه عادة أصحاب الرجال للنساء في المحافل العامة ،عندما تعرّض لزيادة داود المغني لصاحبه السيد العجيزى ، فقد جاء ومعه زوجته حميدة ، كي يريها دار صديقه الجديدة ، فوصف شوقي اضطراب العجيزى من هذه الزيارة ، واضطراره أن يصرفه مع صداقته له ،حتى لا يحرجه أمام الحاضرين باصطحابه زوجته معه ، لأنّ هذا التصرف يعد تفرنجا ، وهذا يعني أن عادة الاختلاط بين الجنسين كانت مرفوضة :

العجيزي : ذاك داود المغني قد أتى يسأل عنّي "١"

داود : لقد أتيت ومعي حميده لكي أريها دارك الجديدة

العجيزي يحدث نفسه : الويل لي الويل لي حميدة في منزلي

كيف أواري خجلي ؟

العجيزى للحاضرين : أتسمعون ؟ معه زوجته ؟

احد الحاضرين : مالداود والتفرنج ؟

وأشار المؤلف كذلك الى عادة استعمال " النشوق " من قبل النساء ، وذلك على لسان مصطفى أحد تجار هذه البضاعة من خلال حوار بينه وبين الجالسين :

مصطفى : الباشوات كلهم قد أقبلوا عليه والمفتي وشيخ الأزهر "٢"

وسيدات الخط من حين الى آخر يبعثن الأغا فيشتري

عامر : ماذا مصطفى ؟

مصطفى : لا تنس يا أخي يا أعزّ الناس

أمك كانت من غرامها به تأخذه مني بالأكياس

---

١) المرجع السابق : ص ٧٠ - ٧١ .
٢) المرجع السابق : ص ٧٤ - ٧٥ .

- ٣ -

ونظرة أخرى في مسرحية " الست هدى " ومقارنتها بما قدّمه من أعمال سابقة تدفعنا الى القول أنه تخلّص من أكثر العيوب التي أخذها النقاد عليه في مسرحياته السابقة ، وعلى الأخص التراخي في الحوار والفتور في الحركة ، بسبب ماكان يدخله من قصائد غنائية طويلة على تمثيلياته .

فالحوار في هذه الملهاة سريع، وهو يجرى بشعر سهل لا يسفّ الى حدّ الابتذال ، ولا يرتفع الى حدّ الجفاف ، ولم يعتمد على الحوار الذي دار بين الشخصيات فقط ، وانما اعتمد على حركاتهم أيضا ، وهذا يعني أنّه تنبه الى أهمية التركيز والايجاز ، حتى لا يسمح للتفكك ، أو الاضطراب أن يجد طريقه اليهل ، وكذلك فانه لم يكثر من عرض الحوادث والشخوص في المسرحية ، واكتفى بتلخيص كثير من هذه الحوادث على لسان هدى بطلة المسرحية في الفصل الأول ، عندما حكت قصتها مع كل زوج من الأزواج ، دون أن يعرض على المسرح ماحدث لها مع كل واحد منهم ، ودون أن يضطر لاظهارهم جميعا ، اذ اكتفى باظهار اثنين منهم ، وهما عبد المنعم المحامي ، والسيد العجيزى آخر الأزواج ، وكذلك استغل شوقي عنصر المفاجأة في نهاية المسرحية ، فبعد أن شعرنا أنّ كل مايحدث في البيت سيجعل من الزوج الأخير الوارث الشرعي لزوجته المتوفاة اذ بالمؤلف يواجه جمهوره بمفاجأة غير متوقعة ، وهي أن الزوجة التي كانت تعلم أن أزواجها الذين تعاقبوا عليها ، كانوا جميعا يطمعون في ثروتها ، قررت أن تنتقم منهم وأن تستهزىء بهم ممثلين في السيد العجيزى .

وهكذا استطاع شوقي أن يجسم أمامنا شخصية حية موجودة في الواقع لامرأة ثرية ، فقد وصف شكلها وثيابها وانفعالاتها وعواطفها وعلاقاتها بمن حولها "[١]" ، ونبش ماضيها من خلال تعاملها مع أزواجها العديدين ، وصلاتها بجاراتها .

وحتى الشخوص الثانوية لم يهملها شوقي على قصر أدوارها ، بل استطاع

---

(١) شوقي شاعر العصر الحديث ص ٢٦٧ .

أن يعرفنا بمواقف الفتيات من زواجهن .

هذا الى أن المؤلف وفق في اختيار الزمان المناسب لمسرحيته ، فالفترة التي جرت فيها أحداث المسرحية ليست بعيدة عن القارئ أو المشاهد كل البعد ، والمكان مايزال ماثلا للعيان ، والتقاليد والعادات لم تتغير كل التغير ، أضف الى ذلك أن شوقيا اختار شخصيات كان لها وجود ملموس ، فالأغا والمحامي وبائع النشوق ، والمرابي والمغني والعمدة والباشا وسيدات القصر ، وكل هؤلاء كان يراهم ويتعامل معهم ، حتى الأدوات التي ذكرها في مسرحيته كانت تناسب الجو العام ، فلم يجعل السيارة وسيلة للمواصلات ، بل اتخذ العربة المستورة الجوانب ، والتي تناسب العادات وسيلة للتنقل ، ولم يذكر المروحة الكهربائية ، بل أشار الى المراوح اليدوية المرصعة بالعاج أو الذهب ، والتي تتناسب وبذخ نساء الطبقة الراقية ، ولم يشر الى العطور الصناعية ، بل ذكر أن النساء كن يستعملن عطر الورد والياسمين ، وحتى الملابس التي أظهر بها الست هدى ، هي ملابس تركية بهيئتها وأسمائها ومناسبة للزمن الذي اختاره .

وأما الفاظ المسرحية ، فقد كانت في جملتها سهلة مستساغة تناسب مستوى شخصيات مسرحيته ، ومستوى الجمهور الذى يقبل على مشاهدة المسرحية ، ولم يتحرج شوقي أن يستعمل بعض الألفاظ العامية ، سواء كانت من صميم اللهجة المصرية أو من أصل تركي ، ولا غرابة في ذلك ، لأنه صوّر عصرا كان مايزال فيه للأتراك وجود في مصر ، ومن هذه الألفاظ : ((أبعاديه ، يوزباشي ، صاغ ، ريال ، جخاخ ، الخط ، الجرايه ، الدبش ، الدّش ، الماز ، أغا ، حرم الباشا ، الهوانم ، الجوانتي ، الفرجيه ، الشال ، جمدانه ، الطواشي ، المتر (المحامي) ، كشمير ، البردعة ، خرجه ، النشاشقي ، شيخ الحارة ، الفرنسي " نابليون " ، الكوز)) .

هذا الى أن شوقيا لم يقتصر على استعمال الكلمات العامية أو التركية ، بل أتى في مسرحيته بصور بيانية منتزعة من الحياة الاجتماعية ببساطتها وبعدها عن التكلف ، فكما أن شخوص مسرحيته كانوا من بيئة شعبية ، كذلك كانت صوره البيانية ، ومن ذلك أن هدى شبهت أول أزواجها بالسارية وبنخلة المرج :

أول البخت كان " مصطفى " " مصطفى " كان سأريه "١"
حين يمشي تظنــــــه نخلة " المرج " ماشيـــه

وشبّه شوقي الست هدى بالقردة ، في قوله على لسان زوجها عبد المنعم :
هدى ، عجوز النحس أنت قردة خطوطك الوحل وكحلك العمى "٢"

وأبدع على لسان زوجها تشبيهات جديدة كثيرة الورود على ألسنة العامه ، فقد جعلها بومة ، وجعل خديها ضفدعين ، وأذنيها عقربين ، وحاجبيها دودتين ، يقول :

هدى ، هدى ، أين هدى أين العجوز الباليه ؟ "٣"
أين مضيت بومتــي ؟ أين ذهبت خفتــي ؟
خداك ضفدعان قد أسنتــا وأذناك عقربان من قنــا
وحاجباك والخطوط فيهمــا كدودتين اكتظتا من الدما

وشبّه شوقي أذني عبد المنعم ، وقد سيطر عليه السكر بأذني الحمار ، وشبّه ثيابه بما عليها من قذارة بفوطة الخمار ، وذلك على لسان زوجته هدى :

ياويلتي واخجلــي وعاري لي رجــل بأذني حمار "٤"
أضحوكة الجارة شغل الجار لم ير الا طافحا في الدار
ثيابه كفوطــة الخمّـــار تنضح بالليل وابالنهار

وصوّر هدى على لسان أحد أصدقاء العجيزي آخر الأزواج بأنها دجاجة تبيض :

انّ هدى " دجاجة باضت له في القفص "٥"

ولم يفت شوقي أن يستغل روح النكتة والدعابة التي عرف بها المصريون تارة بالحركات وأخرى بالألفاظ ، ومن ذلك أن عبد المنعم يجيب كاتبه عندما يسأله عما في يده ، وهو يتناول الفول ، فيجيبه : أنه زبيب ، فيستغرب كاتبه ، لأنه يشرب الخمرة ، قائلا : على الريق ؟ فيجيبه عبد المنعم : لا ياغبــي

---

١) الست هدى ص ١٥ .
٢) المرجع نفسه ص ٢٥
٣) المرجع السابق ص ٢٧ - ٢٨ .
٤) المرجع السابق ص ٥٢
٥) المرجع السابق ص ٦٣

على الفول "١" .

هذا الى أن شوقيا في ملهاته استغل العروض استغلالا حسنا وموفقا ، فلم يلجأ الى استعمال روي واحد أو بحر عروضي واحد فقط ، بل تحكم في هذا الأمر ، ولم يجد غضاضة أن ينظم بعض الأبيات في تفعيلة واحدة ، وهذا يدل على أنه استطاع بملهاته هذه أن يطوع الشعر العربي ليتقبل الحياة الجديدة بلغة سهلة قريبة من لغة الحياة اليومية .

وأيضا استطاع من خلال شخوص المسرحية أن يعرض للأفكار التي كانت سائدة في عصره ، فقد وصف لنا كيف تتم الخطبة ، وكيف تجبر الفتيات على القبول بمن يختاره الأبوان ، وبيّن حب النساء للتفاخر بالصلات الاجتماعية ، ورغبتهن في اقامة العلاقات مع نساء الطبقة الراقية ، وأبان عن عدم رغبة المعاصرين له في السماح للمرأة بالظهور ، سواء من نوافذ البيت أو العربات ، ثم كشف عن تساهل معاصريه بالسماح للخصيان بمخالطة النساء ، واتخاذهم خدما لهنّ ، وأظهر مدى تعلق النساء بالملابس والحلي وأدوات الزينة والرياش ، كما صوّر اعتراض معاصريه على تبرج المرأة واختلاطها بالرجال ، ثم كشف عن استعمال نساء عصره " للنشوق " ، كما أماط اللثام عن أن بعض نساء القرن التاسع عشر كن يشترطن عند الزواج أن تكون العصمة في أيديهن .

هذا وقد عرض شوقي هذه الأفكار من خلال الفكرة الرئيسية ز، التي أدار حولها ملهاته ، وهي استغلال المرأة لأموالها في سبيل الحصول على الزوج .

— ٤ —

ويبدو أن شوقيا بصنيعه هذا قد شجّع غيره من الشعراء المحدثين ، وفتح الطريق أمامهم ، كي يلتقطوا موضاعاتهم من الحياة المعاصرة "٢" ، فقد اتخذ محمد فريد عين شوكه من قضية اجبار الفتاة على الزواج ممن يريده أهلها لا من

---

١) المرجع السابق ص ٤١ .

٢) كان عزيز أباظة من الشعراء الذين حذوا حذو شوقي ، فبعد أن كتب ست مسرحيات تاريخية ، نظم عام ١٩٥٧م مسرحية شعرية بعنوان " أوراق الخريف" عالج فيها قصة امرأة تزوجت من رجل كانت تحب غيره ، وتمرّ عشرون سنة ==

تختاره موضوعا لمسرحية أسماها "سعاد" "١" ، حيث نشر المشهد الأخير من الفصل الثالث في مجلة أبولو ، وقد جهدت أن أحصل على الفصلين الأول والثاني بالبحث هنا وفي مصر ، فلم أجدهما .

أدار المؤلف في هذا المشهد حوارا بين والد الفتاة وعمها حول ضرورة مراعاة مشاعر ابنته وأخذ رأيها ، لأنها أحرص الناس على مصلحتها ، وطالب الآباء أن يكفوا عن المتاجرة ببناتهم ، بتزويجهن لأغنياء أكبر منهن سنا . وذلك من خلال حوار بين والدها وعمها الذي لجأت اليه سعاد ، ليتوسط لها عند أبيها ، كي يعفيها من الزيجة التي أراد فرضها عليها :

عمها : لقد جئتني مرة زائرا ونفسك جذلانة هانيه "٢"

وقلت: أتاني يرجو (سعاد) غني ومن أسرة راقية

وما كان الا سنا قضى زمان الفتوة والعافية

....

ويحاول الأب أن يقنع ابنته بحسن اختياره ومزايا خطيبها ، ولكنها تجرأت بتشجيع من عمها ، وأعلنت رفضها ، فلم يجد والدها أمامه من وسيلة لاقناعها غير التهديد .

== على زواجها ، دون أن ترى الشخص الذي أحبته ، وعندما تلتقي به تحاول التخلص من زوجها ، دون أن تبالي أنها أصبحت في خريف العمر ، ودون أن تهتم بسمعة ابنتها ، التي تنتظر أن تخطب ، وعلى الرغم من أن أباظة في مسرحيته هذه عالج موضوعا يتعلق بالمرأة ، الا أننا لسنا معنيين بالوقوف عندها ، لأنها خارجة عن نطاق الحقبة الزمنية التي تدخل ضمن دراستنا . راجع مسرحيات عزيز أباظه ، لعبد المحسن سلام ، نشر المعارف بمصر ، مطابع نصر ١٩٦١م ص ٧٥ .

١) مجلة أبولو ، فبراير ١٩٣٣ ، العدد السادس ص ٦٨٤ - ٦٨٧ . وهذا يعني أن عين شوكه نشر هذا المشهد من مسرحيته بعد وفاة شوقي بأربعة أشهر فقط ، حيث توفي شوقي في اكتوبر تشرين أول ١٩٣٢م .

٢) مجلة أبولو ، فبراير / شباط ١٩٣٣م ، العدد السادس ص ٦٨٥ .

والدها في عنف ، أقول مهددا لابدّ أن ترضي بمن أختار "١"

وتحاول أختها أن تتدخل الى جانب أبيها ، فتقرّع أختها ، وتتهمها بأنها أساءت الأدب في عصيانها له ، فتردّ سعاد :

أنا لست مخطئة ولست عصية بل ذاك حقّي في الحياة ونظرتي "٢"

ويظهر لنا من هذا العرض السريع أن الشاعر كان جادا في طرح الموضوع، وقد وفق في اختيار الشخصيات ، حيث جعلها جميعا من أسرة واحدة ، وهي والد سعاد وعمها وأختها ، ووزّع عليها الأدوار توزيعا جيدا من خلال حوار متسق ومتوازن ، فلم يخص شخصية دون أخرى بدور رئيسي ، ولم يتجه الى الاعتماد على القطع الشعرية الطويلة ، التي قد تؤدي الى قطع الحوار ، وكانت حركة الشخصيات في هذا المشهد تمتاز بالحيوية ، فهناك تهكم بالأب من قبل العم ، وهناك هياج وعنف من قبل الأب ، وبكاء وتحدّ من قبل سعاد ، وامتعاض من قبل أختها .

أما عن لغة المسرحية فقد تأنق " عين شوكه " في اختيار الألفاظ ، ولكنه لم يتكلف ولم يغرب ، ولم يلجأ الى استعمال كلمات عامية أو أجنبية في المشهد الذي نظمه ، وكذلك عمد الى تلوين الروى ، حتى لا يضيّق على نفسه .

ولكن ماذكرناه عن مسرحية عين شوكه يبقى في حدود مارأينا من مسرحيته ، لأننا لم نتمكن من الاطلاع على المسرحية كاملة .

هذا وبعد أن استعرضنا نماذج من الشعر القصصي والتمثيلي ، يمكن القول أن اطار الشعر الغنائي لم يكن الاطار الوحيد الذي تناول الشعراء من خلاله قضايا المرأة ، بل ان الشعرين القصصي والتمثيلي شاركا كذلك في هذا التناول ، وأصبح لهما تأثير على الشكل والمضمون .

---

١) نفس المجلة ص ٦٨٧ .
٢) نفس المجلة ص ٦٨٧ .

على أننا بعد أن درسنا بعض الخصائص الفنية التي اتسم بها الشعر الذي تناول قضايا المرأة ، لانستطيع أن ندّعي أن هذه الخصائص كانت حكرا على الشعر الذي درسناه ، ولكن أقصى مايمكن أن ندعيه أن هذه الخصائص كانت أكثر وضوحا في الشعر الذى تناول قضايا المرأة من أيّ شعر آخر .

خاتمــــــة

* * * *

قصدت بهذه الدراسة القاء الضوء على مسيرة المرأة المصرية في العصر الحديث وعلى مواقف الشعراء المحدثين من قضاياها ، ويمكن ايجاز أهم ماتناولته فيما يلي :

أولا : كشفت عن الوضع الجيد الذى كانت تتمتع به المرأة المسلمة في مصر ، وماكانت تلاقي من تقدير واحترام في عهد العثمانيين على الرغم من فساد الحياة السياسية في عهدهم ، وبينت أن مايسمى "نظام الحريم" الذى عدّه كثير من المستشرقين والمؤرخين العرب وصمة عار في جبين الشرق ، لم يكن وكرا للشهوات ومعهدا للفسق والفجور كما ادعوا ، وانما هو نظام دقيق يقصد منه صيانة المرأة وتكريمها وحمايتها من كل مكروه ، وكذلك بينت طبيعة المرأة المصرية التي كانت تعرف حدودها ، وتتخذ من العادات والتقاليد النابعة من الدين مقياسا لتصرفاتها .

ثانيا : بينت أن الفرنسيين عندما دخلوا مصر أرادوا أن يحلوا "النهضة" محل النظام الاجتماعي الذى كان يراعي الروح الدينية ، لأنهم رأوا في ثبات أخلاق الشرقيين واعتمادها على الدين مشكلة تواجههم ، وتعيق محاولاتهم الرامية الى السيطرة على الشرق ، فحاولوا أن يوهموا المصريين بأنهم لن يتقدموا مالم يتخلصوا من سيطرة الدين ، ومن أجل ذلك بذلوا كل مافي وسعهم لنقل مالديهم من قيم مادية تتعلق بالأسرة والمجتمع ، فأنشأوا المسارح والملاهي وأظهروا نساءهم متبرجات ، ولم يتورع بعضهم عن اعلان اسلامه ليتزوج مسلمة من بنات الأعيان المصريين ، وهذا يعني أنهم حاولوا أن يحطوا القيم الموروثة بكل وسيلة ممكنة .

ثالثا : بينت الأثر العميق الذى تركته البعثات العلمية التي أرسلها محمد علي باشا الى فرنسا على الحياة الاجتماعية في مصر بعد عودة

أفرادها بفكر جديد متأثر بما شاهدوه في فرنسا ، وقد مثّلت على ذلك بموقف رفاعه الطهطاوى من الحضارة الغربية ، وأشرت الى تقبله لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية الفرنسية المتعلقة بالمرأة ، وقد اتضح ذلك في موقفه من الاختلاط وعمل المرأة ... ، كما بينت أثر الأوروبيين الذين استعان بهم محمد علي على التقاليد الاجتماعية ، حيث عادوا الى بناء المسارح ثانية ؛ كما أوضحت أنه كان أول من أعطى اذنا بفتح أول مدرسة تبشيرية للبنات في مصر ، وكان أول من علّم بناته على أيدى مدرسات أجنبيات .

رابعا : بينت دور سعيد باشا واسماعيل في ارساء قواعد المدارس التبشيرية بما أغدقا عليها من مساعدات ؛ وأوضحت أن اهتمامهما الشديد بمظاهر الحياة الغربية وترحيبها بالأجانب وبمشروعاتهم ؛ كانا من أهم الأسباب التي أفسحت لانتشار مظاهر الحياة الغربية ووقوع مصر تحت طائلة الديون ، ثم عرضت بعد ذلك للمحاولات المتكررة التي بذلها اسماعيل لفرض التقاليد الغربية على المصريين، حتى يجعل مصر قطعة من أوروبا ، بحيث يصح أن يقال انه رائد العلمانية في مصر .

خامسا : بينت الدور الذى قام به الأفغاني وتلاميذه على صعيد الحياة الاجتماعية والفكرية في مصر ؛ وأوضحت آراءهم فيما يتعلق بالمرأة ؛ وكيف حاول هو وتلاميذه أن يصححوا الأوضاع الفاسدة في عهد اسماعيل ومن بعده توفيق باعتمادهم على المحافل الماسونية ظنا منهم أنها ستوصلهم الى الغاية المنشودة ؛ ثم كشفت عن مواقف النديم من الفساد الذى أصاب المجتمع المصرى بعد دخول الانجليز ؛ ثم أوضحت دور الصحافة التي كان يسيطر عليها النصارى في دفع نساء مصر للسير على طريق المرأة الغربية .

سادسا : سلطت الضوء على صالون نازلي فاضل ؛ وبينت دورها في الجمع بين تلاميذ الأفغاني بعد رحيله وتوجيههم من خلال علاقتها بالانجليز ؛ وأشرت الى أنها كانت أول امرأة سفرت في مصر وقابلت الرجال ؛

وأن كتاب " تحرير المرأة " الذى وضعه قاسم أمين بمساعدة الشيخ محمد عبده كان ثمرة من ثمرات صالونها .

سابعا : عرضت لكتاب " المرأة الجديدة " الذى أبان فيه قاسم أمين عن رأيه في عدم صلاحية الحضارة الاسلامية للحياة الجديدة ؛ وكشف عن اعجابه الشديد بالحضارة الغربية ؛ وبينت أن منهجه في هذا الكتاب اختلف عن المنهج الذى اتبعه في كتابه الأول ؛ حيث عدل فيه عن الاستشهاد بالأدلة الشرعية ؛ حتى لا يتيح الفرصة لعلماء الدين للرد عليه ؛ وكشفت عن الاعجاب الشديد الذى قوبل به كتابه من قبل الصحافة النصرانية ورجال الحكم في مصر على الرغم من معارضة آخرين له .

ثامنا : كشفت عن المحاولات المتعددة التي قام بها حزب الأمة " الوفد فيما بعد " من أجل تطبيق دعوة قاسم أمين عن طريق استغلاله للثورة الوطنية التي أبدتها النساء في مظاهرات عام ١٩١٩ م ، والتي كوّن على أثرها اللجنة المركزية للسيدات الوفديات التي كانت وليدة الكنيسة المرقسية .

تاسعا : كشفت عن دور هدى شعراوى في قيادة الحركة النسائية ونزوعها بها نحو النشاطات الاجتماعية ؛ وبينت دورها في الترويج للسفور ، وتبينها لدعوة قاسم أمين وتطبيقها عمليا ؛ كما اتضح ذلك من موقفها من الاختلاط ؛ حيث سخّرت كل مالديها من أجل الترويج لهذه الدعوة دون التنبيه الى أخطارها ، وقد فعلت ذلك حبا للجاه والشهرة .

عاشرا : بينت أن الدعوة الى تفرنج المرأة وسفورها لم تكن مقصورة على مصر وحدها ، بل كانت المحاولات المبذولة لفرنجة العالم الاسلامي تسير جنبا الى جنب سواء في مصر أو تركيا أو ايران أو أفغانستان ... وأن هذه المحاولات كانت تستهدف المرأة المسلمة وتدعوها الى تقليد المرأة الغربية .

حادى عشر : أوضحت في هذه الدراسة أن قضية الحجاب والسفور كانت من أهم القضايا التي شغلت بال الشعراء المحدثين في مصر والعالم العربي ؛ وأثارت اهتمامهم ؛ وحدّدت مواقفهم من القضايا الأخرى التي تفرّعت عنها ؛ فوقفوا منها مواقف متعارضة ؛ تمثّلت في سخط بعضهم على دعوة قاسم ووقوف آخرين بين بين وتشجيع جماعة ثالثة لها ؛ حيث دافع بعضهم عن الحجاب وتشبث به باعتباره من القيم الاجتماعية النابعة من الدين والتقاليد الموروثة ؛ وكان أحمد محرم ومحمد عبد المطلب ممن يمثلون هذا الاتجاه بحكم ثقافتهم الدينية ، ورأى الفريق الثاني أنه لا مانع من رفع حجاب المرأة على ألا يتجاوز سفورها كشف الوجه واليدين ، وألا يكون سببا لاختلاطها بالرجال ؛ وقد حاول هؤلاء أن يوفقوا بين القديم الموروث والجديد الطارئ ؛ وربما كان شوقي وحافظ وباحثة البادية خير من يمثلون هذا الاتجاه ؛ بينما دعا فريق ثالث الى السفور المطلق ؛ والى تشبه المرأة المصرية المسلمة بالغربية في كل نواحي الحياة عن طريق الازراء بالحجاب باعتباره مظهرا من مظاهر الجهل أو عن طريق الدعوة الى هدم السدود التي تحول بين الرجل ورؤيته للمرأة التي يودّ خطبتها أو عن طريق الاعلاء من شأن النساء اللواتي قدن حركة السفور .

وقد بينت أن التناقض الذى ظهر في مواقف الشعراء المحدثين من الحجاب والسفور كان ناجما عن الصراع بين أنصار الجامعة الاسلامية التي كان السلطان عبد الحميد الثاني من أقوى دعاتها والخديوى عباس الثاني والحزب الوطني بزعامة مصطفى كامل من أشد مؤيديها ، وبين أنصار الحضارة الغربية الذين نادوا بفصل الدين عن الدولة واحلال الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية والذين عملوا بدعم وتشجيع الانجليز ومثّل حزب الأمة وجهة نظرهم .

ثاني عشر : بينت في هذه الدراسة أن الشعراء المحدثين في مصر والعالم العربي على اختلاف نزعاتهم وميولهم كانوا يؤيدون تعليم المرأة وتهذيبها ؛ ولكنهم اختلفوا في الوسائل والغايات ، فقد رأى المحافظون أن تعليم المرأة سيخلصها مما علق في ذهنها من خرافات ؛ ويعينها على القيام بواجباتها نحو أسرتها وأطفالها ، على أن يتمشى مع تعاليم الكتاب والسنة ، وعلى أن تتخذ من نساء السلف قدوة لها ، وأن تحافظ مع ذلك على حجابها ، بينما دعا أنصار السفور الى تعليمها ؛ كي يعدوها للعمل خارج البيت ، ويتيحوا لها فرصة الاختلاط بالرجال ومنافستهم ؛ وقد طالب هؤلاء أن يكون تعليمها على الطريقة الغربية ؛ وهذا يعني أن نظرتهم الى تعليمها تأثرت بنظرتهم الى حجابها وسفورها ، وأنهم صدروا في كلا الموقفين عن نفس الدوافع .

ثالث عشر : كشفت في هذه الدراسة عن مواقف الشعراء المحدثين من عمل المرأة ؛ حيث شجعها بعضهم على دخول ميدان العمل في المجلات والصحف ، وعلى اشتراكها في المظاهرات باعتبارها عملا وطنيا يقصد به اعلاء شأن مصر ؛ أما النساء اللواتي قدن العمل النسائي ودخلن ميدان السياسة مثل صفية زغلول وهدى شعراوى فقد نوهوا بدورهنّ وبحضور بعضهنّ للمؤتمرات النسائية العالمية وانشاء المستوصفات والجمعيات الخيرية ؛ دون أن يحاولوا تذكيرهن بما يكتنف مسيرتهن من أخطار ؛ ولم يكتف بعض الشعراء بذلك بل وقفوا الى جانب المرأة عندما طالبت بمنحها حق الانتخاب أسوة بالمرأة الغربية ؛ ودافعوا عما وصلت اليه من انحطاط بعملها في الملاهي والتمثيل والغناء ؛ كما اتضح ذلك في موقف شعراء أبولو وخصوصا أحمد زكي أبو شادى الذى تأثرت أراوءه بمبادىء الماسونية ؛ كما بينت مواقف الشعراء الذين كانوا حريصين على سلامة المجتمع ، والذين عبّروا عن جزعهم من بعض التصرفات التي صدرت عن المرأة أثناء

عملها أو خروجها من بيتها متبرجة وخصوصا محمد صادق عرنوس الذى وقف شعره على محاربة مثل هذه الظواهر .

وقد اتضح لي أثناء هذه الدراسة أن الشعراء الذين أيدوا سفور المرأة هم الذين شجعوها على العمل ، لأنهم كانوا شديدى الاعجاب بنموذج المرأة الغربية من ناحية ، ولتأثرهم بالثقافة الأوروبية من ناحية أخرى .

رابع عشر: حاولت في هذه الدراسة أن أكشف عن بعض العادات المتعلقة بالزواج كعادة " الدوطة " التي انتشرت بين نصارى الشرق ، وأدت الى كساد سوق الزواج بين الفتيات ؛ وكانت مظهرا من مظاهر تأثر الشرق بالغرب ؛ وذلك من خلال استعراض مواقف الشعراء منها ؛ ثم بينت مواقف هؤلاء الشعراء من عادة زواج بعض الرجال من النساء ذوات الثراء أو اللواتي ينتمين الى أسر عريقة ، وكشفت عن الملابسات التي أحاطت بزواج الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد ، ثم أبنت موقف الشعراء الرافض لتحكم النسب أو الغنى والفقر في اختيار الزوج أو الزوجة ؛ كما أوضحت مواقف الشعراء من الآباء الذين يزوجون بناتهم الصغيرات ممن يكبرونهن سنا طمعا في المال أو الجاه أو كليهما معا ؛ ورفضهم لمثل هذا الزواج غير المتكافيء ؛ والذى عدّه بعضهم أقرب الى البيع منه الى الزواج ؛ كما بينت سخط بعض الشعراء على فكرة تعدد الزوجات وغدر بعض الزوجات ؛ وبينت موقفهم من الاعتداء على الأعراض .

وقد لاحظت أن الشعراء كانوا يصدرون في مواقفهم هذه عن رغبة لديهم في اصلاح الحياة الاجتماعية وتخليصها مما علق بها من شوائب ؛ لكنّ رغبة أكثرهم هذه لم تكن نابعة من مشاعر دينية ؛ وانما كانوا يميلون في بعض مواقفهم الى تقليد الغربيين ، هذا الى أنهم أهملوا بعض المشكلات مثل الطلاق والزواج بالأجنبيات .

خامس عشر : كشفت عن المشاعر الانسانية الرفيعة التي عبّر عنها بعض الشعراء المحدثين في مصر نحو المرأة أما وزوجة على أساس كونها انسانة وربّة بيت لا على أساس ماتقوم به من عمل خارج بيتها .

وقد تبين لي أن هذه المشاعر الانسانية نحو المرأة من قبل بعض الشعراء قوبلت بمشاعر من الحقد والكراهية من قبل آخرين بسبب تعاملهم مع المرأة غير السويه .

سادس عشر : تبين لي أثناء دراسة مواقف الشعراء المحدثين من قضايا المرأة أن الشعر تأخر عن المشاركة في تناول هذه القضايا ؛ وأن الفرصة لم تتح له كي يتناول هذه القضايا الا في أواخر القرن التاسع عشر ؛ واذا كان البعض قد عبّروا عن مواقفهم ضمن القصائد التي نظموها في مناسبات عامة أو خاصة أو من خلال أغراض أخرى كالمديح والرثاء والغزل ، فان آخرين قد عبّروا عن مواقفهم في قصائد مستقلة .

سابع عشر : تبين أن الشعراء المحدثين في مصر لم يقتصروا في تناولهم لقضايا المرأة على لون واحد من الشعر ؛ وانما اتخذوا من ألوان الشعر المختلفة وسائل للتعبير عن آرائهم ؛ فكان منه الغنائي والقصصي والتمثيلي على كثرة في الأول واضحة .

ثامن عشر : كشفت هذه الدراسة عن الخصائص الفنية للشعر الذى تناول قضايا المرأة بأنواعه الثلاثة ؛ وتوصلت الى خصائص لم يشر اليها الباحثون من قبل سواء في الشكل أو المضمون .

عادل محمد محمود ابو عمشه
مكة المكرمة

أولا : قائمة بأسماء المصادر والمراجع العامة :

١ - أبو شادى وحركة التجديد في الشعر العربي الحديث ، تأليف دكتور كمال نشأت، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧م .

٢ - الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، تأليف أنيس الخورى المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة السادسة ١٩٧٧م

٣ - الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر ، تأليف دكتور محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م .

٤ - آثار باحثة البادية ، تأليف باحثة البادية (ملك حفني ناصف) جمع مجد الدين حفني ناصف ، المؤسسة المصرية العامة ، سلسلة تراثنا (دون تاريخ) .

٥ - آثار الزعيم سعد زغلول ، جمع وترتيب محمد ابراهيم الجزيرى ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧م .

٦ - الآثار الفكرية ، تأليف عبد الله فكرى ، المطبعة الأميرية ببولاق ، الطبعة الاولى ، ١٣١٥ هـ - ١٨٩٧م .

٧ - أحمد فارس الشدياق ، تأليف محمد عبد الغني حسن ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، الناشر مكتبة مصر ، سلسلة أعلام العرب رقم ٥٠ (د . ت) .

٨ - أحمد لطفي السيد (استاذ الجيل) تأليف د . حسين فوزى النجار ، المؤسسة المصرية العامة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د . ت)

٩ - الأدب العربي المعاصر في مصر ، تأليف دكتور شوقي ضيف ، مطابع دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة ١٩٧٦م .

١٠ - الأدب العصرى ، الجزء الثاني ، تأليف روفائيل بطي ، القاهرة ١٩٢٣م .

١١ - الأدب المقارن ، تأليف دكتور محمد غنيمي هلال ، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الخامسة (د . ت) .

١٢ - أسرار ثورة ١٩١٩م (الكتاب الممنوع) تأليف مصطفى أمين ، الجزء الاول ، دار المعارف بمصر ١٩٧٤م .

١٣ - الاسلام والتجديد ، تأليف تشارلز آدمز ، ترجمة عباس محمود ، مطبعة الاعتماد ، ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥م .

١٤ - الاسلام والحضارة الغربية ، تأليف دكتور محمد محمد حسين ، المكتب الاسلامي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

١٥ - أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوى ، دكتور محمود فهمي حجازى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤م .

١٦ - أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٤م .

١٧ - الأعلام ، خير الدين الزركلي ، الطبعة الثالثة (د . ت) .

١٨ - الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ، جمع وتحقيق محمد عماره ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة (د . ت)

١٩ - الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى ، دراسة وتحقيق محمد عمارة ، الموءسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٣م .

٢٠ - الأعمال الكاملة لقاسم أمين ، دراسة وتحقيق محمد عماره ، الموءسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٦م .

٢١ - الأعمال الكاملة لمحمد عبده ، جمع وتحقيق محمد عماره ، الموءسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢م .

٢٢ - الامام محمد عبده ، تأليف عبد الحليم الجندى ، سلسلة أعلام الاسلام دار المعارف ، (د . ت)

٢٣ - بلاغة النساء في القرن العشرين ، تأليف فتحية محمد ، مطبعة السعادة ، الناشر المكتبة المصرية ، (د . ت) .

٢٤ - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، تأليف محمود شكرى الألوسي ، شرح محمد بهجة الأثرى ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، الطبعة الثالثة ، الجزء الثاني ، ١٣٤٣ هـ .

٢٥ - البيان والتبيين ، تأليف الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، الجزء الاول ، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩م .

٢٦ - تاج العروس ، محمد مرتضى الزبيدي ، الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية ١٣٠٦ هـ ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ،

٢٧ - تاريخ الأستاذ الامام محمد عبده ، تأليف محمد رشيد رضا ، مطبعة المنار ، الطبعة الأولى ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م .

٢٨ - تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، تأليف الدكتور جمال الدين الشيال ، مطبعة الاعتماد بمصر ، نشر دار الفكر العربي ، ١٩٥١ م .

٢٩ - تاريخ التعليم الأجنبي في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، تأليف جرجس سلامة ، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، دار مطابع الشعب بالقاهرة ، ١٣٨٢ هـ ، ١٩٦٣ م .

٣٠ - تاريخ الرسل والملوك ، لمحمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية (د . ت) .

٣١ - تاريخ الشعوب الاسلامية ، تأليف كارل بروكلمان ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٩٦٥ م ، والطبعة السابعة ، ١٩٧٧ م .

٣٢ - تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، تأليف عبد الرحمن الجبرتي ، الجزء الثاني ، دار الفارس للطباعة والنشر ، بيروت (د . ت) .

٣٣ - تاريخ الفكر المصري الحديث ، تأليف دكتور لويس عوض ، الجزء الثاني ، دار الهلال ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٩ م .

٣٤ - تاريخ مصر الحديث ، تأليف جرجي زيدان ، مطبعة الهلال بمصر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٢٥ م .

٣٥ - تاريخ مصر في عهد اسماعيل ، تأليف الياس الأيوبي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٣ م .

٣٦ - تحرير المرأة ، تأليف قاسم أمين ، مطبعة عين شمس ، الطبعة الثالثة (د . ت) .

٣٧ - تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الاسلامي ، تأليف أنور الجندي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٠ م .

٣٨ - تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، جزءان ، تأليف جرجي زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (د . ت) .

٣٩ - تربية المرأة والحجاب ، تأليف محمد طلعت حرب ، مطبعة المنار بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٢٣ هـ .

٤٠ - تطور الأدب الحديث في مصر ، تأليف دكتور أحمد هيكل ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧١م .

٤١ - تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ، تأليف دكتور عبد المحسن طه بدر ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، (د . ت) .

٤٢ - تطور الشعر العربي الحديث في مصر ، تأليف دكتور ماهر حسن فهمي ، مكتبة نهضة مصر ، مطبعة الرسالة ، ١٩٥٨م .

٤٣ - تيارات أدبية بين الشرق والغرب ، تأليف دكتور ابراهيم سلامة ، مطبعة أحمد مخيمر ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٥٢م .

٤٤ - التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ، تأليف دكتور بدوى طبانة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، الناشر مكتبة الانجلو مصرية ، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م .

٤٥ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر ، ١٣٨٤- ١٩٦٥

٤٦ - ثورة سنة ١٩١٩م ، تأليف عبد الرحمن الرافعي ، مطبعة دار الشعب بالقاهرة ، (د . ت) .

٤٧ - ثورة في البرج العاجي ، تأليف منيرة ثابت ، دار المعارف بمصر (د . ت) .

٤٨ - جامع البيان ، لابن جرير الطبرى ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الجزء الرابع والخامس عشر ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م .

٤٩ - الجليس الأنيس في التحذير عما في كتاب تحرير المرأة من التلبيس تأليف محمد حسنين البولاقي ، مطبعة المعارف الأهلية ، ١٣١٧ هـ - ١٨٩٩م .

٥٠ - جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث ، تأليف دكتور عبد العزيز الدسوقي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، المطبعة الثقافية ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م

٥١ - جمال الدين الأفغاني ، تاريخه ورسالته ومبادئه ، تأليف محمود أبو ريه ، اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

٥٢ - حاضر المصريين أو سرّ تأخرهم ، تأليف محمد عمر ، مطبعة المقتطف ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م .

٥٣ - حديث عيسى بن هشام ، تأليف محمد ابراهيم المويلحي ، مطبعة مصر ، الطبعة الرابعة ، (د . ت) .

٥٤ - حديث القمر ، تأليف مصطفى صادق الرافعي ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

٥٥ - حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر ، تأليف جاك تاجر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٤٥ م .

٥٦ - الحركة النسائية الحديثة (قصة المرأة العربية على أرض مصر) ، تأليف دكتورة اجلال خليفة ، المطبعة العربية الحديثة (د . ت)

٥٧ - حسن العطار ، تأليف محمد عبد الغني حسن ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ م .

٥٨ - حصوننا مهددة من داخلها ، تأليف دكتور محمد محمد حسين ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

٥٩ - حقوق النساء في الاسلام (نداء الى الجنس اللطيف) تأليف محمد رشيد رضا ، المكتب الاسلامي بيروت دمشق (د . ت) .

٦٠ - الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر ، تأليف دكتور محمد فؤاد شكري ، دار الفكر العربي ، القاهرة (د . ت) .

٦١ - خصائص الشعر الحديث ، تأليف دكتورة نعمات أحمد فؤاد ، الناشر دار الفكر العربي ، مطبعة مخيمر ١٩٧١ م .

٦٢ - خليل مطران شاعر الأقطار العربية ، دكتور جمال الدين الرمادى ، مطابع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢ م .

٦٣ - خمسة من شعراء الوطنية ، مجموعة أبحاث لكتّاب مختلفين) مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الناشر وزارة الثقافة ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

٦٤ - خمسون عاما على ثورة ١٩ ، موسسة الأهرام ، مطابع الأهـــرام التجارية ، مركز الوثائق والبحوث التاريخية ، ١٩٦٩م .
٦٥ - دائرة معارف القرن العشرين ، تأليف محمد فريد وجدى ، دار المعرفة بيروت ، المجلد الثالث ، ١٩٧١م .
٦٦ - دراسات في حضارة الاسلام ، تأليف هاملتون جب ، ترجمة دكتور احسان عباس وآخرين ، دار العلم للملايين ، بيروت ط ٣ ، ١٩٧٩م
٦٧ - الدّر المنثور في طبقات ربّات الخدور تأليف زينب فواز ، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثالثة ، مصورة عن طبعة بولاق ١٣١٢هـ .
٦٨ - الديوان في الأدب والنقد ، تأليف عباس محمود العقاد وابراهيـم المازني ، الطبعة الثالثة، (د . ت) .
٦٩ - رحلة الى مصر تأليف كارستن نيبور ، ترجمة مصطفى ماهر ، المطبعة العمالية ١٩٧٧م .
٧٠ - رسائل من مصر بقلم أحمد خاكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦م .
٧١ - رفاعة رافع الطهطاوى ، تأليف دكتور جمال الدين الشيال ، دار المعارف بمصر ، سلسلة نوابغ الفكر العربي ، ١٩٧٠م .
٧٢ - روح المعاني ، تأليف محمود شكرى الألوسي ، الجزءان الثاني والرابع ، دار احياء التراث العربي بيروت .
٧٣ - زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، تأليف أحمد أمين ، مكتبـــة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٩م .
٧٤ - الساق على الساق فيما هو الفارياق ، تأليف احمد فارس الشدياق منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (د . ت)
٧٥ - سعد زغلول سيرة وتحية ، تأليف عباس العقاد ، مطبعة حجـــازى بالقاهرة ، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م .
٧٦ - سلافة النديم في منتخبات عبد الله النديم ، جمع شقيقه عبد الفتاح النديم ، مطبعة هندية بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م .
٧٧ - سنن أبي داود ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الجزء الأول والثاني والرابع ، دار احياء السنة المحمدية (د . ت) .

٧٨ - السيد رشيد رضا أو اخاء أربعين عاما تأليف شكيب أرسلان ، مطبعة ابن زيدون بدمشق ، الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧م .

٧٩ - شاعر العروبة والاسلام أحمد محرم ، تأليف محمد ابراهيم الجيوشي ، الناشر دار مكتبة العروبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨١ - ١٩٦١م

٨٠ - الشعر الحديث في الاقليم السورى ، تأليف دكتور سامي الدهان ، نشر معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٠م .

٨١ - شعراء الوطنية ، تأليف عبد الرحمن الرافعي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤م .

٨٢ - الشعر العراقي الحديث مراحله وتطوره ، تأليف دكتور جلال الدين الخياط ، دار صادر ودار الآداب بيروت ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م .

٨٣ - الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه ، تأليف دكتور يوسف عز الدين ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م .

٨٤ - الشعر العربي المعاصر تطوره وأعلامه ١٨٧٥ هـ - ١٩٤٠م ، أنور الجندى (د . ت) .

٨٥ - الشعر المصرى بعد شوقي ، تأليف دكتور محمد مندور (الحلقة الأولى) مكتبة نهضة مصر ومطبعتها (د . ت) .

٨٦ - الشوقيات المجهولة جمع الدكتور محمد صبرى ، مطبعة دار الكتب ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢م .

٨٧ - شوقي شاعر العصر الحديث ، تأليف دكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر (د . ت) .

٨٨ - الصحائف السود ، تأليف ولي الدين يكن ، مطبعة المقتطف والمقطم ، الطبعة الاولى ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤م .

٨٩ - صحيح البخارى للامام البخارى ، الجزء السادس ، دار الفكر ، عن طبعة دار الطباعة باستانبول . (د . ت) .

٩٠ - صحيح مسلم للامام أبي الحسن مسلم بن الحجاج ، الجزء الرابع والثامن ، مطبعة الجمهورية العربية ، مصر (د . ت) .

٩١ - صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، تأليف دكتور طه وادى ، مركز كتب الشرق الاوسط ١٩٧٣ م .

٩٢ - عائشة التيمورية تأليف مي زيادة ، مؤسسة نوفل بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٥م .

٩٣ - عصر اسماعيل تأليف عبد الرحمن الرافعي ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار الفكرة ، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨م .

٩٤ - عصر محمد علي تأليف عبد الرحمن الرافعي ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٣٧٠ - ١٩٥١م .

٩٥ - علاقات مصر بتركيا في عهد الخديوى اسماعيل ، تأليف دكتور احمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف بمصر ١٩٦٧م .

٩٦ - علم الدين تأليف علي مبارك ، مطابع جريدة المحروسة بالاسكندرية ١٢٩٩ - ١٨٨٢م .

٩٧ - العمدة لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد دار الجيل - بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢ .

٩٨ - الغزل في الشعر العربي الحديث في مصر ، تأليف سعد عيس ، المكتبة الوطنية في بنغازى ، الطبعة الاولى ١٩٧١م .

٩٩ - فصول من النقد والادب عند العقاد ، تقديم محمد خليفة التونسي ، مطبعة دار الهناء القاهرة (د . ت)

١٠٠ - الفن المسرحي في الادب العربي الحديث تأليف دكتور محمود حامد شوكت ، مطبعة عابدين ، دار الفكر العربي الطبعة الثالثة ، ١٩٧٠م .

١٠١ - في الادب الحديث ، تأليف عمر الدسوقي الجزء الاول مطبعة الرسالة ، الناشر دار الفكر العربي الجزء الاول الطبعة الثامنة ، ١٩٧٠م .

١٠٢ - في الأدب الحديث تأليف عمر الدسوقي الجزء الثاني ، مطبعة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٩٥٩م .

١٠٣ - في النقد الأدبي ، تأليف دكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة (د . ت) .

١٠٤ - قاسم أمين تأليف ماهر حسن فهمي ، مطبعة مصر ، وزارة الثقافة والارشاد القومي (د . ت) .

١٠٥ - القرن العشرون ماكان وسيكون ، عباس العقاد ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت (د . ت)

١٠٦ - قصة الأدب في العالم ، الجزء الثالث ، تأليف أحمد أمين وزكي نجيب محمود ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨م .
١٠٧ - قطرة من يراع في الأدب والاجتماع تأليف أحمد زكي أبو شادى ، مطبعة الظاهر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٢٦م .
١٠٨ - قولي في المرأة (مشكلاتنا الاجتماعية في ضوء الاسلام) تأليف مصطفى صبرى ، المكتبة العربية بحلب (د . ت) .
١٠٩ - الكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس المبرد ، الجزء الأول ، نشر مكتبة المعارف - بيروت (د . ت) .
١١٠ - كشف المخبا عن أحوال أوروبا ، تأليف أحمد فارس الشدياق ، مطبعة الجوائب بالقسطنطينية ، الطبعة الثانية ، ١٢٩٩ هـ .
١١١ - لمحة عامة الى مصر ، تأليف كلوت بك ، تعريب محمد مسعود ، مطبعة أبي الهول ، القاهرة ، (د . ت) .
١١٢ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، تأليف أبي الحسن الندوى ، مطابع علي بن علي الدوحة ، الطبعة العاشرة ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م
١١٣ - ماذا عن المرأة ، تأليف دكتور نور الدين عتر ، دار الفكر دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .
١١٤ - مجمع الأمثال ، لأبي الفضل محمد النيسابورى الميداني ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، الجزء الثاني ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م .
١١٥ - مجموعة أعلام الشعر (شعراء مصر وبيئاتهم في القرن الماضي) ، تأليف عباس محمود العقاد ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠م .
١١٦ - المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام ، تأليف أنور الجندى ، مطبعة الرسالة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م
١١٧ - المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها ، تأليف دكتور عبد الرحمن عميره ، الرياض ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م .
١١٨ - مذكراتي في نصف قرن ، تأليف احمد شفيق باشا ، الجزء الأول ، مطبعة مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤م .

١١٩ - مذكراتي في نصف قرن ، الجزء الثاني ، تأليف احمد شفيق باشا ، مطبعة مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦م .

١٢٠ - مذكرات قليني فهمي ، الطبعة الثانية ، القاهرة (د . ت) .

١٢١ - مذكرات محمد فريد ، القسم الأول ، حققه دكتور رؤوف عباس حامد ، مطبعة الجبلاوى ، الناشر عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

١٢٢ - المرأة بين الفقه والقانون ، تأليف دكتور مصطفى السباعي ، المكتب الاسلامي بيروت ، دمشق ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٥ - ١٩٧٥م)

١٢٣ - المرأة الجديدة تأليف قاسم أمين ، مطبعة الشعب ، القاهرة ، ١٣٢٩ هـ - ١٩١١م .

١٢٤ - المرأة الحديثة وكيف نسوسها ، تأليف عبد الله حسين المحامي ، المطبعة العصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية (د . ت) .

١٢٥ - المرأة في الاسلام تأليف دكتور علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م .

١٢٦ - المرأة في حياة العقاد ، تأليف دكتور عبد الحيي دياب ، مطبوعات دار الشعب ، القاهرة ، (د . ت) .

١٢٧ - المرأة في الشعر الجاهلي ، دكتور محمد أحمد الحوفي ، الناشر دار الفكر الحديث ، مطبعة المدني ، القاهرة (د . ت) .

١٢٨ - المرأة في عالمي العرب والاسلام تأليف عمر رضا كحالة ، الجزء الثاني ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م .

١٢٩ - المرأة في القرآن تأليف عباس محمود العقاد ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت - الطبعة الثالثة ، ١٩٦٩م

١٣٠ - المرأة المسلمة تأليف محمد فريد وجدى ، مطبعة الترقي ، الطبعة الأولى ، ١٣١٩ هـ - ١٩٠١م .

١٣١ - المرأة المصرية من الفراعنة الى اليوم تأليف درية شفيق ، الناشر مطبعة مصر ، ١٩٥٥م .

١٣٢ - مروج الذهب للمسعودى ، الجزء الثاني ، دار الأندلس ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣م .

١٣٣ - المسرح تأليف دكتور محمد مندور ، سلسلة فنون الأدب العربي ، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ، ١٩٦٣م
١٣٤ - مسرحيات شوقي تأليف محمد مندور ، مكتبة نهضة مصر ، الطبعة الثالثة ، (د . ت) .
١٣٥ - مسرحيات عزيز أباظة تأليف دكتور عبد المحسن عاطف سلام ، الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٦١م .
١٣٦ - المسرحية في الأدب العربي الحديث تأليف دكتور محمد يوسف نجم دار الثقافة - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧م .
١٣٧ - مطالعات في الكتب والحياة ، تأليف عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م
١٣٨ - مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر ، تأليف دكتور محمود شوكت ، ودكتور رجاء عيد ، الناشر دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٥م .
١٣٩ - من رسائل الرافعي تأليف محمود أبو ريه ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩م .
١٤٠ - الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب بالقاهرة ومؤسسة فرانكلين ، الطبعة الثانية ١٩٧٢م .
١٤١ - موسيقى الشعر ، تأليف دكتور ابراهيم أنيس ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٣م .
١٤٢ - مي زياده ، التوهج والأفول ، تأليف روز غريب ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٨م .
١٤٣ - مي حياتها وآثارها ، تأليف وداد سكاكيني ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧١م .
١٤٤ - مي في حياتها المضطربة ، تأليف جميل جبر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٣م .
١٤٥ - نساء شهيرات من الشرق والغرب ، تأليف وداد سكاكيني وتماضر توفيق ، عيسى البابي الحلبي وشركاه بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

١٤٦ - النسائيات بقلم باحثة البادية (ملك حفني ناصف) ، مطبعة التقدم بمصر (د . ت) .

١٤٧ - النظرات ، تأليف مصطفى لطفي المنفلوطي ، الناشر المكتبة التجارية بمصر ، دار الثقافة ، بيروت (د . ت) .

١٤٨ - النقد الأدبي تأليف أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة الطبعة الرابعة ، ١٩٧٢م .

١٤٩ - النقد الأدبي الحديث ، تأليف أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٣م .

١٥٠ - النقد التطبيقي والموازنات ، تأليف دكتور محمد الصادق عفيفي ، مكتبة الوحدة العربية ، الدار البيضاء ، ١٩٧٢م .

١٥١ - الواسطة في معرفة أحوال مالطه ، تأليف أحمد فارس الشدياق ، مطبعة الجوائب القسطنطينية ، الطبعة الثانية ، ١٢٩٩ هـ ، وهو مطبوع مع كتاب كشف المخبا في مجلد واحد .

١٥٢ - وحي القلم ، تأليف مصطفى صادق الرافعي ، مطابع دار المعارف بمصر ، ١٩٧١م .

١٥٣ - ودخلت الخيل الأزهر ، تأليف محمد جلال كشك ، الدار العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢م .

١٥٤ - وصف مصر تأليف علماء الحملة الفرنسية (الكتاب الأول من تأليف ج . دى شابرول) ترجمة زهير الشايب ، الناشر مكتبة الخانجي بمصر ، الطبعة الثانية ، الجزء الأول ١٩٧٩م .

ثانيا : قائمة بأسماء الدواوين والمجموعات الشعرية

١٥٥ - أحلام النخيل ، عبد العزيز عتيق ، دار مصر للطباعة ، مكتبة مصر (د . ت) .

١٥٦ - أشعة وظلال ، أحمد زكي أبو شادى ، مطبعة الشباب بمصر ، الطبعة الأولى ١٩٣١م .

١٥٧ - أصداء بعيده ، العوضي الوكيل ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٥م .

١٥٨ - أطياف الربيع ، احمد زكي أبو شادى ، مطبعة التعاون ، الطبعة الأولى ، ١٩٣٣م .
١٥٩ - أغاريد السحر ، علي الجندى ، الناشر دار الكتاب العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى (د . ت) .
١٦٠ - أغاني الربيع ، الموضي الوكيل ، مطبعة وادى النيل بميت غمر ، الطبعة الأولى ، ١٩٣٩م .
١٦١ - أغاني الكوخ ، محمود حسن اسماعيل ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦٧م .
١٦٢ - ألحان الأصيل ، علي الجندى ، مطبعة الاعتماد ، دار الفكر العربي ، القاهرة (د . ت) .
١٦٣ - أنات حائرة ، عزيز أباظه ، القاهرة ، الطبعة الثالثة (د . ت) .
١٦٤ - أنين ورنين ، أحمد زكي أبو شادى ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م .
١٦٥ - ايليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر شعر ودراسة ، دار اليقظة العربية ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٣م .
١٦٦ - حديقة الورد ، ورده ناصيف اليازجي ، مطبعة هندية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، (د . ت) .
١٦٧ - حلية الطراز (ديوان عائشة التيموريه) ، مطبعة دار الكاتب العربي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٢م .
١٦٨ - حواء والشاعر ، عبد الرحمن صدقي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢م
١٦٩ - دموع وشموع ، محمد الهرعي ، القاهرة ، (د . ت) .
١٧٠ - ديوان ابراهيم ناجي ، دار العودة - بيروت ، ١٩٧٣م
١٧١ - ديوان أبي الطيب المتنبي ، شرح عبد الرحمن البرقوقي ، الناشر دار الكتاب العربي - بيروت (د . ت) .
١٧٢ - ديوان أحمد بن محمد الحملاوى ، تصحيح مصطفى السقا ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٣٧٦ - ١٩٥٧م
١٧٣ - ديوان أحمد محرم ، الجزء الأول ، مطبعة الجريدة بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٠٨م .

١٧٤ - ديوان أحمد محرم ، الجزء الثاني ، مطبعة الفتوح بدمنهور ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٨ هـ - ١٩٢٠ م .
١٧٥ - ديوان اسماعيل صبرى أبو أميه ، حققه محمد القصاص وآخرون ، نشر وزارة الثقافة ، القاهرة ، (د . ت) .
١٧٦ - ديوان اسماعيل صبرى باشا ، ضبطه أحمد الزين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨م .
١٧٧ - ديوان الأسمر ، محمد الأسمر ، شركة فن الطباعة ، القاهرة (د . ت)
١٧٨ - ديوان البارودى ، محمود سامي البارودى ، حققه علي الجارم ، محمد شفيق معروف ، دار المعارف بمصر ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م .
١٧٩ - ديوان البزم ، شرح سليم الزركلي وعدنان مردم ، المطبعة الهاشمية بدمشق ، الجزء الأول (د . ت) .
١٨٠ - ديوان تذكار الصبا ، نجيب الحداد ، مطبعة جورجي غرزوذى بالاسكندرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٠٥م .
١٨١ - ديوان جميل صدقي الزهاوى ، دار العودة - بيروت ، المجلد الأول ، ١٩٧٢م .
١٨٢ - ديوان حافظ ابراهيم ، ضبط أحمد أمين وآخرين ، جزءان ، دار العودة - بيروت (د . ت) .
١٨٣ - ديوان حسن القاياتي ، الجزء الأول ، مطبعة كردستان العلمية بمصر ، ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠م .
١٨٤ - ديوان حليم ، حليم دموس ، الجزء الأول ، مطبعة دار الأيتام السورية بالقدس ، الطبعة الثانية ، ١٩٢٠م .
١٨٥ - ديوان حمام ، محمد مصطفى حمام ، المكتبة العربية ، وزارة الثقافة القاهرة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م .
١٨٦ - ديوان خليل مردم ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق (د . ت)
١٨٧ - ديوان الخليل ، خليل مطران ، اربعة أجزاء ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٧م .
١٨٨ - ديوان الرافعي ، مصطفى صادق الرافعي ، الجزء الأول ، المطبعة العمومية بمصر ، ١٣٢١ هـ .

١٨٩ - ديوان الشبيبي ،محمد رضا الشبيبي ،القاهرة ،١٩٤٠م .
١٩٠ - ديوان شوقي ،احمد شوقي ، الجزء الثاني ، طبعة مصر، ١٩٤٨م
١٩١ - ديوان صالح الشرنوبي ، تحقيق عبد الحي دياب وأحمد كمال زكي ، دار الكاتب العربي ، القاهرة (د . ت) .
١٩٢ - ديوان صالح مجدى ، المطبعة الأميرية ببولاق مصر ،الطبعة الأولى ، ١٣١١ هـ .
١٩٣ - ديوان الصيرفي ، عبد العزيز الصيرفي ، مطبعة الملاجي العباسية بمدرسة محمد علي ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ ١٩١٨م .
١٩٤ - ديوان طانيوس عبده ، مطبعة الهلال بمصر ، ١٩٢٥م .
١٩٥ - ديوان عبد الحليم المصرى ، الجزء الثالث ، مطبعة المعارف بمصر ١٣٣٦ هـ - ١٩١٨م .
١٩٦ - ديوان عبد الرحمن شكرى ، جمعة نقولا يوسف ، طبعة المعارف بالاسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٠م .
١٩٧ - ديوان عبد المطلب ، تصحيح ابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبي ، الناشر مطبعة الاعتماد ، الطبعة الأولى ،القاهرة (د . ت) .
١٩٨ - ديوان عزيز ، عزيز فهمي ، دار المعارف بمصر . (د . ت) .
١٩٩ - ديوان العقاد ، عباس محمود العقاد ، مجلدان ، منشورات المكتبة العصرية - بيروت (د . ت) .
٢٠٠ - ديوان علي الجارم ، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر (د . ت) .
٢٠١ - ديوان علي الدرويش ، القاهرة ، ١٢٨٤ هـ .
٢٠٢ - ديوان علي محمود طه ، دار العودة - بيروت ، ١٩٧٢م .
٢٠٣ - ديوان عماد ، محمود عماد ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م
٢٠٤ - ديوان الفاياتي ، علي الفاياتي ، مطبعة عطايا بمصر ،الطبعة الثانية ، ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨م .
٢٠٥ - ديوان الغلاييني ، مصطفى الغلاييني ،المطبعة العباسية بحيفا ، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م .
٢٠٦ - ديوان الماحي ، محمد مصطفى الماحي ،الناشر دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م .

٢٠٧ - ديوان المازني ، ابراهيم عبد القادر المازني ، مراجعة محمود عماد ، مطبوعات المجلس الأعلى للفنون ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م

٢٠٨ - ديوان محمود صفوت الساعاتي ، جمع مصطفى رشيد ، مطبعة المعارف بمصر ، ١٣٢٩ هـ - ١٩١١م .

٢٠٩ - ديوان معروف الرصافي ، جزءان ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٥٧م .

٢١٠ - ديوان ملتقى العبرات ، محمد طاهر الجبلاوى ، مطبعة الشعراني بمصر ١٩٢٥م .

٢١١ - ديوان من دواوين ، عباس محمود العقاد ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة (د . ت) .

٢١٢ - ديوان نبويه موسى ، الجزء الأول ، مطبعة مجلة الفتاة بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٣٨م .

٢١٣ - ديوان نسمات الأوراق ، خليل اليازجي ، مطبعة دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٠٨م .

٢١٤ - ديوان ولي الدين يكن ، مطبعة المقتطف ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤م .

٢١٥ - ذكريات شباب ، عبد القادر القط ، دار مصر للطباعة ، الناشر مكتبة مصر ، ١٩٥٨م .

٢١٦ - الرمزيات ، محمود رمزى نظيم ، جمع محمد علي أبو طالب ومحمد علي الغزالي ، نشر محمد أبو طالب ، القاهرة ، (د . ت)

٢١٧ - زهر وخمر ، علي محمود طه ، شركة فن الطباعة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، (د . ت) .

٢١٨ - سبحات الخيال ، علي الجارم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١م .

٢١٩ - الست هدى ، أحمد شوقي ، مطابع دار الكتاب العربي ، بيروت (د . ت) .

٢٢٠ - شعر حفني ناصف ، جمع مجد الدين حفني ناصف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٧م .

٢٢١ - شعرى ، محمود أبو الوفا ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢م .

٢٢٢ - الشفق الباكي ، احمد زكي أبو شادى ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦م .
٢٢٣ - الشوق العائد ، علي محمود طه ، دار احياء الكتب ، القاهرة ، ١٩٤٥م .
٢٢٤ - الشوقيات ، أحمد شوقي ، مجلدان ، الناشر دار الكاتب العربي بيروت ، (د . ت) .
٢٢٥ - صدى ونور ودموع ، حسن كامل الصيرفي ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٠م .
٢٢٦ - علي محمود طه ، شعر ودراسة ، سهيل أيوب ، دار اليقظة العربية ، دمشق ، ١٩٦٠م .
٢٢٧ - العيون اليواقظ في الحكم والأمثال والمواعظ ، محمد عثمان جلال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨م .
٢٢٨ - الفجر الأول ، خليل شيبوب ، مطبعة جريدة البصير بالاسكندرية ١٩٢١م .
٢٢٩ - فوق العباب ، احمد زكي أبو شادى ، مطبعة التعاون ، القاهرة ، ١٩٣٥م .
٢٣٠ - الكائن الثاني ، احمد زكي أبو شادى ، مطبعة التعاون ، القاهرة ، ١٩٣٥م .
٢٣١ - اللحن الباكي ، جليلة رضا ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة (د . ت) .
٢٣٢ - ليالي الهرم ، صالح جودت ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٧م .
٢٣٣ - مختارات من وحي العام ، أحمد زكي أبو شادى ، دار العصور ، الطبعة الأولى ، القاهرة (د . ت) .
٢٣٤ - مرآة نفسي ، عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ، ١٩٤٦م .
٢٣٥ - مصريات ، أحمد زكي أبو شادى ، المطبعة السلفية ، الطبعة الأولى القاهرة ، ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤م .

٢٣٦ - من السماء ، احمد زكي أبو شادى ، مطبعة جريدة الهدى ، نيويورك ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٩م .
٢٣٧ - من نبع الحياة ، محمد عبد الغني حسن ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٠
٢٣٨ - من وحي الاسكندرية ، عادل الغضبان ، مطابع دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣م .
٢٣٩ - من وحي المرأة ، عبد الرحمن صدقي ، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ، ١٩٦٥م .
٢٤٠ - من وراء الأفق ، محمد عبد الغني حسن ، دار المعارف بمصر ، ١٩٤٧م .
٢٤١ - الينبوع ، أحمد زكي أبو شادى ، مطبعة التعاون ، القاهرة ، ١٩٣٤م .

ثالثا : قائمة بأسماء الدوريات ومكان صدورها وتاريخه .

٢٤٢ - أبولو ، رئيس التحرير احمد و زكي أبو شادى ، القاهرة ، ١٩٣٢م .
٢٤٣ - الأزهر ، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ .
٢٤٤ - الأسبوع ، ادوار عبده سعيد ، القاهرة ، ١٩٣٣م .
٢٤٥ - الأستاذ ، عبد الله النديم ، مصر ١٨٩٢م .
٢٤٦ - الاستقلال ، نجيب شقرا المحامي ، مصر ، ١٩٠٢ .
٢٤٧ - الاعتصام ، احمد عيسى عاشور ، القاهرة ، ١٩٣٩م .
٢٤٨ - الانسان ، حسن حسني ، القاهرة ، ١٣٠١ هـ .
٢٤٩ - أنيس الجليس ، الكسندرة أفرينوه ، الاسكندرية ، ١٨٩٨م .
٢٥٠ - البلاغ الأسبوعي ، عبد القادر حمزة ، ١٩٢٧م .
٢٥١ - الأهرام ، سليم تقلا ، الاسكندرية ، ١٨٧٥م .
٢٥٢ - البيان ، عبد الرحمن البرقوقي ، مصر ، ١٣٣٠ هـ .
٢٥٣ - الثريا ، ادوارد جدى ، القاهرة ، ١٨٩٦م .
٢٥٤ - الجامعة الاسلامية ، محمد علي الكحال ، حلب ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩م .
٢٥٥ - الجامعة (الجامعة العثمانية) ، فرح أنطون ، الاسكندرية ، ١٣١٦هـ - ١٨٩٩م .

٢٥٦ - الجنان ، بطرس البستاني ، بيروت ، ١٨٧٠م .
٢٥٧ - الحسان ، فريده فوزي وفرج سليمان فؤاد ، القاهرة ، ١٩٢٥م .
٢٥٨ - الحقائق ، عبد القادر الاسكندراني ، دمشق ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م
٢٥٩ - الحكمة ، عبد العزيز نظمي ، مصر ، ١٩٠٤م .
٢٦٠ - الرسالة ، احمد حسن الزيات ، القاهرة ، ١٩٣٣م .
٢٦١ - الريحانة ، جميلة حافظ ، مصر ، ١٩٠٧م .
٢٦٢ - سركيس ، سليم سركيس ، القاهرة ، ١٩٠٥م .
٢٦٣ - السياسة الأسبوعية ، محمد حسين هيكل ، القاهرة ، ١٩٢٦م .
٢٦٤ - صحيفة دار العلوم ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ - ١٨٢٧م .
٢٦٥ - الضياء ، ابراهيم اليازجي ، القاهرة ، ١٨٩٨م .
٢٦٦ - الطليعة ، لطفي الخولي ، القاهرة ، ١٩٦٥م
٢٦٧ - العروة الوثقي ، الأفغاني ومحمد عبده ، باريس ١٣٠١ ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٠م .
٢٦٨ - العصر الجديد ، سليم النقاش ، مصر ، ١٨٨٠م .
٢٦٩ - العصور ، اسماعيل مظهر ، القاهرة ، ١٩٢٧م .
٢٧٠ - فتاة الشرق ، لبيبه هاشم ، القاهرة ، ١٩٠٦ م .
٢٧١ - فتاة مصر الفتاة ، أملي عبد المسيح ، القاهرة ، ١٩٢١م .
٢٧٢ - الفتح ، محب الدين الخطيب ، القاهرة ، ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦م .
٢٧٣ - اللطائف ، شاهين مكاريوس ، مصر ، ١٨٨٦م .
٢٧٤ - اللواء ، مصطفى كامل ، القاهرة ، ١٩٠٠م .
٢٧٥ - المؤيد ، الشيخ علي يوسف ، القاهرة ، ١٨٨٩م .
٢٧٦ - مجلتي ، احمد الصاوي محمد ، مصر ، ١٩٣٤م .
٢٧٧ - المجلة الجديدة ، سلامة موسى ، القاهرة ، ١٩٣٠م .
٢٧٨ - مجلة المجلات العربية ، محمود حسيب ، القاهرة ، ١٩٠٠م .
٢٧٩ - مجلة مصر الحديثة المصورة ، توفيق اليازجي ، مصر ١٩٢٨م .
٢٨٠ - المحيط ، عوض واصف ، مصر ، ١٩٠٣م .
٢٨١ - المرأة في الاسلام ، ابراهيم رمزي ، مصر ، ١٣١٨ هـ - ١٩٠١م .
٢٨٢ - المستقبل ، اسماعيل وهبي المحامي ، مصر ، ١٩٢٨م .

٢٨٣ - المستقبل ، سلامة موسى ، القاهرة ، ١٩١٤م .
٢٨٤ - المصرية ، لصاحبتها ، هدى شعراوى ، رئيسة التحرير ، سيزا نبراوى ، القاهرة ، ١٩٣٧م .
٢٨٥ - المصور ، صدرت عن دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٢٤م .
٢٨٦ - المعرفة ، عبد العزيز الاسلامبولي ، مصر ، ١٩٣١م .
٢٨٧ - المقتطف ، يعقوب صروف وفارس نمر ، القاهرة ، ١٨٧٦م .
٢٨٨ - المنار ، محمد رشيد رضا ، القاهرة ، ١٨٩٨م .
٢٨٩ - الموسوعات ، حافظ عوض ، ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م .
٢٩٠ - الهلال ، جرجي زيدان ، القاهرة ، ١٨٩٢م .
٢٩١ - الوقائع المصرية ، باشراف حسن العطار ، القاهرة ، ١٨٢٧م .

فهـــرس الموضوعـــات

الباب الثالث

****

الباب الثالث

* * * * * * *